وزارة المعارف العمومية

ديوان حافظ ابراهيم

ضبطه وصححه وشرحه ورتبه

أحمد أمين بك
أستاذ اللغة العربية
بالجامعة المصرية سابقا

أحمد الزين
بالقسم الأدبى
بدار الكتب المصرية سابقا

ابراهيم الابيارى
المدرس
بالمدارس الأميرية

الجزء الأول

ويشمل :

المدائح والتهانى ، الأهاجى ، الإخوانيات ، الوصف ،
الخمريات ، الغزل ، الاجتماعيات

[الطبعة الثالثة]

المطبعة الأميرية بالقاهرة
١٩٤٨

وزارة المعارف العمومية

ديوان حافظ إبراهيم

ضبطه وصححه وشرحه ورتبه

أحمد أمين بك
أستاذ اللغة العربية
بالجامعة المصرية سابقا

أحمد الزين
بالقسم الأدبي
بدار الكتب المصرية سابقا

ابراهيم الابيارى
المدرس
بالمدارس الأميرية

الجزء الأول

ويشمل :

المدائح والتهانى ، الأهاجى ، الإخوانيات ، الوصف ، الخمريات ، الغزل ، الاجتماعيات

[الطبعة الثالثة]

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة ديوان حافظ ابراهيم

للأستاذ أحمد أمين بك

معلومات رسمية عنه مستقاة من ملف خدمته المحفوظ الآن بإدارة المعاشات

(١) لم يعرف بالضبط تاريخ مولده ، ولم يعرفه حافظ نفسه ، كما أقر بذلك ، وقد عرض على (القومسيون) الطبي عند ما أريد تعيينه فى دار الكتب ، فقدّر سنه تسعا وثلاثين سنة ، وكان الكشف الطبي عليه يوم ٤ فبراير سنة ١٩١١ ، برآسة الدكتور بتسى ، وهذا هو السبب الذى اعتمد عليه من قال : إنه ولد يوم ٤ فبراير سنة ١٨٧٢ م ، وهو سبب واهٍ كما ترى .

(٢) كتب حافظ بخطه ما يأتى : "ولدت فى ذهبية (أى حراقة) بالنيل ، بالقرب من قناطر (ديروط) بالصعيد" .

(٣) كتب إلى (ديروط) للبحث فى الدفاتر عن تاريخ ميلاد حافظ ، فأجابت بأنها بحثت من سنة ١٨٧٠ إلى سنة ١٨٨٠ فلم تعثر عليه فى دفاترها .

(٤) كتب حافظ بخطه أن "أباه اسمه إبراهيم فهمى ، واسم أمه الست هانم كريمة أحمد البورصه لى بك" .

(٥) (الدبلومات) والشهادات الحاصل عليها : "عريضة ملازم أول" .

(٦) وظائفه :

فى وزارة الحربية :	من	إلى
ملازم ثان	١٨٩١/ ٢/١٣	١٨٩٣/ ٧/٣١
ملازم أول	١٨٩٣/ ٨/ ١	١٨٩٤/ ٥/ ٦

فى وزارة الداخلية :

ملاحظ مركز بنى سويف ...	٧ /٥ /١٨٩٤	٢٣/٣ /١٨٩٥
معاون بوليس مركز الإبراهيمية	٢٤/٣ /١٨٩٥	١٥/١٠/١٨٩٥

فى وزارة الحربية ثانية :

أحيل على الاستيداع	١٦/١٠/١٨٩٥	١٧/٣ /١٨٩٦
ملازم أوّل بإدارة التعيينات ...	٨ /٣ /١٨٩٦	٢ /٥ /١٩٠٠
أحيل على الاستيداع	٣ /٥ /١٩٠٠	٣١/١٠/١٩٠٣
أحيل على المعاش	١ /١١/١٩٠٣	

(٧) كانت إحالته على المعاش بناء على طلبه ، فقد كتب تظلما قال فيه "إنه مكث بخدمة الجيش ١٢ سنة ، ولم يحصل فيها على غير رتبة ملازم أوّل ، ومضى عليه أربع سنوات وهو فى الاستيداع ، وأنه فقد الأقدمية ، ويلتمس إحالته على المعاش ليتمكن من وجود شغل له يقوم بنفقته ونفقة عائلته الكبيرة التى لا يقوم مرتب الاستيداع بلوازمها" ، "وبناء على ذلك تقرر إحالته على المعاش كالتماسه".

(٨) كان مرتبه فى الاستيداع ٤ جنيهات .

(٩) فى أثناء خدمته بإدارة التعيينات سافر إلى السودان ، وقد أمضى فيه مدّة ، منها :

يوم	شهر	
١٥	٩	فى سواكن .
٥	٢	« وطوكر .
—	١٠	قبلى حلفا .

(١٠) حينما أحيل إلى المعاش كتب وكيل الحربية ما نصه : "إن محمد حافظ إبراهيم الملازم أوّل المحال على المعاش سلم السيف والقايش (الذين كانوا فى عهدته)" .

(١١) عين رئيسا للقسم الأدبى بدار الكتب فى ١٩١١\٣\١٤ تحت الاختبار ، بمرتب قدره ٣٠ جنيها ، وفى ١٩١٢/٤/١ عين بصفة دائمـة ، وفى ١٩١٦/٢/٧ عين رئيسـا للمغيرين بدار الكتب أيضا .

(١٢) كتب وهو فى سنّ الخامسة والخمسين يطلب إحالته على المعاش ، وأن يعطى خمسين جنيها شهريا ، لأنه خدم اللغة والأدب مدّة طويلة ، فلم يجب إلى طلبه .

(١٣) ظل مرتبه فى دار الكتب يزيد إلى أن بلغ ثمـانين جنيها .

(١٤) أحيل إلى المعاش من دار الكتب فى ١٩٣٢/٢/٤ .

(١٥) مجموع مدّة خدمته فى الحكومة : ٣٥ سنة و٤ أشهر و٢٩ يوما ، و بيانها كالآتى :

يوم	شهر	سنة	
٨	٦	١٤	مدّة خدمته فى الحربية والداخلية .
٢١	١٠	٢٠	« « بدار الكتب .

(١٦) ملف خدمته مملوء بطلب الإجازات الاعتيادية والمرضية ، وفى سـنة ١٩٢٣ طلب إجازة ثلاثة أشهر لقضائها خارج القطر ابتداء من ٣٠ أغسطس .

حياته — حوالى سنة ١٨٧٢ م ، كانت سفينة (ذهبية) ترسو على شاطئ النيـل أمام بلدة (ديروط) فى أعلى الصعيد ، وكان يسكنها ابراهيم افندى فهمى أحد المهندسين المشرفين على قناطر ديروط وزوجته الست هانم .

ففى يوم منها أو قريب منها ، ولد لهذه الأسرة فى هـذه السفينة مولود سموه "محمد حافظ" وهو شاعرنا فيما بعد ، فكان ذلك إرهاصا لطيفا ، وإيمـاء طريفا ، إذ شـاء القدر ألا يولد "شاعر النيل" إلا على صفحة النيل .

كان أبوه "إبراهيم فهمى" مصريا صميما ، وكانت أمه "هانم بنت أحمد البورصه لى" من أسرة تركية الأصل ، تسكن "المغربلين" تعرف بأسرة الصروان ، إذ كان والدها أمين الصرة فى الحج ، فلقب بالصروان (القيم على الصرة) ولقبت الأسرة به

ومع أن الدم التركي كان يجري في عروقه كالدم المصري ، لم يترنم بمدح الترك ترنمه بمدح مصر والعرب ، ولم يشد بذكر الأتراك إشادة (شوقي) بهم ، لأن ما كان في (شوقي) دم تركي (أرستقراطي) ، وما في حافظ دم تركي (ديمقراطي) : ولأن تركية شوقي غذتها بيئة القصور التي ولد ببابها ، وعاش في أكنافها ، وتنفس في جوها ، وتركية حافظ غلبتها حياته البائسة ، وعيشه في أوساط الجماهير ، واندماجه في غمار الناس ، يعيش عيشتهم ، ويحيا حياتهم ، فماتت عصبيته التركية إلا نادرا ؛ فكان شوقي إذا شعر في الترك وحروبهم والخلافة وشؤونها شعرت أنه يتحدث عن قومه ، يفتخر بنصرهم ، ويعتز بعزهم ، ويراعي العلاقة القوية بين عابدين ويلدز ، وبين الخديو والخليفة ، وإذا شعر حافظ في ذلك لم تر عصبية جنسية ، إنما هي عصبية دينية ووطنية ، فهو يفخر بنصرة الترك ، لأنها نصرة الإسلام ، ويخشى على الخلافة لأن في ضعفها ضعفا لدينه وفي النيل منها نيلا من وطنه .

*
* *

لم يعش أبو حافظ طويلا بعد ولادته ، ولم يرزق ولدا غيره ؛ وقد توفي إبراهيم في ديروط وحافظ في الرابعة من عمره ، فانتقلت به والدته إلى القاهرة ، ونزلت عند أخيها ، فتولى أمره وقام بتربيته .

أدخله خاله مدرسة " تسمى المدرسة الخيرية " كان مقرّها (القلعة) ، وكانت مكتبا تعلم فيه القراءة والكتابة وشيء من العربية وشيء من الحساب .

ثم دخل مدرسة القِربية وهي مدرسة ابتدائية يعلم فيها ما يعلم في المكتب على نمط أرقى .

ثم تحوّل إلى مدرسة المبتديان ، ثم صار إلى المدرسة الخديوية ، ولكن لم يطل مقامه فيها ، فانتقل مع خاله " محمد أفندي نيازي " إلى طنطا ، وكان خاله هذا مهندس تنظيم بها .

وقد تعرّف به هناك الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار وكان هذا طالبا بالمعهد الأحمدي ، وذلك في شعبان سنة ١٣٠٥هـ — أبريل سنة ١٨٨٨م . وسنّ حافظ إذ ذاك نحو ستة عشر عاما . قال الأستاذ النجار : " عند ما عدت من القرشية إلى طنطا في شعبان من تلك السنة ، رأيت إخواني وأصدقائي يلوذون بفتى غض الإهاب ، جديد الشباب ، وقد أسرعوا بتقديمي إليه وتقديمه إلي ، باسم الأديب الشاعر " محمد حافظ إبراهيم " ولم تمرّ إلا عشية أو ضحاها حتى

أحسست من نفسى ميلا إليه بجاذب من الأدب الذى كان نهمة نفسى، حتى آل ذلك إلى غرام بأدبه ، وما يشتمل عليه من ظرف ولطف محاضرة ، وبديهة مطاوعة ، وسرعة خاطر ، وحضور نادرة " .

" وقد قضينا رمضان هذه السنة نصلى المغرب والعشاء والتراويح معا ، ثم نلبث فى سمر ممتع ومطارحة للشعر ، ومذاكرة فى نوادر الأدب ، وما كان يطرفنى به مما يقف عليه من جيد القريض ، إلى أن يأتى وقت السحور ، ثم نعود بعد السحور إلى ما كنا فيه إلى انبثاق الفجر. فنؤديه ، ثم نخرج بغلس إلى خارج المدينة . ثم نعود وقد آذنت الشمس بالطلوع ، فيذهب كل منا إلى بيته [1] " .

فهو فى سنّ السادسة عشرة يربى نفسه بالمطالعات ، ويحفظ جيد الشعر ، ويسمر به مع أصدقائه ، ويقلده فيما يقوله هو من الشعر ، لا عمل له ولا مدرسة إلا مدرسته التى أنشأها بنفسه لنفسه ، وكان فيها وحده المعلم والمتعلم .

وحدثت حادثة طريفة تدل على شدّة شعوره بجمال الطبيعة ، وحسن ذوقه وجودة حسه ؛ فقد رأى طائرا جميلا هو (اللقلق) أو كما يسمى فى مصر " البشروش " فى حديقة مدرسة الفرير بطنطا ، فكان يفزعه بتحريك حلقة باب المدرسة ليرى جمال شكله وجمال حركته ، واستمر على هذا حتى ضج رجال المدرسة ، وأكمنوا له وقبضوا عليه ، وأسلموه للضبطية ، ثم عفوا عنه لما رأوا من سذاجته وطهارة الباعث على عمله [2] .

طبعى أن يمل خاله هذه الحال التى عليها ابن أخته ، ولو كان أبوه حيا لملها منه ، فشاب ليس فى مدرسة ، وليس له ثروة ، ثم لا يتكسب ، حالة توجب الملل ؛ أشعره خاله بذلك ، أو شعر هو به . فنظم له بيتين يدلان على ما فى نفسه من ألم عميق ، فهو يقول :

ثقلت عليك مؤونتى إنى أراها واهيه

فافرح فإنى ذاهب متوجه فى داهيه

---

(١) مقال للأستاذ النجار نشر فى مجلة أپولو : يوليه سنة ١٩٣٣

(٢) المصدر نفسه .

شعر ساذج فى سنّ الصبا ، ولكنه يكنّ عاطفــة قوية حزينة . موقف أليم فى بيت خاله يذكره دائمــا بيتمه وعدمه ، ويصوّر له دائمــا بؤسه وشقاءه ؛ وهذا يفسر لنا ما كان فى نفس حافظ من حزن عميق ، وألم كامن ، على الرغم ممــا يلوح على سطحها من ضحاك وسرور .

يذكر لنا الأستاذ النجار أنه فى هذه الحالة، كان كثيرا ما يشكو الدهر و يندب سوء حظه، ويتبرم بأحداث الزمن . ويتمنى لو يوافيه حمامه ؛ فمن ذلك قوله :

عجِبت لِعمرِى كيف مد فطالا ... وما أثرت فِيــه الهموم زوالا

ولِلموتِ ، مالى قد أراه مباعِدا ... وجل مرادى ان اوسد حالا

فللموت خير مِن حياةٍ ارى بِها ... ذلِيلا وكنت السيد المِفضالا

ماذا يصنع وقد ضاقت به السبل ، وعضه الفقر ، لقــد أبى أن يأكل من بيت خاله ، فمن أين يأكل ؟

كانت أمامه إحدى سبيلين : سلكهما قبله من كان على شاكلته ممن تعلموا علمــا لم يتبع نظاما ولم يستند إلى "شهادة" وهى أن يكون معلما فى مكتب أو شبهه . كما فعل قبله (عبد الله نديم) وكثير غيره ، أو يكون محاميا . كلاهما إذ ذاك مهنة حرة يدخلها من شاء بلا قيد ولا شرط.

ولعل حافظا رأى أنه طلق اللسان ، حسن التأتى إلى ما يريد، مداور محاور ، وأن المحاماة تدرّ على صاحبها إذا نجح ما لا يدرّ علية التعليم إذا نجح . ففضل أن يكون محاميا .

ولكنه لا يستطيع أن يفتح مكتبا ، وينتظر شهرته " فذهب إلى أحد المحــامين الشيخ محمد الشيمى المحامى بطنطا (بك فيما بعد) واشتغل عنده فى مكتبه وكان يسافر إلى المحاكم الجزئية القريبة من طنطا ، و يترافع فى القضايا و يكسبها ثم اختلف معه وتركه " وترك له بيتين وهما :

جراب حظى قد أفرغته طمعا ... بِبابِ أستاذِنا الشيمى ولا عجبا

فعاد لِى وهو مملوء فقلت له ... مِما؟ فقال: مِن الحسرات واحربا

ثم انتقل بعد ذلك إلى مكتب محمد أبى شادى بك بطنطا، فمكث عنده مدّة كان فيها مغتبطا كل الاغتباط ، وكان أبو شادى بك يرى نفسه قد عثر على كنز ثمين فكانا يتنادران بالأدب ، ويتطارحان الشعر .

ثم خرج من مكتبه إلى مكتب عبد الكريم فهيم أفندى المحـامى ، فمكث فيه مدّة من الزمن يشتغل عنده [1] " .

* * *

لم تطمئن نفس حافظ إلى المحاماة ولم ينجح فيها ؛ ويرجع ذلك — فى نظرى — إلى أمور: فالمحاماة تتطلب عكوفا على درس القضايا وكتابة وقائعها ، ووضع مذكراتهـا ، وليس "حافظ" بالصبور على ذلك ، فهو يجيد الكلام ويجيد الدفاع بالخطرات تخطر له ، ولكنه لا يجيد البحث والكتابة ؛ ثم كان فتى غرا ، فهو فى السادسة عشرة ، أو فى السابعة عشرة لم تحنكه التجارب ، ولم تعلمه الأيام ، إنما كان همه أن يستعرض ديوان شعر يقع منه على ما يرضى ذوقه ، فيرتسم فى حافظته ؛ أما العناية بكتب الفقه والقـانون ومراجعتها ، واستخراج الحكم منها ، فعمل لم يألفه حافظ ، ولم يدرسه ، ولم يتذوقه ، ثم هو ملول لا يشتغل فى مكتب واحد حتى يمله وهى خصلة لا تنجح ، كالتاجر يفتح كل يوم دكانا فى مكان ثم يغلقها ليفتح فى مكان آخر — وأخيرا — هو متلاف ، ينفق كل ما تصل اليه يده ، فلا يستطيع أن يقتصد ما يمكنه من فتح مكتب يعتمد فيه على نفسه .

فشل فى المحاماة ففكر فيما يعمل ، فهداه تفكيره الى أن يسافر من طنطا إلى القاهرة ، ويدخل المدرسة الحربية .

يبدو هذا التفكير غريبا ، فأديب ناشىء ، ومحام فاشل ، يفكر فى أن يكون ضابطا ! لسنا ندرى الباعث على هـذا التفكير ، قد يكون الباعث عليه قراءة سيرة البارودى الحربى الشاعر ، وقد يكون ما رأى فى نفسه من بسطة فى الجسم ، وقد تكون المصادفة البحتة هيأت له ذلك .

وأيا ما كان فقد دخل المدرسة الحربية واغتبط بدخولها ومنى نفسه بمنصب حكومى يضمن له فيه الرزق ، ثم يقول الشعر بعد ذلك ، يغنى به لنفسه ولإخوانه ، وظل فى المدرسة الى أن تخرّج سنة ١٣٠٩ هـ — ١٨٩١ م . فيكون عند تخرّجه فى سنّ العشرين تقريبا .

وكانت المدرسة الحربيـة قد نظمت فى عهـد الخديو توفيق باشا عقب الثورة العرابية ، وأدخل عليها تعديلات جديدة ، وعين لها (البكباشى) هوليوت (Huleatt) الإنجليزى (قومندانا) ،

(١) المصدر نفسه .

وكان ناظرها اللواء لارمى باشا الفرنسى . وزادوا عدد تلاميذها الى بضع وتسعين ، وكان ذلك سنة ١٨٨٧ ، وجعلت الدراسة فيهـا نوعين : دروسا مشتركة لجميع التلاميذ ، ودروسا خاصة للاقسام ؛ فالمشتركة هى القوانين ، والتعليمات العسكرية ، والجغرافيا ، واللغة الأجنبية ، والطبيعة والكيمياء ، والرسم ؛ والخاصة هى (الطبوغرافيا) ، والاستحكامات ، والتمرينات فى (الطوبجية) والسوارى (والجنباز والشيش) . وعين المستر براين الإنجليزى أيضا فى وظيفة معلم أول بالمدرسة سنة ١٨٨٩ ، وأصدر السردار أمرا ببيان اختصاص القومندان والمعلم الأول فكان اختصاص القومندان النظر فى كل شىء يتعلق بإدارة المدرسة ، واختصاص المعلم الأول النظر فى البرامج ؛ وبذلك سلب من الناظر الفرنسى كل شىء[1] .

هذا هو عهد المدرسة أيام كان فيها حافظ ، بدأت تتدخل فيها السلطات وتحدد برامجها ، وتحد من تعليمها . وكانت الثقافة فيها سطحية ضعيفة لم يستفد منها حافظ كثيرا من ناحية معارفه العامة ، فما كان عنده من ذلك فهو ما استفاده من مطالعاته الشخصية .

عين فى الحربيـة بعد تخرجه وظل بهـا نحو ثلاث سنوات ، ثم نقل إلى الداخلية ملاحظ (بوليس) فى بنى سويف ، ثم الإبراهيمية لأن مدرسة (البوليس) لم تكن أنشئت بعـد ، فكان يؤخذ (للبوليس) من الحربية ، ثم أعيد للحربية . وسافر منها الى السودان فى الحملة الأخيرة التى كانت بقيادة اللورد كتشنر ، وكانت منطقة عمله فى السودان الشرقى .

تبرم حافظ من عمله بالسودان ، وأكثر من الشكوى الى أصدقائه ، وعاوده داء الملل القديم ، ولم يطق جو السودان ، ولا جفاء العيشة فى السودان ، فتحسر على أصدقائه فى مصر ، وليالى الأنس بها ، وجوها البديع ، وعيشها الناعم ، كما يدل على ذلك شعره فى هذه الفترة .

قال فى ذلك يصف حاله :

وما أعذرت حتى كان نعلى　　دما ووسادتى وجه التراب
وحتى صيرتنى الشمس عبدا　　صبيغا بعد ما دبغت إهابى
وحتى قلم الإملاق ظفرى　　وحتى حطم المقدار نابى
متى أنا بالغ يامصر أرضا　　أشم بتربها ريح الملاب

---

(١) انظر الجزء الثانى من حقائق الأخبار لاسماعيل سرهنك باشا .

وزاد حاله سوءا فى السودان كراهية كتشنر له ، إذ كان حافظ غير معنى بنظام ، ولا مراع حسن هندام ، وعبر عن ذلك بما كتب به إلى الأستاذ الإمام من السودان، إذ يقول "وقعدت همة النجمين ، وقصرت يد الجديدين،عن إزالة ما فى نفس ذلك الجبار العنيد ، فقد نَما ضِب ضغنه علىّ ، وبدرت بوادر السوء منه إلىّ ، فأصبحت كا سر العدو ، وساء الحميم" الخ .

وكان رئيس فرقته رفعت بك يكرهه ، ويرفع التقارير السيئـة عنه ، إذ كان حافظ يعمل الأراجيز فى ذمه يحدو بها هو وأصحابه ، فمنها قوله فيه :

تراه إذ ينفخ فى المِزمارِ تحسبه فى رتبة السردارِ
يجتنب العاقل والنبيهـا ويعشق الجاهل والسفيها

*
* *

وأفادته أيام عمله فى المحاماة فاستغلها فى السودان ، فقد عرف بين إخوانه بقوة الحجة ، وحسن البيان ، فكان كثيرا ما ينيبه الضباط المتهمون فى الدفاع عنهم أمام المجالس العسكرية .

حتى إذا جاءت سنة ١٨٩٩ م حدثت ثورة فى السودان ، اتهم فيها ثمـانية عشر ضابطا ، كان من بينهم حافظ ، فحوكموا وأحيلوا إلى الاستيداع .

وقد قال اللورد كرومر فى كتابه "عباس الثانى" عن هذا الحادث ما يأتى :

"عنـد ما شبت حرب جنوبى أفريقيا . عاد كثير — من أفضل الضباط البريطانيين ، الذين كانوا يقودون فرق الجيش السودانى — الى فرقهم الأصلية فى الجيش البريطانى ، ونظرا لبعض الملابسات التى لا حاجة بى إلى ذكرها — والتى ما كانت تقع لو لم يضطر هؤلاء الضباط الجبيرون الى السفر — حدث استياء فى الجيش وجاهرت فرقة من فرق الجيش السودانى بالعصيان ، وقد كثرت الإشاعة بأن الخديو قد قال أقوالا تجعل الثائرين يعتقـدون أنه راض عنهم عاطف عليهم . على أن الثورة أخمـدت بدون إراقة دماء ، وحوكم عدد من الزعمـاء أمام المجالس العسكرية ، وحكم عليهم بالسجن مددا مختلفة ،وأرسلوا إلى مصر ليقضوها بها .

ولمـا حادثت الخديو فى هذه المسألة ، رأيت من الحكمة أن أتجاهل ماكان يقال عن اشتراكه فى الثورة ، لأن ذلك لا سبيل إلى إثباته ، واقتصرت فى حديثى على وصف الحادثة

والخيانة العظمى التى ارتكبها بعض جنده نحو سموّه ، واقترحت عليه أن يرى المحكوم عليهم ، ويخاطبهم بكلمات اخترتها وعربتها له ، فوجد الخديو نفسه فى مأزق حرج ، وموقف لا يدرى كيف يخرج منه ، لأنه إذا رفض يعرّض نفسه للشبهــة فى أنه حرض على الثورة فى جيشه ، كما فعل جدّه من قبله ، و إذا قبل يتضح للثائرين أن لا أمل لهم بمساعدته ، وبذلك يفقد كثيرا من من احترامه ونفوذه فى الجيش ، على أنه — كما كنت أتوقع — اختار الأمر الأخير" [1] .

أثر هذا الحادث كثيرا فى نفس حافظ وملأه يأسا وخالط نفسه شيء ليس بقليل من الخوف فلم يقل فى ذلك شعرا ، أو قاله وكتمه ، وزاد فى خوفه و يأسه ، ما صار اليه أمر الثورة ، وأمر الأمير .

وخير ما يمثله فى هذا الموقف قوله :

إذا نطقت فقاع السجن متكأ		وإن سكت فإنّ النفس لم تطب

ثم التمس إحالته إلى المعاش ، فأجيب إلى طلبه ، وكان قد أخذ يبحث عن عمــل يعمله ، فعرض نفسه على جريدة الأهرام ليتولى عملا فيها ، ويظهر أن ذلك كان بإيعاز الخديو ، لأنه شعر بتبعته نحو هؤلاء الضباط ، وأنه هو السبب فيما آلت اليه حالهم ، وأنه لايستطيع توظيفهم فى الحكومة ، فأخذ يسهل لهم الأعمال الحرّة ، يدل على ذلك أن الذى قدّم حافظا لصاحب الأهرام هو شوقى بك . وصلته بالقصر معروفة . ولكن ذلك لم يتم ، ولسنا ندرى السبب فى ذلك .

فظل بلا عمل يغشى مجلس الأستاذ الإمام ، وكان قد اتصل به أيام كان فى السودان ، فلما عاد زاد اتصاله به ، وعطف عليه الأستاذ ، وأنهله من علمه وفضله ، كما غشى مجالس الأدباء والعظماء ، يسمع منهم ، ويغنى لهم بشعره وأدبه ، حتى كانت سـنة ١٩١١ فساعده المرحوم أحمد حشمت باشا ناظر المعارف وعينه رئيسا للقسم الأدبى فى دار الكتب المصرية ، وظل بها إلى فبراير سنة ١٩٣٢ ، إذ أحيل إلى المعاش بعد أن ظل بها نحوا من عشرين سنة .

كما أعانه حشمت باشا ، إذ طلب له رتبة البكوية من الدرجة الثانيــة ، فأنعم عليه بهـا سنة ١٩١٢م . ثم أنعم عليه بنشان النيل من الدرجة الرابعة .

---

(١) كتاب اللورد كرومر "عباس الثانى" .

فى سنة ١٩٠٦ بعد أن عاد حافظ من السودان ، تزوج من أسرة بحى عابدين ولكن لم يدم زواجه أكثر من أربعة أشهر ، فافترق الزوجان ، ولم يعقب منها ؛ ثم لم يعد بعد ذلك إلى الزواج.

وتوفيت والدته حول سنة ١٩٠٨ فظل يعيش مدة فى بيت خاله ، وبعد أن توفى خاله ، كان يعيش مع زوجة خاله نيازى بك الست عائشة هانم ؛ فكانت تدبر بيته ، وتقوم بأمره ، وكانت لم ترزق بأولاد ، فكانت تتبنى بنتين وظلت تقوم بشؤونه إلى أن توفيت قبل وفاة حافظ بنحو ثلاث سنين .

وفى بيت صغير بالزيتون من ضواحى القاهرة ، توفى حافظ فى الساعة الخامسة من صباح الخميس ٢١ يوليه سنة ١٩٣٢ ، أى بعد إحالته على المعاش بنحو أربعة أشهر ونصف .

دعا فى ليلة وفاته صديقين من أصدقائه لتناول الطعام معه ، ولكنه لم يستطع مشاركتهما لما أحس من تعب . فاقتصر على أن آنسهما بحديثه .

وبعد انصرافهما ازداد ألمه ، فأسرع خادمه إلى مخاطبة صديق له ليحضر ومعه طبيب ، فلما حضرا كان حافظ فى النزع الأخير ، وما لبث أن فاضت روحه ، رحمه الله .

أخلاقـــه — انتاب حافظا كثير من الشدائد منذ حداثته ، فقد مات والده صغيرا ، ولم يورثه ثروة . وكان بائسا فى بيت خاله ، ولم ينجح فى المحاماة ؛ وأصيب فى منصبه فأحيل إلى الاستيداع ، ثم إلى المعاش فى مقتبل عمره ، وكانت له إلى هذا نفس شاعرة ، وحس مرهف ، فأثر كل ذلك فى نفسه أثرا بليغا ، فهو ناقم على الدهر ، ناقم على قومه ، يكثر من شكوى الزمان وشكوى الناس .

ولكن أبت الطبيعة إلا أن تجد لثوران نفسه منفذا ، ولشقائه مسعـدا ، فمنحته القدرة الفائقة على الفكاهة الحلوة ، والنادرة المستملحة ، فضحك من البؤس ، ومن الشقاء ، ومن كل شىء ؛ وكان له ذوق بارع فى اختراع النكتة من كل ما يدور حوله ، فما يسمع حديثا ، أو يعرض أمامه شىء ، حتى يدرك موضع الفكاهة منه ، فيصوغ ذلك صياغة تستخرج ضحك السامعين من أعمـاق صدورهم ، وقرارات قلوبهم ؛ فكان فى مجالسه موضع إعجابهم ، ومنبع سرورهم ، يرسل النكتة من بديهة حاضرة ، تستخف الوقور ، وتستهوى الرزين ، فهو زينة المجلس ، وبهجة النادى .

ومن العجيب مع هذا أنك قلما ترى للنوادر والنكات فى شعره مجالا ، فمن قرأ شعره وحده ، ولم يعرف شيئا من صفاته ، لا يشعر بأنه كان فكها مزاحا ، وسبب ذلك أن الأديب فى كثير من الأحيان تكون له شخصيتان أو أكثر ، فله فى حياته العامة شخصية خاصة ، فاذا أراد أن يصوغ شعره أو نثره ، انصب فى قالب خاص ، وتقمص شخصية أخرى ؛ ولو قد أتيح له أن يدخل كثيرا من فكاهته فى شعره لربحنا من وراء ذلك الشيء الكثير . وسبب آخر ، وهو أن الناس كانوا ينظرون الى هذه النوادر ، كأنها من الأدب الشعبى الذى لا يصح أن يرتقى الى الأدب الأرستقراطى ، ولذلك قل أن يدخلوا — حتى الآن — فكاهتهم ونوادرهم فى الأدب ، كما احتقروا القصة ، واحتقروا ألف ليلة وليلة ، وقصة عنترة ونحوها ، ولم يعرها الأدباء الراقون اهتماما إلا فى الأيام الأخيرة ، فكان حافظ إذا قال شعرا فى فكاهة أو مزح ، عدّه من سقط متاعه ، ولم ينظر إليه عند ما يتخير شعره للنشر أو التدوين .

*
* *

ثم قد تعوّد فى حياته ألا يقيم للمـال وزنا ، فهو كريم ، واسع العطاء ، ذاق طعم البؤس ، فعرف موقعه من الناس ، فسخت كفه ، ونديت راحته ، حتى لو ملك الدنيـا كلها لفرقها فى يوم واحد ؛ قد يعرض له الفقير البائس فيسمح له بمـا فى يده وهو أحوج ما يكون إليه لسدّ رمقه وتفريج همه .

وكما كان كريما على الناس فهو كريم على نفسه ، يمتعها بما تشتهى ما وجد إلى ذلك سبيلا ، يأكل خير ما يؤكل ، وقد عرف إخوانه بيته بذلك ، ويدخن خير " سيجار " وأغلاه ، ويستمتع بكل ما تصبو إليه نفسه ، فاذا فرغ جيبه عرف كيف يصبر ، له يد صناع فى الكسب ، خرقاء فى الإنفاق ، خير أيامه وهو " موظف " بضعة أيام فى أوّل الشهر ، ثم لا شيء ، فاذا لم يكن " موظفا " فخير أيامه ما استفاد فيها مالا فحسب ، لو كان تاجرا لأضاع رأس ماله فى أول شهره ثم أعلن إفلاسه ، ولو وضع ميزانية دولة لجعل الإنفاق كله فى أيامها الأولى ثم لا إنفاق . ومن طريف ملاحظاته فى ذلك أنه كان يقترح على الحكومة أن تعطى موظفها أكبر مرتب أوّل استخدامه ، ثم تنقصه شيئا فشيئا كلما تقدّمت به السنّ ، لا أن تعطيه مرتبا يزيد مع القدم ، وكان يعلل ذلك بأنه يبدأ وظيفته وهو يبدأ شبابه ، وهذا هو زمن الإنفاق ، فاذا هرم ثم شاخ فيكفيه القليل ، وحسبه من غنى شبع ورى .

ومع هذا لم يكن سخيا بمنصبه سخاءه بماله ، فهو حريص على بقائه فى عمله بدار الكتب أشد الحرص ، ضنين به أشد الضن ؛ فهو لا يقول شعرا يغضب به أحدا من ذوى السلطان خشية أن يزحزحوه عن منصبه ، أو ينالوه بأذى فيه ؛ وإن قال شعرا سياسيا أخفاه ولم ينسبه إلى نفسه فقد قال قصيدته فى مظاهرة السيدات سنة ١٩١٩ ، ولكنها نشرت فى منشور من غير اسمه ، ولم تنشر فى الصحف إلا سنة ١٩٢٩ حين أمن عاقبة نشرها ؛ وكذلك قصيدته التى قالها حين خيف على الاستانة من احتلال الأجانب ، لم تنشر إلا سنة ١٩٣٢ ، وهكذا ، وما قاله من الشعر السياسى فى ذلك العصر — صراحة — هادئ لين ، أو فى ظروف تحميه ؛ بل قد قال فى ذلك العهد أحيانا ما يخالف منهجه ، ولا يجرى مع ما عرف من حماسته ، كقوله للانفور له السلطان حسين يطلب اليه أن يوالى الانجليز ويمادهم حبال الود :

ووال القــوم إنهم كرام	ميامين النقيبة أين حلوا
وليس كقومهم فى الغرب قوم	من الأخلاق قــد نهلوا وعلوا
وإن شاورتهم والأمر جد	ظفرت لهم برأي لا يزل
فمادِدهم حبال الودّ وانهض	بنا فقيادنا للخير سهل

*
* *

ومن ثم كانت هذه الفترة فى حياته — وما أطولها — فترة نضوب فى شعره ، وجمود فى قريحته إلا نادرا ، فكان منصبه نعمة عليه ، ونقمة على فنه ، ومنفعة له ، ومضرة على الناس ولعل أيام بؤسه الأولى روعته وأفزعته حتى قامت شبحا دائما أمام عينيه تنذره بالويل والثبور وعظائم الأمور ، إن هو أصيب فى منصبه أو مس فى مرتبه .

ولعل ذلك الخوف لازمه بعد خروجه من وظيفته بإحالته إلى المعاش ، إذ ألف حب الأمن واعتاده ، وعقد عليه ، حتى لقد أنشدنى قبيل وفاته قصيدته التى مطلعها :

قد مر عام يا سعاد وعام وابن الكنانة فى حماه يضام

وكانت نحو مائتى بيت ، يصف فيها وزارة إسماعيل صدقى باشا فأشرت عليه أن ينشر بعضها ، أو يكتبها ، أو يمليها ، أو يحتفظ بها بأى شكل من الأشكال فقال : " إنى أخاف السجن ، ولست أحتمله " .

*
* *

ثم هو واسع الصـــدر فى نقدك شعره ، إذا كنت وهو على انفراد ، فإذا نشرت نقـــدك فى صحيفة أو على ملأ من الناس ، فهو غضوب أشد الغضب ، ناقم أشد النقمة ، حريص على منزلته فى فنه أكثر من حرصه على شخصه ، حتى لأحب إليه أن تهجوه من أن تهجو شعره .

*
* *

وثقافته الرسمية — إن جاز هذا التعبير — ثقافة محدودة ، فهى لا تعدو دراسته فى مكتب أو مدرسة ابتدائية ، ثم دراسة فنية وما تستلزمها فى المدرسة الحربية .

ولكنه أكمل ثقافته ، ووسع معارفه من نواح متعددة ، فقد أكثر من قراءة كتب الأدب وأطال النظر خاصة فى كتاب الأغانى ، فقد حدث أن قرأه مرات ، وتحدث هو عن نفسه أنه كان يطيل النظر فى دواوين الشعراء ويتخير من شعرهم ويحفظ ما يتخير من أمثال شعر بشـار ابن برد ، ومسلم بن الوليد ، وأبى نواس ، وأبى تمـام ، والبحترى ، والشريف الرضى ، وابن هانىء الأندلسى ، وابن المعتز ، والعباس بن الأحنف ، وأبى العـلاء المعرى ، يدل على ذلك ما كان يحفظ من متنخل الأدب وعيون الشعر ، فإذا جلست إليه أخذ يسمعك من محفـوظه ما يبهرك ، حتى لقد خيل إلى أنه لو دوّن ما يحفظه لفاق أبا تمـام فى اختياره "ديوان الحماسة" إذ كان حافظ يتخير بذوق العصر ، وروح العصر — وكان له حافظة قوية تسعف ذوقه وتلبى اختياره ، فمـا يختار جيدا من القول حتى يرتسم فى حافظته ، ويبقى فى ذاكرته ، ثم يتجلى ذلك فى شعره — لكنه — مع ذلك لم يعكف على دراسة منظمة ، ولم يقرأ قراءة مستفيضة فى عمق ولم يرسم له خطة يلتزمها فى الدراسة ، بل كان كالنحلة تنتقل من زهرة إلى زهرة ، وترتشف من هذه رشفة ، ومن تلك رشفـة ، فهو يرضى ذوقه فى أوقات فراغه بالمطالعة المتنقلة ، فإذا عثر على أسلوب رشيق أو معنى دقيق اختزنه فى نفسه .

وقد عاقه عن المطالعة الراتبة المنظمة ، أنه كان ملول الطبع ، كما يدل عليه تاريخ حياته ، عمل فى المحاماة فلم تعجبه ، واشتغل فى (البوليس) فمله ، وفى الجيش فسئمه ولولا أنه كان حرا طليقا — إلى حدّ كبير — فى دار الكتب لملها أيضا ، ثم كانت هذه الفوضى فى قراءته يتبعها إهمال فى حياته الأدبية ، فقلما يكتب قصيدته وقلما يحافظ على شعره ، بل لا نبالغ إذا قلنـا إنه قلما كان يعنى أن يكون فى بيته دواة وقلم ، أو مكتبـة منظمة ، كان لديه كتب تبعثر ، فيأتى زائر ويأخذ جزءا من الأغانى ، وجزءا من غيره حتى أنه لمـا مات — رحمه الله — لم يكن

فى بيته من الكتب غير جزء من تذكرة داود ، وجزء من تفسير الأحلام لابن سيرين ، فأما الأول فلأنه كان فى سنيه الاخيرة دائم الشكوى من المرض ، كثير توهم العلل ، فكان كلما سمع بوصف مرض تخيل أنه مصاب به ، ولعله اقتنى تذكرة داود ليرجع إليها فيما يتخيل من أدواء ، وأما "تفسير الأحلام" فلأنه كان يعتقد فى الرؤى وأثرها فى حياة الإنسان ، وكان يرجع إليه فى التنادر على بعض الأصدقاء ، فقد حدثنا أنه كان فى ضيافة المرحوم سعد زغلول باشا ، فى مسجد وصيف ، وكان حافظ وصحبه يتنادرون على صديق من الأضياف، كان يعتقد فى الأحلام وصحتها ، ويتفاءل بها فى آماله فى منصب كبير ، أو مطلب خطير .

وشئ آخر يعد مصدرا كبيرا من مصادر ثقافته ، وهو كثرة غشيانه لمجالس العلماء وقادة الرأى فى الأمة ، فقد اتصل بالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وعد نفسه فتاه ، وكان يحضر بعض دروسه التى يلقيها على نخبة من الفضلاء فى منزله بعين شمس ، ويجالس فى مجالسه ، وقد يصحبه فى أسفاره ، ثم يغشى مجالس أمثال سعد زغلول ، وقاسم أمين ، ومصطفى كامل ، ونحوهم ، وكانت مجالسهم مدارس من أرقى المدارس، تطرح فيها المسائل العلمية ، والمعضلات السياسية ، والمشكلات الاجتماعية ، وتعرض فيها الحلول المختلفة ، وتبسط فيها أدواء الأمم ، وكيف عولجت وما إلى ذلك — وحسبك بمدارس كان المعلم فيها أمثال محمد عبده ، وسعد ، ومصطفى كامل ، ولعل هذا كان أكبر منبع استقى منه حافظ أفكاره التى صاغها فى شعره .

ثم كان له مجلس من الأدباء فى المقاهى والمنتديات أمثال : خليل مطران والبشرى ، وإمام العبد ، وكانت مجالس تجتمع فيها الفكاهة الحلوة ، والنادرة الطريفة ، ويستعرض فيها الأدب وطرائفه ، فكان كل منهم مفيدا مستفيدا عارضا سامعا .

وقد كان حافظ يلم بالفرنسية ، فمكنته من الاطلاع على شئ من آدابها ، وقد ترجم البؤساء لفيكتور هوجو ، وترجم بعض قطع لجان جاك روسو ، واشترك مع الأستاذ خليل مطران فى ترجمة "كتاب موجز الاقتصاد" وكان يقرأ بعض ما يترجم من الأدب الانجليزى ، كما ترى أثر ذلك فى ترجمته لبعض قطع شكسبير ، ولكنه على كل حال ، لم ينل حظا وافرا من الأدب الغربى ، ولم يكن أثر ذلك كبيرا فى شعره ، إنما شعره — على الأكثر — نتاج الأدب العربى ، والثقافة العربية ، والتجارب الشخصية .

وأخيرا — وإن شئت أولا — كان من مصدر ثقافته ، تجاربه الواسعة ، فقــد أتاح له بؤسه الامتزاج بغمار الناس ومجالستهم ومشاركتهم فى الخير والشر ، ومطارحتهم النكات والنوادر كما مكن له ظرفه وأدبه أن يتصل بسادة الناس وقادتهم يسمع لحديثهم ، ويسمعون لأدبه وأن يتصل برجال النهضــة الوطنية فيأخذ عنهم ، ويلتهب حمـاسة من حماستهم ، ويمتلئ وطنية من وطنيتهم .

* شعره — منح حافظ عاطفة قوية ، ونفسا فنية سمت به عن أقرانه من نابتة العصر ، ومن طلبة المدرسة الحربية التى كان بها ، وإلا فما الذى جعله وسط صليل السيوف ، والتدريب العسكرى ، وترويض الخيل ، يتجه نحو الشعر يطالعه ويتذوقه ، ويتخيره ويحفظه ، ثم يحاول أن يقلده ، وينظم على غراره ؛ وكان له أسوة حسنة فى محمود سامى البارودى باشا ، فقد تخرج فى المدرسة الحربية ، وتعلم فنونها ، وترقى فى رتب الجيش ، وخاض معامع القتال ، وكان رب القلم ، كما كان رب السيف ، وكان مؤسس النهضة الحديثة فى الشعر ، أعاد اليه بهجته الأولى ونضارته وقوته . فاتخذه حافظ مثله الأعلى يحذو حذوه ، ويختط نهجه ، ويأمل أن يبلغ فى الحيــاة مبلغه ، فيكون ذا الرآستين ، وحامل اللواءين ، وقد عبر عن تقــديره للبــارودى وإعجابه به فى قصيدة من قصائده يمدحه بها إذ يقول فيه :

أمير القوافى إن لى مستهامة ... بمدح ومن لى فيه أن أبلغ المدى
أعرنى لمدحيك اليراع الذى به ... تخط وأقرضنى القريض المسددا
ومر كل معنى فارسى بطاعتى ... وكل نفور منه أن يتوددا
وهبنى من أنوار علمك لمعة ... على ضوئها أسرى وأقفو من اهتدى
وأربو على ذاك الفخور بقوله ... إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

ومدحه فى هذه القصيدة بالإجادة فى الحماسة والنسيب واللعب بالسيف والتفنن فى التشبيب فكأنه فى مدحه البارودى يرسم لنفسه مثله ، ويحدد مستقبله ؛ وقد قلد البارودى أيضا فى ناحيتيه الأدبيتين ، فقــد عنى البارودى بالتخير من شعر الفحول ، فاختار لثلاثين شاعرا من الشعراء المولدين ، ثم أنشأ شعره ، وجوّد نظمه ، وكذلك فعل حافظ ، فقد تخير وشعر ، وحفظ ونظم . ولكن قعد بحافظ عن جمع مختاره ما عهد فيه من إهمال ، ولولا نعمة الصحف والمجلات تنشر له بعض ما نظم لكان مصير شعره مصير مختاره .

ولكن شاء الله لحافظ أن يقارب شأو البارودى فى دولة القـلم لا فى دولة السيف ، فانتهى — على عجل — تاريخ حافظ الحربى باحالته فى شبابه إلى المعاش ، واستمر — طول حياته — تاريخه الأدبى ، فلم يتحقق إلا شطر رجاءيه ، ولم يدرك من البارودى إلا إحدى دولتيه .

وكان حريا بحافظ أن يدرك أن مانالة البارودى فى عهد الاستقلال ، لايمكن أن يناله حافظ فى عهـد الاحتلال ، إذكيف يرضى الاحتلال أن يبلغ أحد مبلغ العظمة فى الحروب ، ومبلغ العظمة فى الآداب ، والاحتلال هو هو الذى حطم سيف البارودى ، بل وحطم قلمه القوى ، وقدم له قلما آخر يشكو به الدهر ، و يبكى على زمانه الغابر ، ولكن أنى لشباب حافظ أن يدرك هذه الحقائق المرة ، والشباب يهزأ بكل قوة .

على أنه يخيل لى أن حافظا لم يخلق رجل قتال ، نعم كان منظره رجل حرب ، فهو مستحكم الخلقة ، وثيق التركيب ، مفتول الساعدين ، عريض المنكبين ، ولكن لا أظن أن قلبه يشاكل جسمه ، لقـد ظل وهو فى السودان يشكو فى شعره حره ، ويشكو حرمانه من لذائذ القاهرة وترفهاونعيمها :

فمن لى أن أرى تلك المغانى ... وما فيها من الحسن المقيم
وها أنا بين أنياب المنايا ... وتحت براثن الخطب الجسيم
أتيتك والخطوب تزف رحلى ... ولى حال أرق من السديم

وهكذا ظل فى السودان يبكى ويتوجع و يتشوق ، ويستغيث بالأستاذ الإمام المرة بعد المرة أن يرده إلى مصر "رد الشمس قطرة المزن إلى أصلها ، ورد الوفى الأمانات إلى أهلها" . وليست هـذه بالنفس الحربية ، ثم لما ثار الضباط فى السودان وهو منهم ، وطردوا وعادوا إلى مصر ، وأحيلوا إلى المعاش ، لم ينطق بشكوى ، ولم يثر على من ظلمه ، ولم يهج من نكبه ، ولكنه سكت واستسلم ،وأخذ يسعى إلى وظيفة فى القصر ،أو أن يكون شاعرا لخليفة أو أمير .

ولما عين فى دار الكتب سكت وأمعن فى السكوت ، إلا ما كان يقوله فى المواسم والحفلات ، أو ما تدعو اليه المناسبات .

كل هذا يرينا أنه كان مغاليا فى أمله — إن كان — أن يجمع فى يده بين السيف والقلم .

*
* *

ولكن إن أخفق حافظ فى حربه فقـد نجح فى شعره ، بدأ ينظمه فى أغراض اعتاد الناس أن ينظموا فيها ، من مدح للخديو والأغنياء ، ومداعبة الإخوان والشكوى اليهم ، ونحو ذلك ؛ وقل أن تجد فى هذا النوع من الشعر معنى جديدا أو خيالا رائعا ، وإنمـا هو أسلوب من سبقه ومعانيهم وأغراضهم . ومع هذا كان يرى فى نفسه أنه فى هذا العهد أكبر شاعر فى مصر لا يفضله إلا شوقى ؛ فيقول من قصيدته التى قالها سنة ١٩٠١ :

قل للأُلى جعلوا للشعر جائزة		فيم الخلاف ألم يرشدكم الله

إنى فتحت لهـا صدرا تَبِق به		إن لم تحلوه فالرحمن حلاه

لم أخش من أحد فى الشعر يسبقنى		إلا فتى ما له فى السبق إلاه

ذاك الذى حكمت فينا يراعته		وأكرم الله والعباس مثواه

وكان فى عصره من كبار الشعراء المصريين أمثال البارودى ، وإسماعيل صبرى ، وشوقى ، ومحمد عبد المطلب .

ولكن يحق له هذا القول ، لأن حظ مصر فى هذا العصر من الشعر ، بل من الأدب عامة كان حظا ضعيفا ، فلم ير حافظ له ندا غير شوقى ، لأن البارودى على إجادته وفتحه للناس باب الشعر الحى القوى بعد أن أغلق طويلا ، كان فى أخريات أيامه ، وقد برحت به الحوادث ، ودلف إلى القبر ، إذ أدركته وفاته سنة ١٩٠٤

وإسماعيل صبرى باشا كان أشعر من حافظ فى ناحيـة خاصة ، وهى مقطوعاته الصغيرة ، يعبر بها عن معان دقيقـة ، وعن شعور نفسى عميق — ولم يكن يحترف الشعر كما احترفه شوقى وحاول أن يحترفه حافظ — وكان منصبه الحكومى يسمو به عن ذلك .

لهذا جهر حافظ بأنه خير شاعر فى مصر إذا استثنى شوقى ، ولعله كان يرى فى أعماق نفسه أن " شوقى " لم يفضله بشاعريته ، وإنمـا فضله بقربه إلى القصر وأنه شاعر الأمير ، ولولا ذلك لمـا فضله ، ويشير إلى هذا المعنى من طرف خفى فى هذه القصيدة نفسها ، إذ يقول :

ذاك الذى حكمت فينا يراعته		وأكرم الله والعباس مثواه

*
* *

قامت بعد ذلك حركة فى مصر من بعض الأدباء المثقفين ثقافة غربية و بعض قادة الرأى ، تعيب على الشعراء هـذا الشعر التقليدى فى أسلوبه وفى أغراضه ، وفى أوزانه وقوافيه ، وتنقد شوقى وحافظا من النقـد ، لأنهما قديمـان فى أفكارهما ، مقلدان فى أغراضهما ، محافظان فى أوزانهما .

كان من آثار هذه الحركة فى حافظ أن ثار هو أيضا على الشعر القديم ، فقال قصيدته المشهورة فى الشعر ، التى مطلعها :

ضعت بين النهى و بين الخيال ... ياحكيم النفوس يا آبن المعالى

عاب فيها على شعراء الشرق شعرهم فى الكاس والطاس ، والمدح والهجاء والرثاء ، وحب سلمى وليلى ، ومكان الآثار والأطلال ، والرجال والجمال ، ثم يقول :

آن يا شعر أن نفك قيودا ... قيـدتنا بهـا دعاة المحـال

فارفعوا هـــذه الكمائم عنا ... ودعـونا نشم ريح الشمال

فكانت ثورة صارخة على الشعر القديم . فهل جدّد حافظ بعد فى شعره ؟

لم يجدّد فى بحوره وأوزانه . ولم يجدّد فى أسلوبه و بيانه ، ولا تفكيره وخياله ، إنمـا جدد فى شىء هو فوق ذلك كله ، جدّد فى موضوعه وأغراضه ، فبدلا من أن ينظم فى موضوعات آمرئ القيس وطرفة ، أو جرير والفرزدق ، أو بشار وأبى نواس : نظم فى موضوعات عصره وأمانى قومه .

وساعده على هذا الاتجاه تربيته الحربية ، فان فشل فى حرب السيف فليحارب بالقلم ، و إن تكسر سن رمحه فليشرع سن قلمه ، و إن أخطأ النجاح فى ثورة الضباط فى السودان فليكتب له التوفيق فى إثارة الأمة على الاحتلال .

ميزة حافظ الكبرى أنه تبلورت فى شعره آمال أمته أولا ، وآمال الشعب العربى ثانيا .

كانت الأمة تشكو من فوضى الأخلاق ، وتشكو من الاحتلال ؛ وتشكو من تضييق الغرب على الشرق ، وكان زعماء الوطنية يلهبون حماسته ؛ ويشعلون غيرته ؛ وكان الخطباء يحاولون ايقاظه ؛ — وكان حافظ — بمـا له من حس مرهف ، وعاطفة حساسة — يجمع كل ذلك

فى نفسه ، فلما ثار على الشعر القـديم وحطمه ، بنى على أنقاضـه شعره الجديد فى الوطنيات والاجتماعيات والسياسيات ؛ وكان فى شعره يقف موقف الصحافة الوطنية ، والخطباء الوطنيين وقادة الرأى الاجتماعيين ، يغشى مجالس كل هؤلاء ، ويتشرب من أرواحهم ، ويستمـد من وحيهم ويغذى عواطفه من عواطفهم ، ثم يخرج ذلك كله شعرا قويا ملتهبا ، يفعل فى النفوس — وذلك شأن الشعر الحى — ما لا تفعله الخطب والمقالات ، فكان حافظ — حقا — شاعر الوطنية ، وشاعر الشعب ، وشاعر السياسة والاجتماع ، ولم يجاره أحد فى ذلك من شعراء عصره .

وقف حافظ فى ذلك مواقف مختلفة ، فتارة يقرع الأمة تقريعا جارحا مؤلما على استنامتها وإخلادها إلى السكون ، واستسلامها للأجانب :

أمة قـد فت فى ساعدها		بغضها الأهل وحب الغربا
تعشق الألقاب فى غير العلا		وتفـدى بالنفوس الرتبا
وهى والأحداث تستهدفها		تعشق اللهو وتهوى الطربا
لا تبالى لعب القوم بها		أم بها صرف الليالى لعبا

ويقول :

فما أنت يا مصر دار الأديب		ولا أنت بالبـلد الطيب

*
* *

وكم ذا بمصر من المضحكات		كما قال فيها أبو الطيب
أمـور تمـر وعيش يمـر		ونحن من اللهو فى ملعب
وشعب يفر من الصالحات		فرار السليم من الأجرب

ويقول :

وإذا سئلت عن الكنانة قل لهم		هى أمة تلهـو وشعب يلعب

ونحو ذلك كثير فى ديوانه .

وتبدأ الأمة بحركة ، وتقف موقفا مشرفا يوما ؛ فيحيي أمله ، ويبشر بعد أن كان ينذر ، ويعاوده الأمل بعد اليأس ، والرجاء بعد الخيبة ، فيقول مخاطبا سعدا :

فاوض تخلفك أمّة قد أقسمت　　ألا تنام وفى البـلاد دخيل
عزل ولكن فى البلاد ضراغم　　لا الجيش يفزعها ولا الأسطول

ويقول :

النسر يطمع أن يصيد بأرضنا　　سنريه كيف يصيده زغلول

ويقول :

أفقنا بعـد نوم فوق نوم　　على نوم كأصحاب الرقيم

إلى كثير من أمثال ذلك .

وهكذا يضطرب فى شعره بين التفاؤل والتشاؤم ، اضطراب الأمّة بين اليقظة والنوم ، والعمل والتواكل ، والإصابة والخطأ ، فهو صدى لها فى حركاتها ، وهو المدرّس الحكيم الذى يأخذ موضوع درسه من حوادث يومه .

نعم إنه بعد هذه الثورة على الشعر القديم ، نظم فى موضوعاته ، ولكنه حتى فى هذه لا ينسى مقامه ، ولا يجهل رسالته ، ولا يفوته غرضه ، فهو ينتهز فرصة تحية العام الجديد ، وتحية المليك ، ورثاء الفقيد ، وتهانى العيد ، ليبث فى ذلك كله عاطفته الوطنية ، ونظراته الأخلاقية ، وليبشر وينذر ، ويرغب ويرهب ؛ فهو مجدّد من هذه الناحية فى موضوعاته الجديدة وموضوعاته القديمة ، حتى فى وصفه لا يريد أن يخليه من غرضه الذى ملك عليه قلبه ، ولا يحاول أن يجعله أدبا صرفا ؛ فهو يشبه طول الليل بعهد الاحتلال ، إلى كثير من أمثال ذلك .

ويتغزل فى هذا الطور من الحياة ، ولكن لا فى جارية ولا فى غلام ، ويتغنى ولكن لا فى كأس أو مدام ، إنما يتغزل فى مصر ، ويتغنى بمصر ، ويأرق فى حب مصر :

وما أنا والغرام وشاب رأسى　　وغال شبابى الخطب الجسام
لعمرك ما أرقت لغـير مصر　　ومالى دونها أمـل يرام
ذكرت جلالها أيام كانت　　تصول بها الفراعنة العظام
وأيام الرجال بها رجال　　وأيام الزمان لها غلام
فأقلق مضجعى ما بات فيها　　وباتت مصر فيه فهل ألام ؟

لم يشأ حافظ أن يكون شعره فى وطنياته طبلا أجوف ، يقول القول عاما لا يستند إلى مادة من حقائق ، وإنما اتخذ ما يحـدث من أحداث اجتماعيـة فى عصره أساسا لدعوته ، وسنادا لهجمته .

فقد كان يتربص كل حادث هام يعرض فيخلق منه موضوعا لشعره ، ويملؤه بما يجيش فى صدره .

تقوم حركة الجـامعة ، ويحتدم الجدال بين أنصار الكتاتيب وأنصار الجـامعة ، فيناصر الحركة الوطنية ، ويدعو إلى التبرع للجامعة ، ويبين مزاياها ويكتتب هو بالشعر — كما يقول — ليكتتب قومه بالمـال .

وتحدث حادثة المؤيد ، وينقسم فيها الرأى العام فى مصر قسمين : قسم يطالب بحرّية المرأة فى الزواج ،وقسم يطالب بالمحافظة على التقاليد ، فيتخذ ذلك وسيلة إلى تقريع المصريين باهتمامهم بصغائر الأمور ، وتركهم جسامها ، وتحزبهم فئات : منهم من يلوذ بالأمير ، ومن يلوذ بالعميد ، ومن يصيح مع الصائحين ، ثم يلذعهم لذعا أليما فى حبهم للجاملة ، وتركهم الصراحة ، وإلا فما لهم يقرعون صاحب المؤيد على فعلته ، والوفود تتوافد على بيته .

وتحدث حادثة دنشواى فيشنّ الغـارة على الإنجليز فى تصرفهم ، وعلى بعض المصريين فى معاونتهم ، وعلى المصريين جميعا فى استكانتهم ، ويلهب الشعور ، ويشعل الحمـاسة ، ويستثير الدمع .

ويتحدث الناس فى اللغة العربية ، وهل هى أداة صالحة للعلوم الحديثة ، والأدب الحديث ، فيبين محاسنها ، ويظهر مزاياها ، ويدعو إلى إنهاضها ، وينعى على من لم يأخذ بيدها ؛ وهكذا شعره فى رعاية الأطفال ، والجمعية الخيرية الإسلامية ، ومساعدة العميان ؛ وما إليها .

كان فى شعره سجل الأحداث ، إنما يسجلها بدماء قلبه ، وأجزاء روحه ، ويصوغ منها أدبا قيما يستحث النفوس ، ويدفع إلى النهضة ، سواء أضحك فى شعره أم بكى ، وأمّل أم يئس .

ويتسع أفقه فى كثير من الأحيان ، فينظر إلى الوحدة العربيـة ، والوحدة الإسلامية ، فكم قال فى علاقة الشاميين والمصريين ، وفى الدعوة إلى الإخاء والقضاء على من يبذر بذور البغضاء ؛ وكم قال فى علاقة مصر بالآستانة ، وتمنى نهضة الخلافة ، ورفع لوائها ، وعودة مكانتها ؛ وكم شعر

فى وحدة الشرق وتعاونه ، وتبادل المنـافع بين أجزائه ، فكان شعره مقرّبا للقلوب ، داعيا إلى ائتلاف الشعوب ، ينتهز لذلك كل فرصة ، كافتتاح السكة الحديدية الحجـازية ، وأعياد الدستور للأمة التركية ، وحفلات التكريم التى يشترك فيها أدباء الشرق ، ونحو ذلك ، بل أحيانا يزيد اتساع أفقه ، فينظر إلى الإنسانية كلها ، كالذى يقوله فى زلزال مسينا :

فسـلام عليـك يوم توليـ ـت بمـا فيك من مغان حسان
وسلام على آمرئ جاد بالدمـ ـع وثنى بالأصـفر الرنان
ذاك حق الإنسان عند بنى الإنسـان لم أدعكم إلى إحسان

ومما يتصل بناحية حافظ الاجتماعية أشدّ اتصال ، شعره فى الرثاء ، فقـد أكثر منه ، كما فى ديوانه . وقد قال فى ذلك عن نفسه :

إذا تصـفحت ديوانى لتقـرأنى وجدت شعر المراثى نصف ديوانى

وقد أجاد فيه كل الإجادة ، وأحسن كل الإحسان ، وسبب ذلك ، أنه استطاع فى كثير من الأحيان أن ينقل الرثاء من مسألة فردية إلى مسألة اجتماعية ، فموت الأستاذ الشيخ محمد عبده نكبة على مصر ، وعلى العـالم الإسلامى ، وموت مصطفى كامل كارثة على مصر وعلى الوطنية الحقة ، فهو يتسلل فى حذق ومهارة بعـد تصوير الفقيـد صورة كاملة ، إلى المسائل العامة الاجتماعيـة ، وبذلك يجلس حافظ على عرشه ، ويقول فى سهولة وجزالة ما برع فيـه وفاق أقرانه .

وشىء آخر ، وهو أن الموت كان عند حافظ وسيلة من وسائل شكوى الزمان والحنق عليه ، والغيظ منه . فالزمان قد فعل بحافظ الأفاعيـل ، فرماه بالبؤس والفقر ، ورمى أمته بالتفرّق والتواكل ، وبالاحتلال ، ورمى العالم الإسلامى بالغرب يمتص دمه ، ويسومه سوء العذاب ، فمـا هو إلا أن يموت ميت من أصدقائه حتى ينغر جرحه وينفجر ألمه .

وثالث ، هو أنه رحمه الله كان شديد الخوف من الموت ، دعاه ذلك إلى أن ينعى نفسه ، ويتألم كثيرا لشيخوخته ، ويتوهم المرض فى كل عضو من أعضائه ، فإذا مات قرين له أو صديق أو نديم راعه ذلك ، لأن موته إنذار بموت حافظ ، وما أشدّ وقع ذلك على نفسه .

فكان يصوغ من نبوغه فى الناحية الاجتماعية ، ومن بغضه للدهر وحنقه عليه ، ومن إشفاقه على نفسه ، رثاء يقطع الأحشاء ، ويذيب لفائف القلب ، ولولا هـذه مجتمعة ما بلغ فى الرثاء ما بلغ .

*
* *

قد يؤخذ عليه أنه لم يكن يتعمق فى دراسة المسائل الاجتماعية ، ولم يكن يكون فيها رأيا بعد بحثها وتمحيصها ، ودرس حججها ، كوقفه فى مسألة الزوجية ، لقد هرب من ابداء رأيه فيها .

ولم يتحيز الى أحد الفريقين ، وترك المتنازعين يتنازعون فى حرية المرأة وتقييدها ، وحاق فى المسائل العامة التى أشرت اليها قبل ، وكوقفه إزاء دعوة قاسم أمين ، فقد حكى عنه بعض أصدقائه رواية عنه ، أنه لم يقرأ كتاب تحرير المرأة ، و إن كان قال فيه شعرا ، ولم يقطع بإصابة قاسم أو خطئه ، ويظل على هذا حتى فى رثائه ، فيقول :

إن رأيت رأيا فى الحجاب ولم ... تعصم فتلك مراتب الرسل
الحكم للأيام مرجعه ... فيما رأيت فنم ولا تسل
فإذا أصبت فأنت خير فتى ... وضع الدواء مواضع العلل ؟
أولا فحسبك ما شرفت به ... وتركت فى دنياك من عمل ؟

فتراه مضطربا لا يستطيع الجزم برأى ، أو هو لا يريد ، وتراه فى بعض المواقف السياسية يكتفى بسرد آراء الفريقين وحججهم ، كما فى قصيدته فى وداع اللورد كرومر ، فقد حكى فيها آراء المادحين وآراء الناقدين ، ثم قال :

فهذا حديث الناس والناس ألسن ... إذا قال هذا صاح ذاك مفندا
ولو كنت من أهل السياسة بينهم ... لسجلت لى رأيا و بلغت مقصدا
ولكننى فى معرض القول شاعر ... أضاف إلى التاريخ قولا مخلدا

وهرب بذلك من إبداء رأى ، وترجيح قول على قول .

ولكن قد يخفف من هذا النقص أن هناك فرقا كبيرا ، بين الأديب والعالم ، فالعالم يلاحظ الأشياء ليستكشف ظواهرها وقوانينها ، وعلاقتها بالأشياء الأخر ، وعلاقتها بالظروف التى

تحيط بها ، على حين أن الأديب يلاحظ الأشياء من حيث علاقتها بعواطف الإنسان وطبيعتـه الأخلاقية ، فالعالم بالنبات مثلا يدرسه ليكشف كل الطبائع الخاصة ، وأوجه الشبه بينه و بين أمثاله من النباتات الأخر ، ووظيفة كل جزء منه ، والتغيرات التى تطرأ عليه كلما نما ، حتى يصل به إلى الموت والفناء .

أما الأديب فلا يهمه كل ذلك ، إنمـا النبـات فى نظره قد خلق لجمـاله ، وليست شجرة الورد فى نظره إلا زهرته الجميلة وأريجها العطر .

فهذه الناحيـة الخاصة التى يعنى بهـا الأديب تغتفر لحافظ قلة عمقه فى البحث و إمعـانه فى الدرس ، وتخفف حدة نقـدنا فى أنه كان ينظر إلى الأشياء نظرة عامة من ناحية اتصالهـا بعواطف الجمهور .

وممـا يتصل بهذا أن حافظا كان يؤثر فى الجمهور بإلقائه بالقدر الذى يؤثر فيهم بنفس شعره لقد كان فى نبرات صوته وحسن إجادته فى الإلقـاء يلعب بعواطف السامعين كما يلعب بهـا بألفاظه ومعانيه ، ومن أجل هـذا ، يحسن ألا يقوم شعر حافظ ومقدار أثره فى الجمهور بمقدار ما يقيســه قارئ لديوانه ، فهو بقراءته يفقـد جزءا كبيرا من تأثيره السحرى الذى كان يتركه فى سامعه ، ومن أجل هذا كان يطيــل الوقت فى تخير اللفظ الذى يحسن وقعه فى السمع ، كما يتخير الانسجام فيتغنى بالبيت قبل أن يدخله فى عداد شعره ، و ينصت إلى جرسه ووقعه على سمعه قبل أن يبدأ بإلقائه على أسماع الناس .

وعلى الجملة كان حافظ يرصد الحوادث الاجتماعية والسياسية كما يرصـدها رجال مصر على اختلاف مناحيهم ، فيصوغها الصحفيون الوطنيــون مقالات حارة قوية ، و يصوغها القـادة وأولو الرأى أفكارا ينادون بها فى مجلس الشورى ، أو الجمعية العمومية ، أو أحاديث وحكما وأمثالا فى مجالسهم الخاصة ، و يصوغها حافظ شعرا قويا يغذى نفوس الشباب ، و يلهب شعور من سمعه .

كان طلبة المدارس الثانوية والعالية يتحازون إلى معسكرين : قسم يتعصب لحافظ و يفضله على شوقى ، وقسم يتعصب لشوقى و يفضله على حافظ ، و كنا نلاحظ أن من فضل حافظا كان يفضله لأن شعره غذاء قلبه ، وغذاء وطنيته ، ومن فضل شوقى فضله لفنه وخيـاله ، فشبيبة الوطنية إمامهم حافظ ، وشبيبة الفن إمامهم شوقى .

*
* *

ظل حافظ يغنى بشعره التقليدى — أوّلا — والجديد — ثانيا — نحو خمسة عشر عاما تنتهى سنة ١٩١١ ، لما عرضت عليه "وظيفة" دار الكتب .

وطبيعى أن "الوظيفة" الحكومية لم تكن تتفق وشعر حافظ السياسى والاجتماعى فهو يدعو المصريين إلى الثورة ، والانجليز إلى الجلاء ، وحرام على الموظف وقتذاك أن يتكلم فى السياسة وأن يتصل بالجرائد ، فكيف يسمح بالشعر السياسى عامة ، ولشعر حافظ خاصة .

كان حافظ يفهم كل هذا حق الفهم ، فلما قبل الوظيفة كان معنى قبولها سكوته فى هذا الباب ، وقد بر بوعده ، ووفى بشرطه غالبا ، فلم يقل من الشعر إلا قليلا ، وفى مناسبات ملحة وبتحفظ تام وحذر شديد ، أو أن تحميه الظروف .

عيره كثيرون بذلك وبقبوله الوظيفة،ولكن لماذا نعيره وحده بالوظيفة ولا نعير من أجاه؟ لماذا نطلب منه التضحية بقوته ، ونؤنبه على سكوته ؟ ولا نؤنب الأمة وقتذاك تعجب به ، ثم يتبخر هذا الإعجاب ، ولا يتحول إلى قليل من مال يتبلغ به — الحق أن الأمة فى تاريخها الماضى أبدت جمودا عجيبا وشحا أليما فى حافظ وأمثاله : تصفق لهم طويلا ، وتتركهم يألمون من الحاجة إلى ضروريات الحياة ، وتعيبهم إذا ركنوا إلى الوظيفة ، ولا تشجعهم بقليل مما فى أيديها ، وتنعم وتغرق فى الترف ، وتدعو المغنى أن يغنى لها ، ثم تضن عليه بأجره ، فإذا طالبها به غضبت منه .

إذا — فليس من العدل أن نسرف فى نقده على صمته ، ونعيبه بكسر عوده وقيثارته ، فلم يفعل غير ما فعله من قبله :

غزلت لهم غزلا رقيقا فلم أجد		لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

إنما يصح أن يوجه إليه نقد من نوع آخر ، وهو أن حافظا لم يكن يستطيع — حقا — وقد قبل المنصب فى دار الكتب أن يقول الشعر فيما كان يقول فيه قبل من اجتماعيات وسياسيات ولكن لماذا سكت عن فنون الشعر الأخرى ، والمجال أمامه فسيح ؟ فليس كل شعر سياسة واجتماعا ، فهناك شعر الطبيعة ، وهناك شعر القصص ، وهناك شعر الوصف ، وغيره من أنواع الشعر ، ولم تكن وظيفته تمنعه من أن يقول فى كل ذلك ، أو فى شئ من ذلك ، وفى شوقى المثل لهذا ، فقد كان مقيدا فى القصر بأشد من قيود دار الكتب ، ومع هذا ظل يقول فى فنون مختلفة من الشعر لا تتنافى وتقاليد القصر .

ولكن ما ذنب حافظ ؟ ! ونبوغه إنمـا كان فى ثورته ، وإجادته فى فورته ، وطبيعتـه وتعليمه ودربته تدعو إلى النبـوغ فى سياسياته واجتماعياته ، لا فى غزله وخمرياته ، وما يعيب الموسيقى أن يكون ملك العود ، وليس ملك القانون ، أو ملك الكمان ، وليس ملك النای، فملك فى إحداها خير عندى من سوقة فى جميعها .

*
* *

و بعد ، فما منزلة شعر حافظ فى الشعر ، وما قيمته الأدبية ؟

الشعر الجيد — فى نظرى — فيضان من شعور قوى ، سما به الخيال ، وحلاه اللفظ ، ووقع على نغمات الأوزان ، فهو لا بد أن تجمع فيه — ككل نوع من الأدب — عاطفةوخيال وصياغة و جمال ، و يمتاز الشعر بأن له لغة خاصة غير لغة النثر، وللشاعر ملكة لا يمكن توضيحها تمـام الوضوح ، يستطيع بها أن يتخير من ألفاظ اللغة ما يرى أنهـا أبعث على إثارة المشاعر ، وأفعل فى نفس السامع ، ثم هو يضعها بعد فى أساليب خاصة يتخيرها من بين التراكيب اللغوية والأساليب الأدبية ، يرى أنها تؤدّى غرضه ، وتخدم مآربه ، كما يمتاز بمـا له من موسيقى عبر عنها بالبحور والأوزان ، ولهذه الأوزان فعل فى النفوس كفعل "رنات المثالث والمثـانى" ، وللشاعر قدرة على أن يختار منها ما يناسب موضوعه ، من رقة ولين فى شعر الغزل ، وقوّة وجلبة فى شعر الحماسة ، والقصيدة على قافية قد يكون لهـا من الأثر فى النفس ما ليس لقافية أخرى ، وهكذا .

وأخيرا حاجة الشاعر إلى الخيـال الخصب أقوى من حاجة الناثر ! فلا بد له من اختراع صور ، وتأليف مناظر ، ومقارنة صورة بصورة ، ومنظر بمنظر ، حتى يثير المشاعر ، ويحرّك العواطف ، و يفعل فى النفوس فعل السحر .

وقد سلم لشاعرنا من هذه الأمور ثلاثة : قوّة العاطفة، وحسن الصياغة ، و جمال الموسيقى وأعوزه أمر منها وهو قوّة الخيال .

فأما عاطفته فقوية فياضة ، وأكبر مظهر لقوّتها إثارة نفس السامع والقارئ ، فما يسمع شعره سامع ولا يقرؤه قارئ إلا توثبت نفسه ، وهاجت مشاعره ، وعواطفه صحيحة لا مريضة والعاطفة الصحيحة هى التى تدعو لأن تكون حياتنا أسعد وأقوى ، فحافظ يريد منا أن نتبوأ

مقعدنا بين الأمم ، وأن يرفع عنا نير الاحتلال ، وأن يعادل الشرق الغرب ، وأن تكون حياتنا الاجتماعية خيرا ممـا هى ، فلا تواكل ولا استنامة ولا خنوع ، ويريد أن تكون لنناحية قوية وأن نجد فى الحياة حتى ننعم بطيباتها ، ونحو ذلك من وجوه الإصلاح ، فهو يمتلئ شعورا بذلك ، ثم يصوغه شعرا يسير فينا سير العافية ، وأجمل ما فى هذه العاطفة انها ليست من ذلك النوع المألوف الذى اعتدناه فى كثير من الأدب العربى من إفراط فى المديح ، فإن العاطفة التى يبعثها ضعيفة من ناحية ميلها إلى أمور شخصية ، والأدب الذى ينبعث من عاطفة عامة ويبعث عليها ، خير من الذى ينبعث عن عاطفة شخصية ويبعث عليها ، كما أن عاطفته ليست من هذا النوع الذى يذوب رقة فى غزل ، أو هياما فى حب ، فإن هذا النوع قد كثر حتى مل ، وهو فى كثير من الأحيـان أجوف وهو فى كثير من الأحيـان نتاج عاطفة مريضة ، فليس من الخير أن يبيع الإنسـان عواطفه بهذه السهولة وهذا الرخص .

فمزية عاطفة (حافظ) فى شعره عمومها وقوتها ، وإن شئت فقل : وجدتها ، فلم نعرف شاعرا عربيا قبله ، ولا معاصرا له أفاض فى العاطفة الوطنية والاجتماعية إفاضته .

قد يؤخذ عليه أن عاطفته ينقصهـا التنوع — كما أشرنا إلى ذلك قبل — فلا تجد كثيرا من شعره فى جمال الطبيعة ، بل لا تجد شعره فيها حيا قويا ، كما ترى فى قصيدته فى الشمس .

وسبب ذلك — على ما يظهر — أن طبيعة حافظ كانت مخالفة تمـام المخالفة لمظهره الخارجى كان مظهره الخارجى ضحوكا مرحا ، لا يراه الرائى متى يضحك من ضحكه ، ولا يكون فى مجلس حتى يملأه سرورا وضحكا ، ولكنه فى أعماق نفسه حزين ، كالشمعة تضيء وهى تحترق ، أو كالممثل يجيد تمثيل دور الضاحك وهو فى نفسه يذوب حسرات .

وهذا ما يعلل أيضا ضعف الفكاهة فى شعره ، وقوتها فى مجالسه ، وهذا ما يعلل أن نصف شعره رثاء كما يقول هو .

هذا الطبع الحزين يبعث عواطف حزينة ، ويحمل على الإجادة فيها ، فتوافق طبعه وشكوى الزمان والرثاء والبكاء على الأمة وعلى الشرق ، ونحو ذلك .

ومن أجل هذا أيضا أجاد حافظ فى أحد وجهى الوطنية ، أكثر ممـا أجاد فى وجهها الآخر ، ذلك أن الشعر فى الوطنيات والسياسيات والاجتماعيات يدور على التفاؤل والتشاؤم ، والتأميل

وعدمه ، والترغيب والترهيب ، والمدح للتشجيع ، والذم للتقريع ،فأجاد حافظ في التشاؤم وفى الترهيب وفى التقريع أكثر ممـا أجاد فى التفاؤل والترغيب والتشجيع ،لأن الضرب الأول أنسب لحزنه ،وأقرب إلى نفسه ،والثانى يحتاج إلى مقدار كبير من الأمل ،والأمل يحتاج إلى سرور، وهو قليل فى نفسه ، فخير شعر حافظ ما اتصل بعاطفته الحزينة، فأما فرح بالطبيعة،وفرح بنفسه ونحو ذلك ممـا ينبعث من عاطفة السرور ، فلم يكن له كبير مجال فى شعره .

هذه العاطفة القوية التى شرحنا ، بحثت لهـا عن الثوب الذى تلبثه حتى عثرت عليه ،فكانت صيغتها قوية،وموسيقاها قوية، يفتش عن اللفظ حتى يجد أنسبه لنفسه ،وأنسبه لمعناه ويعرض للترادفات، يقلبها حتى يختار خيرها ، و ينثر كنانته ليتخير أشدها عودا ،وأصلبها مكسرا ، و يعمد إلى الأساليب يتصفحها ليوائم بين المعنى واللفظ والأسلوب ،وكان (حافظ) يسمى هذه (العملية) كلها (التذوّق) ، و يمدح بعض الشعراء بأنه (ذوّاق) يريد بذلك أن له ذوقا مرهفا فى اختيار اللفظ واختيار الأسلوب ،وقد بالغ فى ذلك حتى كان جهده فى اختيار الألفاظ والأساليب يفوق جهده فى ابتكار المعانى، فهو يذهب مذهب من يرى أن المعانى مطروحة فى الطريق ، و إنمـا الإجادة فى الصياغة ، وهو يستعين على ذلك بالموسـيقى ، موسيقى اللفظ ، وموسيقى الأسلوب ، وموسـيقى الأوزان والقوافى .

قد كان يصنع البيت فيردّده على أذنه بإنشاده اللطيف حتى يتبين موقعه من أذنه قبـل أن يوقعه على آذان الناس ، و يتذوّق موسيقاه بنفسه قبل أن يتذوّقها الناس ، فكان يراعى موسيقى الطول والقصر ، وموسيقى الفخامة والرقة ، وموسيقى اللين والشدّة ، و يوائم بين ذلك وموضوعه و بين ذلك ومعانيه وأغراضه ، فيوفق فى ذلك توفيقا كبيرا .

أما خياله ، فكان مع الأسف — خيالا قريبا — قلل حظه من الابتكار ، وقلل حظـه من التصوير ، قصر خياله عن أن يغوص فى باطن الشئ فيصل إلى مكان الحياة منه ، ثم يخرجه إلى الناس كما يشعر به ، وقصر عن أن يحلق فى السماء فيصوّر منظرا عاما يجذب النفوس إليه .

لقد حاول أن يخلق بخياله قصة،ولكنها قصة خرجت عرجاء، تتخلج على الأرض ، ولا تسبح فى السماء ، قريبة المنال ، مضحكة التصوير — إن شئت فاقرأ قصتـه فى مدح البارودى التى مطلعها : ”تعمدت قتلى فى الهوى وتعمدا“ إذ يصف ذهابه إلى حبيبته خفية ، فيقـلد عمر بن

أبى ربيعة فى رائيته المشهورة ، ثم لا يحسن التقليد ، ولا تأتى خياله بجـديد ، أو فاقرأ قصته الشعرية التى وضعها فى ضرب الأسطول الطليانى لمدينة بيروت ، والتى مطلعها :

ليـــلاى ما أنا حى   يرجى ولا أنا ميت

ترى خيالا ساذجا وتصويرا مهلهلا .

ولكن من ذا الذى حاز الكمال أجمع ؟ ومن ذا الذى بلغ شأو الفن فى جميع عناصره ؟ حسب الشاعر النابغة أن تكتمل فيه صفات ، ثم يستطيع أن يعوض ما نقص بالبراعة التامة فيما أتقن لأن نقص حافظ فى الخيال لقد غطى عيبه شيوع الجمال فى سائر نواحيه ، وكفاه ذلك موهبة .

*
* *

وقد رأى حضرة صاحب المعـالى على زكى العرابى باشا وزير المعارف العمومية حبـا منه فى الأدب ، وتقديرا لحق الوطن ، أن يجمع شعر حافظ ، وتقوم على طبعه وزارة المعارف .

وكان من حظى أن ندبنى معاليه للقيام بهذا العمل ، فتفضل وطلب إلى جمع شعره وضبطه وشرحه ، وتبويبه وتقديمه ، فاغتبطت للساهمة فى هذا العمل الجليل ، لأن حافظا شاعر كبير ومن واجبه الأدبى أن نخلد شعره ، ونحفظ ذكره ، وهو شاعر الوطنية فى عصرنا ، غذى شعره الشعور الوطنى ، وألهبه غيرة وحماسة ، وكان داعيا للنهضة والمطالبة بالحركة حتى ننال استقلالنا .

فكان واجبا — وقد بدأنا — نجنى ثمـار جهادنا ، أن نؤرخ قادة حركتنا ، وأول واجب نفعله فى تاريخ شاعر أن نجمع شعره ، ونعنى بنشره ، ونأخذ فى درسه .

ومن حسن الطالع أن يكون صدور ديوانه ، معاصرا لنجاح دعوته ودعوة زملائه من القادة والزعماء والخطباء والأدباء الذين تعهدوا الحركة الوطنية ، وسهروا عليهـا ، وضحوا فى سبيلها ، ولم يدركهم فى ذلك سـأم ولا ملل ، ولم يفت فى ساعدهم تعـــذيب ولا اضطهاد ، حتى تمت المعاهدة ، وبدأنا ننعم بالاســتقلال ، نحمل عبئنا على ظهورنا ، ونبذل جهــدنا لنيل سعادتنـا بأيدينا .

فإخراج ديوان حافظ أمانة فى عنقنا نؤدّيها ، وواجب ننهض به .

*
* *

وكان من حظى أيضا أن شاركنى فى هذا العمل الأستاذان : (أحمد الزين) ، (وإبراهيم الإبيارى) ، فقد لقيا من العناء فى الضبط والشرح والتصحيح والترتيب ما أترك تقديره للقــارئ الكريم ، وكان لهما من العمــل وبذل الجهد فى ذلك فوق مالى ، وإليهما يرجع أكثر الفضــل فى إخراج الديوان على هذا الوضع .

كان حافظ رحمه الله غير منظم فى عمــله ، ولا حريص على تدوين شعره ، فيكتبه فى ورقة حيثما اتفق ، ويلقيها أيضا حيثما اتفق ، فضاع كثير منه ، ولولا فضل الصحف والمجلات فى نشره والاحتفاظ به ، لمــا بقى من شعره إلا القليل .

وقد جمع فى حياته بعضا منه ، معتمدا على ما نشر فى الصحف والمجلات ، وعلى ما كان منه عند الأصدقاء ، ولكن وقف فى ذلك عند أجزاء ثلاثة صغار ، نشر الجزء الأوّل منها سنة ١٣١٩هـ مع تعليقات قيمة بقــلم محمد إبراهيم هلال بك ، وقد استفدنا منها ، ونشر الثانى ســنة ١٩٢٥ هـ (١٣٠٧ م) ، والثالث سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) ، فأما شعره بعد ذلك فلم يجمع فى حياته .

فلمــا توفى حافظ جمع الأديب الدمشقى السيد أحمد عبيد طائفة من شعره لم تنشر فى ديوانه ونشرها بدمشق سنة ١٣٥١ هـ ، وكذلك فعل فى شوقى وجمع ما نشر فى رثائهما ، وبعض ما كتب عنهما ، وسمى كتابه "ذكرى الشاعرين" .

ثم نشرت مكتبة الهلال فى مصر سنة ١٣٥٣هـ ديوانه مجموعا فيه ما نشر من قبل فى الأجزاء الثلاثة ، وما نشره السيد أحمد عبيد "فى ذكرى الشاعرين" .

ولكن ماورد فى ذلك كله ليس وافيا ولا مستقصيا ، فاضطررنا إلى أن نرجع إلى المجلات والصحف نتصفحها عددا عددا ، من يوم أن نشر له شعر ، إلى يوم وفاته ، ورجونا على صفحات الجرائد من القراء أن يبعثوا إلينا ما كان عنــدهم من شعره ، فتمت لنا بذلك مجموعة هى أقصى ما وصل إليه جهدنا .

ثم رتبناها حسب الموضوعات ، فذكرنا كل ما قاله فى المديح ، ثم ما قاله فى الهجاء ... الخ . وفى كل باب رتبنا ما جاء فيه حسب تاريخ قوله أو نشره ، ثم أتبعنا ذلك بمــا قاله ولم نقف على تاريخه بالضبط ، حتى ولو كانت القرائن تدل على زمنه ، ورأينا هذا الوضع أقرب إلى الإفادة وأدل على مناحى الشاعر . ووضعنا فهرسا مرتبة فيهــا القصائد حسب حروف الهجاء فى آخر الديوان ليسهل الرجوع الى القصيدة لمن حفظ قافيتها .

وقد ضبطناه ضبطا كاملا لتسهيل قراءته على الناشيء ، وشرحناه نوعين من الشرح : شرحا بذكر ظروف القصيدة وملابساتها وتاريخ نشرها أو قولها ، حتى يتمكن القارىء من معرفة إشاراتها وجوّها ، إذ فى ذلك أكبر إعانة على فهمها وتقديرها ، وشرحا لغويا لمفرداتها وأساليبها ، و بيان المراد من عباراتها ، وذكر الحوادث التاريخية التى أشار اليها فى أبياتها ، وقد نكون بالغنا بعض الشىء فى كثرة الشرح والضبط ، وعذرنا أنا راعينا نابتة الأدب ، وناشئة الشعر ، أكثر مما راعينا الخاصـة والمتبرين وقدّرنا أن الديوان ستتناوله أيدى الطلبـة فى المدارس الثانوية ومن فى مستواهم ، فقصدناهم بالشرح ، ونظرنا اليهم فى البسط . ونرجو أن نكون قد وفقنا فى تحقيق ما ندبنا له ، وأدّينا شيئا من واجب الأمة والوزير والشاعر ، والله الموفق ؟

١٧ فبراير سنة ١٩٣٧

أحمد أمين

نموذج من خط حافظ ابراهيم

وهما بيتان قالهما فى المجمع العلمى العربى بدمشق عند ما استقبل فيه





المرحوم حافظ ابراهيم بك

المحتـــويات

صفحة

المـدائح والتهـانى ١

الأهـاجى ١٤٨

الإخوانيـات ١٥١

الوصـف ١٩٣

الخمريات ٢٢٨

الغزل ٢٣٥

الاجتماعيـات ٢٣٩

الجزء الأوّل

المدائح والتهانى

تهنئة عبد الحليم عاصم باشا بإسناد إمارة الحج إليه
(سنة ١٣١٣ هـ)

حالَ بينَ ٱلجفْنِ والوَسَنِ ... حائلٌ لو شئتَ لَمْ يَكُنِ [١]

أنا والأيّامُ تَقْذِفُ بى ... بينَ مُشْتاقٍ ومُفْتَتِنِ

لى فُؤادٌ فيكَ تُنْكِرُه ... أَضْلُعِى ، مِنْ شِدّةِ ٱلوَهَنِ [٢]

وزَفيرٌ لو عَلِمْتَ به ... خِلْتَ نارَ الفُرْسِ فى بَدَنِى [٣]

يا لَقَومى إنّنى رَجُلٌ ... حِرْتُ فى أَمْرِى وفى زَمَنِى

أَجَفاءً أَشْتَكِى وشَقًا ؟ ... إنّ هٰذا مُنْتَهَى ٱلمِحَنِ

يا هُماما فى الزّمان ! له ... هِمّةٌ دَقّتْ عنِ ٱلفِطَنِ [٤]

---

(١) الوسن : النعاس . أى حال بين الجفن والنوم حائل من صدّك لو وصلت ما حال .

(٢) الوهن : الضعف . أى أن لى فؤادا قد اشتدّ ضعفه حتى لم تكد تحسه ضلوعه ، فأنكرت وجوده فيها .

(٣) نار الفرس : هى النار التى تعبدها مجوس فارس ، و يضرب بها المثل فى قوّة الاشتعال ودوامه .

(٤) دقت عن الفطن ، أى لاتدركها الأفهام لقصر العقول عنها .

وفَتًى لو حَلَّ خاطرُه ... في ليالى الدّهرِ لَمْ تَخُنِ[١]

يا أميرَ الحَجِّ ! أنتَ له ... خَيْرُ واقٍ خَيْرُ مُؤْتَمَنِ

هَزَّكَ البَيْتُ الحرامُ له ... هِزَّةَ المشتاقِ للوَطَنِ[٢]

فَرِحَتْ أرضُ الحجازِ بكُمْ ... فَرْحَها بالهاطِلِ الهَتِنِ[٣]

وسَرَتْ بُشْرَى القُدومِ لَهُمْ ... بِكَ من مِصْرٍ إلى عَدَنِ[٤]

تهنئة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده[٥] بمنصب الإفتاء

(١٣١٧هـ — ١٨٩٩م)

بَلَغْتُكَ لَمْ أَنْسُبْ ولَمْ أَتَغَزَّلِ ... ولمَّا أَقِفْ بَيْنَ الهَوَى والتذَلُّلِ[٦]

ولمَّا أَصِفْ كأسًا ولَمْ أَبْكِ مَنْزِلًا ... ولَمْ أَنْتَحِلْ فَخْرًا ولَمْ أَتَنَبَّلِ[٧]

---

(١) يريد أنه لا يخطر له إلا الخير ، فلو كان للأيام مثل خاطره ما توقع أحد منها غدرا .

(٢) هزك البيت : استخفك لزيارته .

(٣) سكن الشاعر « الفرح » لضرورة الوزن . والهاطل : المطر المتتابع العظيم القطر . والهتن : المنصب .

(٤) عدن : مدينة معروفة باليمن على ساحل بحر اليمن من بحر الهند . ويلاحظ أن آخر هذه القصيدة مفقود ، ولم يتيسر لنا العثور عليه ، فأثبتناها على اقتضابها .

(٥) الشيخ محمد عبده ، هو ابن عبده بن حسن خير الله ، ولد فى محلة نصر من إقليم البحيرة بمصر سنة ١٢٦٦ هـ . وتعلم العلم فى الجامعين الأحمدى والأزهر ، وتولى عدة مناصب علمية وقضائية ودينية ، وآخر منصب تولاه منصب الإفتاء وظل فيه إلى أن توفى بالاسكندرية فى سنة ١٣٢٣ هـ — سنة ١٩٠٥ م . ودفن فى القاهرة .

(٦) بلغتك ، أى وصلت إلى مدحك . ولم أنسب : ولم أشبب بالنساء . يريد أنه ابتدأ القصيدة بمدحه ولم يسلك طريق الشعراء فى تقديم الغزل والفخر وما إليهما على المدح فى أوائل القصائد .

(٧) انتحل الشىء : ادعاه لنفسه وهو لغيره . وتنبل الرجل : تكلف النبل وتشبه بالنبلاء .

فلمْ يبْقِ فى قلبى مَديحُكَ مَوْضعًا ... تجُولُ به ذِكْرَى حَبيبٍ ومَنْزِلِ[1]

رأيتُكَ والأبصارُ حولكَ خُشّعٌ ... فقُلتُ (أبو حَفْصٍ) ببُرْدَيْكَ أم (علِي)[2]

وخَمّضْتَ منْ حُزْنى على مجْدِ امةٍ ... تداركْتَها والخَطْبُ للخَطْبِ يعتَلِى[3]

طَلَعْتَ بها باليُمْنِ من خَيْرِ مَطْلَعٍ ... وكنتَ لها فى الفَوْزِ قِدْحَ (آبن مقْبِلِ)[4]

وجَرّدْتَ للفُتْيَا حُسامَ عَزيمةٍ ... بحَدّيْهِ آيُ الكتابِ المُنَزَّلِ[5]

مَحَوْتَ به فى الدِّينِ كلَّ ضَلالةٍ ... وأثْبَتَّ ما أثْبَتَّ غَيْرَ مُضَلَّلِ

لئن ظَفِرَ الإفْتاءُ منكَ بفاضلٍ ... لقد ظَفرَ الإسلامُ منكَ بأفْضَلِ

فما حَلَّ عَقْدَ المُشْكلاتِ بحِكْمَةٍ ... سواكَ ولا أَرْبَى على كلِّ حُوّلِ[6]

*
* *

وقال يمدحه ويصف حضرته :

قالوا صَدَقْتَ فكان الصِّدْقَ ماقالُوا ... ماكُلُّ مُنْتَسِبٍ للقَوْلِ قَوّالُ[7]

هٰذا قَرِيضى وهٰذا قَدْرُ مُمْتَدَحِى ... هل بَعْدَ هٰذَيْنِ إحْكامٌ وإجْلالُ[8]

---

(١) يشير إلى بيت آمرىء القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * ... ... انخ

(٢) أبو حفص : كنية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وهى فى الأصل كنية الأسد . وعلى : هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب . (٣) يريد بقوله "والخطب للخطب يعتلى" تراكم الخطوب بعضها فوق بعض .

(٤) القدح (بكسر القاف) : واحد قداح الميسر ، وهى سهامه . وقدح ابن مقبل ، يضرب مثلا فى حسن الأثر والفوز . وابن مقبل : رجل من جاهلية العرب ، واسمه تميم بن أبى بن مقبل ، شاعر مخضرم من المعمرين ، وكان كثير المقامرة ، فاز قدحه سبعين مرة متوالية ، فضرب به المثل فى الفوز . (٥) جرد الحسام : سله من غمده .

(٦) أربى : زاد . والحوّل : البصير بالأمور وتحويلها ، لاتؤخذ عليه طريق إلا نفذ فى غيرها .

(٧) القوال : حسن القول اللسن . أى قالوا صدقت فى مدح الإمام وهم صادقون فيما وصفونى به .

(٨) القريض : الشعر . وممتدحى ، أى ممدوحى .

إنّى لأُبصِرُ فى أثْناءِ بُرْدَتِه نُورًا به تَهْتدِى للحَقّ ضُلّالُ

حَلَلْتُ دارًا بها تُتْلَى مناقبُه ببابِها ازْدَحَمَتْ للنّاسِ آمالُ (١)

رأيتُ فيها بساطًا جَلَّ ناسِجُه عليه (فاروقُ) هٰذا الوَقتِ يَخْتالُ (٢)

بِمِشْيَةٍ بين صَفَّىْ حِكْمَةٍ وتُقًى يُحسِبُها اللهُ لاتِيهٌ ولا خالُ (٣)

تَبَسَّمَ المصطفَى فى قَبْرِه جَذِلًا لَمّا سَمَوْتَ إليها وهْىَ مِعْطالُ (٤)

فكان لَفْظُكَ دُرًّا حَوْلَ لَبَّتِها العَدْلُ يَنْظِمُ والتَّوفيقُ لَآلُ (٥)

لى كُلَّ حَوْلٍ لِبَيْتِ الجاهِ مُنْتَجَعٌ كما تُشَدُّ لِبَيْتِ اللهِ أَرْحالُ (٦)

وزَهْرَةٌ غَضَّةٌ أَلْقَى الإمامَ بها لها على أُخْتِها فى الرَّوضِ إدلالُ (٧)

تَفَتَّحَ الحَمْدُ عنها حِينَ أَسْعَدَها منكَ القَبولُ وفيها نَوَّرَ القالُ (٨)

نَثَرْتُ مَنْظُومَ تِيجانِ المُلوكِ بها فَراحَ يَنْظِمُه فى وَصْفِكَ البالُ (٩)

يا مَن تَيَمَّنَتِ الفُتْيا بِطَلْعَتِه أَدْرِكْ فَتاكَ فقد ضاقتْ به الحالُ (١٠)

---

(١) المناقب : المفاخر والأفعال الكريمة . الواحدة : منقبة .

(٢) يصف بساطا رآه فى دار الامام فأعجب بنسجه وناسجه . والفاروق : اسم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، لأنه فرق بين الحق والباطل .

(٣) الخال : الكبر والاختيال .

(٤) الجذل : الفرح . وإليها ، أى إلى الفتيا . والمعطال : المتجردة من الحلى والزينة .

(٥) اللبة : موضع القلادة من الصدر . واللآل : صاحب اللؤلؤ . والقياس : لؤلؤى .

(٦) يريد ببيت الجاه : بيت ممدوحه . ويريد بالمنتجع هنا : الانتجاع ، يقال : انتجع فلان فلانا ، إذا أتاه طالبا معروفه (٧) يريد بالزهرة الغضة : القصيدة التى يمدحه بها . والغضة : الناضرة ويريد بأختها : الزهرة الحقيقية . والادلال : الافراط فى التيه .

(٨) نور القال : صار ذا نور (بفتح النون وسكون الواو) . والنور : زهر النبات . والقال والقول : كلاهما بمعنى واحد .

(٩) يقول : إنه نثر اللؤلؤ الذى تحلى به تيجان الملوك ونظمه شعرا فى مدحه . والمراد تشبيه شعره فيه بدرر التيجان .

(١٠) الفتيا : ما أفتى به الفقيه .

مدحة محمود سامى البارودى باشا[1]

[نشرت فى ١٥ أكتوبر سنة ١٩٠٠م]

تَعمَّدْتُ قَتْلِي فى الهَوَى وتَعمَّدا ... فما أَثِمَتْ عَيْنِي ولا لَحْظُه آعتَدَى[2]

كِلانَا له عُذْرٌ فعُذْرِى شَبِيبَتِي ... وعُذْرُكَ أَنِّي هِجْتُ سَيْفاً مُجَرَّدَا[3]

هَوِينَا فما هُنَّا كما هانَ غَيْرُنا ... ولٰكِنَّنا زِدْنا مع الحُبِّ سُؤْدُدَا[4]

وما حَكَمَتْ أَشْواقُنا فى نُفُوسِنا ... بأَيْسَرَ مِنْ حُكْمِ السَّمَاحَةِ والنَّدَى[5]

نُفوسٌ لها بين الجُنُوبِ مَنازِلٌ ... بناها ٱلتُّقَى وٱختارَها ٱلحُبُّ مَعْبَدا

وفَتَّانَةٍ أَوْحَى إلى القَلْبِ لَحْظُها ... فَراحَ على الإيمانِ بالوَحْيِ وٱغْتَدَى[6]

تَيَمَّمْتُها واللَّيلُ فى غيرِ زِيِّهِ ... وحاسِدُها فى الأُفْقِ يُغْرِى بِيَ العِدَا[7]

---

(١) محمود سامى البارودى باشا ، هو ابن المرحوم حسن حسنى بك مدير دنقلة وبربر فى عهد المغفور له محمد على باشا ولد البارودى فى القاهرة سنة ١٢٥٥ هـ . وتعلم الفنون العسكرية فى المدرسة الحربية ، وكان من فحول شعراء العربية ، كما كان شاعرا باللغتين التركية والفارسية . وآخر المناصب التى تولاها فى الحكومة المصرية رآسة النظار بعد شريف باشا قبل الثورة العرابية ، ولبث فى هذا المنصب قليلا ، ثم شبت الثورة العرابية فكان من أقطابها ، فلما هدأت نارها نفى إلى جزيرة سرنديب مع من نفى ثم عفا عنه الخديوى عباس الثانى فى سنة ١٣١٧ هـ . وتوفى سنة ١٣٢٢ هـ . وله ديوان شعر طبع منه جزءان ومختارات من شعر الشعراء العباسيين طبعت فى أربعة أجزاء .

(٢) يريد أنه تعمد قتل نفسه بالنظر إلى حبيبه نظرة جلبت الهوى . وتعمد المحبوب قتله بسهام لحظه . وأثمت : أذنبت .

(٣) الشبيبة : الشباب . وهاجه يهيجه : أثاره . والسيف المجرد : المسلول من غمده .

(٤) هنا : من الهوان ، وهو الذل . والسؤدد (بفتح الدال وضمها ، يهمز ولا يهمز) : السيادة والشرف .

(٥) أى لم يكن خضوعنا للحب بأقل من خضوعنا للسماحة والكرم ، وبالكل زدنا سؤددا وشرفا .

(٦) "أوحى إلى القلب لحظها" الخ ، أى ألهمه الحب فآمن به إيمانا ثابتا فى غدوّه ورواحه .

(٧) تيممتها : قصدت إليها . ويريد بقوله "فى غير زيه" : أنه ليل مقمر ليس فى هيئته المعهودة من السواد والظلمة ويريد "بالحاسد" (هنا) : البدر ، لشبهها به فى الجمال .

سَرَيْتُ ولَمْ أَحْذَرْ وكانُوا بِمَرْصَدٍ ... وهَلْ حَذِرَتْ قَبْلِي الكَواكِبُ رُصَّدَا[١]

فلَمَّا رَأَوْنِي أَبْصَرُوا المَوْتَ مُقْبِلًا ... وما أَبْصَرُوا إِلَّا قَضاءً تَجَسَّدَا[٢]

فقالَ كَبِيرُ القَوْمِ قد ساءَ فَأْلُنا ... فإِنَّا نَرَى حَتْفًا بِحَتْفٍ تَقَلَّدَا[٣]

فليسَ لنا إِلَّا اتِّقاءُ سَبِيلِه ... وإِلَّا أَعَلَّ السَّيْفَ مِنَّا وأَوْرَدَا[٤]

فغَطُّوا جميعًا في المَنامِ لِيَصْرِفُوا ... شَبا صارِمِي عنهمْ وقد كانَ مُغْمَدَا[٥]

وخُضْتُ بأَحْشاءِ الجَمِيعِ كأَنَّهُمْ ... نِيامٌ سَقاهُمْ فاجِئُ الرُّعْبِ مُرْقِدَا[٦]

ورُحْتُ إلى حيثُ المُنَى تَبْعَثُ المُنَى ... وحيثُ حَدانِي مِنْ هَوَى النَّفْسِ ما حَدَا

وحيثُ فَتاةُ الخِدْرِ تَرْقُبُ زَوْرَتِي ... وتَسْأَلُ عَنِّي كلَّ طَيْرٍ تَغَرَّدَا[٧]

وتَرْجُو رَجاءَ اللِّصِّ لو أَسْبَلَ الدُّجَى ... على البَدْرِ سِتْرًا حالِكَ اللَّوْنِ أَسْوَدَا[٨]

ولو أَنَّهُمْ قَدُّوا غَدائِرَ فَرْعِها ... لَحاكُوا له مِنْها نِقابًا إِذا بَدَا[٩]

---

(١) سرى يسرى : سار بالليل . والمرصد : المرقب والرصد : الرقباء ، جمع راصد .

(٢) يريد بقوله : "تجسد" أنه قضاء محقق لاشك فيه ، حتى كأنه جسد يلمس وينظر .

(٣) يقال : ساء فأله ، أى ساء ظنه . و"حتفا بحتف تقلد" أى موتا ، تقلد موتا ، يريد نفسه متقلدا سيفه . وقد خطأ بعضهم حافظا فى تعدية "قلد" بالباء فى هذا البيت ، وقال : "إنه من الأفعال المتعدية بنفسها لا بالحرف" . وهو مردود بقول الزجاج فى قوله تعالى : (ولا الهدى ولا القلائد) : إنهم كانوا يقلدون الابل بلحاء شجر الحرم .

(٤) أعل : من العلل (بالتحريك) ، وهو السقية الثانية ، أى أن لم نخل له سبيله سق السيف من دمائنا مرة بعد مرة .

(٥) غط النائم غطا وغطيطا : نخر وتردد نفسه صاعدا إلى حلقه حتى يسمعه من حوله . وشباة الصارم : حده ، وجمعه : شبا . وقد يستعمل هذا الجمع فى الشعر مكان المفرد كما فى هذا البيت . قال الشاعر :

أما شبا السيف مسلولا على القمم ... فقد حمدنا ولم نذمم شبا القلم

(٦) خضت بأحشاء الجميع : مررت وسطهم وعبرت عليهم . والمرقد : الشراب الذى يجلب الرقاد .

(٧) تغرد الطائر ، كغرد : رفع صوته وطرب به . (٨) أسبل : أرخى . والحالك : الشديد السواد .

(٩) قدوا : قطعوا . والغدائر : الضفائر . والفرع من المرأة : شعرها ، جمعه فروع . وحاكوا : نسجوا . والنقاب : البرقع . ويريد بهذا البيت والذى قبله أن محبوبته ترجو كما يرجو اللص أن يشتد الظلام ويستتر البدر ، أو أن تجعل للبدر نقابا من غدائرها السود سترا لمحبوبها عن أعين الرقباء .

فلما رأتني مشرق الوجه مقبلاً ... ولم تثنني عن موعدى خشية الردى

تنادت — وقد أعجبتها — كيف فتهم ... ولم تتخذ إلا الطريق المعبدا[1]

فقلت: سلى أحشاءهم كيف روعت ... وأسيافهم هل صافحت منهم يدا

فقالت: أخاف القوم والحقد قد برى ... صدورهم أن يبلغوا منك مقصدا[2]

فلا تتخذ عند الرواح طريقهم ... فقد يقنص البازى وإن كان أصيدا[3]

فقلت: دعى ما تحذرين فإننى ... أصاحب قلبا بين جنبى أيدا[4]

فمالت لتغرينى وما لأها الهوى ... فحدثت نفسى والضمير ترددا[5]

أهم كما همت فأذكر أننى ... فتاك فيدعونى هداك إلى الهدى[6]

كذلك لم أذكرك والخطب يلتقى ... به الخطب إلا كان ذكرك مسعدا[7]

أمير القوافى! إن لى مستهامة ... بمدح ومن لى فيك أن أبلغ المدى[8]

أعرني لمدحيك اليراع الذى به ... تخط وأقرضنى القريض المسددا[9]

ومر كل معنى فارسى بطاعتى ... وكل نفور منه أن يتوددا[10]

---

(١) الطريق المعبد: الممهد المسلوك.

(٢) برى الحقد صدورهم، أى أسقمها وأذابها.

(٣) يقنص: يصاد. والبازى: نوع من الصقور يتخذ للصيد. والأصيد (هنا): الأقدر على الصيد الأعرف به.

(٤) الأيد (بتشديد الياء): القوى الشديد.

(٥) مالأها: ساعدها وشايعها.

(٦) يريد بهذا البيت والذى قبله أنها انثنت لتغريه بنفسها وساعدها على ذلك هو اهاله. وهواه لها، فهمت به وهم بها، ثم ذكر هدى الممدوح فاهتدى بهديه.

(٧) التقى الخطب بالخطب، أى توافقت الخطوب على وتراكم بعضها على بعض.

(٨) مستهامة أى نفسا هائمة بمدحك.

(٩) اليراع: القلم. والمسدد: الموفق للصواب.

(١٠) يريد "بالمعنى الفارسى": المعنى البديع، وقد نسبه إلى فارس (وهم الفرس) لأنهم كانوا أهل ابداع وخيال فى الشعر. والنفور: الشارد الممتنع على طالبه.

وهَبْنِيَ مِنْ أنوارِ عِلْمِكَ لَمْعَةً على ضَوْئِها أَسْرِي وأَقْفُو مَنِ اهْتَدَى[١]
وأَرْبُو على ذاكَ الفَخُورِ بقَوْلِه : (إذا قُلْتُ شِعْراً أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِداً)[٢]
سَلَبْتَ بِحارَ الأرضِ دُرَّ كُنوزِها فَأَمْسَتْ بِحارُ الشِّعْرِ لِلدُّرِّ مَوْرِدَا
وَصَيَّرْتَ مَنْثُورَ الكواكبِ في الدُّجى نَظِيماً بأَسْلاكِ المَعانِي مُنَضَّدَا[٣]
وجِئْتَ بأبياتٍ مِنَ الشِّعْرِ فُصِّلَتْ إذا ما تَلَوْهَا أُلْقِيَ النّاسُ سُجَّدَا[٤]
إذا ذَكَرُوا منه النَّسِيبَ رأَيْتَنا وَداعِي الهَوَى مِنّا أَقامَ وأَقْعَدَا[٥]
وإنْ ذَكَرُوا منه الحَماسَ حَسِبْتَنا نَرَى الصّارِمَ المَخْضُوبَ خَدّاً مُوَرَّدَا[٦]
ولو أنّني نافَرْتُ دَهْرِي وأَهْلَهُ بِفَخْرِكَ ما أَبْقَيْتُ في النّاسِ سَيِّدَا[٧]

تهنئة لسموّ الخديو عباس الثاني[٨] بعيد الفطر

(١٣١٨ هـ — ١٩٠١ م)

مَطالِعُ سَعْدٍ أَمْ مَطالِعُ أَقْمارِ ؟ تَجَلَّتْ بِهذا العِيدِ أَمْ تِلْكَ أَشْعارِي؟
إلى سُدَّةِ (العَبّاسِ) وَجَّهْتُ مِدْحَتِي بِتَهْنِئَةٍ شَوْقِيَّةِ النَّسْجِ مِعْطارِ[٩]

(١) السرى : المشي بالليل . وأقفو : أتبع . (٢) يقال : ربا يربو ، إذا زاد . وأربى عليه في الأمر : زاد عليه فيه . فلو عبر "بأربى" لكان أقوم . وذاك الفخور : يريد به أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الكوفي الشاعر الكبير المشهور ، وهو قائل الشطر الثاني من هذا البيت ، وصدره : "وما الدهر إلا من رواة قصائدي"

(٣) المنضد : المضموم بعضه إلى بعض . (٤) فصله تفصيلا : بينه . (٥) النسيب : التشبيب بالمرأة وذكر محاسنها وأوصافها في الشعر .

(٦) الحماس ، أي الشعر المقول في الحماسة . والحماس (بفتح الحاء) : الشدة والمحاربة . والمخضوب ، المصبوغ بالدم . يقول : إذ قال أبياتا في الحماسة تعشقنا السيوف المخضبة بالدماء كما نتعشق الخدود الموردة .

(٧) المنافرة : المفاخرة . أي لو فاخرت الدهر والناس بمفاخرك الكثيرة ما أبقيت في الناس سيدا إلا سدته .

(٨) تولى الخديوية المصرية بعد وفاة أبيه توفيق باشا في يوم ٨ يناير سنة ١٨٩٢ م — ٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٩ هـ . ثم خلعته انجلترا سنة ١٩١٤ م . عقب نشوب الحرب العظمى . (٩) السدة ، باب البيت ، أو ساحته . والمراد هنا : حضرة الخديو . وشوقية النسج : نسبة إلى شوق الشاعر . والمعطار : الطيبة الرائحة .

مَلِيكٌ أَباحَ العيدُ لَثْمَ يَمِينِه ... ويالَيْتَ ذاكَ العيدَ يَبْسُطُ أَعْذارى[١]

ويَحْمِلُ عنّى للعَزيزِ تَحِيّةً ... ويَذْكُرُ شيئًا من حَديثى وأَخْبارى

(لآل علىٍّ) رينةُ المُلْكِ وُجْهَتِى ... وإنْ قيل شيعىٌّ فقد نِلْتُ أَوْطارى[٢]

أحِنُّ لذِكْراهُمْ وأَشْدُو بمَدْحِهِمْ ... كأنّى بجَوْفِ اللّيلِ هاتِفُ أسْحار[٣]

وأُنْشِدُ أَشْعارى وإنْ قال حاسدى ... نَعَمْ شاعرٌ لكنّه غيرُ مِكْثارِ

فَحَسْبِى من الأشعار بيْتٌ أَزِينُه ... بذِكْرِكَ يا (عَبّاسُ) فى رفْعِ مقْدارى

كذا فَلْيَكُنْ مَدْحُ المُلوكِ وهٰكذا ... يَسُوسُ القَوافِى شاعرٌ غيرُ ثَرْثارِ[٤]

ويَسْلُبُ أَصدافَ البِحار بَناتِها ... بنَفْثَةِ سِحْرٍ أو بخَطْرةِ أفْكارِ[٥]

مَعانٍ وأَلفاظٌ كما شاءَ (أَحْمَدٌ) ... طَوَتْ جَزْلَ (بَشّارٍ) ورِقَّةَ مِهْيار[٦]

إذا نَظَرت فيها العُيونُ حَسِبْتَها ... لحُسْنِ انسجامِ القَولِ كالجَدْوَلِ الجارى[٧]

أَمَوْلاىَ هٰذا العيدُ وافاكَ فاحْبُه ... بحُلَّةِ إقْبالٍ ويُمْنٍ وإيثارِ[٨]

ويَمُنْهُ وانْثُرْ من سُعُودِكَ فَوقَه ... وتَوِّجْهُ بالبُشْرَى ومُرْهُ بإسْفار[٩]

---

(١) يشير بالشطر الثانى إلى أنه لم يستطع الوصول إلى حضرته فيحظى بلثم يمينه الذى قد أباحه العيد، فهو يعتذر من تقصيره .

(٢) آل على، أى آل محمد على جد الأسرة المالكة . والوجهة : القصد . والشيعى، نسبة إلى الشيعة، وهم من يتولون على بن أبى طالب وأهل بيته . وقد ورى فى هذا البيت بعلى وشيعته عن محمد على وأشياعه . والأوطار : الحاجات .

(٣) أشدو : أترنم . وهاتف الأسحار : الطائر المغرد فى السحر .

(٤) يسوس القوافى : يروضها ويذللها . والثرثار : المتشدق الذى يكثر الكلام تكلفا .

(٥) بنات الأصداف : اللآلئ التى تكون فيها . والنفث : النفخ، وأضافه إلى السحر، لأن الساحر ينفث فى العقد .

(٦) الظاهر أنه يريد "بأحمد" : أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبى . ويقول إن لشعره من الجزالة والرقة ما يفوق جزالة بشار ورقة مهيار .

(٧) الجدول : النهر الصغير .

(٨) حباه يحبوه : أعطاه بلا جزاء ولا من . وآثره إيثارا : خصه بالإكرام .

(٩) يمنه، أى أفض عليه من اليمن، وهو البركة . والذى فى القاموس وشرحه : "يمن عليه" بتعدية هذا الفعل بالحرف . والاسفار : الاضاءة والاشراق .

فلا زالت الأعيادُ تَبْغِي سُعودَها ... لَدَى مَلِكٍ يَسْرِى على عَدْلِه السَّارِى (١)
ولا زِلْتَ فى دَسْت الجَلالِ مُؤَيَّداً ... ولا زالَ هٰذا المُلْكُ فى هٰذه الدَّارِ (٢)

* * *

وقال أيضا يمدحه ويهنئه بعيد جلوسه فى ٨ يناير سنة ١٩٠١ م

ماذا ٱدَّخَرْتَ لِهٰذا ٱلعِيد من أَدَبِ ... فقد عَهِدْتُكَ رَبَّ السَّبْقِ وٱلغَلَبِ (٣)
تَشْدُو وتُرْهِفُ بالأَشعارِ مُرْتَجِلاً ... وتُبرِزُ ٱلقَوْلَ بين السِّحْرِ وٱلعَجَبِ (٤)
وتَصْقُلُ ٱللَّفْظَ فى عَيْنِى فأَحْسَبُنِى ... أَرَى فِرِنْدَ سُيوفِ ٱلهِنْدِ فى الكُتُبِ (٥)
هٰـذا هو العيدُ قد لاحَتْ مَطالِعُه ... وكانَـا بين مُشْـتاقٍ ومُرْتَقِبِ
فادْعُ البَيانَ ليومٍ لا تُطـاوِلُه ... يَدُ البَلاغة فى الأشعارِ والخُطَبِ (٦)
إِنِّى دَعَوْتُ ٱلقَوافِىَ حِينَ أَشْرَقَ لى ... عِيدُ الأَمـيرِ فلَبَّتْ غُرَّةَ الطَّلَبِ (٧)
وأَقْبَلَتْ كأَيادِيه إذا ٱنسَجَمَتْ ... على ٱلوَرَى وغَدَتْ مِنِّى على كَثَبِ (٨)
فقُمْتُ أَخْتـارُ منهـا كُلَّ كاسِيَةٍ ... تاهَتْ بِنَضْرَتِها فى ثَوْبِها ٱلقَشِبِ (٩)
وحارَ فيه بَيـانى حينَ صِحْتُ به ... بالعِزِّ يَبْـدَأُ أَمْ بٱلمَجْـدِ وٱلحَسَبِ؟
يا مَنْ تَنافَسُ فى أوصافه كَلِمِى ... تَنافُسَ العَرَبِ الأَمْجادِ فى ٱلنَّسَبِ (١٠)

---

(١) يسرى على عدله السارى : أى أن عدله قد ظهر واشتهر حتى صار منارا يهتدى به .

(٢) الدست : صدر المجلس ، فارسىّ معرب . (٣) فى هذا البيت وما بعده يوجه الشاعر الخطاب إلى نفسه .

(٤) تشدو : تترنم . وأرهف بالشعر : قاله على البديهة ولم يهيئه قبـل إنشاده .

(٥) تصقل اللفظ : تجلوه وتكسبه رونقا وطلاوة . وفرند السيف : ماؤه الذى يجرى فيه ، معرب . يشـبه الشعر فى بهجته وبهائه بالسيف فى لمعانه ورونقه . (٦) لا تطاوله : لا تبلغ مدى وصفه .

(٧) غرة الطلب : أوّله : يريد أن الشعر أجابه أوّل ما طلبه ولم يحوجه إلى تكرار الطلب .

(٨) الأيادى : المنن . وانسجمت : توالت وتتابعت . والكثب : القرب .

(٩) الكاسية : ذات الكسوة ، ويريد بهـا الألفاظ فى ثوب من الجمـال . والنضرة : الحسن . والقشب : الجديد .

(١٠) تنافس : تتنافس وتتبارى .

لَمْ يُبْقِ (أحمدُ) مِن قولٍ أحاوِلُه ... فى مَدْحِ ذاتِك فاعذُرْنى ولا تَعَبُ[1]

فلستُ مِمّن سَمَتْ بالشِّعْرِ هِمَّتُهُم ... إلى الملوكِ ولا ذاكَ الفتى العربى

لكنّ عيدَكَ يا (عبّاسُ) أنطقَنى ... كالبَدْرِ أطلَقَ صوتَ البُلْبُلِ الطَّرِبِ[2]

عيدَ الجلوسِ ، لقد ذكَّرتَ أمّتَه ... يوماً تأبَّهَ فى الأيّامِ والحِقَبِ[3]

اليُمْنُ أوّلُه والسَّعْدُ آخِرُه ... وبين ذلك صَفْوُ العَيْشِ لم يُشَبِ[4]

فالعرشُ فى فَرَحٍ ، والمُلْكُ فى مَرَحٍ ... والخَلْقُ فى مَنَحٍ ، والدَّهْرُ فى رَهَبِ[5]

والمَلْكُ فوق سريرِ المُلْكِ تَحرُسُه ... عينُ الإلهِ وتَرعَى أعيُنُ الشُّهُبِ[6]

الحِلْمُ حِلْيَتُهُ ، والعَدْلُ قِبْلَتُهُ ، ... والسَّعْدُ لَمْحَتُهُ كَشّافَةُ الكُرَبِ[7]

مشيئةُ اللهِ فى (العبّاسِ) قد سَبَقَتْ ... إلى الجُدودِ ومَن يأتى على العَقِبِ[8]

فهو ابنُ أكرمِ مَن سادُوا ومَن مَلَكُوا ... وهو الأبُ المُقتَدَى للسّادةِ النُّجُبِ

يامَن توَهَّمَ أنّ الشِّعْرَ أعذَبُه ... فى الذَّوْقِ أكذَبُه ، أزرَيْتَ بالأدبِ[9]

عَذْبُ القَريضِ قَريضٌ باتَ يَعصِمُه ... ذِكْرُ (ابنِ توفيقَ) عن لَغْوٍ وعن كَذِبِ[10]

---

(١) يريد "بأحمد" : (أحمد شوقى بك) ، وكان "شاعر الأمير" إذ ذاك . ولقب بهذا اللقب ، وقال مفتخرا به :

شاعر الأمير وما ... بالقليل ذا اللقب

(٢) يشير بالشطر الثانى من هـذا البيت إلى ما يقال من أن البلبل أكثر ما ينطلق صوته بالغناء فى الليالى المقمرة . وقد شبه الشاعر عيد الجلوس فى إطلاقه ألسنة الشعراء بالثناء ، بالبدر فى إطلاقه أصوات البلابل بالغناء .

(٣) تأبه : من الأبهة ، وهى العظمة والبهجة . ويريد بهذا اليوم يوم تولية الخديو عباس الثانى ، وهو اليوم الثامن من شهر يناير سنة ١٨٩٢ م ، الموافق اليوم الثامن من جمادى الآخرة سنة ١٣٠٩ هـ . والحقب : السنون ، جمع حقبة (بالكسر) . (٤) لم يشب : لم يمزج بما يكدره . (٥) المرح : شدة الفرح . والرهب : الخوف .

(٦) الملك (بسكون اللام) : لغة فى الملك (بكسرها) . وترعى أعين الشهب : أى تحرسه الكواكب .

(٧) اللمحة : واحدة الملامح ، وهـذا من النوادر . يريد أن السعد يبدو فى طلعته وملامح وجهه . ويصح أن يراد "باللمحة" : النظرة ، أى أنه يسعد من يلمحه . (٨) يريد أن الله تولى أسرة العباس بالرعاية فى الآباء والأبناء .

(٩) أزرى بالأدب : تهاون به . يفند فى هذا البيت العبارة المأثورة : "أعذب الشعر أكذبه" .

(١٠) توفيق : هو محمد توفيق باشا ، بكر أنجال إسماعيل باشا ، تولى خديوية مصر سنة ١٨٧٩ م . وتوفى سنة ١٨٩٢ م . فخلفه ابنه عباس .

تهنئة الأمير محمد عبد المنعم

وكان وليا لعهد أبيه الخديو عباس ، قالها فى ذكرى مولده لأول العام الثالث من عمره

[نشرت فى ٣٠ يناير سنة ١٩٠١ م]

فى عيد مَوْلانَا الصَّغيـ ـر وعيد مَوْلانَا الكَبِير
إشْراقُ عِيد الفِطْرِ والـ أَضْحَى على عَرْشِ الأَمِير[١]

تهنئة السلطان عبد الحميد[٢] بعيد جلوسه

[نشرت فى ٢ سبتمبر سنة ١٩٠١ م]

لَمَحْتُ جَلالَ العِيدِ والقَوْمُ هُيَّبٌ فعلَّمنى آىَ العُلاَ كَيفَ تُكْتَبُ
ومَثَّلَ لى عَرْشَ الخِلافَةِ خاطرى فَأَرْهَبَ قَلْبِى ، وَالجَلالَةُ تُرْهِبُ
سَلُوا الفَلَكَ الدَّوّارَ هل لاحَ كَوْكَبٌ على مِثْلِ هَذا العَرْشِ أو راحَ كَوْكَبُ؟
وَهَلْ أشْرَقَتْ شَمْسٌ على مِثْلِ ساحَةٍ إلى ذٰلك البَيْت (الحَمِيدِىّ) تُنْسَبُ ؟[٣]
وَهَلْ قَرَّ فى بُرْجِ السُّعُود مُتَوَّجٌ كما قَرَّ فى (يَلْدِيزَ) ذاكَ المُعَصَّبُ ؟[٤]
تَجَلَّى على عَرْشِ الجَلالِ وتاجُه يَهِشُّ وأعْوادُ السَّرِيرِ تُرَحِّبُ[٥]

(١) شبه العيدين السابقين فى البيت الأول ، بعيد الفطر وعيد الأضحى ، لما اشتهر من وصف الأول بالصغير والثانى بالكبير.

(٢) ولد السلطان عبد الحميد فى ٢١ سبتمبر سنة ١٨٤٢م . وولى الملك فى أغسطس سنة ١٨٧٦م . وخلع فى ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٩ م . وتوفى فى ١٠ فبراير سنة ١٩١٨ م .

(٣) الحميدى : نسبة إلى السلطان عبد الحميد .

(٤) يلديز : كان قصر الخلافة بالآستانة . والمعصب : المتوج ، وذلك لأن التاج يحيط بالرأس كالعصابة ، قال عمرو بن كلثوم :

بكل معصب من آل سعد بتاج الملك يحمى المحجرينا

(٥) تجلى : ظهر . ويهش : يرتاح .

سَمَا فَوْقَهُ والشَّرْقُ جَذْلانُ شَيِّقٌ ... لِطَلْعَتِه والغَرْبُ خَذْلانُ يَرْقُبُ (١)

فقامَ بأَمْرِ اللهِ حتّى تَرَعْرَعَتْ ... به دَوْحَةُ الإسْلامِ والشِّرْكُ مُجْدِبُ (٢)

وقَرَّبَ بَيْنَ المَسْجِدَيْنِ تَقَرُّباً ... إلى المَلِكِ الأَعْلَى فنِعْمَ المُقَرِّبُ (٣)

وكم حاوَلُوا فى الأَرْضِ إطْفاءَ نُورِه ... وإطْفاءُ نُورِ الشَّمْسِ مِنْ ذاكَ أَقْرَبُ

فَرَاعَهُمُ منه بجَيْشٍ مُدَجَّجٍ ... له فى سَبِيلِ اللهِ والحَقِّ مَذْهَبُ (٤)

يُدانِي شُخُوصَ المَوْتِ حتّى كأنّما ... له بَيْنَ أظْفارِ المَنِيّةِ مَطْلَبُ

إذا ثارَ فى يَوْمِ الوَغَى مالَ مَنْكِبٌ ... من الأرْضِ والأطْوادِ وانْهالَ مَنْكِبُ (٥)

له مِنْ رُءُوسِ الشُّمِّ فى البَرِّ مَرْكَبٌ ... ومِنْ ثائِرِ الأمْواجِ فى البَحْرِ مَرْكَبُ (٦)

فِدًى لك يا (عَبْدَ الحَمِيد) عِصابَةٌ ... عَصَتْ أمْرَ بارِيها وحِزْبٌ مُذَبْذَبُ (٧)

مَلَكْتَ عليهم كلَّ فَجٍّ ولُجَّةٍ ... فلَيس لَهم فى البَرِّ والبَحْرِ مَهْرَبُ

تَقاذَفُهُمْ أيْدى اللَيالى كأنّهمْ ... بها مَثَلٌ للنّاسِ فى القَوْمِ يُضْرَبُ (٨)

---

(١) جذلان : من الجذل (بالتحريك) ، وهو الفرح . والشيق : المشتاق . ويريد بالخذلان : المخذول . ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى فيما راجعناه من مدونات اللغة ، وإنما ذكرها الشاعر موافقة لقوله فى الشطر الأول : " جذلان " .

(٢) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل .

(٣) يريد " بالمسجدين " (هنا) : بيت المقدس ومسجد المدينة ، ويشير بذلك إلى الخط الحديدى الحجازى من دمشق إلى المدينة ، وقد بدئ العمل فيه فى مايو سنة ١٩٠٠ م . واحتفل بالفراغ منه وافتتاحه سنة ١٩٠٨ م .

(٤) راعهم : أفزعهم . والمدجج : المسلح .

(٥) الوغى : الحرب لما فيها من الأصوات والجلبة . ومنكب من الأرض : أى ناحية منها . والأطواد : الجبال العظيمة ، الواحد طود (بفتح الطاء) . والمعنى أن الأرض تميد بهذا الجيش لكثرته وعدته .

(٦) الشم : الجبال العالية ، واحداها : أشم .

(٧) يشير إلى حزب تركيا الفتاة الذى كان يعارض السلطان عبدالحميد فى سياسته .

(٨) تقاذفهم ، أى تتقاذفهم . وقد شبههم فى تشريدهم فى البلاد بالأمثال السائرة بين الناس من لسان إلى لسان .

وكَمْ سَــــألوها لَثْمَ أذْيالكَ الّتى لها فوْقَ أجْرامِ السّمٰواتِ مَسْحَبُ[1]
فما بَلَغُوا سُــؤْلًا ولا بلغوا مُنًى كذلكَ يَشْقَى الخائنُ المُتقلّبُ
فيا صاحبَ العِيدَيْنِ لا زلْتَ سالمًا تُهنّيكَ بالعيــدَيْنِ شَرْقٌ ومَغْربُ[2]
فَفِى كلّ رَوْضٍ منْكَ طيبٌ ونَضْرَةٌ وفى كلّ أرْضٍ منكَ عيدٌ ومَوْكِبُ
أرَى مصْرَ والأنوارَ : منها مُوَرّدٌ ، ومنها لُجَيْنِيٌّ ، ومنها مُذَهّبُ[3]
وأشْكالُها شــتّى فهــذا مُنظّمٌ وذلك مَنْثُــورٌ وذاكَ مُقبّبُ[4]
وبعضٌ تَجَــلّى فى مصابيحَ زَيْتُها يُضىءُ ولا نارٌ وبعضٌ مُكهْرَبُ[5]
وأنْظُرُ فى بُسْــتانها النّجْمَ مُشْرِقًا فهل أنتَ يا بُسْــتانُ أفْقٌ مُكَوْكَبُ[6]
وأسْمعُ فى الدّنيــا دُعاءً بنَصْرِه يردّده البَيْتُ العَتيــقُ ويَثْرِبُ[7]

تهنئة جلالة ادوارد السابع بتتويجه[8]

[نشرت فى ٩ أغسطس سنة ١٩٠٢م]

لَمَحْتُ منْ مِصْرَ ذاكَ التــاجَ والقَمَرَا فَقُلْتُ للشّعْرِ هٰذا يَوْمُ مَنْ شَعَرَا[9]
يا دَوْلَةً فوقَ أعْلامٍ لهــا أسَــدٌ تَخْشَى بَوادِرَه الدّنيــا إذا زَأرا[10]

(١) سألوها : أى سألو الليالى . وأجرام السموات : أفلاكها . والمسحب : المكان الذى تنسحب عليه الأذيال .
(٢) يريد " بالعيدين " : عيد جلوس السلطان وعيد تأسيس الدولة العثمانية .
(٣) اللجينى : نسبة إلى اللجين ، وهو الفضة . (٤) المقبب : المصنوع على أشكال القباب .
(٥) يريد بقوله : " يضيء ولا نار " : أن هذا الزيت صاف براق . (٦) المكوكب : ذو الكواكب
(٧) البيت العتيق : الكعبة . ويثرب : اسم قديم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .
(٨) ولد ادوارد السابع فى سنة ١٨٤١م . وولى الملك فى يناير سنة ١٩٠١م . وتوفى فى سنة ١٩١٠م .
(٩) يريد " بالقمر " : صاحب التاج . وشعر : أى قال الشعر .
(١٠) الأسد : شعار الدولة الانجليزية ، كما يجعل النسر شعار الدولة الألمانية ، والهلال شعار الدولة العثمانية ، وغير ذلك . والبوادر : جمع بادرة ، وهى ما يبدر من الشر ، أى يسبق منه عند الحدة والغضب .

بالأمسِ كانتْ عليكِ الشمسُ ضاحيةً ... واليومَ فوقَ ذُراكِ البدرُ قد سَفَرا[١]

يَؤولُ عرشُكِ من شمسٍ إلى قمرٍ ... إنْ غابتِ الشمسُ أَوْلَتْ تاجَها القَمَرا[٢]

مَنْ ذا يُناوِيكِ والأقدارُ جاريةٌ ... بما تَشائينَ ، والدُّنيا لِمَنْ قَهَرا[٣]

اذا ابْتَسَمْتِ لنا فالدَّهرُ مُبتَسِمٌ ... وإنْ كَشَرْتِ لنا عن نابِهِ كَشَرا[٤]

لاتَعجَبَنَّ لِمُلْكٍ عَزَّ جانبُهُ ... لولا التَّعاوُنُ لَمْ تَنْظُرْ له أثَرا

ما ثَلَّ رَبُّكَ عَرْشًا باتَ يَحْرُسُهُ ... عَدْلٌ ، ولا مَدَّ في سُلْطانِ مَنْ غَدَرا[٥]

خَبَرْتُهُم فرأيتُ القَوْمَ قد سَهِروا ... على مَرافِقِهِمْ والمَلْكُ قد سَهِرا[٦]

تَشاوَرُوا في أُمورِ المُلْكِ مِنْ مَلِكٍ ... الى وَزيرٍ إلى مَن يَغْرِسُ الشَّجَرا[٧]

وكان فارِسُهم في الحَرْبِ صاعِقةً ... وذُو السِّياسَةِ منهم طائرًا حَذِرا

بالبَرِّ صافِنَةٌ ، داسَتْ سَنابِكُها ... مَناجِمَ التِّبْرِ لمّا عافَتِ المَدَرا[٨]

وفي البِحارِ أساطيلٌ إذا غَضِبَتْ ... تَرَى (البَراكِينَ) فيها تَقْذِفُ الشَّرَرا[٩]

---

(١) يريد "بالشمس" : الملكة فكتوريا ملكة الانجليز . والذرا ، جمع ذروة ، وهي ما ارتفع من المواضع . ويريد "بالبدر" : ابنها ادوارد السابع . وسفر : ظهر وانكشف .

(٢) أولت : أعطت . (٣) المناوأة : المعاداة والمعارضة .

(٤) كشر عن نابه : كشف عنه وأبداه ، وهو مستعمل هنا في معنى التنمر والغضب .

(٥) ثل الله عرشهم : أي هدم ملكهم وأذهب عزهم .

(٦) المرافق : المنافع والمصالح . والملك (بتسكين اللام) : لغة في الملك (بكسرها) .

(٧) من يغرس الشجر : أي الفلاح .

(٨) الصافنة : الخيل . والصافن منها : ما قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة ، وهو من الصفات المحمودة فيها . والسنابك : أطراف الحوافر ، الواحد : سنبك (بضم السين والباء) . والمدر : التراب المتلبد . يريد أن جيوشهم ملكت من الأرض أغناها وأكثرها ثروة حتى إن خيولهم يدوس ما تضمنت الأرض من ذهب ، لكثرة ما في أيديهم من الأماكن الغنية ، وكرهت أن تدوس التراب .

(٩) شبه سفنهم في الحرب (ببراكين) النار .

وَهُنَّ فى السِّلْمِ والأيّامِ باسِمَةٌ ... عَرائِسٌ ، يَكْتَسِينَ الدَّلَّ والخَفَرا(١)

حتّى إذا نَشِبَتْ حَرْبٌ رأيتَ بها ... أغوالَ قَفْرٍ ولكنْ تَنْهَشُ الحَجَرا(٢)

اليومَ يُشْرِقُ "إدْوارٌ" على أُمَمٍ ... كأنَّها البَحْرُ بالآذِىِّ قد زَخَرا(٣)

لو أمْطَرَ الغَيْثُ أرْضًا تَسْتَظِلُّ بِهِمْ ... عَدَتْ رُءوسُهمُ عن وَجْهِها المَطَرا(٤)

اليومَ يَلْثِمُ تاجُ العِزِّ مُحْتَشِمًا ... رَأْسًا يُدَبِّرُ مُلْكًا يَكْلأُ البَشَرا(٥)

يُصَرِّفُ الأمْرَ مِنْ مِصْرٍ إلى عَدَنٍ ... فالهِنْدِ فالكابِ حتّى يَعْبُرَ الجُزُرا(٦)

قد سالَمَتْهُ اللَّيالى حِينَ أعْجَزَها ... عَقْدٌ لِما حَلَّ أو تَقْويمُ ما أَطَرا(٧)

(إدْوارُ) دُمْتَ ودامَ المُلْكُ فى رَغَدٍ ... ودامَ جُنْدُكَ فى الآفاقِ مُنْتَصِرا

حَقَنْتَ بالصُّلْحِ والرَّأْىِ السَّديدِ دَمًا ... رَوَّى الشِّعابَ ورَوَّى الصارِمَ الذَّكَرا(٨)

هُمْ يَذْكُرونَكَ إنْ عَدُّوا عُدولَهُمُ ... ونَحْنُ نَذْكُرُ إنْ عَدُّوا لنا (عُمَرا)

كأنّما أنتَ تَجْرِى فى طَرِيقَتِهِ ... عَدْلًا وحِلْمًا وإيقاعًا بِمَنْ أشِرا(٩)

---

(١) الخفر (بالتحريك) : شدة الحياء . (٢) الأغوال : جمع غول ، شبه بها ما ترميه السفن من القذائف .

(٣) آذى البحر : موجه ، وجمعه : أواذى (بتشديد الياء) . شبه به الأمم التى تحت سلطان التاج البريطانى فى كثرتها .

(٤) "عدت رءوسهم" الخ : أى صرفت رءوسهم المطر عن وجه الأرض . يصفهم بكثرة العدد ، حتى إنهم لكثرتهم يحجبون وجه الأرض برءوسهم فلا يمسه المطر .

(٥) محتشما : أى مستحييا . ويكلأ : يحفظ ويحرس . (٦) يصرف الأمر : يدبره ويقلبه كما يشاء .

(٧) أطره : عوّجه وثناه . والمعنى أن الدهر قد صالحه وسالمه حين لم يقدر على مناوأته ومعارضته فيما أراد .

(٨) يقال : حقن فلان دم فلان ، إذا حل به القتل فأنقذه . ويريد "بالشعاب" : الطرق ، الواحد : شعب (بكسر الشين) ، وهو فى الأصل : الطريق فى الجبل . والصارم الذكر : السيف الذى شفرته من الحديد الذكر ، ومتنه من الحديد الأنيث . والحديد الذكر : هو أيبس الحديد وأجوده . ويشير بهذا البيت إلى الصلح فى الحرب التى كانت بين البوير والانجليز ، وقد ابتدأت فى سنة ١٨٩٩م . وانتهت فى سنة ١٩٠٢م . وهى السنة التى قال فيها الشاعر قصيدته فى تتويج إدوارد السابع .

(٩) أشر يأشر (من باب فرح يفرح) : بطر ، يريد العاصى المتمرد .

إلى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١)

[قالها فى سفرله إلى بعض بلاد الوجه البحرى وكان مصاحبا له فى هذا السفر]

صَدَفْتُ عن الأهواءِ، والحُرُّ يَصْدِفُ وأنصفتُ من نفسي، وذو اللُّبِّ يُنصِفُ (٢)

صَحِبْتُ الهُدَى عشرين يومًا وليلةً فقرَّ يقيني بعد ما كان يَرْجُفُ (٣)

فرُحْتُ وفى نفسي من اليأس صارمٌ وعدتُ وفى صدري من الحِلْمِ مُصْحَفُ

وكنتُ كما كان (ابنُ عمرانَ) ناشئًا وكانَ كَمَنْ فى (سورة الكهفِ) يُوصَفُ (٤)

كأنّ فؤادى إبرةٌ قد تمغطَستْ بحبِّك أنَّى حُرِّفَتْ عنك تَعْطِفُ (٥)

كأنّ يَراعِى فى مديحِك ساجدٌ مدامعُه من خشيةِ الله تَذْرِفُ (٦)

كأنّك والآمالُ حولَكَ حُوَّمٌ نميرٌ على عِطْفَيْه طَيرٌ تُرَفْرِفُ (٧)

وأزْهَرَ فى طِرْسِي يَراعِي وأنْمُلِي ولفظِي فباتَ الطِّرْسُ يُجْنَى ويُقْطَفُ (٨)

---

(١) أنظر التعريف بالأستاذ الإمام فى الحاشية رقم ٥ ص ٢ من هذا الجزء .

(٢) صدفت : أعرضت وصددت .

(٣) يرجف : يضطرب . ويشير بهذا البيت إلى قصة سمعناها منه وهى أن حافظا كان يظن بالأستاذ الإمام أنه شاك فى عقيدته الدينية غير قائم بالشعائر الإسلامية من صلاة وصوم ونحوهما فلما صحبه فى هذا السفر واتصل به تلك المدة المذكورة كان يراه فى الليل يكثر الصلاة والتضرع لله تعالى مبالغا فى كتمان ذلك عمن حوله ؛ فأحسن الشاعر اعتقاده بالأستاذ الإمام وأيقن أنه كان على خطأ فى ظنه الأول به ؛ ثم اهتدى بهديه و بدل شكه يقينا .

(٤) يشير إلى قصة نبى الله موسى الكليم مع الخضر عليهما السلام ، وإنكار موسى على الخضر فى الأسئلة ؛ وقد ذكر الله تعالى ذلك فى سورة الكهف .

(٥) تعطف : ترجع .

(٦) تذرف : تسيل .

(٧) الحوَّم من الطيور : التى تدور حول الماء . الواحد : حائم . والنمير : الماء الناجع فى الرى . والعطفان : الجانبان .

(٨) أزهر : أخرج الزهر . والطرس : الصحيفة التى يكتب فيها .

وجَمَّعَ مِنْ أنْوارِ مَدْحِكَ طاقَــةً يُطــالِعُها طَرْفُ الرَّبيــعِ فيُطْرَفُ(١)

تَهادَى بِهــا الأرْواحُ فى كُلِّ سُحْرَةٍ وتَمْشِى على وَجْهِ الرِّياضِ فتَعْـرُفُ(٢)

إمامَ الهُـدَى ! إنِّى أَرَى القَوْمَ أبْدَعوا لهم بِدَعًا عنهــا الشَّريعَــةُ تَعْزُفُ(٣)

رَأَوْا فى قُبُــورِ المَيِّتِين حَياتَهُــمْ فقــامُوا إلى تِلْكَ القُبــورِ وطَوَّفوا

وباتُوا عليهــا جاثِمِينَ كأنَّهُــمْ «على صَــنَمٍ للجاهلِيَّــةِ عُكَّفُ»(٤)

فَأَشْــرِقْ على تِلْكَ النُّفُــوسِ لَعَلَّها تَرِقُّ إذا أشْرَقْتَ فيهــا وتَلْطُفُ

فَأَنْتَ بِهِمْ كالشَّمْسِ بالبَحْرِ ، إنّهــا تَرُدُّ الأُجاجَ المِلْحَ عَذْبًا فيرْشَــفُ(٥)

كثيرُ الأيادى، حاضِرُ الصَّفْحِ مُنْصِفٌ كثيرُ الأعادِى ، غائبُ الحِقْدِ مُسْعِفُ(٦)

له كُلَّ يومٍ فى رِضَى اللهِ مَوْقِفٌ وفى ساحَةِ الإحْسانِ والبِرِّ مَوْقِفُ

---

(١) الأنوار : جمع نور (بفتح النون) ، وهو الزهر . والطاقة : الحزمة من الزهر . ويطالعها طرف الربيع : أى تنظر إليها عينه . فيطرف : أى يصاب بما يؤذيه ؛ يقال : طرف فلان عين فلان ، إذا أصابها بشىء فدمعت ؛ وقد طرفت عينه (مبنيا للمجهول) فهى مطروفة . يريد أن مدحه للأستاذ الإمام يفوق أزهار الربيع حسنا ، فإذا نظر إليه الربيع ارتد طرفه عنه حسيرا .

(٢) تهادى : أى تتهادى . والتهادى : المشى فى لين وتثن : ويجوز أن يكون التهادى (هنا) من الإهداء ، أى أن الرياح تحمل طيب هذه الطاقة فيهدى بعضها بعضا به . والسحرة : أول وقت السحر . وتعرف (بضم الراء) ، أى تصير ذات عرف (بفتح العين وسكون الراء) ، أى راحة طيبة ؛ أى أن الرياح تمر على الرياض حاملة طيب هذه الطاقة فتتعطر الرياض به .

(٣) أبدعو : أحدثوا . وتعزف (بضم الزاى وكسرها) : تنصرف وتعرض .

(٤) جاثمون : ملازمون لها لم يبرحوها ؛ وفعله من باب (نصر وضرب) . وقوله : « على صنم » الخ : عجز بيت من قصيدة للفرزدق ، وقبله :

لقد علم الجيران أن قدورنا جوامع للأرزاق والريح زفزف
ترى حولهن المقترين كأنهم على صنم ... ... الخ

والعكف : العاكفون ، من عكف على الشىء ، إذا لزمه وحبس نفسه عليه .

(٥) بهم : أى فيهم . ويشير إلى ما هو معروف من تبخر ماء البحر بحرارة الشمس وصيرورة هذا البخار سحابا ، ثم مطرا . والأجاج من الماء : الشديد الملوحة . ويرشف ، أى يشرب . وأصل الرشف : مص الماء بالشفتين .

(٦) الأيادى : النعم . وغائب الحقد : لا تحقد على أحد .

تحلى (جَمالُ الدينِ) فى نورِ وجهِهِ   وأشْرَقَ فى أَثْنَاءِ بُرْدَيْهِ (أَحنَفُ)

رَأَيْتُكَ فى الإفْتَاءِ لا تُغْضِبُ الحِجا   كأنَّكَ فى الإفتاءِ والعِلْمِ (يُوسُفُ)[2]

فأنتَ لها إنْ قام فى الشَّرقِ مُرْجِفٌ   وأنتَ لها إنْ قامَ فى الغَرْبِ مُرْجِفُ[3]

كَمُلْتَ كَمالًا لو تناوَلَ كُفْرَه   لأَصْبَحَ إيمانًا به يُتَحَنَّفُ[4]

*
* *

وقال يهنئه بعودته من سياحته فى بلاد الجزائر :

[نشرت فى ٦ أكتوبر ١٩٠٣ م]

بَكَرا صاحِبَيَّ يومَ الإيابِ   وقِفَا بِى (بعَيْنِ شَمْسٍ) قِفا بِى

إنني — والذى يرَى ما بِنَفْسِى —   لَمَشُوقٌ لِظِلِّ تلكَ الرِّحابِ[5]

يا أمينًا على الحَقِيقَةِ والإفْ   تاءِ والشَّرْعِ والهُدَى والكِتابِ

أنتَ نِعْمَ الإمامُ فى مَوْطِنِ الرَّأْ   يِ ، ونِعْمَ الإمامُ فى المِحْرابِ

(١) يشير إلى أستاذ الممدوح الشيخ جمال الدين الأفغانى العالم الفيلسوف المعروف ، ورد مصر فى زمن إسماعيل باشا ، وتلق عليه العلم أذكياء الطلاب بالأزهر ، ومنهم الأستاذ الممدوح ، فكانوا دعاة النهضة الحديثة وهداتها . ويريد بالأحنف : الأحنف بن قيس التميمى ، وكان من سادات التابعين ، مشهورا بالحلم ؛ وأسلم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه ؛ وشهد بعض الفتوحات ، وتوفى حوالى سنة سبع وستين .

(٢) الحجا : العقل . يريد أن الأستاذ الإمام وفق بين الدين والعقل فى فتاويه . ويوسف ، هو نبى الله يوسف الصديق عليه السلام ؛ ويشير إلى قوله تعالى فى سورة يوسف : (ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما) الآية .

(٣) لها : أى لملة الإسلام . والمرجف : الذى يخوض فى الأخبار السيئة على أن يوقع فى الناس الاضطراب من غير أن يصح عنده شىء منها .

(٤) يتحنف به يتعبد به : يشير إلى ما هو مأثور فى كلام الفرس من قولهم : كل شىء يتناوله العليل يتحول إلى علة ، وكذلك العكس ؛ فكل شىء يتناوله الصحيح يتحول إلى صحة ، والكامل لو تناول الكفر صار إيمانا . وكان الأستاذ الإمام كثيرا ما يردّد هذه العبارة . ويريد الشاعر أن كمال الأستاذ الإمام لو تناول كفر هذا المرجف لصيره إيمانا .

(٥) الذى يرى ما بنفسه هو الله تعالى .

خَشَعَ البَحْرُ إذْ رَكِبْتَ جَوارِيـ ـهِ خُشوعَ القُلُوبِ يومَ الحِسابِ[١]

وبدا ماؤُه كخـاطِرِكَ المَصْـ ـقُولِ ، أو كالفِرِنْدِ أو كالسَّرابِ[٢]

يَتَجَلَّى كأنّه صُحُفُ الأبْـ ـرارِ مَنْشُورةً بيَوْمِ المآبِ[٣]

عَلِمَتْ مَنْ تُقِلُّ فانبَعَثَتْ للْـ ـقَصْدِ مثْلَ انبِعاثِه للثَّوابِ[٤]

فهي تَسرِى كأنّها دَعْوَةُ المُضْـ ـطَرِّ في مَسْبَحِ الدُّعاءِ المُجابِ[٥]

وضِياءُ (الإمامِ) يُوضِحُ للرُّبّانِ سُبْلَ النَّجاةِ فَوْقَ العُبابِ[٦]

باتَ يُغْنِيه عن مُكافَحَةِ البَحْـ ـرِ ورُقْبَى النُّجومِ والأقْطابِ[٧]

وسَرَى البَرْقُ للجَزائِرِ بالبُشْـ ـرَى بقُرْبِ المُطَهَّرِ الأوّابِ[٨]

فَسَعَى أهْلُها إلى شاطِئِ البَحْـ ـرِ وفُودا بالبِشْرِ والتَّرْحابِ

أدْرَكُوا قَدْرَ ضَيْفِهِم ، فأقامُوا يَرْقُبونَ (الإمامَ) فَوْقَ السَّحابِ[٩]

ليتَ مِصْرًا كَغَيْرِها تَعْرِفُ الفَضْـ ـلَ لِذِى الفَضْلِ مِنْ ذَوِى الألْبابِ

إنّها لو دَرَتْ مكانَكَ في المَجْـ ـدِ ومَرْماكَ في صُدُورِ الصِّعابِ

وتَفانِيكَ في سَبيلِ (أبي حَفْـ ـصٍ) ومَسْعاكَ عند دَفْعِ المُصابِ[١٠]

---

(١) الجوارى : السفن .

(٢) المصقول : المجلوّ . وفرند السيف : ماؤه الذى يترقرق فيه ؛ وهو فارسى معرب . والسراب : ما يرى على البعد فى نهاية الأفق كأنه الماء وليس به . شبه الشاعر به ماء البحر فى الصفاء .

(٣) المآب : المرجع . ويوم المآب : أى يوم القيامة . شبه ماء البحر بصحف الأبرار فى النصوع والنقاء .

(٤) علمت : أى السفينة . وتقل : تحمل . (٥) مسبح الدعاء : أى طريقه .

(٦) عباب البحر : موجه (٧) الرقبى : المراقبة . (٨) الأوّاب : الكثير الرجوع إلى الله .

(٩) يشير بهذا الكلام إلى ما ذهب إليه بعض الشيعة من أن محمد بن الحنفية سيرجع إليهم فى ظلل من الغمام ؛ فشبه الأستاذ الإمام به .

(١٠) «وتفانيك فى سبيل أبى حفص» ، أى استماتتك فى نصرة الحق ، وهو سبيل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

لأَظَلَّتْكَ بالقُلُوب من الشَّمْـ ـس ووارتْ عُداكَ تحتَ التُّراب
أنتَ علَّمتَنا الرُّجوعَ إلى الحَـ ـقِّ وردَّ الأُمورِ للأسْباب
ثم أشرقْتَ فى (المَنار) علَيْنا بيْنَ نورِ الهُدى ونُورِ الصَّواب[1]
فقرأْنا على ضِيائِكَ فيـه كلِماتِ المُهَيْمِنِ الوَهّاب[2]
وسَكنّا إلى الّذى أنْزلَ اللّـ ـهُ وكُنّا من قبْلِه فى ارْتِياب[3]
أيُّهذا الإمامُ أكثرتَ حُسّا دى فباتَتْ نفُوسُهُمْ فى الْتِهاب
أبْصرُوا موْقِفِى فعزَّ عليهِمْ منكَ قُرْبِى ومِنْ عُلاكَ انْتِسابِى
أجْمعُوا أمْرَهُمْ عِشاءً وباتُوا يُسْمِعُون الوَرَى طَنِينَ الذُّباب[4]
ونَسُوا رَبَّهُمْ ، وقالوا ضَمِنّا بُعْدَه ، عن رِحابِ ذاكَ الجَناب[5]
قُلْ لجَمْعِ المُنافِقينَ ومنْهُمْ خُصَّ بالقَوْلِ عَبْدَ أُمِّ الحَباب[6]
عَبْـدَ تلكَ التى يُحرِّمُها اللّـ ـهُ إزاءَ الأزْلامِ والأنْصاب[7]

---

(١) يريد (مجلة المنار) المعروفة ، التى كان يحررها المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا تلميذ الأستاذ الإمام ، وقد أنشئت هذه المجلة فى سنة ١٣١٥ هـ (سنة ١٨٩٨ م) .

(٢) يشير بذلك إلى ما كان ينشر فى (مجلة المنار) من تفسير الأستاذ الإمام لبعض آيات القرآن الكريم .

(٣) سكن إلى الأمر : اطمأن إليه ووثق به .

(٤) أجمعوا أمرهم عشاء : أى بيتوا النية عن الكيد لى والوشاية بى .

(٥) يريد جناب الأستاذ الإمام .

(٦) أم الحباب : كناية عن الخمر . والحباب : الفقاقيع التى تعلو الشراب فى الكأس . ويريد « بعبد أم الحباب » : أحد الساعين فى التفريق بينه وبين الأستاذ الإمام ، وكان مدمنا للخمر .

(٧) إزاء الأزلام : أى معها . والأزلام : سهام الميسر ، الواحد زلم (بالتحريك) . والأنصاب : ما ينصب من الأوثان ليعبد من دون الله ، الواحد نصب (وزان عنق وقفل) . ويشير بهذا إلى قوله تعالى : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام) الآية .

إنّ نَفْسَ الإمامِ فوقَ مُناهُـمْ ... ما تَمَنَّوْا وإنّنى غيرُ صابى[1]

شابَ فيهِمْ وَلاؤُهُمْ حينَ شابُوا ... وَوَلائِى فى عُنْفُوانِ الشَّبابِ

* * *

وقال فيه عند عودته من بعض أسفاره :

لو يَنْظُمونَ اللآلِى مِثْلَ ما نُظِمَتْ ... مُذْ غِبْتَ عنّا عُيونُ الفَضْلِ والأَدَبِ[2]

لأَقْفَرَ الجِيدُ مِنْ دُرٍّ يُحِيطُ به ... والثَّغْرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ والكأْسُ مِنْ حَبَبِ[3]

* * *

وقال مدافعا عنه أيضا ضدّ من حمل عليه من أعدائه فى الصحف ورسموا له صورا تزرى بقدره :

إنْ صوّرُوكَ فإنّما قد صَوَّرُوا ... تاجَ الفَخارِ ومَطْلَعَ الأَنْوارِ

أو نَقَّصُوكَ فإنّما قد نَقَّصُوا ... دِينَ النَّبِىِّ محمّدِ المُخْتارِ

سَخِرُوا مِنَ الفَضْلِ الّذى أُوتِيتَه ... واللّهُ يَسْخَرُ مِنْهُمُ فى النّارِ

لا تَجْزَعَنَّ فَلَسْتَ أَوّلَ ماجِدٍ ... كَذَبَتْ عليه صَحائِفُ الفُجّارِ

---

(١) صابى ، أى صابئ (بالهمز) ، وهو الخارج من دين إلى دين ؛ واستعمله هنا فى المتحوّل عن مودته .

(٢) يريد «بعيون الفضل والأدب» : ما كان يحبره الأستاذ الإمام فى غيبته من مقالات وخطب .

(٣) الجيد : العنق . وحبب الكأس : الفقاقيع التى تعلو سطح الشراب . والمراد بهذا البيت والذى قبله أن الناس لو أرادوا أن ينظموا مثل ما نظمت فى خطبك ورسائلك لم يجدوا غير در النحور ولآلئ الثغور وحبب الكؤوس شبيها بما قلت ، ولاستنفد نظمهم كل ذلك .

رَسَمُوا بِذاتِكَ للنَّواظِرِ جَنَّةً مَحْفُوفَةً بِمَكارِه الأَشْعارِ(١)
وتَقَوَّلوا عنكَ القَبيحَ وهٰكَذا يُمْنَى الكَريمُ بِغارَةِ الأَشْرارِ(٢)
لَنْ يَحْجُبوكَ عن الوَرَى أو يَحْجُبوا فَلَقَ الصَّباحِ ومَشْرِقَ الأَقْمارِ(٣)
أو يَبْلُغوا عَلْياكَ حتّى يَبْلُغوا بَيْنَ الزَّواهِرِ صُورَةَ الجَبّارِ(٤)
ما أَنْتَ ذَيّاكَ البَغيضُ فتَنْثَني مُتَسَرْبِلًا بالعارِ فَوْقَ العارِ(٥)
لَعِبُوا به فى صُورَةٍ قد أَسْفَرَتْ عَنْ عَزْلِه فأَقامَ حِلْسَ الدّارِ(٦)

تهنئة الخديو عباس الثانى بعيد الأضحى سنة ١٣٢١ هـ

[نشرت فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٠٤]

طُفْ بالأَرِيكَةِ ذاتِ العِزِّ والشّانِ واقْضِ المَناسِكَ عَنْ قاصٍ وعَنْ دانِى(٧)
يا عِيدُ لَيتَ الّذى أَوْلاكَ نِعْمَتَه بِقُرْبِ صاحِبِ مِصْرٍ كانَ أَوْلانى(٨)

(١) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « حفت الجنة بالمكاره » . شبه صورة الإمام فى صحف أعدائه وما كتبوه حولها من مستكره الهجو بالجنة التى حفت بالمكاره .

(٢) يقال : تقوّل عليه الخبر ، إذا افتراه . ويمنى : يبتلى ويصاب .

(٣) أو يحجبوا ، أى حتى يحجبوا . وفلق الصباح : ضوءه أوّل ما يبدو .

(٤) الزواهر : النجوم . والجبار اسم الجوزاء ؛ يقال : « طلع الجبار » وذلك لأنها على صورة ملك متوج على كرسى .

(٥) المتسربل : اللابس .

(٦) حلس الدار : الذى يلزمها ولا يبرحها . ويشير إلى أنهم كانوا قد رسموه على صورة تشعر أنه قد عزل من منصب الإفتاء وأقام فى داره . واستعماله « أسفرت » بمعنى « سفرت » ، أى كشفت وأظهرت ، لم يرد فى كتب اللغة التى بين أيدينا ؛ وهو استعمال شائع بين كتاب العصر . والذى فى كتب اللغة أن «أسفر» بمعنى أضاء وأشرق ؛ وليس مرادا هنا .

(٧) الأريكة : سرير الملك . وقد شبه فى هذا البيت ما يؤديه المخلصون للخديو من شعائر الولاء بالذين يؤدون مناسك الحج ومناسك الحج : أموره وشؤونه ، أو المواضع التى تذبح فيها ذبائحه .

(٨) مولاك : أعطاك .

صُغْتَ القَرِيضَ فما غادَرْتُ لُؤْلُؤَةً ... فى تاجِ (كِسْرَى) ولا فى عِقْدِ (بُوران) [١]

أَغْرَيْتَ بالغَوْصِ أَقْلامِى فما تَرَكَتْ ... فى لُجَّةِ البَحْرِ مِنْ دُرٍّ ومَرْجانِ [٢]

شَكَا (عُمانُ) وضَجَّ الغائصُونَ به ... على اللآلى وضَجَّ الحاسِدُ الشّانى [٣]

كم رامَ شَأْوِى فَلَمْ يُدْرِكْ سِوَى صَدَفٍ ... سامَحْتُ فيه لِنَظّامٍ ووَزّانِ [٤]

عابُوا سُكُوتِى ولَوْلاهُ لما نَطَقُوا ... ولا جَرَتْ خَيْلُهُمْ شَوْطًا بِمَيْدانِ

واليومَ أُنْشِدُهُمْ شِعْرًا يُعِيدُ لهم ... عَهْدَ (النُّواسِىِّ) أو أَيّامَ (حَسّانِ) [٥]

أَزُفُّ فيه إلى (العَبّاسِ) غانِيَةً ... عَفِيفَةَ الخِدْرِ مِنْ آياتِ عَدْنانِ [٦]

مِنَ الأَوانِسِ حَلّاها يَراعُ فَتًى ... صافِى القَرِيحَةِ صاحٍ غيرِ نَشْوانِ

ما ضاقَ أَصْغَرُهُ عَنْ مَدْحِ سَيِّدِه ... ولا اسْتَعانَ بِمَدْحِ الرّاحِ والبانِ [٧]

ولا اسْتَهَلَّ بِذِكْرِ الغِيدِ مِدْحَتَه ... فى مَوْطِنٍ بِجَلالِ المُلْكِ رَيّانِ [٨]

---

(١) كسرى : لقب ملك الفرس . وبوران : هى بوران دخت بنت كسرى ؛ أو هى بوران بنت الحسن بن سهل . شبه شعره باللآلئ التى فى هذا التاج وذاك العقد .

(٢) أغراه به : حضه عليه .

(٣) عمان : كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند يجلب منها اللؤلؤ . يقول : إن مغاص اللؤلؤ بهذا الموضع ومن يغوصون به قد شكوا وتغيظوا من كثرة ما أناله من اللآلئ الغالية التى أرصع بها شعرى وأحول بينهم وبينها ؛ وهى مبالغة فى تشبيه شعره بالنفاسة . والشانئ بالهمز (وسهل للشعر) : المبغض السيئ الخلق .

(٤) الشأو : الغاية . ويريد « بالنظام والوزان » : الذين يقولون الشعر خاليا من المعانى ذات القيمة .

(٥) يريد « بالنواسى » : أبا نواس الشاعر المعروف . وحسان : هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصارى شاعر النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وكانت وفاته سنة أربع وخمسين هجرية .

(٦) شبه قصيدته فى حسنها وجمالها بالغانية ، وهى الفتاة التى غنيت بجمالها عن الحلى . ويريد بقوله : « عفيفة الخدر » : اختصاص مدحته بالخديو وتشبيها لها بالغانية التى لم يطرق خدرها غير حليلها . « ومن آيات عدنان » ، أى أنها عربية صميمة .

(٧) أصغره : أى لسانه . والراح : الخمر . ويريد بقوله : « ولا استعان » الخ . أنه لم يجر على طريقة الشعراء فى ابتداء قصائد المدح بوصف الخمر وما إليها .

(٨) استهل : ابتدأ . والغيد من النساء : النواعم اللينات منهن ، الواحدة غادة .

أَغْلَيْتَ بالعَدْلِ مُلْكًا أنتَ حارِسُه ... فأصبحَتْ أرضُــه تُشْرَى بميزان

جَرَى بها الخِصْبُ حتّى أنبتَتْ ذَهبًا ... فلَيْتَ لى فى ثَراها نصفَ فَدّان

نَظَرْتَ للنّيـلِ فاهتَزّتْ جَوانِبُــه ... وفاضَ بالخَــيرِ فى سَهْلٍ ووِدْيان

يَجْـرِى على قَدَرٍ فى كلّ مُنْحَدَرٍ ... لَم يَجْفُ أرضًا ولَم يَعْمِدْ لطُغْيان[1]

كــأنّه ورجالُ الرّىّ تَحْرُسُـــه ... مُمَلَّكٌ ســارَ فى جُنْـدٍ وأعْوان

قد كان يَشْكُو ضَياعًا مُذْ جَرَى طُلُقًا ... حتّى أقَمْتَ له خَزّانَ أسْوان[2]

كم مِنْ يَدٍ لكَ فى القُطْرَيْنِ صالحةٍ ... فاضَتْ علينا بجُودٍ منكَ هَتّان[3]

رَدَدْتَ ما سَلَبَتْ أيدى الزّمانِ لنا ... وما تَقَاعَصَ مِنْ ظلٍّ وسُلْطان[4]

وما قَعَدْتَ عن السُّودانِ إذ قَعَدُوا ... لكنْ أمَرْتَ فلَبَّى الأمرَ جَيْشان[5]

هذا مِنَ الغَرْبِ قد سالَتْ مَراكِبُه ... وذا مِنَ الشَّرْقِ قد أوْفَى بطُوفان[6]

وَلّاكَ رَبُّكَ مُلْكًا فى رِعايَتِــه ... ومَدَّهُ لكَ فى خِصْبٍ وعُمْـران

مِنْ كُرْدُفانَ إلى مِصْرٍ إلى جَبَلٍ ... عليــه كَلَّمَــهُ (موسى بنُ عِمْران)[7]

فكُنْ بمُلْكِكَ بَنّاءَ الرِّجالِ، ولا ... تَجْعَـلْ بِناءَكَ إلّا كلَّ مِعْوان[8]

---

(١) على قدر : أى على حساب ومقدار . ويريد بقوله : «ولم يعمد لطغيان» : أنه لم يغرق البلاد بكثرة فيضانه . ويشير بهذا البيت إلى ما يقوم به المهندسون فى تدبير ماء النيل .

(٢) طلقا (بضم الطاء واللام) : أى منطلقا بلا قيد ولا حابس .

(٣) يريد « بالقطرين » : مصر والسودان . وهتان : أى منصب .

(٤) تقاعص : أى تقبض وتقاصر .

(٥) يشير بهذا البيت إلى إعادة فتح السودان الذى تم سنة ١٨٩٨م . ويريد « بالجيشين » : الجيش المصرى والجيش الانجليزى .

(٦) أوفى بطوفان : أى جاء بعدد كثير كطوفان الماء .

(٧) كردفان : إقليم من السودان معروف . ويريد « بالجبل » : جبل الطور الذى كلم الله نبيه موسى بن عمران عليه السلام فوقه .

(٨) يقول : هيئ لشعبك رجالا تعتد بهم عند الشدائد، ولا تعتمد إلا على كل عظيم المعونة منهم .

وانظرْ إلى أمّةٍ لولاكَ ما طَلَبَتْ ... حقّا ، ولا شَعَرَتْ حبّاً لأوْطان
لاذَتْ بسُدَّتِكَ العَلْياءِ واعتصَمَتْ ... وأَخْلَصَتْ لكَ في سِرٍّ وإعْلان[1]
حَسْبُ الأريكةِ أنّ اللهَ شَرّفَها ... فأصبحتْ بكَ تَسْمو فوقَ كيوانِ[2]
تاهتْ بعَهْدِ مَليكٍ فوقَ مَفْرِقِه ... لِمُلْكِ مصْرٍ وللسُّودانِ تاجانِ[3]
هـٰذا هُوَ المُلْكُ فَلْيَهْنِئْ تَمَلُّكَه ... وذا هُو الشِّعْرُ فلتُنْشِدْه أزْماني

* * *

وقال أيضا يهنئ سموّه بالعام الهجرى :

[نشرت في ١٩ مارس سنة ١٩٠٤ م]

قَصَرْتُ عَلَيْكَ العُمْرَ وهو قَصيرُ ... وغالَبْتُ فيكَ الشَّوْقَ وهو قَديرُ[4]
وأنْشَأْتُ في صَدْرِي لِحُسْنِكَ دَوْلَةً ... لهـا الحُبُّ جُنْدٌ والوَلاءُ سَفيرُ[5]
فـؤادى لهـا عَرْشٌ وأنتَ مَليكُه ... ودُونَكَ مِنْ تلكَ الضُّلُوعِ سُتُورُ
وما انتَقَضَتْ يوما عليكَ جَوانِحِي ... ولا حَلَّ في قَلْبِي سِواكَ أميرُ[6]
كَتَمْتُ فقالوا: شاعرٌ يُنْكِرُ الهَوَى ... وهل غيرُ صَدْرِي بالغرامِ خَبيرُ؟

---

(١) سدتك : أى بابك .

(٢) كيوان : اسم زحل بالفارسية ؛ وهو ممنوع من الصرف وإنما أورده الشاعر هنا مجرورا بالكسر لضرورة القافية .

(٣) المفرق (بفتح الراء وكسرها) : وسط الرأس ، وهو الموضع الذى يفرق فيه الشعر هنا .

(٤) قصرت عليك العمر : أى حبسته على حبك .

(٥) الولاء (بفتح الواو) : الاخلاص .

(٦) انتقضت : أى فسدت ، كما تنتقض الامارات على أمرائها ، أى تخرج عليهم وتشق عصا الطاعة .

وَلَو شِئْتُ أَذْهَلْتُ النجومَ عن السُّرَى وعَطَّلْتُ أفلاكًا بهنّ تَدُورُ[١]

وأشْعَلْتُ جِلْدَ اللَّيْلِ منّى بزفْرَةٍ غَرَاميّةٍ منها الشَّرار يَطيرُ

ولٰكِنَّنِى أخْفَيْتُ مابى وإنّما لكلِّ غَرَامٍ عاذِلٌ وعَذِيرُ[٢]

أرَى الحُبَّ ذُلًّا ، والشِّكايَةَ ذِلَّةً ، وإنّى بسَتْرِ الذلَّتَيْنِ جَدِيرُ

ولِي فِي الهَوَى شِعْرانِ : شِعْرٌ أُذِيعُه وآخَرُ فى طَىِّ الفُؤادِ سَتِيرُ[٣]

ولولا لَجَاجُ الحاسدينَ لمَا بَدَا لمَكْنُونِ سِرّى فى الغَرامِ ضَمِيرُ[٤]

ولا شَرَعَتْ هٰذَا اليَرَاعَ أنامِلى لشَكْوَى ولٰكنّ اللَّجاجَ يُثِيرُ[٥]

على أنّنى لا أرْكَبُ اليأْسَ مَرْكَبًا ولا أُكْبِرُ البَأْساءَ حِينَ تُغِيرُ[٦]

فكَمْ حادَ عَنّى الحَيْنُ والسيفُ مُصْلَتٌ وهانَ عَلَىَّ الأمْرُ وهو عَسِيرُ[٧]

وكم لَمْحَةٍ فى غَفْلةِ الدَّهْرِ نَفَّسَتْ هُمومًا لها بَيْنَ الضُّلُوعِ سَعِيرُ

فقد يَشْتَفِى الصَّبُّ السَّقِيمُ بزَوْرَةٍ ويَنْجُو بلَفْظٍ عاثِرٌ وأسِيرُ

عَسَى ذٰلكَ العامُ الجَدِيدُ يَسُرُّنى بِبُشْرَى ، وهل لليائسين بَشِيرُ ؟

ويَنْظُرُ لى ربُّ الأرِيكَةِ نَظْرَةً بها يَنْجَلِى لَيْلُ الأسَى ويُنِيرُ[٨]

---

(١) السرى : السير بالليل . يقول : إننى لو شئت بثثت من اللوعة وحرارة الوجد ما يذهل النجوم عن مسيرها ، ويعطل الأفلاك عن دورانها ، فتصغى لبثى ، وترثى لوجدى .

(٢) العذير : العذرا والنصير أيضا . (٣) ستير : أى مستور ، فعيل بمعنى مفعول .

(٤) اللجاج : التمادى فى العناد والخصومة . يقول : لولا عناد ذوى الحسد والبغضاء لما بدا مما أكتمه من غرامى وشوقى ما يشعر الناس بهما .

(٥) يقال : شرع الرمح ، إذا سدّده وصوّبه . شبه القلم بالرمح فى ذلك . ويثير : يهيج .

(٦) « لا أكبر البأساء » الخ : أى لا استعظم الشدة إذا نزلت بى ، بل أستهين بها وأصبر على مضضها .

(٧) الحين (بفتح الحاء) : الهلاك . والسيف المصلت : المجرّد من غمده .

(٨) رب الأريكة : هو خديو مصر . والأريكة العرش ؛ وأصل معناها السرير المنجد المزين فى قبة أو بيت .

مَلِيكٌ إذا غَنَّى اليَراعُ بمَدْحِهِ سَرَتْ بالمَعَالى هِزَّةٌ وسُرُورُ[١]

أمَوْلاىَ ! إنّ الشّرقَ قد لاحَ نَجْمُه وآنَ له بَعْدَ المَمَاتِ نُشُورُ[٢]

تَفَاءَلَ خَيْرا إذْ رآكَ مُمَلَّكا وفَوْقَكَ مِنْ نُورِ المُهَيْمِن نُورُ[٣]

مَضَى زَمَنٌ والغَرْبُ يَسْطُو بحَوْله عَلَىَّ ، ومالِى فى الأنَامِ ظَهِيرُ[٤]

إلى أنْ أتاحَ اللهُ للصَّقْرِ نَهْضَةً فَفَلَّتْ غِرارَ الخَطْبِ وهو طَرِيرُ[٥]

جَرَتْ أُمَّةُ اليابانِ شَوْطًا إلى العُلَا ومِصْرٌ على آثارِها سَتَسِيرُ

ولا يَمْنَعُ المِصْرِىُّ إدْراكَ شَأْوِها وأنتَ لطُلّابِ العَلاءِ نَصِيرُ[٦]

فقِفْ مَوْقِفَ (الفارُوقِ) وانْظُرْ لأُمّةٍ إليكَ بحَبّاتِ القُلوبِ تُشِيرُ[٧]

ولا تَسْتَشِرْ غيرَ العَزِيمَةِ فى العُلا فليس سِواها ناصِحٌ ومُشِيرُ[٨]

فعَرْشُكَ مَحْرُوسٌ ورَبُّكَ حارِسٌ وأنتَ على مُلْكِ القُلوبِ أميرُ

---

(١) الهزة (بكسر الهاء) الأريحية والخفة .

(٢) النشور : البعث

(٣) التفاؤل : من الفأل (بسكون الهمزة) ، وهو ضد التطير ، فهو فيما يستحب أما التطير فهو يسوء .

(٤) هـذا البيت والذى بعده على لسان الشرق المتقدّم ذكره . ويسطو : يعدو . والحول : القوة والظهير : المعين والنصير .

(٥) كنى « بالصقر » عن الشرق . وفل السيف : ثلم حده . والغرار : الحد . والطرير : المحدّد . يقال : طر السيف ونحوه يطره (من باب نصر) طرا وطرورا ، أى حدّده .

(٦) الضمير فى « شأوها » لأمة اليابان السابق ذكرها . والشأو : الغاية .

(٧) الفاروق : أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

(٨) يقول : إذا حاولت أمرا تكون غايته المجد والعلا فافعله ، ولاتستشر غير عزمك الوثاب ، وهمتك البعيدة الغاية .

تهنئة إلى رفعت بك بوكالته لمصلحة السجون

أَهَنِّيكَ أَمْ أَشْكُو فِراقَكَ قائلاً ... أَيَالَيْتَنِى كُنْتُ السَّجِينَ المُصَفَّدَا[1]

فلوكنتَ فى عهدِ (ابنِ يَعْقُوبَ) لم يَقُلْ ... لصاحِبِه ، اذكُرْنى ولا تَنْسنِى غَدَا[2]

مدحة كتب بها إلى محمد بك هلال[3]

هَجَعْتَ يا طَيْرُ ولم أَهْجَعِ ... ما أنتَ إلّا عاشقٌ مُدَّعِى[4]

لو كنتَ مِمّن يَعْرِفُونَ الجَوَى ... قَضَيْتَ هذا اللّيلَ سُهْدًا مَعِى[5]

يا مَنْ تَحامَيْتُمْ سَبيلَ الهَوَى ... أُعِيذُكُمْ مِنْ قَلَقِ المَضْجَعِ[6]

وحَسْرَةٍ فى النَّفْسِ لو قُسِّمَتْ ... على ذَواتِ الطَّوْقِ لَمْ تَسْجَعِ[7]

ويابَنِى الشَّوْقِ وأهْلَ الأَسَى ... ومَنْ قَضَوْا فى هذه الأَرْبُعِ

عليكُمُ مِنْ واجِدٍ مُغْرَمٍ ... تَحِيَّةُ المُوجَعِ لِلْمُوجَعِ[8]

---

(١) المصفد : المقيد .

(٢) يريد بهذا البيت : أن السجناء يتمنون بقاءهم فى السجن لحسن أخلاقه وجميل عشرته ، فلو تولى السجن فى عهد يوسف عليه السلام لآثر البقاء بجانبه فى السجن ولم يقل لصاحبه الذى نجا : (اذكرنى عند ربك) كما حكى الله تعالى ذلك فى القرآن فى سورة يوسف .

(٣) هو ابن إبراهيم بك هلال ؛ وكان — رحمه الله — شاعرا مجيدا وكاتبا فاضلا ، قد اشتغل بالصحافة زمنا غير قصير ، وكانت له صحيفة اسمها « النزاب » ، كما كان واسع العلم بأخبار ما حدث فى البلاد فى نصف القرن الأخير . وتوفى رحمه الله فى ليلة الأحد ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٢ م . ومحمد بك هلال هو شارح الطبعة الأدلية من ديوان حافظ .

(٤) الهجوع : النوم بالليل . (٥) الجوى : الحرقة وشدة الوجد من عشق وحزن .

(٦) تحامى الشىء : تجنبه وبعد عنه .

(٧) ذوات الطوق : الحمائم ؛ والطوق هو البياض المحيط بأعناقها وتسجع : تهدر وتردد أصواتها .

(٨) الواجد : ذو الوجد .

لِلّهِ ما أقسَى فؤادَ الدُّجَى ... على فؤادِ العاشقِ المولَعِ

هذا غليظٌ لم يَرُضْه الهوَى ... ما بينَ جَنْبَيْ أسودٍ أسفعِ (١)

وذاكَ في جنبَيْ فتًى مُدْنَفٍ ... على سِوَى الرِّقّةِ لم يُطْبَعِ (٢)

وأَغْيَدٍ أسْكَنْتُه في الحشا ... وقلتُ : يا نَفْسُ به فاقْنَعِي (٣)

نِفارُه أسرعُ من خاطِرِي ... وصَدُّه أقربُ من مَدْمَعِي

وخَدُّه لا تنطفي نارُه ... كأنّما بقَبَسٍ من أضْلُعِي (٤)

تَساءَلَتْ عنّي نُجومُ الدُّجَى ... لمّا رأتْني دانِيَ المَصْرَعِ

قالت : نَرَى في الأرضِ ذا لَوْعَةٍ ... قد باتَ بَيْنَ اليأسِ والمَطْمَعِ

يَئِنُّ كالمَفْئُودِ أو كالّذي ... أصابَه سَهْمٌ ولَمْ يُنْزَعِ (٥)

إنْ كان في بَدْرِ الدُّجَى هائمًا ... أمَا لِهٰذا البَدْرِ من مَطْلَعِ ؟

أو كانَ في ظَبْيِ الحِمَى مُغْرَمًا ... أمَا لِهٰذا الظَّبْيِ مِنْ مَرْتَعِ ؟

هَيْهاتَ يا أَنْجُمُ أنْ تَعْلَمِي ... مُثِيرَ أشْجانِي أو تَطْمَعِي (٦)

إنّي لَضَنّانٌ بذِكْرِ اسْمِهِ ... ضَنِّي بوُدِّ الكاتبِ الألْمَعِي (٧)

---

(١) يشير بقوله : « هذا » إلى « فؤاد الدجى » السابق ذكره . وراضه يروضه : ذلله . والأسفع : الشديد السواد يريد الليل .

(٢) يشير بقوله : «ذاك» إلى فؤاد العاشق «السابق ذكره» . والمدنف : الذى أثقله المرض المشرف على الموت .

(٣) الأغيد : المائل العنق ، اللين الأعطاف ، المتثنى لينا . والأنثى : غيداء .

(٤) قبس النار واقتبسها : أخذ منها قبسا (بالتحريك) ، أى شعلة .

(٥) المفئود : المصاب بفؤاده .

(٦) أو تطمعى أى تطمعى فى علم ذلك .

(٧) الضنان : الشديد الضن ، وهو البخل . والألمعى : الذكى المتوقد ذكاء .

الضارِبِ الجِزْيَةِ مُنْذُ انْتَشَى · على يَراعِ الشّاعِرِ المُبْدِعِ[(١)]

والحامِلِ الأَقْلامِ مشْرُوعَةً · كأنّها بَعْضُ القَنا الشُّرَّعِ[(٢)]

إذا دَعا القَوْلَ أَتَى طائعاً · وإنْ دَعاهُ العِيُّ لم يَسْمَعِ[(٣)]

صَحِبْتُهُ دَهْراً فألْفَيْتُهُ · فَتًى كَرِيمَ الأَصْلِ والمَنْزِعِ[(٤)]

مَوَدَّةٌ كالخَمْرِ إنْ عُتِّقَتْ · جادَتْ وفَضْلٌ باسِمُ المَشْرَعِ[(٥)]

وعَزْمَةٌ لو قُسِّمَتْ فى الوَرَى · باتُوا من الشِّعْرَى على مَسْمَعِ[(٦)]

تهنئة على حيدر بك بعيد الأضحى

وكان مديرا لبنى سويف إذ ذاك

لِلّهِ عِيدٌ كَبِيرٌ · يَزْهُو بنُورِ جَبِينِكْ

لَمْ تَقْتَبِلْهُ البَرايا · إلّا لِلَثْمِ يَمِينِكْ[(٧)]

---

(١) الجزية : ما يفرض من الضرائب على الرءوس . ومعنى البيت أن هذا الممدوح قد فرض منذ نشأ على المبدعين من الشعراء أن يؤدّوا إليه من المدح والثناء جزاء بما أسدى إليهم من النعم والآلاء . ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة «انتشى» بمعنى نشأ ، كما هو المراد فى هذا البيت .

(٢) المشروعة : المسدّدة نحو الغرض . والقنا : الرماح . الواحدة : قناة . والشرع : بمعنى المشروعة .

(٣) العى (بالكسر) : الحصر والعجز عن البيان .

(٤) المنزع : الأصل الذى ينزع إليه أى يجذب و يميل و يقال : «نزع فلان إلى عرق كريم» و «نزع إلى أبيه» ، أى مال إليه وأشبهه .

(٥) الخمر المعتقة (بتشديد التاء) : القديمة . والمشرع : المورد الذى يستقى منه .

(٦) الشعرى : كوكب نير يطلع بعد الجوزاء . ومعنى البيت : أن عزمته لو وزعت على الناس لسموا إلى منزلة الشعرى و يلاحظ أن آخر هذه القصيدة مفقود ؛ ولم يتيسر لنا العثور عليه ، فأثبتناها على نقصها .

(٧) اقتبل الأمر : استقبله .

تهنئة سليمان أباظة باشا[1]

بإبلاله من مرض ألم به ، وبعرس نجله (على بك)

تَرَاءَى لكَ الإقْبالُ حتّى شَهِدْناهُ ... ودانَ لكَ المقْدارُ حتّى أمِنّاهُ[2]

(سُلَيْمانُ) ذَكَّرْتَ الزّمانَ وأهْلَه ... بِعِزِّ (سُلَيْمانٍ) وإقْبالِ دُنْياهُ[3]

إذا سِرْتَ يوماً حَذَّرَ النَّمْلُ بَعْضَه ... مَخافَةَ جَيْشٍ مِنْ مَواليكَ يَغْشاهُ[4]

وإنْ كنتَ في رَوْضٍ تَغَنَّتْ طُيورُه ... وصاحَتْ على الأفْنانِ : يَحْرُسُكَ اللهُ[5]

وكان (ابنُ داودٍ) له الرِّيحُ خادمٌ ... وتَخْدُمُكَ الأيّامُ والسَّعدُ والجاهُ

تَحُلُّ بحيثُ المَجْدُ أَلْقَى رِحالَهُ ... "فطاهِرَةٌ" والبَيْتُ والقُدْسُ أشْباهُ[6]

لَبِسْتَ الشِّفا ثَوْباً جَديداً مُبارَكاً ... فَأَلْبَسْتَنا ثَوباً مِنَ العِزِّ نَرْضاهُ

وكان عليكَ الدّهْرُ يَخْفُقُ قَلْبُه ... فلمّا شَفاكَ اللهُ أَهْدَأْتَ أَحْشاهُ

وهَنّا جَدِيداهُ الزّمانَ وأَصْبَحَتْ ... تَسُوقُ لنا الأيّامُ ما نَتَمَنّاهُ[7]

---

(١) سليمان أباظة باشا : هو ابن حسن أباظة ؛ وكان مولده في نحو سنة ١٨٣٤ م ، وتولى عدة مناصب في الحكومة المصرية ؛ وآخر منصب تولاه نظارة المعارف في عهد المغفور له توفيق باشا الخديو عقب الثورة العرابية ؛ وكانت وفاته في سنة ١٨٩٧ م .

(٢) تراءى لك : تصدّى لك لتراه . «ودان» : خضع والمقدار : القدر (بالتحريك) ، بالغ في تصوير الاقبال حتى يجعله شيئا يرى .

(٣) يريد بسليمان الثاني نبي الله سليمان بن داود ، عليهما السلام .

(٤) يشير بهذا البيت إلى ما حكاه الله تعالى عن النمل حين رأى نبي الله سليمان مقبلا بجنوده ، إذ قال تعالى في سورة النمل : (حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يأيها النمل أدخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) والموالي ، العبيد . الواحد : مولى .

(٥) الأفنان : الأغصان . الواحد : فنن (بالتحريك) .

(٦) ألقى رحاله : أقام . وطاهرة : بلد بإقليم الشرقية من أعمال مركز الزقازيق ، وهو بلد الممدوح . ويريد «بالبيت» : الكعبة

(٧) الجديدان : الليل والنهار . ولا يفردان ، فلا يقال : الجديد لواحد منهما .

وباتَ بَنُوكَ الغُرُّ ما بَيْنَ رافِلٍ بحُلَّةِ يُمْنٍ أو شَكُورٍ لمَولاهُ[1]
(سُلَيْمانُ) دُمْ مادامت الشُّهْبُ فى الدجَى وما دامَ يَسْرِى ذٰلكَ البَدْرُ مَسْراهُ
وكُنْ (لَعلِيٍّ) بَهْجَةَ العُرْسِ إنّه بعِزِّكَ فى الأفراحِ تَمَّتْ مَزاياه
ولا تَنْسَ مَنْ أَمْسَى يُقَلِّبُ طَرْفَهُ فلَمْ تَرَ إلّا أنتَ فى النّاسِ عَيْناهُ

فكتور هوغو[2]

[نشرت سنة ١٩٠٧ م]

أَعْجَمِىٌّ كادَ يَعْلُو نَجْمُهُ فى سَماءِ الشِّعْرِ نَجْمَ العرَبِى
صافَحَ العَلْياءَ فيها والْتَقَى "بالمَعَرِّى" فوقَ هامِ الشُّهُبِ[3]
ما ثُغورُ الزَّهْرِ — فى أَكْمامِها ضاحِكاتٍ مِنْ بُكاءِ السُّحُبِ[4]
نَظَمَ الوَسْمِىُّ فيها لُؤْلُؤًا كثَنايا الغِيدِ أو كالحَبَبِ[5]
عند مَنْ يَقْضِى — بأَبْهَى مَنْظَرًا من مَعانيهِ الّتِى تَأْعَبُ بِى[6]

(١) الغر : جمع أغر ، وهو السيد الشريف الكريم الأفعال . ورفل فى ثوبه : جر ذيله وتبختر . واليمن : البركة .

(٢) هو الشاعر الفرنسى المعروف ؛ ولد سنة ١٨٠٢ م وكانت وفاته بباريس سنة ١٨٨٥ م . ومن كتبه : "كتاب البؤساء" الذى نقله إلى العربية المرحوم حافظ بك . وفى هذه القصيدة يشير حافظ إلى نفى فكتور بأمر لويس بونابرته فى سنة ١٨٥١ م ، وإلى خصوبة قريحته فى منفاه ، وكثرة ما وضع من المؤلفات .

(٣) الهام : الرءوس . الواحدة : هامة . وقد وازن بينه وبين أبى العلاء المعرى لأن كليهما شاعر فيلسوف .

(٤) الأكمام : جمع كم ، وهو غطاء الزهر ؛ وكنى بضحك الأزهار عن تفتحها . ويريد « ببكاء السحب » : مطرها .

(٥) الوسمى : المطر أوّل الربيع . والثنايا : الأسنان . الواحدة ثنية (بفتح الثاء وتشديد الياء) . والغيد : جمع غيداء ، وهى المرأة المتثنية لينا .

(٦) يقضى : يحكم . وأبهى منظرا : خبر « لما » فى قوله السابق : « ما ثغور » .

بَسَمَتْ لِلذِّهْنِ فَاسْتَهْوَتْ نُهًى مُغْرَمِ الفَضْلِ وَصَبِّ الأَدَبِ

وَجَلَتْهَا حِكْمَةً بَالِغَةً أَعْجَزَتْ أَطْوَاقَ أَهْلِ المَغْرِبِ[1]

سَائِلُوا الطَّيْرَ اذا ما هاجَكُمْ شَدْوُها بينَ الهَوَى والطَّرَبِ[2]

هل تَغَنَّتْ أو أَرَنَّتْ بِسِوَى شِعْرِ (هُوغُو) بَعْدَ عَهْدِ العَرَبِ[3]

كانَ مُرَّ النَّفْسِ أو تُرْضَى العُلا تَظْمَأُ الأَفْلاكُ إِنْ لم يَشْرَبِ[4]

عافَ في مَنْفَاهُ أَنْ يَدْنُو به عَفْوُ ذاكَ القاهِرِ المُغْتَصِبِ[5]

بَشَّرُوهُ بالتَّدانِي ونَسُوا أنه ذاكَ العِصامِيُّ الأَبِي[6]

كَتَبَ المَنْفِيُّ سَطْرًا لِلَّذِي جاءَهُ بالعَفْوِ فَاقْرَأْ واعْجَبِ[7]

أَبَرِيءٌ عنه يَعْفُو مُذْنِبٌ ؟ كيفَ تُسْدِي العَفْوَ كَفُّ المُذْنِبِ ؟

جاءَ والأَحْلامُ في أَصْفادِها ما لَها في سِجْنِها مِنْ مَذْهَبِ[7]

طَبَعَ الظُّلْمُ على أَقْفالِها بِلَظاهُ خاتَمًا مِنْ رَهَبِ[9]

أَمْعَنَ التَّقْلِيدُ فيها فَغَدَتْ لا تَرَى إلا بِعَيْنِ الكُتُبِ[10]

---

(١) جلتها صقلتها . والأطواق : جمع طوق ، وهو الطاقة والجهد . (٢) شدوها : تغريدها وترنمها .

(٣) أرنت : صاح . (٤) مر النفس : شديد المراس .

(٥) يشير إلى نفي فكتور سنة ١٨٥١ م إلى بروكسل حين اشترك في الحرب ضد لويس بونابرت ، وقد بقي بعيدا عن وطنه ثماني عشرة سنة ، وقد أقسم ألا يعود إلى أرض فرنسا ما دام الأمبراذور على العرش ، ولقد بر بقسمه ، فلم يعد إليها إلا بعد سقوط الأمبراذور سنة ١٨٧٠ م . ويريد « بالقاهر : المغتصب » لويس بونابرت السابق ذكره .

(٦) العصامي : الذي ساد بنفسه ، نسبة إلى عصام المذكور في قول الشاعر :

نفس عصام سودت عصاما

(٧) المنفي : فكتور هوغو

(٨) الأحلام : العقول ، الواحد : حلم (بالكسر) . والأصفاد : القيود ، الواحد : صفد (بالتحريك) .

(٩) اللظى : النار . (١٠) أمعن : بالغ .

أَمَرَ التقليدُ فيها ونَهَى ... بجيوشٍ مِنْ ظَلامِ الحُجُبِ
جاءها (هُوغُو) بعزمٍ ، دونه ... عِزّةُ التّاجِ ، وزَهْوُ المَوْكِبِ[1]
وانبَرَى يَصْدَعُ مِنْ أَغْلالِها ... باليَرَاعِ الحُرِّ لا بالقُضُبِ[2]
هـالَه ألّا يَراها حُرّةً ... تَمْتَطِى فى البَحْثِ مَتْنَ الكَوْكَبِ[3]
ساءه ألّا يَرَى فى قَوْمِه ... سِيرَةَ الإسْلامِ فى عَهْدِ النَّبِى
قُلْتَ عن نَفْسِكَ قَوْلاً صادقاً ... لَمْ تَشُبْهُ شائِباتُ الكَذِبِ :[4]
أنا كالمَنْجَمِ تِبْرٌ وثَرًى ... فاطرَحوا تُرْبِى وصُونوا ذَهَبِى

تهنئة سموّ الخديو عباس الثانى[5] بعيد الأضحى

(١٣٢٥ هـ — ١٩٠٨ م)

سَكَنَ الظَّلامُ وباتَ قَلْبُكَ يَخْفُقُ ... وسَطَا على جَنْبَيْكَ هَمٌّ مُقْلِقُ
حارَ الفِراشُ ، وحِرْتَ فيه ، فأنْتُما ... تَحْتَ الظَّلامِ مُعَذَّبٌ ومُؤَرَّقُ[6]
دَرَجَ الزَّمانُ وأنتَ مَفْتُونُ المُنَى ... ومَضَى الشَّبابُ وأنتَ ساهٍ مُطْرِقُ[7]

---

(١) الزهو : الاختيال .

(٢) يصدع : يكسر ويحطم . والأغلال : السلاسل ، الواحد غل (بضم الغين وتشديد اللام) . والقضب : السيوف ، الواحد قضيب . (٣) المتن : الظهر . (٤) لم تشبه : لم تخالطه .

(٥) فى هذه القصيدة يشكر سمو الخديو على عفوه عن مسجونى دنشواى ، وهو يجارى بهذه القصيدة قصيدة اسماعيل صبرى باشا التى مطلعها :

لو أن أطلال المنازل تنطق ... ما ارتدّ حران الجوانح شيق

(٦) المؤرق : المسهد الذى ذهب عنه النوم .

(٧) درج : ذهب ومضى . ومفتون المنى : أى طامع فيما لا ينال .

عَجَبًا يَلَذُّ لكَ السُّكُوتُ مع الْهَوَى ... وسِواكَ يَبْعَثُه الغَرامُ فيَنْطِقُ

خُلِقَ الغَرامُ لِأَصْغَرَيْكَ ، وطالَما ... ظَنُّوا الظُّنُونَ بِأَصْغَرَيْكَ وأَغْرَقُوا[1]

ورَمَوْكَ بالسَّلْوَى ولو شَهِدُوا الّذى ... تَطْوِيهِ فى تِلْكَ الضُّلُوعِ لَأَشْفَقُوا

أَخْفَيْتَ أَسرارَ الفُؤادِ وإنَّما ... سِرُّ الفُؤادِ مِنَ النَّواظِرِ يُسْرَقُ[2]

نَفِّسْ ــ بِرَبِّكَ ــ عَنْ فُؤادِكَ كَرْبَهُ ... وارْحَمْ حَشاكَ فإنَّها تَتَمَزَّقُ[3]

واذْكُرْ لنا عَهْدَ الّذين بِنَأْيِهِمْ ... جَمَعُوا عليكَ هُمُومَهُمْ وتَفَرَّقُوا

ما لِلْقَوافِى ؟ ! أنكَرَتْكَ ولَمْ تَكُنْ ... لِكَسادِها فى غَيْرِ سُوقِكَ تَنْفُقُ[4]

ما لِلْبَيانِ ؟ ! بِغَيْرِ بابِكَ واقِفًا ... يَبْكِى ، ويُعْجِلُه البُكاءُ فَيَشْرَقُ[5]

إنِّى كَهَمِّكَ فى الصَّبابةِ لَمْ أَزَلْ ... أَلْهُو وأرْتَجِلُ القَرِيضَ وأَعْشَقُ[6]

نَفْسِى ــ بِرَغْمِ الحادِثاتِ ــ فَتِيَّةٌ ... عُودِى ــ على رَغْمِ الكَوارِثِ ــ مُورِقُ

إنَّ الّذى أَغْرَى السُّهادَ بِمُقْلَتِى ... مُتَعَنِّتٌ قَلْبِى به مُتَعَلِّقُ[7]

واثَقْتُهُ أَلّا أَبُوحَ ، وإنَّما ... يَوْمَ الحِسابِ يُحَلُّ ذاكَ المَوْثِقُ[8]

وشَقِيتُ منه بِقُرْبِهِ وبِعادِهِ ... وأَخُو الشَّقاءِ إلَى الشَّقاءِ مُوَفَّقُ

صاحَبْتُ أَسْبابَ الرِّضا لِرُكُوبِهِ ... مَتْنَ الخِلافِ لِما به أَتَخَلَّقُ[9]

---

(١) الأصغران : القلب واللسان . وأغرقوا : بالغوا وأفرطوا .

(٢) يقول : إن ما يكتمه الفؤاد تبديه العين . (٣) نفس : فرج وخفف .

(٤) تنفق : تروج . (٥) يشرق : يغص .

(٦) الهم : العزم والقصد . (٧) أغراه به : أولعه به وحضه عليه .

(٨) واثقه : عاهده . يريد أن سر حبه سيظل مكتوما إلى يوم القيامة .

(٩) المتن : الظهر . وركوبه متن الخلاف : كناية عن المغاضبة والشقاق . يقول : إنى وإياه لمختلفان ، أنا ملازم فعل ما يرضيه ، وهو دائب على أن يخالف ما فى طبعى وأخلاقى .

وصَبَرْتُ منْـهُ على الّذِى يَعْيَا به ... حِلْمُ الحَـليم ويَتَّقِيـه الأَحْمَـقُ[١]

أصبحتُ كالدَّهْرِىِّ أَعبُدُ شَعْرَه ... وجَبِينَـه وأنَا الشَّرِيفُ المُعْرِقُ[٢]

وغَدَوْتُ أَنْظِـم منْ ثَنَـايَا ثَغْرِه ... دُرَرًا أُقَـلِّدُها المَهَـا وأُطَـوِّقُ[٣]

(صَبْرى) اسْتَثَرْتَ دفائِنِى وهَزَزْتَنِى ... وأَرَيْتَنِى الإبْداعَ كَيْفَ يُنَسَّقُ[٤]

فأَبَحْتَ لى شَكْوَى الهَوَى وسَبَقْتَنِى ... فى مَدْحِ (عَبَّاسٍ) ومثْلُك يَسْبِقُ

قال الرئيسُ ، فما لِقَوْلٍ بَعْدَهُ ... باعٌ تَطُـولُ ولا لمَـدْحٍ رَوْنَقُ[٥]

(شَوْقِى) نَسَبْتَ فما مَلَكْتُ مَدامِعِى ... مِنْ أنْ يَسِيلَ بهـا النَّسِيبُ الشَّيِّقُ[٦]

أعْجَزْتَ أَطْوَاقَ الأنامِ بِمِـدْحَةٍ ... سَجَـدَ البيَـانُ لرَبِّهـا والمَنْطِقُ[٧]

لم تَتْرُكَا لى فى المَـدَائِحِ فَضْـلَةً ... يَجْرِى بهـا قَلَمِى الضَّعِيفُ ويَلْحَقُ

نَفْسِى على شَوْقٍ لمَـدْحِ أميرِها ... ويَرَاعَتِى بين الأنامِلِ أَشْـوَقُ[٨]

ماذا أَقُول وأنْتُمـا فى مَدْحِهِ ... بَحْرانِ باتَ كِلاهُمـا يَتَـدَفَّقُ

---

(١) يعيا به : يعجز عنه .

(٢) الدهرى : الملحد الذى ينكر الإله وينسب الفعل إلى الدهر . وخص الشاعر الشعر والجبين بالذكر لما فى الأول من سواد يشبه ظلمة الليل ، وما فى الثانى من تألق يشبه بياض النهار ؛ وليس الدهر إلا الليل والنهار . وهو فى البيت يعجب من جمعه بين شبه متباينين : إلحاد فى العقيدة ، وشرف فى النسب . والمعرق (بفتح الراء وكسرها) : الذى له أصل فى الكرم .

(٣) المها : البقر الوحشى ، يريد النساء التى تشبهها فى جمال العيون الواحدة مهاة .

(٤) استثار : هيج . ويريد « بالدفائن » : ما يضمره القلب من الشجون ، الواحدة : دفينة . ويشير بذلك إلى قصيدة صبرى التى أوردنا مطلعها فيما سبق .

(٥) يريد « بالرئيس » : إسماعيل صبرى باشا . وطول الباع : كناية عن اتساع المقدرة وقوة الاستطاعة .

(٦) يريد أحمد شوقى بك الشاعر . والنسيب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن . ويريد «بالشيق» : الشائق ؛ والذى وجدناه فى كتب اللغة أن « الشيق » بمعنى المشتاق ؛ وليس مرادا هنا . ويشير بهذا البيت إلى قصيدة شوقى فى هذا العيد ، والتى جارى فيها صبرى ، ومطلعها :

أما العتاب فبالأحبة أخلق ... والحب يصلح بالعتاب ويصدق

(٧) الأطواق : جمع طوق ، وهو الوسع الطاقة .

(٨) اليراعة : القلم .

العجزُ أقعدنى ، وإنّ عزائمى — لولاكما — فوق السِّماك تُحلّقُ[١]

فليهنِئ العبّاسَ أنّ بكفّه علمَين هزّهما الولاءُ المطلقُ[٢]

وليبقَ ذخرًا للبلاد وأهلها يعفو ويرحم من يشاءُ ويعتقُ

(عبّاسُ) والعيدُ الكبيرُ كلاهما متألّقٌ بإزائه متألّقُ

هذا له تجرى الدماءُ ، وذا له تجرى القرائحُ بالمديح وتُعنقُ[٣]

صدقَ الذى قد قال فيه ، وحسبُه أنّ الزمانَ لما يقول مُصدّقُ :

(لك مصرُ ماضيها وحاضرُها معًا ولك الغدُ المتحتّمُ المتحقّقُ)[٤]

تهنئة السلطان عبد الحميد[٥] بعيد جلوسه

[نشرت فى أول سبتمبر سنة ١٩٠٨ م]

أثنى الحجيجُ عليك والحرمانِ وأجلّ عيدَ جلوسك الثقلانِ[٦]

أرضيتَ ربّك إذ جعلتَ طريقَه أمنًا وفزتَ بنعمة الرضوانِ

وجمعتَ بالدستور حولك أمةً شتّى المذاهب جمّةَ الأضغانِ

---

(١) السماك : أحد نجمين نيرين يقال لأحدهما : السماك الرامح . وللآخر : السماك الأعزل .

(٢) يريد « بالعلمين » : صبرى وشوقى السابق ذكرهما .

(٣) هذا : أى العيد الكبير . ويشير بقوله « تجرى الدماء » : إلى دماء الأضاحى . وذا : أى العباس . وتعنق : تسرع .

(٤) هذا البيت من قصيدة صبرى فى هذا العيد ، وهى التى أشرنا إلى مطلعها فيما سبق .

(٥) انظر التعريف بالسلطان عبد الحميد فى الحاشية رقم ٢ ص ١٢ من هذا الجزء .

(٦) الحجيج : جمع حاج . والثقلان : الإنس والجن .

فغدوت تسكن فى القلوب وترتعى ... حبّاتها وتحلّ فى الوجدان[1]

راعيتهم حتى علمت بأنهم ... بلغوا أشدّهم على الأزمان

فجعلت أمر الناس شورى بينهم ... وأقمت شرع الواحد الديّان

لو أنهم وزنوا الجيوش بمشهد ... رجحت بجيشك كفّة الميزان

لو شاء زلزلها على أعدائه ... أو شاء أذهلها عن الدّوران[2]

يمشون فى حلق الحديد إلى العدا ... وكأنهم سدّ من الإنسان[3]

وكأنّ مقدمهم إذا الضحى ... سيل من الهندىّ والمرّان[4]

يتواقعون على الرّدى وصفوفهم ... رغم الوثوب ثابتة البنيان[5]

فإذا المدافع فى النّزال تجاوبت ... بزئيرها وتلاحم الجيشان

وإذا القنابل دمدمت وتفجرت ... تحت الغبار تفجّر (البركان)[6]

وإذا البنادق أرسلت نيرانها ... طُلُقًا وأسباب الهلاك دوانى[7]

أبصرت جنًّا فى مساليخ فتية ... وشهدت أفئدة من الصّوان[8]

(١) حبات القلوب » سويداواتها . وترتعى حباتها : الارتعاء : الرعى ؛ وهو مبالغة فى تعلق القلوب به .

(٢) زلزلها وأذهلها ، أى الأرض ، يصف جيشه بالقوة والكثرة ، حتى إنه لو شاء أمال الأرض بأعدائه ، أو جعلها تقف ذاهلة لما ترى من بأسه وقوته .

(٣) حلق الحديد : الدروع .

(٤) الهندى : السيف . والمران : الرماح القوية اللدنة ، الواحدة : مرانة .

(٥) الردى : الهلاك .

(٦) استعمال « القنابل بمعنى قذائف المدافع ، استعمال شائع فى لغة العصر ؛ ولم ترد به لغة العرب ، دمدمت عليهم : أى أرجفت الأرض بهم ، وأطبقت عليهم العذاب .

(٧) طلقا (بضم الطاء واللام) : أى انطلاقا بلا احتباس ولا تقييد .

(٨) المساخ والمساليخ : الجلود . الواحد : مسلاخ . يقول : إنهم جن فى صور الإنس

مُرْهُمْ يَخُوضوا الزّاخِراتِ ويَنْسِفُوا ... شُمَّ الجبالِ بِقُوّةِ الإيمانِ(١)

ثَلِجَتْ صُدُورُهُمُ وقَرَّ قَرارُهُمْ ... لمّا حَلَفْتَ بأوْثَقِ الأَيْمانِ(٢)

تاللهِ ما شَكُّوا بِصِدْقِكَ دُونَها ... هُمْ يَعْرِفونَ شَمائِلَ السُّلْطانِ(٣)

لكنّهم دَرَجُوا على سَنَنٍ ، به ... لوقايةِ الدُّسْتُورِ خَيْرُ ضَمانِ(٤)

يأيُّها الشَّعْبُ الكَرِيمُ تماسَكُوا ... وخُذُوا أُمُورَكُمُ بغَيْرِ تَوانِي

مالى أُذَكِّرُكُمْ وتِلْكَ رُبُوعُكُمْ ... مَرْعَى النُّهَى ومَنابِتُ الشُّجْعانِ

أدْرَكْتُمُ الدُّسْتُورَ غيرَ مُلَوَّثٍ ... بدَمٍ ولا مُتَاطِّخاً بِهَوانِ(٥)

وفَعَلْتُمُ فِعْلَ الرِّجالِ وكنتمُ ... يومَ الفَخارِ كأُمّةِ اليابانِ

فتَفَيَّئُوا ظِلَّ الهِلالِ فإنّه ... جَمُّ المَبَرّةِ واسِعُ الإحْسانِ(٦)

يَرْعَى لمُوسَى والمَسِيحِ وأحمدٍ ... حَقَّ الوَلاءِ وحُرْمَةَ الأدْيانِ

نُخُذُوا المَواثِقَ والعُهودَ على هُدَى الـ ... ـتَّوْراةِ والإنجيلِ والفُرْقانِ

وتَذَوَّقُوا مَعْنَى الحَياةِ فإنّها ... فى مِصْرَ ألفاظٌ بغيرِ مَعانِي

ودَعُوا التَّقاطُعَ فى المَذاهِبِ بينكمْ ... إنّ التَّقاطُعَ آيةُ الخِذْلانِ

---

(١) الزاخرات : البحار . وشم الجبال : أعاليها .

(٢) ثلج صدره بالشئ : برد واطمأن وسكن قلبه إليه . ويريد « بأوثق الإيمان » : اليمين التى حلفها السلطان على احترام الدستور .
(٣) دونها : أى دون اليمين .

(٤) درجوا : ساروا . والسنن (بالتحريك) : الطريق . يقول : إنهم ساروا على الطريقة الدستورية المتبعة فى جميع الممالك وهى أن يحلف الملك اليمين على احترام الدستور ، وإن كان الملك مقطوعا بصدقة عند رعيته ، ولكن ليكون ذلك الحلف ضمانا للدستور .
(٥) الهوان : الذل .

(٦) تفيئوا ظل الهلال : أى التجئوا إليه واستظلوا به ؛ يقال : تفيأ الشجرة ، إذا دخل فى أفيائها ، أى ظلالها ، واستظل بها .

وتَسابَقُوا للباقيات ، وأَظْهِرُوا   للعالَمين دَفائنَ الأذْهان[1]
وَلَّى زَمانُ المُعْتَدِين كما انطوت   حِيَلُ الشُّيوخ وإِمْرَةُ الخِصْيان[2]
لا الشَّكُّ يَذْهَبُ باليَقينِ ولا الرُّؤَى   تُجْدى المُسِيءَ ولا رُقَى الشَّيْطان[3]
وُضِعَ الكِتابُ وَسِيقَ جَمْعُهم إلى   يومِ الحساب ومَوْقِف الإذْعان[4]
وتَوَسَّمُوهُم فى القُيُود فقائلٌ   هٰذا فُلانٌ قد وَشَى بفُلان[5]
ومُلَبِّب لغَريمه ومُطالِبٌ   بدَمٍ أُرِيقَ بمَسْبَح الحِيتان[6]
قد جاءَ يومُهم هُنا ، وأمامَهم   ـ بعد النُّشور ـ هُناكَ يومٌ ثانى[7]
سُبْحان مَنْ دانَ القَضاءُ بأَمْره   لِيُدِ الضَّعيف من القَوِىِّ الجانى[8]
يا يومَ عادَ النازِحُونَ لأَرْضِهم   يَتَسابَقُونَ لرُؤْيَة الأَوْطان[9]

(١) الباقيات : المآثر الخالدة بعد زوال أصحابها . ويريد « بدفائن الأذهان » : نتائج القرائح وثمرات العقول .

(٢) يريد « بإمرة الخصيان » : السلطة التى كانت (للأغوات) فى القصور .

(٣) الرؤى : الاحلام . الواحدة : رؤيا . والرقى : جمع رقية : وهى العوذة التى يرقى بها من به علة . ويشير « بالرؤى والرقى » : إلى أحوال أبى الهدى الصيادى فى زمن السلطان عبد الحميد ، وما كان يدخل به إلى قلب السلطان من الحيل والأكاذيب بالرقى والتعاويذ وغير ذلك .

(٤) يشير بقوله : « وضع الكتاب » : إلى قوله تعالى إخبارا عما يكون فى البعث يوم الحساب : (ووضع الكتاب فترى المجرمين) الآية . والمراد بوضع الكتاب هنا : الاستعداد لحساب المجرمين من الشعب على ما قدمت أيديهم قبل الدستور . والكتاب : هو السجل الذى أحصيت فيه أعمالهم . والإذعان : الخضوع والانقياد .

(٥) توسموهم : أى تفرسوا فى وجوههم وتعرفوهم .

(٦) يقال : لبب فلان فلانا ، إذا أخذ بتلبيبه ، أى جمع ثيابه عند صدره ونحره فى الخصومة ثم جره ومسبح الحيتان : البحر . يشير إلى من كان يأمر السلطان بإغراقهم فى مضيق البسفور .

(٧) النشور : الإحياء بعد الموت ، أى يوم القيامة .

(٨) « دان القضاء » الخ : أى اقتص للضعيف من القوى .

(٩) النازحون : البعيدون ؛ ويريد رجال السياسة الذين كان قد نفاهم السلطان عبد الحميد عن بلادهم لمطالبتهم إياه بالدستور .

للهِ كَمْ أَطْفَأْتَ مِنْ نارٍ ذَكَتْ ... دَهْرًا وكَمْ هَدَّأْتَ مِنْ أَشْجانِ (١)

هٰذَا يَطِيرُ إلى (فَرُوقَ) ومَنْ بها ... شَوْقًا وذاكَ إلى رُبَى لُبْنانِ (٢)

خَلَعوا الشَّبابَ على البَشِيرِ وأَخْلَقُوا ... باللَّثْمِ عَهْدَ خَلِيفةِ الرَّحْمٰنِ (٣)

وتَعانَقُوا بَعْدَ النَّوَى كَخَمائِلٍ ... يَحْلُو بِهِنَّ تَعانُقُ الأَغْصانِ (٤)

فَتَرَى النِّساءَ مع الرِّجالِ سَوافِرًا ... لا يَتَّقِينَ عَوادِيَ الأَجْفانِ

عَجَبًا لهنَّ وقد خُلِقْنَ أَوانِسًا ... يَبْرُزْنَ في فَرَحٍ وفي أَحْزانِ

أَهْلًا بحاسِرَةِ اللِّثامِ ومَنْ إذا ... سَفَرَتْ عنا جَمالَها القَمَرانِ (٥)

خَطَرَتْ فَعَطَّرَتِ المَشارِقَ عِنْدَما ... هَبَّتْ نَسائِمُها من البَلْقانِ

يا لَيْتَها خَطَرَتْ بِمِصْرَ وأَشْرَقَتْ ... في يومِ أَسْعُدِها على طِهْرانِ (٦)

أَضْناهُمَا شَوْقٌ قد ابْيَضَّتْ له ... كَبِداهُمَا وتَصَدَّعَ القَلْبانِ (٧)

عَرَفَ الوَرَى مِيقاتَها فَتَرَقَّبُوا ... (تَمُّوزَ) مِثْلَ تَرَقُّبِ الظَّمْآنِ (٨)

---

(١) ذكت النار : اشتد لهبها .

(٢) فروق (بفتح الفاء) : اسم القسطنطينية . والربى : جمع ربوة ، وهى ما ارتفع من الأرض .

(٣) خلعوا الشباب على البشير : أى أنهم كادوا من فرحهم ببشرى العودة إلى بلادهم يخلعون على من بشرهم بذلك حلل شبابهم بدل ثيابهم . وأخلقوا باللثم الخ ، أى أكثروا من تقبيل عهد الخليفة إلى أن صار كالثوب الخلق ، أى الرث البالى . ويريد «بعهد الخليفة» : (الفرمان) المكتوب بعهده إليهم ، وتأمين الخائفين منهم .

(٤) الخمائل : جمع خميلة ، وهى الموضع الكثير الشجر .

(٥) حاسرة اللثام : كاشفته . ويريد بها الحرية . وعنا : خضع . والقمران : الشمس والقمر .

(٦) طهران : مدينة بإيران معروفة ، وهى عاصمتها . يتمنى فى هذا البيت [illegible] والحرية لمصر وإيران مثل [illegible] .

(٧) أضناه الشوق : أسقمه . وابيضاض الكبد : كناية عن شدة الحزن .

(٨) ميقاتها : وقتها . وتموز : اسم شهر من السنة المسيحية ، يقابل شهر يوليو ، وهو الشهر الذى نالت فيه الأمة العثمانية دستورها ، كما نالت فيه فرنسا حريتها ، واستقلت فيه أمريكة ؛ ولهذا جعله الشاعر ميقات الحرية وإبانها .

شَهْرٌ به بُعِثَ الرَّجاءَ وأُنْشِرَتْ ... أُمَمٌ وبُدِّلَ خَوْفُها بأمانِ[1]

فلَه على الدُّنيا الجَديدَة نِعْمَةٌ ... يَشْدو بذِكْرِ صَنيعِها الفَتَيانِ[2]

وعَلَى فَرَنْسِيس الحَضارَة مِنَّةٌ ... تُتْلَى أناشِيدٌ لها وأَغانِى

تَمُّوزُ ! أَنتَ أبو الشُّهور جَلالةً ... تَمُّوزُ ! أَنتَ مُنَى الأسيرِ العانِى

هَلَّا جَعَلْتَ لنا نَصيبًا ، عَلَّنا ... نجرِى مع الأَحْياءِ فى مَيْدان

أَيَعُودُ منكَ الآمِلُون بِما رَجَوْا ... ونَعُودُ نحنُ بذلكَ الحِرْمان ؟

تَمُّوزُ ! إنَّ بنا إليكَ لحاجَةً ... فَمَتَى الأوانُ ؟ وأنتَ خَيْرُ أوانِ

مِنِّى على دار السَّلامِ تَحِيَّةٌ ... وعلى الخَليفةِ من بَنِى عُثْمانِ[3]

وعَلَى رجال الجَيْش من ماشٍ به ... أو راكِبٍ أو نازِحٍ أو دانِى[4]

وعَلَى الأُلَى سَكَنُوا إلى الحُسْنَى سِوَى ... ذاكَ الّذى يَدْعو إلى العِصْيانِ[5]

وإلى الحجازِ الخارِجِىِّ وما بِهِ ... إلّا اقتِناصُ الأَصْفَرِ الرَّنَّانِ[6]

ما للشَّريف المُنْتَمِى حَسَباً إلى ... خَيْرِ البَرِيَّةِ من بَنِى عَدْنانِ[7]

أَمْسَى يُمَالِئُه ويَنْصُرُ غَيَّه ... وضَلالَه بِحُثالَةِ العُرْبانِ[8]

---

(١) أنشرت : من الإنشار ، وهو الإحياء بعد الموت .

(٢) الدنيا الجديدة : أميركة . ويشدو يترنم . والفتيان : الليل والنهار .

(٣) دار السلام : الآستانة .   (٤) النازح : البعيد .

(٥) سكنوا إلى الحسنى : اطمأنوا إليها ولاذوا بها .

(٦) الأصفر الرنان : الذهب . ويشير بهذا البيت وما بعده إلى ما كان يضمره والى الحجاز والشريف من عصيان السلطان والانتقاض عليه إذ ذاك .   (٧) الشريف : أمير مكة . والمنتمى : المنتسب .

(٨) تمالئه : يشايعه . والحثالة : سفلة الناس .

تالله لو جَنَّدْتُمَا رَمْلَ النَّقَا ... ونَزَلْتُمَا بِمَوَاطِنِ العِقْبَانِ [(١)]

وغَرَسْتُمَا أَرْضَ الحِجَازِ أَسِنَّةً ... وأَسَلْتُمَا بَحْرًا من النِّيرَانِ [(٢)]

وأَقَمْتُمَا فيها المَعَاقِلَ مَنْعَةً ... من أرضِ نَجْدَ إلى خَلِيجِ عُمَانِ [(٣)]

لَدَهَاكُمَا ورَمَاكُمَا وذَرَاكُمَا ... ماحِي الحُصُونِ وماسِحُ البُلْدَانِ [(٤)]

إنْ تَأْتِيَا طَوْعًا وإلَّا فَأْتِيَا ... كَرْهًا بلا حَوْلٍ ولا سُلْطَانِ

وإلَيْكَ يافَرْعَ الخلائفِ مِدْحَةً ... عَزَّتْ شَوارِدُها على (حَسَّانِ) [(٥)]

مِنْ شاعِرٍ تَثِبُ النُّهَى لقَرِيضِهِ ... وَثْبَ النُّفُوسِ لِرَنَّةِ العِيدَانِ [(٦)]

يُهْدِى المَدِيحَ إلى المُلوكِ سَبائِكًا ... تَعْنُو لَهُنَّ سَبائِكُ العِقْيانِ [(٧)]

إنَّ المُلُوكَ إذا اسْتَوَتْ أَلْبَسْتَها ... بالمَدْحِ تِيجانًا على تِيجانِ [(٨)]

---

(١) الضمير فى «جندتما» يعود إلى والى الحجاز وشريف مكة . والنقا : القطعة العظيمة من الرمل تنقاد محدودبة ، شبه بها الجنود فى كثرة العدد . ويريد «بمواطن العقبان» : رءوس الجبال ، إذ هى التى تسكنها . العقبان : جمع عقاب ، وهو من جوارح الطير ، وتسميه العرب بالكاسر .

(٢) يريد «بالأسنة» : الرماح .

(٣) المعاقل : الحصون . الواحد : معقل .

(٤) يقال : ذرت الريح التراب فى الهواء تذروه ذروا وتذريه ذريا ، إذا فرقته وأطارته . ويريد «بماحى الحصون» الخ : السلطان .

(٥) الشوارد من الشعر : المعانى التى تشرد عن أذهان الشعراء وتعزب عنها لغرابتها . وحسان هو ابن ثابت الأنصارى الشاعر المعروف .

(٦) القريض : الشعر .

(٧) تعنو : تخضع . والعقيان : الذهب الخالص .

(٨) استوت : أى جلست على عروشها وتملكت .

إلى أحمد شوقى بك[1]

يهنئه حين أنعم عليه بالرتبة الأولى العلمية

انْ هَنَّئُوكَ بهـا فَلَسْتُ مُهَنِّئًا إِنِّى عَهِدْتُكَ قَبْلَها مَحْسُودَا
قد كان قَدْرُكَ لا يُحَدُّ نَبَاهَةً وسَعادةً فغـدا بها مَحْدُودَا

تهنئة الخديو عباس الثانى بقدومه من الحج

[١٣٢٧ هـ — ١٩٠٩ م]

مُنًى نِلْتَها يا لابِسَ المَجْدِ مُعْلَمًا أَدينًا ودُنيا ؟ زادَكَ اللهُ أَنْعُمَا[2]
فلِلَّهِ ما أَبْهاكَ فى مصرَ حالِيًا ولِلَّهِ ما أَتْقاكَ فى البَيْتِ مُحْرِمَا
أَقولُ وقد شاهَدْتُ رَكْبَكَ مُشْرِقًا وقد يَمَّمَ البَيْتَ العَتيقَ المُحَرَّمَا :[3]
مَشَتْ كَعْبَةُ الدُّنْيا إلى كَعْبَةِ الهُدَى يَفِيضُ جَلالُ المُلْكِ والدِّينِ مِنْهُما
فيالَيْتَنِى اسْطَعْتُ السَّبِيلَ ولَيْتَنِى بَلَغْتُ مُنَى الدَّارَيْنِ رَحْبًا ومَغْنَمَا[4]

---

(١) ولد أحمد شوقى بك بالقاهرة حوالى سنة ١٨٦٨ م . وبعد أن أتم علومه الابتدائية ثم الثانوية ألحق بمدرسة الحقوق ، وبعد تخرجه فيها اتصل بمعية أمير مصر ثم سافر إلى أوربة ليتمم دراسته ، ثم عاد إلى المعية ثانية : وبقى بها حتى خلع عباس الثانى ، فاستقال . وتوفى رحمه الله فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ م عن نحو أربعة وستين عاما ، وله ديوان شعر مطبوع ، جمع فيه أكثر شعره ، وله غير ذلك من الكتب .

(٢) الثوب المعلم : هو الذى له علم من طراز وغيره ؛ شبه به المجد فى وضوحه واشتهاره .

(٣) يمم : قصد . والبيت العتيق : الكعبة .

(٤) اسطعت : استطعت ؛ ويريد قدرته على أداء فريضة الحج ؛ يشير إلى قوله تعالى : (حج البيت من استطاع إليه سبيلا) .

وفى الرَّكْبِ شَمْسٌ أنْجبَتْ أنْجبَ الوَرى ... فتى الشَّرقِ مَوْلانَا الأميرَ المُعَظَّمَا [١]

تَسيرُ إلى شَمْسِ الهُدى فى حَفاوةٍ ... من العِزِّ تَحْدُوها الزَّواهِرُ أيْنَمَا [٢]

فَلَمْ أرَ أُفقًا قَبلَ رَكْبِكَ أطْلَعتْ ... جَوانِبُه بَدْرًا وشَمْسًا وأنْجُمَا

ولو أنَّنى خُيِّرْتُ لاخْتَرْتُ أنْ أرى ... لعيسِكَ وَحْدى حاديًا مُتَرَنِّمَا [٣]

أسِيرُ خِلالَ الرَّكْبِ نحوَ حَظيرةٍ ... على رَبِّها صَلَّى الإلٰهُ وسَلَّمَا

إلى خيرِ خَلْقِ اللهِ مَنْ جاءَ ناطقًا ... بآياته إنْجيلُ عيسَى بنِ مَرْيَمَا

حَلَلْتَ بأكْنافِ الجَزِيرَةِ عابِرًا ... فأنْضَرْتَ واديها وكنتَ لها سَمَا [٤]

وأشْرَقْتَ فى بَطْحاءِ مَكَّةَ زائرًا ... فباتَ عَلَيْكَ النِّيلُ يَحْسُدُ زَمْزَما [٥]

وما ظَفِرَتْ مِنْ بَعْدِ (هارون) أرْضُها ... بِمِثْلِكَ مَيْمونَ النَّقيبةِ مُنْعِما [٦]

ولا أبْصَرَ الحُجَّاجُ مِنْ بَعْدِ شَخْصِه ... على عَرَفاتٍ مثلَ شَخْصِكَ مُحْرِما

رَمَيْتَ فَسَدَّدْتَ الجِمارَ فلَمْ تَكُنْ ... جِمارًا على إبْليسَ بل كُنَّ أسْهُما [٧]

---

(١) يريد « بالشمس » : أم الخديو ، وكانت قد حجت معه .

(٢) يريد « بشمس الهدى » : رسول الله صلى الله عليه وسلم . والحفاوة : العناية والإكرام . الزواهر : النجوم ، والمراد وصيفاتها . أينما : أى أينما سارت .

(٣) العيس : الإبل ؛ و يطلق فى الأصل على الإبل البيض يخالط بياضها شقرة ؛ و يقال : إنها كرام الإبل . الواحد أعيس : والأنثى عيساء .

(٤) أكناف الجزيرة : جوانبها . وأنضرت واديها ، أى جعلته ناضرا حسنا بهيجا من الخصب . و يريد بقوله : « وكنت لها سما » : أنه كان لها مطرا ؛ وقد هطل المطر فى جزيرة العرب أيام حجه .

(٥) البطحاء والأبطح : مسيل للماء واسع ، فيه دقائق الحصى . و بطحاء مكة : مسيل واديها .

(٦) يريد هارون الرشيد الخليفة العباسى المعروف . وميمون النقيبة : أى محمود المختبر (بفتح الباء) .

(٧) الجمار : الحصى الذى يرمى به الحجاج فى منى .

وإنّ الذى تَرْميه وَقْفٌ على الرَّدى وإنّ لاذَ بالأفلاك ياخيرَ مَنْ رَمى[١]

وبين الصَّفا والمَرْوَةِ ازْدَدْتَ عِزَّةً بِسَعْيِكَ يا (عَبّاسُ) لله مُسْلِما

تُهَرْوِلُ للمَوْلى الكَريم مُعَظِّماً وكم هَرْوَلَ السّاعى إليكَ وعَظَّما[٢]

وطُفْتَ وكم طافَت بِسُدَّتِكَ المُنَى وكم أَمْسَكَ الراجى بها وتَحَرَّما[٣]

ولمّا استَلَمْتَ الرُّكْنَ هاجَتْ شُجُونُه فلو أنّه اسطاعَ الكلامَ تَكَلَّما[٤]

تَذَكَّرَ (زَيْنَ العابِدينَ) وجَدَّه وما كانَ منْ قَوْلِ (الفَرَزْدَقِ) فيهما[٥]

فلو يَسْتَطيعُ الرُّكْنُ أَمْسَكَ راحَةً مَسَحْتَ بها يا أكرَمَ الناس مُنْتَمى[٦]

دَعَوْتَ لنا حَيْثُ الدُّعاءُ إجابَةٌ وأنتَ بِدَعْوَى الله أَطْهَرُنا فَما

أَمانِيُّكَ الكُبْرى وَهَمُّكَ أنْ تَرى بأرجاءِ وادى النِّيلِ شَعْباً مُنَعَّما

وأنْ تَبْنِيَ المَجْدَ الّذى مالَ رُكْنُه وأنْ تُرْهِفَ السَّيْفَ الّذى قد تَثَلَّما[٧]

---

(١) الردى : الهلاك . يقول : إن الذى ترميه هالك لا محالة وإن تحصن منك بأفلاك السماء .

(٢) الهرولة : الإسراع فى المشى . ويريد « بالساعى » : طالب المعروف .

(٣) السدة الباب . وتحرم بسدته : احتمى بها واستأمن من نوائب الدهر بالوقوف بها ، كما يستأمن الداخل فى الحرم من العدوان عليه . (٤) شجونه : أى أشواقه .

(٥) زين العابدين : هو أبو الحسن على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم ، أحد الأئمة ، وهو من سادات التابعين . ولد فى سنة ثمان وثلاثين للهجرة . وتوفى سنة أربع وتسعين ؛ وقيل اثنتين وتسعين . والفرزدق : هو أبو فراس همام بن غالب التميمى أحد فحول الشعر فى العصر الأموى ؛ وكانت ولادته ونشأته بالبصرة ؛ وتوفى بها نحو سنة مائة وعشر هجرية . ويشير الشاعر فى هذا البيت إلى قول الفرزدق فى قصيدته المشهورة فى مدح زين العابدين ، ومنها

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

هـذا ابن خير عباد الله كلهم هـذا النقى التقى الطاهر العلم

(٦) المنتمى : الأصل الذى ينتمى إليـه الإنسان ، أى ينتسب . ومنى هـذا البيت مأخوذ من قول الفرزدق فى زين العابدين :

يكاد يمسكه عرفان راحتـه ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

(٧) أرهف السيف : حدده . وتثلم : تكسر حده ، أى تعيد لمصر القوة التى تطرق إليها الضعف

دَعَوْتَ لمصرٍ أنْ تَسُودَ، وكَمْ دَعَتْ ... لكَ اللهَ مصرُ أنْ تَعِيشَ وتَسْلَما

فأيتَ مُلوكَ المسلمين تَشَبَّهُوا ... بِمَلْكٍ إذا ما أَجْحَمَ الدَّهْرُ أَقْدَما[1]

سَلِيلِ مُلُوكٍ يَشْهَدُ اللهُ أَنَّهُمْ ... أَقَامُوا عَمُودَ الدينِ لمّا تَهَدَّما

لئن باتَ بالمَجْدِ المُؤَثَّلِ مُغْرَماً ... لقد كانَ (إبراهيمُ) بالمَجْدِ مُغْرَما[2]

وإن تامَ حُبُّ المَكْرُماتِ فؤادَه ... لقد كانَ (إسماعيلُ) فيها مُتَيَّما[3]

وإنْ سَكَنَتْ تَقْوَى المُهَيْمِنِ قَلْبَه ... فقد كانَ منها قَلْبُ (تَوْفِيقَ) مُفْعَما[4]

وإنْ باتَ نَهّاضاً بمِصْرَ إلى الذُّرا ... فمِنْ جَدِّهِ الأَعْلَى (عَلِيٍّ) تَعَلَّما[5]

حَوَى ما حَوَى مِنْ مَجْدِهِمْ ونِجارِهِمْ ... وزادَ فأَعْيَا المادحينَ وأَفْحَما[6]

دَعَوْا بِكَ واسْتَسْقَوْا فلَبَّى دُعاءَهُمْ ... مِنَ الأُفْقِ هَتّانٌ مِنَ المُزْنِ قد هَمَى[7]

---

(١) الملك بسكون (اللام) : لغة فى الملك (بكسرها) . وأجحم : تأخر .

(٢) المجد المؤثل : المؤصل الثابت . و إبراهيم ، هو إبراهيم باشا ابن محمد على باشا الكبير؛ ولد سنة ١٧٨٩ وتولى عرش مصر فى حياة أبيه سنة ١٨٤٨ م . وتوفى فى السنة نفسها التى ولى فيها .

(٣) تامه الحب والعشق تيما : استعبده . و إسماعيل ، هو إسماعيل باشا ابن ابراهيم باشا ؛ ولد سنة ١٨٣٠م ؛ وولى خدوية مصر فى ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ م ؛ وعزل عنها سنة ١٨٧٩م . وتوفى فى ٢ مارس سنة ١٨٩٥ م .

(٤) توفيق : هو محمد توفيق باشا ابن إسماعيل باشا ؛ ولد فى سنة ١٨٥٢م ؛ وتولى الخديوية سنة ١٨٧٩ م ؛ وتوفى سنة ١٨ ٢م . والمفعم : الممتلئ .

(٥) على : أى محمد على باشا جدّ الأسرة المالكة ؛ ولد بمدينة قوله عام ١٧٦٩ م . ؛ وولى مصر عام ١٨٠٥م ؛ وتوفى فى ٢ أغسطس سنة ١٨٤٩ م .

(٦) النجار : الأصل . وأفحمه : أعجزه عن الكلام .

(٧) استسقوا : أى طلبوا السقيا . والضمير فى « دعوا » « واستسقوا » لأهل مكة . والهتان : المنصب . والمزن : السحاب ذو الماء . وهمى : سال لا يثنيه شئ . ويشير بهذا إلى مطر غزير نزل بمكة أيام حج الخديو فأخصبت به الأرض وفاضت بالخير .

أَلَحَّ على أوعارِهِمْ وسُهُولِهِمْ ... وحَيَّا عُبُوسَ القَفْرِ حتَّى تَبَسَّما (١)

ولمّا طَوَى بَطْحاءَ مَكَّةَ هَزَّهُ ... إلى البَيْتِ شَوْقُ المُسْتَهامِ فَيَمَّما (٢)

أَطافَ به ثم انْثَنَى عن فِنائِه ... ولَوْ عَبَّ منه (السّامِرِى) لأَسْلَما (٣)

طَلَعْتَ عليهمْ أَسْعَدَ الخَلْقِ مَطْلَعًا ... وعُدْتَ إلينا أَيْمَنَ الخَلْقِ مَقْدَما (٤)

رَجَعْتَ وقد داوَيْتَ بالجُودِ فَقْرَهُمْ ... وكُنْتَ لهم فى مَوْسِمِ الحَجِّ مَوْسِما

وأَمَّنْتَ للبَيْتِ الحرامِ طَرِيقَهُ ... وكان طَرِيقُ البَيْتِ مِنْ قَبْلِها دَما (٥)

ويَسَّرْتَهُ حتى اسْتَطاعَ رُكُوبَهُ ... أَخُو الفَقْرِ لا يَطْوِيه جُوعٌ ولا ظَما (٦)

وجُدْتَ وجادَتْ رَبَّةُ الطُّهْرِ والتُّقَى ... على العامِ حتَّى أَخْصَبَ العامُ مِنْكُما (٧)

فَلَمْ تُبْقِيا فَوْقَ الجَزِيرَةِ بائسًا ... ولَمْ تَتْرُكا فى ساحَةِ البَيْتِ مُعْدِما

فأَرْضَيْتُما الدَّيّانَ والدِّينَ كُلَّهُ ... لقد رَضِىَ الدَّيّانُ والدِّينُ عَنْكُما

---

(١) ألح على أوعارهم : دام عليها . والأوعار : ما صعب من الأرض . وعبوس القفر : ما جدب منه وقل نباته ، فصار كالوجه العابس الذى لا بشر فيه . وتبسم : أى أخصب وكثر نباته ، فاستعار « التبسم » لخصب الأرض وظهور ألوان النبات فيها .

(٢) طوى : أى المزن السابق ذكره . وبطحاء مكة : مسيل واديها . وهزه : حركه . ويمم : قصد .

(٣) الفناء : الساحة . ويريد الشاعر بهذا البيت والذى قبله أن السحاب لما أروى بطحاء مكة تشوق إلى الكعبة فسار إليها ، ثم ارتد عنها إجلالا لها ولم يمطر عليها . وعب منه : شرب . ويريد بالسامرى : موسى السامرى الوارد ذكره فى القرآن فى قصة بنى إسرائيل ، إذ صنع لهم عجلا من الحلى وحضهم على عبادته ، وكان ذلك فى غيبة نبي الله موسى عليه السلام فى ميقات ربه ؛ قال تعالى فى سورة طه : (قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى) الآيات .

(٤) أيمن الخلق : أى أبركهم .

(٥) دما : أى ملئوا بالقتل وسفك الدماء .

(٦) لا يطويه : أى لا يرده ولا يصرفه .

(٧) يريد « بربة الطهر » : والدة الخديو .

تحية محمد سعيد باشا[1]

بمناسبة عودته من أوربة في اليوم الحادي عشر من شهر شوال سنة ١٣٣٠ هـ . وكان رئيسا للحكومة إذ ذاك

فِيكِ السَّعِيدانِ اللَّذانِ تَبارَيَا ... يا مِصْرُ في الخَيْراتِ والبَرَكاتِ[2]

نِيلٌ يَفِيضُ على سُهُولِكِ رَحْمَةً ... وفَتًى يَقِيكِ غَوائِلَ العَثَراتِ

عادَ الرَّئِيسُ فَرَحِّبِي بِقُدُومِهِ ... وتَهَلَّلِي بِمُفَرِّجِ الأَزَماتِ

إلى أمين واصف بك

قال هذين البيتين ليكتبا في لوح مهدى إليه من مدرسة طوخ الصناعية ، إذ كان مديرا للقليوبية

[نشر في سنة ١٩١٢ م]

لَمْ نَجِدْ ما يَفِي بِقَدرِكَ في المَجْـ ... ـدِ فيُهْدَى إلى حِماكَ الكَرِيمِ

فَبَعَثْنا إليكَ باسْمِكَ مَكْتُو ... بًا على صَفْحةِ الوَلاءِ المُقِيمِ

*
* *

(١) محمد سعيد باشا هو الوزير المعروف ولد في سنة ١٨٦٣ م ، وبعد أن أتم علومه تولى عدة مناصب قضائية وعدة وزارات ورأس الوزاره مرتين ، الأولى من سنة ١٩١٠ م . إلى سنة ١٩١٤ م ، والثانية سنة ١٩١٩ م . وكان وزيرا للمعارف في الوزارة السعدية سنة ١٩٢٤ م . ثم اعتزل السياسة إلى أن توفي في ٢٠ يوليه سنة ١٩٢٨ م ؛ وكان معروفا بالعقل والدهاء في الشئون السياسية .

(٢) تباريا : تسابقا .

وقال يودّعه :

أنشدها فى حفل أقامه كبار موظفى مديرية القليوبية ، إذ كان مدرا لمدير يتهم ونقل

[نشرت فى ٩ مايو سنة ١٩١٢ م]

إنى دُعِيتُ إلى ٱحْتِفالِكَ بَغْتَةً ... فأَجَبْتُ رَغْمَ شَواغِلِى وسَقامِى

وَدَعَوْتُ شِعْرِى يا (أمينُ) فَخَانَنِى ... أَدَبِى ولَمْ يَرْعَ القَرِيضُ ذمامى(١)

فأتَيْتُ صِفْرَ الكَفِّ لَمْ أَمْلِكْ سِوَى ... أَمَلِى بِصَفْحِكَ عَنْ قُصُورِ كَلامِى

وا خَجْلَتِى ! أَيَكُونُ هٰذا مَوْقِفِى ... فى حَفْلَةِ التَّوْدِيعِ والإِكْرامِ ؟

وأَنَا الخَلِيقُ بأَنْ أُرَتِّلَ لِلوَرَى ... آياتِ هٰذا المُصْلِحِ المِقْدامِ

وأقومُ عَنْ نَفْسِى وعَنْ غَيْرِى بِما ... يَقْضِى الوَلاءُ وواجِبُ الإعْظامِ

(بِنْها) لقد وُفِّيتِ قِسطَكِ من مُنًى ... وسَعادةٍ ورِعايةٍ ونِظامِ(٢)

فَدَعِى سِواكِ يَفُزْ بقرْبِ مُوَفَّقٍ ... هُوَ فى الحُكومَةِ نُخْبَةُ الحُكّامِ

لَبِسَ التَّواضُعَ حُلَّةً ومَشَى إلى ... رُتَبِ الجَلالِ مُسَدَّدَ الأَقْدامِ

وغَدَا بأَبْرَاجِ العُلَا مُتَنَقِّلًا ... كالبَدْرِ يُسْعِدُه السُّرَى بِتَمامِ

(١) الذمام : الحق والحرمة .

(٢) بنها : عاصمة مديرية القليوبية .

تهنئة محمود سامي بك (باشا)[1]

قالها في حفل أقيم لتكريمه بفندق الكونتننتال لمناسبة ترقيته إلى منصب كبير في وزارة (نظارة) الأشغال

[نشرت في ١٢ يوليه سنة ١٩١٢ م]

رَبّاكَ والِدُكَ الكَرِيمُ على التُّقَى … وعلى النَّزاهَةِ والضَّمِيرِ الطّاهِرِ

فَنَشَأْتَ بين رِعايَةٍ وعِنايَةٍ … ودَرَجْتَ بين مَحامِدٍ ومَفاخِرِ

وسَمَوْتَ يا (سامِي) إلى أَوْجِ العُلا … وبَرَزْتَ قَوْمَكَ بالذَّكاءِ النّادِرِ

رَبَّى أَبُوكَ عُقُولَنا ونُفُوسَنا … فَاهْنَأْ بِوالِدِكَ (الأَمِينِ) وفاخِرِ[2]

واهْنَأْ بِما أُوتِيتَهُ مِنْ نِعْمَةٍ … في عَهْدِ مَوْلانا الأَمِيرِ الزّاهِرِ[3]

يا مالِئَ الكُرْسِيِّ منه مَهابَةً … وكِفايَةً يا مِلْءَ عَيْنِ النّاظِرِ

إِنَّ الَّتِي قُلِّدْتَها في حاجَةٍ … لِعَزِيمَةٍ تَمْضِي ورَأْيٍ باتِرِ[4]

فَأَفِضْ ضِياءَكَ في (النِّظارَةِ) كُلِّها … واقْبِضْ على الأَعْمالِ قَبْضَ القادِرِ

واخْدُمْ بِلادَكَ بِالَّذِي أُوتِيتَهُ … مِنْ فِطْنَةٍ وأَقِلْ عِثارَ العاثِرِ[5]

هَنَأْتُ مِصْرَ ونِيلَها ورِجالَها … لَمّا رَأَيْتُكَ في ثِيابِ الآمِرِ

---

(١) هو ابن صاحب السعادة الأستاذ أمين سامي باشا المربي المعروف . تولى رحمه الله عدة مناصب عالية في الحكومة المصرية آخرها منصب الوزير المفوض لمصر في أمريكة ، وتوفي في يوليه سنة ١٩٣٦ م .

(٢) يشير بهذا البيت إلى أن والد الممدوح من رجال التربية بوزارة المعارف ، وكان ناظرا لمدرسة دار العلوم مدة طويلة من الزمن ، وتخرج في أيام نظارته لهذه المدرسة كثيرون من الأساتذة الأجلاء .

(٣) العهد الزاهر : المضيء المشرق ، ويريد عهد الخديو عباس الثاني .

(٤) الباتر : القاطع .

(٥) يقال : أقال فلان عثار فلان وعثرته ، إذا صفح عن زلته ودفع عنه ما يتوقع بسببها من مكروه .

وَرَأَيْتُ فى الدِّيوان قَدْرَكَ عالياً ... والناس تهتِفُ بالثَّناء العاطِرِ
ما بَيْنَ مُعْتَرِفٍ بفضْلِكَ مُعْلِنٍ ... أو ضارِعٍ لكَ بالدُّعاء وشاكِرِ
أَمُهَنْدِسَ النِّيلِ السَّعيد تحيّةً ... من مِصْرَ تحْدُوها تحيّةُ شاعر
يَدْعُو إلهَكَ أن يُكَثِّر بيْنَنا ... أَمْثالَ (سامِى) فى الزّمان الحاضر

إلى الدكتور على إبراهيم بك (باشا) الجراح المعروف

[نشرت فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩١٢ م]

هل رَأَيْتُم مُوَفَّقًا (كَعَلِيٍّ) ... فى الأطبّاءِ يَسْتَحِقُّ الثَّناء
أَوْدَعَ اللهُ صَدْرَه حِكْمَةَ العِلْـ ... ـمِ وأَجْرَى على يَدَيْه الشِّفاءَ
كَمْ نُفُوسٍ قد سَلَّها مِنْ يَد المَوْ ... تِ بلُطْفٍ منه وكَمْ سَلَّ داءَ[١]
فأَرانَا (لُقْمانَ) فى مِصْرَ حَيًّا ... وحَبانَا لكُلِّ داءٍ دَواءَ[٢]
حَفِظَ اللهُ مِبْضَعاً فى يَدَيْه ... قد أَماتَ الأَسَى وأَحْيا الرَّجاءَ[٣]

تحيـة خليل مطران بك

أنشدها فى حفل أقيم بدار الجامعة المصرية لتكريمه بمناسبة الإنعام عليه (بالنيشان) المجيدى

يوم ٢٤ أبريل سنة ١٩١٣ م

جاز بى عَرْفُها فهاجَ الغَرامَا ... ودَعانِى فزُرْتُها إلْمامَا[٤]
جَنَّةٌ تَبْعَثُ الحياةَ وتَجْلُو ... صَدَأَ النّفس رَوْنَقًا ونِظاما

(١) سلها : انتزعها وأخرجها .
(٢) لقمان : حكيم معروف . وحبانا : أعطانا .
(٣) المبضع : المشرط . والأسى : الحزن .
(٤) العرف : الريح الطيبة . والماما : أى زيارة قصيرة .

زُرْتُها مَوْهِنًا وفى طَىِّ نَفْسِى ذِلّةُ الصَّبِّ وانكسارُ اليَتامَى[(١)]

وتَنَقَّلْتُ فى خَمائلِها الخُضْـ ـرِ يَمِينًا ويَسْرةً وأَماما[(٢)]

فإذا رَوْضتانِ فى ذلك الرَّوْ ضِ تَمِيسانِ تحت ريح الخُزَامَى[(٣)]

جاءَتا تَخْطِرانِ والنجمُ ساهٍ وعيونُ الأزهار تَبْغِى المَناما[(٤)]

جازَتا مَوْضِعِى فهَبَّ نَسيمٌ أذكَى مِنِّى الأَسَى وهاجَ الهُيَاما[(٥)]

فترَسَّمْتُ منهما أَثَرَ الخَطْـ ـوِ وخافَتُّ فى المَسِير احْتِشاما[(٦)]

وتَسَمَّعْتُ عَلَّنِى أُطْفِئُ السَّوْ قَ وأُرْوِى من الفُؤاد الأُواما[(٧)]

فاذا لَهْجَتانِ منْ لَهَجات الشَّـ ـرْق قد شاقَتا فُؤادى فَهاما[(٨)]

تلك سُورِيَّةٌ تفيض بَيانًا تلك مِصْرِيَّةٌ تَسِيل انسجاما

فِطْنَةٌ عند رِقَّةٍ عند ظَرْفٍ عند رأْيٍ تَخالُه إلْهاما

مالَتا نَحْوَ دَوْحةٍ تُرْسِل الأَغْـ ـصانَ واختارَتا لَدَيْها مُقاما[(٩)]

---

(١) الموهن : نحو نصف الليل . (٢) الخمائل : المواضع الكثيرة الشجر . الواحدة : خميلة .

(٣) تميسان : تتبختران . والخزامى : خيرى البر ، وزهره من أطيب الأزهار نفحة .

(٤) كنى "بسهو النجم" و"نوم الزهر" عن سكون الليل وركود ظلامه .

(٥) يلاحظ أنه لا يستقيم الوزن إلا بحذف حرف العلة من قوله "أذكى" ، وهو خطأ لا تجيزه اللغة ، ولعل فى لفظى "أذكى" "وهاج" فى هذا الشطر تقديما وتأخيرا ، والصواب "هاج" فى الأوّل و"أذكى" فى الثانى ليسلم من ذلك العيب فيصير الشطر :

هاج منى الأسى وأذكى الهياما

والأسى : الحزن . والهيام : شدّة الشوق .

(٦) خافت فى المسير : أى خفضت منه ، وخففت من وقع الخطو لئلا يسمع .

(٧) الأوام : شدّة العطش . ويريد الاشتياق إلى حديثهما .

(٨) المراد "باللهجة" هنا : طريقة النطق بالألفاظ وجرس الكلام .

(٩) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة .

ثم أَلْقَتْ قناعَها بنتُ مصرٍ ... وأمَاطَتْ بنتُ الشَّام اللِّثاما[1]
فتوهَّمْتُ أنْ قد انفلَقَ البَدْ ... رُ وقد كُنْتُ أُنْكِرُ الأوْهاما
فَتَواريتُ ثم علَّقْتُ أنْفا ... سيَ ما آسْطَعْتُ وآرتَدَيْتُ الظَّلاما[2]
ظنَّتا ذٰلك المكانَ خلاءً ... لا رَقيبًا يُخْشَى ولا نَمَّاما
فجَرَى فيه ما جَرَى من حديث ... كان بَرْدًا على الحَشَا وسَلامَا
حين قالتْ لأخْتِها بنتُ مصرٍ ... إنكمْ أمةٌ أبَتْ أنْ تُضاما
صَدَق الشاعرُ الذى قال فيكم ... كلماتٍ نَبَّهْنَ منّا النِّياما[3]
رَكبوا البحرَ، جاوَزُوا القُطْبَ، فاتُوا ... مَوْقِعَ النَّيِّرَيْن ، خاضُوا الظَّلاما[4]
يَمْتَطون الخُطوب فى طَلَب العَيْـ ... ـش ويَبْرُون للنِّضال السِّهاما
فانبَرَتْ ظَبْيةُ الشامِ وقالتْ ... بَعْضَ هذا فقد رَفَعْتِ الشِّاما[5]
أَنْتُمُ الأَسْبَقون فى كلِّ مَرْمًى ... قد بلغتُم من كلِّ شئ مَراما
إنَّما الشَّامُ والكِنانةُ صِنْوا ... ن ، رَغْم الخُطوب عاشَا لزاما[6]
أُمُّكُم أُمُّنا وقد أَرْضَعَتْنا ... من هَواها ونَحْنُ نأبَى الفطاما[7]
قد نَزَلْنا جوارَكم فحَمِدْنا ... منكُم الوُدَّ والنَّدَى والذِّماما[8]

(١) أماطت اللثام : أبعدته ونحته .

(٢) علقت أنفاسى : أى حبستها عن التردّد فى صدرى لئلا تسمع فيعرف مكانى .

(٣) الشاعر : هو حافظ . والبيتان اللذان بعد هذا البيت من قصيدة له ستأتى فى هذا الديوان .

(٤) النيران : الشمس والقمر . يصف عزم الشاميين وكثرة ارتحالهم فى طلب الرزق .

(٥) بعض هذا : أى قولى بعض هذا إذ لا نستحق كله .

(٦) الصنو : الأخ الشقيق .

(٧) تريد "بالأم" : اللغة العربية .

(٨) الذمام : الحرمة والذمة .

وحَلَلْنا فى أرْضكم فأصَبْنا مَنزِلاً مُخْصِبًا وأهلاً كِراما

وغَشِينا دِيارَكم حَيْثُ شِئْنا فلَقينا طَلاقةً وابتِساما

وشَرِبنا من نِيلكم فنَسِينا ماءَ لُبْنانَ سَلْسَلا والغَماما[1]

وقَبَسْنا من نُورِكم فكَتَبْنا وأَجَدْنا نِثارنا والنِّظاما

وتَلَوْنا آياتِ شَوْقى وصَبْرى فرأَيْنا ما يَبْهَر الأَفْهاما

مَلأ الشرقَ حكمةً وأقاما فى ثَنايا النُّفوس أنّى أَقاما

غَنَّيا المَشرِقَيْنِ ما تَرك الأَفْلاكَ حَيْرَى وأَذْهَل الأَجْراما

وأعادا عَهْدَ الرَّشيد لعبّاس فكانا يراعَه والحُساما[2]

فأشارت فتاةُ مصْرَ وقالت : قَدْكِ ، لم تَتْرُكى لمصْر كَلاما[3]

أنتم الناسُ قُدْرةً ومَضاءً ونُهوضًا إلى العُلا واعتِزاما

أطلعتْ أرضُكم على كلِّ أُفْقٍ أَنْجُما إثر أَنْجُم تَتَرامَى[4]

تركبُ الهَوْلَ لاتَفادَى ، وتمشى فوق هامِ الصِّعاب لاتَتَحامَى[5]

قد سَمِعْنا "خليلَكم" فَسمِعْنا شاعِرًا أقعد النُّهَى وأَقاما

وطَمِعْنا فى شَأْوِه فقَعَدْنا وكَسَرْنا مِن عَجْزِنا الأَقْلاما[6]

---

(١) السلسل : العذب .

(٢) يريد "بالرشيد" : الخليفة العباسى ، وكان عصره حافلا بالأدباء والشعراء . ويريد "بعباس" الخديو عباس حلمى الثانى . (٣) قدك : حسبك

(٤) يريد "بالأنجم" : رجال سورية المتفرقين فى أنحاء العالم

(٥) لا تفادى : أى لا تتفادى .

(٦) الشأو : الغاية

نَظَمَ الشَّامَ والعِراقَ ومِصرًا ... سِلْكُ آياتِه فكانَ الإمَاما

فمشى النَّثرُ خاضِعًا ومشى الشِّعْـرُ وألْقَى إلى الخليلِ الزِّماما

ورأى فيه رَأْيَنا صاحبُ النِّيـلِ فأهْدَى إليه ذاكَ الوِساما[1]

شارةً زانتِ القَريضَ فكانت ... شارةَ النَّصْرِ زانتِ الأعْلاما

فعقَدْنا له اللِّواءَ عَلَيْنا ... واحْتَفَلْنا نَزِيدُه إكْراما

ذاك ما دارَ مِن حَديثٍ شهيٍّ ... يَسْتَفِزُّ النُّهَى ويُشْجِى النَّدَامى

قد تَسَقَّطْتُه وخالفتُ فيهِ ... مَنْ يَرى النقلَ سُبَّةً واجْتِراما[2]

فمِنَ النَّقلِ ما يكونُ حَلالًا ... ومن النقلِ ما يكونُ حَراما

* * *

صَدَقَ الغادتان يا ليت قَوْمَيْنا كما قالتا هَوًى وٱلتئاما

نحنُ فى حاجةٍ إلى كلِّ ما يُنْمِى قُوانا ويَرْبُطُ الأرْحاما

فاجعلُوا حَفْلَةَ الخليلِ صفاءً ... بين مِصْرٍ وأختِها وسَلَاما

وٱسألُوا اللهَ أن يُدِيمَ عَلَيْنا ... ملكَ "عباسَ" ناضرًا بَسّاماً[3]

هو آمالنا وحامِى حِمانا ... أيَّدَ اللهُ مُلْكَه وأدَاما

(١) صاحب النيل : أى أمير مصر ، وكان إذ ذاك عباسا الثانى .

(٢) تسقط الأخبار : تتبعها وأخذها شيئا بعد شىء .

(٣) منع "عباسا" من الصرف لضرورة الوزن .

تهنئة له أيضا للانعام عليه بالوسام السابق ذكره

[نشرت فى أول أبريل سنة ١٩١٣ م]

وَسِعَ الفَضْلَ كلَّه صَدْرُكَ الرَّحْـــبُ فَمَنْ شَـاءَ فَلْيُهَنِّئْ وِسامَه(١)

لَمْ يَزِدْكَ الوِسامُ قَدْرًا ولٰكِنْ زادَ قَدْرَ العلا وقَدْرَ الكَرامَة

كَمْ وِسامٍ كَمْ حِلْيَةٍ كَمْ شِعارٍ فِيكَ كَمْ شارَةٍ وكَمْ مِنْ عَلامَة

لإباءٍ وحِكْمَةٍ وإخاءٍ وصَفاءٍ وهِمَّةٍ وشَهامَة

تحية الى واصف غالى بك (باشا)

أنشدها فى فندق شبرد سنة ١٩١٤ م عند ما نشر كتابه المعروف "بحديقة الأزهار" الذى ترجم فيه بعض الشعر العربى القديم إلى اللغة الفرنسية ، وكان يلقى محاضرات وخطبا فى فرنسا ينوه فيها بالعرب ومصر والشرق

يا صاحبَ الرَّوْضَةِ الغَنّاءِ هِجْتَ بِنا ذِكْرَى الأَوائِلِ مِنْ أَهْلٍ وجِيرانِ(٢)

نَشَرْتَ فَضْلَ كِرامٍ فى مَضاجِعِهِمْ جَرَّ الزَّمانُ عليهِمْ ذَيْلَ نِسْيانِ

إنِّى أُحَيِّيكَ عنهمْ فى جَزِيرَتِهِمْ وفى العِراقِ وفى مِصْرٍ ولُبْنانِ

جَلَوْتَ للغَرْبِ حُسْنَ الشرقِ فى حُلَلٍ لا يُسْتَهانُ بها ، نَسّاجَ (هِرْنانِى)(٣)

---

(١) الضمير فى "وسامه" للصدر .

(٢) الروضة الغناء : هى التى تمر الريح فيها غير صافية الصوت لكثافة نبتها والتفافه .

(٣) نساج هرنانى : يريد تشبيه واصف غالى بفكتور هوغو الشاعر الفرنسى المعروف مؤلف رواية هرنانى ، وهى رواية تمثيلية معروفة تعد من عيون الأدب الفرنسى ، وقد ترجمت إلى العربية .

ظَنُّوكَ منهمْ وقد أَنْشَأْتَ تَخْطُبُهُمْ ... بمـا عَنَـا لكَ مِن سِحْـرٍ وتِبيانِ[١]
ما زِلْتَ تَبْهَـرنا طَـوْرًا وتَبْهَـرهُمْ ... حتّى ٱدّعاكَ وحَيّـاكَ الفَريقانِ
لولا اسمرارُكَ فازُوا فى ٱدعائِهِمُ ... (بواصِفٍ) وخَسِرْنا أىَّ خُسْرانِ
غَرَسْتَ مِنْ زَهَراتِ الشرقِ طائفةً ... فى أرضِ (هيغُو) فجاءَتْ طُرْفَةَ الجانى[٢]
حَديقةً لكَ لَمْ نَعْهَدْ لهـا شَبَهًـا ... بين الحَدائِقِ فى زَهْرٍ وأَفْنـانِ
يُحْيِي شَـذاها نُفُوسَ الوافِدِين وما ... مَرُّوا بوَرْدٍ ولا طافُوا برَيْحـانِ[٣]
لـكنّها منْ ازاهـير النُّهَى جَمَعَتْ ... مالا تُناخِفُـه أزهـارُ بُسْـتانِ[٤]
بالأمْسِ كان لها شَرْقٌ تَضُوعُ به ... واليـومَ صارَ لها بالغَرْبِ شَرْقَانِ[٥]
أَسْمَعْتَهُمْ مِنْ نَسيبِ القَوْمِ فٱنطاقَتْ ... شُؤونُ كلِّ شَجِيِّ القَلْبِ وَلْهـانِ[٦]
وزِدْتَهُمْ مِنْ كلامِ (البُحْتُرِى) قِطَعًا ... مِثْلَ الرِّياضِ كَسَتْها كَفُّ (نَيْسانِ)[٧]
سَلْ (أَلْفَرِيدَ) و(لامَرْتِينَ) هَلْ جَرَيَا ... مع (الوَلِيد) أو (الطّائى) بمَيْدانِ[٨]

(١) ظنوك منهم : أى ظنك الفرنسيون فرنسيا . وعنا : خضع وذل .

(٢) يريد بالزهرات : المقطوعات الأدبية التى ترجمها . وهيغو : هو فكتور هوغو الشاعر المعروف . انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٣٣ من هذا الجزء . والطرفة : الغريب المستحسن المعجب .

(٣) الشذا : قوة ذكاء الرائحة .

(٤) تناخفه : أى تباريه وتغالبه فى التفح ، أى الرائحة الطيبة .

(٥) تضوع : تفوح وتنتشر .

(٦) النسيب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن فى الشعر . ويريد بالقوم شعراء العرب . والشؤون : مجارى الدموع .

(٧) نيسان : شهر من شهور السنة المسيحية معروف ، وهو يقابل أبريل .

(٨) انظر التعريف بألفريد ديموسيه فى الحاشية صفحة ١١٧ من هذا الجزء . ولامارتين : هو ألفونس دلامارتين الشاعر الفرنسى ، ولد سـنة ١٧٩٠ م ، وتوفى سنة ١٨٦٩ م ، وهو معروف برقة الغزل حتى قيـل له : شاعر الحب والجمال . والوليد : هـو أبو عبادة البحترى . والطائى ، هو أبو تمام حبيب بن أوس ، وكلاهما شاعر معروف .

وَهَلْ هُمَا فى سَمَاءِ الشِّعْرِ قد بَلَغَا ... شَأْوَ (النُّواسِىِّ) فى صَوْغٍ و إِتْقانِ [١]

وَدًّا وقد شَهِدَا بالحَقِّ أَنَّهما ... فى بَيْتِ (احمدَ) لو يَرْضَى نَديمانِ [٢]

أَمْسَى كِتابُكَ (كالسِّيما) يُعيدُ لهمْ ... مَرْأَى الحَوادِثِ مَرَّتْ مُنْذُ أَزْمانِ

قد شَاهَدَا فيه تَحْتَ النَّقْعِ عَنْتَرَةً ... يُصارِعُ المَوْتَ عن عَبْسٍ وذُبْيانِ [٣]

وشاهَدُوا أَسَدًا يَمْشِى إِلى أَسَدٍ ... كِلاهُما غَيْرُ هَيَّابٍ ولا وانِى

هذا منَ العُرْبِ لا يُلْوِى به فَزَعٌ ... وذاكَ أَرْوَعُ مِنْ آسادِ خَفَّانِ [٤]

لله دَرُّ يَراعٍ أَنتَ حامِلُهُ ... لو كانَ فى أَنْمُلِى يوما لأَغْنانِى

وَقَفْتَ تَدْفَعُ عن آدابِنا تُهَمًا ... كادَتْ تُقَوِّضُ مِنها كُلَّ بُنْيانِ

فكنتَ أَوَّلَ مِصْرِىٍّ أَقامَ لهمْ ... على نَبالَةِ مِصْرٍ أَلْفَ بُرْهانِ

ما زِلْتَ تُلْقِى على أَسْماعِهِم حُجَجًا ... فى كُلِّ نادٍ وتَأْتِيهِمْ بِسُلطانِ [٥]

حتَّى انْثَنَيْتَ وما لِلرَّيْبِ مُجْتَرِئٌ ... على البِناءِ ولا زارٍ على البانِى [٦]

---

(١) وهل هما : أى ألفريد ولامارتين . والنواسى : هو أبو نواس الحسن بن هانئ الشاعر المعروف . والشأو : الغاية .

(٢) يريد أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الشاعر المعروف .

(٣) النقع : الغبار فى الحرب . وعنترة : هو ابن شداد العبسى ، وهو من فحول شعراء الجاهلية ومن فرسانهم المعروفين بالشجاعة والبأس ، وهو صاحب المعلقة التى أولها :

هل غادر الشعراء من متردّم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم

وعبس وذبيان : قبيلتان من قبائل العرب معروفتان ، ويشير إلى أن الممدوح قد ترجم بعد شعر عنترة فى كتابه .

(٤) " لا يلوى به الفزع " أى لا يصرفه ولا يردّه خوف . والأروع : الشهم الشجاع . وخفان : موضع قرب الكوفة تأوى اليه الأسود . ويشير بهذا البيت والذى قبله الى قصيدة البديع الهمذانى التى قالها على لسان بشر بن عوانة ، وذكر فيها لقاءه للأسد ومواثبته إياه حتى قتله ، وهى من القصائد التى ترجمها الممدوح إلى اللغة الفرنسية فى كتابه السابق ذكره ، وأولها :

أفاطم لو شهدت ببطن خبت ... وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا

(٥) السلطان : الحجة والبرهان .

(٦) الزارى : العائب .

مَحَوْتَ ما كَتَبُوا عنّا بقاطعةٍ ... من البَراهينِ فَلّتْ قولَ (رينانِ)[١]

أنْحَى على الأدَبِ الشَّرقِّ مُفْتَرِيًا ... عليهِ ما شاءَ مِنْ زُورٍ وبُهْتانِ[٢]

ظَنَّ الحقيقةَ فى الأشعارِ تَنْقُصُنا ... واللّفْظَ والقَصْدَ والتَّصْويرَ فى آنِ

وأنّنا لم نَصِلْ فيها إلى مِئَةٍ ... عَدًّا وذاكَ لِعِيٍّ أو لِنُقْصانِ[٣]

ولو رَأى (ابنَ جُرَيْجٍ) فى قصائده ... لَقالَ آمَنْتُ فى سِرّى وإعْلانِى[٤]

مالِى أُفاخِرُ بالمَوْتَى وبَيْنَ يَدِى ... مِنْ شِعْرِ أحيائنا ما ليسَ بالفانِى

فى شِعْرِ (شَوْقى) و(صَبْرِى) ما نَتِيهُ به ... على نَوابِغِهِمْ دَعْ شِعْرَ (مُطْرانِ)

بُورِكْتَ يابنَ الوزيرِ الحرِّ مِنْ رَجُلٍ ... لم يَخْتَلِفْ فيه أو فى فَضْلِه اثْنانِ[٥]

بَلِّغْ إذا جئتَ (باريزًا) أفاضِلَها ... عنّا التّحيّاتِ واشفَعْها بشُكْرانِ

وخُصَّ كاتِبَهُمْ (زُولاَ) بأطْيَبِها ... كَيْما يُقابَلُ إحْسانٌ بإحْسانِ[٦]

واجعَلْ لِسِفْرِكَ ذَيْلاً فى شَواعِرِنا ... وقِفْ لهنّ هُناكَ المَوْقِفَ الثانى[٧]

---

(١) رينان هو الفيلسوف الفرنسى المعروف الذى ردّ عليه الأستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده فيا رمى الاسلام والمسلمين به من تهم ، وقد غمز الأدب الشرقى بعدّة مغامز سيذكرها الشاعر بعد .

(٢) يقال : أنحى عليه بالشتم : إذا أقبل عليه به . والمفترى : الكاذب المختلق .

(٣) "وأننا" الخ : أى ظن أن شعراء العرب لم يصلوا فى القصيدة إلى مئة بيت ، ونسب ذلك إلى العجز فى المنطق ونقصان اللغة العربية وقصورها عن تأدية ما يريده الشاعر .

(٤) يريد بابن جريج أبا الحسن على ابن العباس بن جريج الرومى مولى بنى العباس ، الشاعر المكثر ، صاحب التوليد الغريب والمعانى المبتكرة ، ولد ببغداد سنة ٢٢١ هـ ، وتوفى سنة ٢٨٣ هـ ، وهو مشهور بالمطوّلات من القصائد .

(٥) الوزير : هو بطرس غالى باشا أبو الممدوح .

(٦) هو أميل زولا الكاتب الفرنسى المعروف ، ولد فى باريس سنة ١٨٤٠ م ، وتوفى سنة ١٩٠٢ م .

(٧) يرغب حافظ إلى الممدوح أن يترجم إلى اللغة الفرنسية كتابا آخر من شعر النساء العربيات يكون ذيلا لكتابه الأوّل .

وانثُرْ على الغَرْبِ مِنْ تلكَ الحُلَى وأَشِدْ ... بِكُلِّ حُسّانَةٍ فينا وحُسّانِ[١]

وعُدْ إلى الشَّرْقِ عَوْدَ الفاتحِين له ... وخُذْ مكانَكَ فيه فَوْقَ (كِيوان)[٢]

وآشكُرْ رِعايةَ عَبّاسٍ ومِنّتَهُ ... وآشرَحْ وَلاءَكَ يا (غالى) (لعُثْمان)[٣]

وآضرَعْ إلى اللهِ أَنْ يَرْعَى أَرِيكَتَنا ... مَرْفُوعَةَ الشانِ ما مَرَّ الجَدِيدان[٤]

تهنئة المغفور له السلطان حسين كامل[٥] بالسلطنة

[نشرت فى أول يناير سنة ١٩١٥م]

هَنِيئًا أيها المَلِكُ الأَجَلُّ ... لَكَ العَرْشُ الجَدِيدُ وما يُظِلّ

تَسَنَّمْ عَرْشَ (اسماعيلَ) رَحْبًا ... فأنتَ لِصَوْلَجَانِ المُلْكِ أَهْلُ[٦]

وحَصِّنْهُ بإحْسانٍ وعَدْلٍ ... لحِصْنُ المُلْكِ إحْسانٌ وعَدْلُ

وجَدِّدْ سِيرَةَ العُمَرَيْنِ فينا ... فإنّكَ بيننا للهِ ظِلُّ[٧]

لقد عَزَّ السَّرِيرُ وتاهَ لمّا ... تَبَوَّأَهُ المَلِيكُ المُسْتَقِلُّ[٨]

---

(١) أشاد بذكره : أى رفعه بالثناء عليه . و بكل حسانة وحسان : أى بكل مجيدة محسنة فى الشعر ومجيد محسن . و يجوز أن يقرأ هذان اللفظان بفتح الحاء، على معنى شاعرة وشاعر يشبهان حسان بن ثابت .

(٢) كيوان : اسم كوكب زحل بالفارسية .

(٣) يرغب إلى ممدوحه أن يشرح لعثمان مرتضى باشا إخلاصه للخديو ليبلغه إياه ، وكان عثمان باشا فى قصر الخديو عباس الثانى فى منزلة كبير الأمناء الآن .

(٤) الأريكة : سرير الملك . والجديدان : الليل والنهار .

(٥) ولد السلطان حسين كامل فى يوم ١٩ صفر سنة ١٢٧٠ هـ (٢١ نوفمبر سنة ١٨٥٣ م) ، وفى يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ تولى عرش مصر ، وتوفى رحمه الله فى ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ م .

(٦) تسنم العرش : علاه . والصولجان : العصا المعوجة من الطرف ، وهو لفظ فارسى معرب وكانت الملوك تتخذه شعارا للملك

(٧) العمران : أبو بكر وعمر رضى الله عنهما . (٨) تاه : اختال . وتبوأه : جلس عليه .

وَهَشَّ التَّاجُ حِينَ عَلَا جَبِيناً ... عليه مَهَابَةٌ وعَلَيْه نُبْلُ [١]
تَمَنَّى لو يَقَرُّ على أَبِيٍّ ... تَذِلُّ له الخُطُوبُ ولا يَذِلُّ
وقد نالَ المَرامَ وطابَ نَفْساً ... فها هُوَ ذا بلابِسِه يُدِلُّ [٢]
وما كنتَ الغَرِيبَ عن المَعالِى ... ولا التاجُ الذى بكَ باتَ يَعْلُو [٣]
وإنّكَ منذ كنتَ ولا أُغالِى ... حُسامٌ للأَرِيكةِ لا يُفَلُّ [٤]
فكم نَهْنَهْتَ مِنْ غَرْبِ العَوادِى ... وكم لكَ فى رُبُوعِ النِّيلِ فَضْلُ [٥]
وما مِنْ مَجْمَعٍ للخَيْرِ إلّا ... ومِنْ كَفَّيْكَ سَحَّ عليه وَبْلُ [٦]
فقد عَرَفَ الفَقِيرُ نَداكَ قِدْماً ... وقد عَرَفَ الكَبِيرُ عُلاكَ قَبْلُ
لكَ العَرْشانِ : هٰذا عَرْشُ مِصْرٍ ... وهٰذا فى القُلُوبِ له مَحَلُّ
فأَلِّفْ ذاتَ بَيْنِهِما بِرَأْيٍ ... وعَزْمٍ لا يَكِلُّ ولا يَمَلُّ
فَعَرْشٌ لا تَحُفُّ به قُلُوبٌ ... تَحُفُّ به الخُطُوبُ ويَضْمَحِلُّ [٧]
(أَبَا الفَلّاحِ) كم لكَ من أَيادٍ ... عَلَى ما فيكَ مِنْ كَرَمٍ تَدُلُّ [٨]
وآلاءٍ وإنْ أَطْنَبْتُ فيها ... وفى أَوْصافِها فأَنا المُقِلُّ [٩]

---

(١) هش للأمر : ارتاح اليه .
(٢) يدل : أى يفرط فى التيه والاختيال .
(٣) قوله " ولا التاج الذى بك بات يعلو " أى ليس التاج الذى علا بعلاك غريبا عن المعالى أيضا .
(٤) لا أغالى : أى لا أبالغ . ولا يفل : أى لا يثلم حده .
(٥) " نهنهت من غرب العوادى " ، أى كففت من النوائب وصرفتها عن مصر . وغرب السيف ونحوه : حدّه .
(٦) الوبل : المطر الكثير .
(٧) يضمحل : يخل ويذهب .
(٨) كان المغفور له السلطان حسين كامل يعنى كل العناية بخير الفلاح ورخائه ، وكان رئيسا للجمعية الزراعية مدة من الزمن .
(٩) الآلاء : النعم . والمقل : الموجز فى الكلام .

عُنِيتَ بحالَة الفلّاحِ حتّى ... تَهَيَّبَ أنْ يَزُورَ الأَرْضَ مَحْلُ[(١)]

وكيفَ يَزُورُ أرْضًا سِرْتَ فيها ... وأنتَ الغَيْثُ لَمْ يُمْسِكْه بُخْلُ

وكَمْ أحْيَيْتَ مِنْ أَرْضٍ مَواتٍ ... فأَضْحَتْ تُسْتَرَاد وتُسْتَغَلُّ[(٢)]

وأَخْصَبَ أهْلُهَا مِن بَعْدِ جَدْبٍ ... وفاضَ عليهِمُ رَغَدٌ ونَفْلُ[(٣)]

وكَمْ أَسْعَفْتَ فى مِصْرٍ جريحًا ... عليْه المَوْتُ مِنْ كَثَبٍ يُطِلُّ[(٤)]

وكنتَ لكلِّ مِسْكِينٍ وقاءً ... وأَهْلًا حِينَ لَمْ تَنْفَعْه أهْلُ[(٥)]

وكنتَ فَتًى بعَهْدِ أَبِيكَ نَدْبًا ... له رأْىٌ يُسَدِّدُه وفِعْلُ[(٦)]

لِكلِّ عَظيمةٍ تُدْعَى فتُبْلِى ... بلاءَ مُجَرِّبٍ يَحْدُوهُ عَقْلُ

تَوَلَّيْتَ الأُمورَ فَتًى وكَهْلًا ... فلَمْ يَبْلُغْ مَداكَ فَتًى وكَهْلُ[(٧)]

وجَرَّبْتَ الحَوادِثَ مِنْ قَدِيمٍ ... ومِثْلُكَ مَنْ يُجَرِّبُها ويَبْلُو[(٨)]

وكنتَ لمَجْلِسِ الشُّورَى حَياةً ... ونِبْراسًا اذا ما القَوْمُ ضَلُّوا[(٩)]

فلَمْ يُلْمِمْ بساحَتِه جُحُودٌ ... ولم يَجْلِسْ به عُضْوٌ أَشَلُّ[(١٠)]

وما غادَرْتَه حتّى أفاقُوا ... ومِن أَمْراضِ عَيْشِهِمُ أَبَلُّوا[(١١)]

---

(١) المحل : الجدب .

(٢) استراد المكان : طلبه وتخيره للنزول فيه .

(٣) النفل : زيادة الخير .

(٤) من كثب : أى من قرب .

(٥) الوقاء : الحفظ .

(٦) الندب : هو من إذا ندب لحاجة أسرع فى قضائها ، والسريع إلى الفضائل .

(٧) يشير بقوله : " توليت الأمور فتى وكهلا " ، إلى المناصب التى تولاها فى عهد أبيه إسماعيل وأخيه توفيق وابن أخيه عباس الثانى .

(٨) يبلو : يختبر .

(٩) النبراس : المصباح .

(١٠) ألم بالمكان : زاره زيارة غير طويلة .

(١١) أبل المريض : شفى .

فعِشْ للنيلِ سُلطانًا أَبِيًّا ... له فى مُلْكه عَقْدٌ وحَلُّ
وَوَالِ القَوْمَ إنَّهُمُ كِرامٌ ... ميامينُ النَّقيبةِ أينَ حَلُّوا[1]
لهمْ مُلْكٌ على التّاميزِ أَضْحَتْ ... ذُراهُ على المَعالِى تَسْتَهِلُّ[2]
وليس كقَوْمِهِمْ فى الغَرْب قَوْمٌ ... مِنَ الأخلاق قد نَهِلُوا وعَلُّوا[3]
فان صَادَقْتَهُمْ صَدَقُوكَ وُدًّا ... وليس لهم اذا فَتَّشْتَ مِثْلُ
وإنْ شاوَرْتَهُمْ والأمْرُ جِدٌّ ... ظَفِرْتَ لهم برأْيٍ لا يَزِلُّ[4]
وإنْ نادَيْتَهُمْ لَبَّاكَ مِنْهُمْ ... أَساطِيلٌ وأَسْيافٌ تُسَلُّ
فمادِدْهُمْ حِبالَ الوُدِّ وانْهَضْ ... بِنا فَقِيادُنا للخَيْرِ سَهْلُ[5]
وخَفِّفْ مِنْ مُصابِ الشرقِ فِينا ... فنحنُ على رِجال الغَرْب ثِقْلُ[6]
اذا نَزَلَتْ هُناكَ بهمْ خُطُوبٌ ... أَلَمَّ بنا هُنا قَلَقٌ وشُغْلُ
حَيارَى لا يَقِرُّ لنا قَرارٌ ... تُنازِلُنا الخُطوبُ ونحنُ عُزْلُ[7]
فأهْلًا بالدَّليلِ الى المَعالى ... ألَا سِرْيا (حُسَيْنُ) ونحن نَتْلُو
وأَسْعِدْنا بعَهْدِكَ خَيْرَ عَهْدٍ ... به أيّامُنا تَصْفُو وتَحْلُو
فأمْرُكَ طاعةٌ ورِضاكَ غُنْمٌ ... وسَيْفُكَ قاطِعٌ ونَداكَ جَزْلُ[8]

---

(١) يريد بالقوم : الانجليز . وميمون النقيبة : محمود المختبر .

(٢) التاميز : نهر بانجلترا معروف . والذرا : المرتفعات . الواحدة ذروة . وتستهل : تظهر .

(٣) النهل (بالتحريك) : الشرب الأول . والعلل (بالتحريك أيضا) : الشرب الثانى . يريد أنه ليس فى أمم أوربة أمة مثل الانجليز قد ارتوت منهل الأخلاق .

(٤) يزل : يخطئ .

(٥) يقال : تمادّا حبال الود : إذا تواذّا .

(٦) يريد بالشطر الثانى من هذا البيت أن تأخرنا عن الغربيين جعلنا حملا ثقيلا على كواهلهم .

(٧) العزل : الذين لا صلاح لهم ، أعزل .

(٨) الجزل : الكثير .

إلى الطبيبة (لونا)

قال هذين البيتين فيها بمناسبة طفلة رُزِقها صديقُه محمد بك بدر وكانت (لونا) هى المولّدة

[نشرت فى ١٥ فبراير سنة ١٩١٦ م]

(لِلُونَا) شُهْرَةٌ فى الطِّبِّ تاهَتْ ... بِها مِصْرٌ وتاهَ بِها مَدِيحِى

ومِنْ عَجَبٍ تَدِينُ بِدِينِ (مُوسَى) ... وتَأْتِينا بِمُعْجِزَةِ المَسِيحِ[1]

ذكرى شكسبير[2]

قالها تلبية لدعوة المجمع العلمى بانجلترا الذى أقام احتفالا بذكرى شكسبير لمرور ثلثمائة عام على وفاته

[نشرت فى ١ مارس سنة ١٩١٦ م]

يُحَيِّيكَ مِنْ أَرْضِ الكِنانَةِ شاعِرٌ ... (شَغُوفٌ) بِقَوْلِ العَبْقَرِيِّينَ مُغْرَمُ

ويُطْرِبُهُ فى يَوْمِ ذِكْراكَ أَنْ مَشَتْ ... إِلَيْكَ مُلُوكُ القَوْلِ عُرْبٌ وأَعْجَمُ[3]

نَظَرْتَ بِعَيْنِ الغَيْبِ فى كُلِّ أُمَّةٍ ... وفى كُلِّ عَصْرٍ ثُمَّ أَنْشَأْتَ تَحْكُمُ

---

(١) يريد تشبيه هذه الطبيبة فى طبها بنبى الله عيسى عليه السلام ، إذ كانت معجزته إحياء الموتى .

(٢) وليم شكسبير ، هو الشاعر الانجليزى المعروف ؛ ولد سنة ١٥٦٤ م ، وكانت وفاته سنة ١٦١٦ م .

(٣) الأعجم : وصف يطلق على الجمع كما هنا ، وعلى المفرد ؛ يقال : رجل أعجم ، وقوم أعجم .

فلم تُخطئ المرمى ولا غرو أن دنت ... لك الغاية القصوى فإنك مُلهَم[1]

افق ساعة وانظر إلى الخلق نظرة ... تجدهم — وإن راق الطلاء — هم هم[2]

على ظهرها من شر أطماعهم دم ... وفوق عباب البحر من صنعهم دم[3]

تفانوا على دنيا تغرّ باطل ... يزول الى أن ضجت الأرض منهم

فليتك تحيا يا أبا الشعر ساعة ... لتنظر ما يُصمى ويُدمى ويؤلم[4]

وقائع حرب أجج العلم نارها ... فكاد بها عهد الحضارة يُختم[5]

وتعلم أن الطبع لا زال غالبًا ... سواء جهول القوم والمتعلم

فما بلغت منه الحضارة مأربًا ... ولا نال منه العلم ما كان يزعم[6]

أهبت بهذا من قرون ثلاثة ... وكنت على تلك الطبائع تنقم[7]

وما هدم التجريب رأيًا بنيته ... ولا زالت الآراء تبنى وتهدم

ألا إن ذكرى شكسبير بدت لنا ... بشير السلام ثغره يتبسم

فلو أنصفوا أبطالهم لتهادنوا ... قليلا وحيوا شعره وترنموا[8]

ولم يطلقوا فى يوم ذكراه مدفعًا ... ولم يزهقوا نفسًا ولم يتقحموا[9]

له قلم ماضى الشباة كأنما ... أقام بشقيه القضاء المحتم[10]

---

(١) القصوى : البعيدة . (٢) راقنى طلاؤه : أعجبنى ظاهره . (٣) ظهرها : أى ظهر الأرض .

(٤) أصماه السهم : قتله . (٥) أجج العلم نارها : أى أشعلها العلم بمخترعاته المهلكة .

(٦) منه : أى من الطبع . (٧) أهبت : دعوت .

(٨) تهادنوا قليلا : أى كفوا عن الحرب . يشير إلى ما كان إذ ذاك من توقد نار الحرب العظمى .

(٩) تقحم الحرب واقتحمها : دخل فيها وخالطها . (١٠) شباة القلم : سنه .

طَهُورٌ اذا ما دُنِّسَتْ كفُّ كاتبٍ ... وَثُوبٌ اذا ما قَرَّ في الطِّرْسِ مِرْقَمُ(١)

وَلُوعٌ بتَصْوِيرِ الطِّباعِ فلَمْ يَجُزْ ... بعاطِفَةٍ إلّا حَسِبْناه يَرْسُمُ

أَرانِيَ في (ماكْبِيث) للحِقْدِ صُورَةً ... تَكادُ بها أَحْشاؤُه تَتَضَرَّمُ(٢)

وَمَثَّلَ في (شَيْلُوكَ) للبُخْلِ سِحْنَةً ... عليها غُبارُ الهُونِ والوَجْهُ أَقْتَمُ(٣)

وأَقْعَدَنِي عن وَصْفِ (هَمْلِيتَ) حُسْنُها ... وفي مِثْلِها تَعْيَا اليَراعَةُ والفَمُ

دَعِ السِّحْرَ في (رُمْيُو) و (جُولِييتَ) إنّما ... يُحِسُّ بما فيها الأديبُ المُتَيَّمُ

أَتاهُمْ بشِعْرٍ عَبْقَرِيٍّ كأنّه ... سُطُورٌ مِنَ الإنْجِيلِ تُتْلَى وتُكْرَمُ

نَدِيٌّ على الأيامِ يَزْدادُ نَضْرَةً ... ويَزْدادُ فيها جِدَّةً وهو يَقْدُمُ(٤)

يُؤَتِّي إلى قُرّائه أنَّ نَسْجَه ... لِيَوْمٍ وأنَّ الحائكَ اليومَ فيهمُ(٥)

كَتِلْكَ النُّقُوشِ الزّاهِياتِ بمَعْبَدٍ ... لِفِرْعَوْنَ لا زالت على الدَّهْرِ تَسْلَمُ

فَلَمْ يَدْنُ مِنْ إحْسانِه مُتَأَخِّرٌ ... ولَمْ يَجْرِ في مَيْدانِه مُتَقَدِّمُ

أَطَلَّ عَلَيْهِمْ مِنْ سَماءِ خَيالِه ... وحَلَّقَ حَيْثُ الوَهْمُ لا يَتَجَشَّمُ(٦)

وجاءَ بما فَوْقَ الطَّبِيعَةِ وَقْعُه ... فأَكْبَرَ قَوْمٌ ما أَتاهُ وأَعْظَمُوا

---

(١) المرقم : القلم .

(٢) يشير بهذا البيت إلى قصيدة شكسبير في خنجر ما كبيث التي ترجمها حافظ ونشرت في هذا الديوان .

(٣) الهون : الذل . والأقتم : العابس المتجهم .

(٤) يريد « بالندى » تشبيه شعره بالزهر المبتل بالندى ؛ والذي وجدناه في كتب اللغة بهذا المعنى (الندى) بتخفيف الياء مع كسر الدال لا بتشديدها .

(٥) يقول إن شعره لجدّة معانيه ومسايرتها لكل عصر يخيل لقرائه أنه قد قيل في هذا العهد الذي قرءوه فيه ، وأن قائله لا يزال حيا بينهم .

(٦) لا يتجشم : أي لا يتكلف .

وقالوا تَحَـدّانا بمـا يُعجِزُ النُّهَى فَلسْـنا إذَن آثارَه نَتَرَسَّـمُ (١)

ولَم يَتَحَدَّ النـاسَ لكنَّـه امرُؤٌ بمـا كانَ فى مَقْـدُورِه يتَكَلَّـمُ

لقـد جَهِـلُوه حِقْبَةً ثم رَدَّهـمْ اليـه الهُـدى فاستغفَرُوا وتَرَحَّمـوا (٢)

كذاكَ رِجالُ الشَّرقِ لو يُنْصِفُونَهُمْ لَقامَ لهم فى الشَّرْقِ والغَرْبِ مَوْسِمُ

أَضاءَ بِهِمْ بَطْنُ الثَّرَى بَعْدَ مَوْتِهِـمْ وأعقَابُهُـمْ عَنْ نُورِ آياتِهِـمْ عَمُوا

فقُلْ لِبَنِى التَّاميزِ والجَمْـعُ حافِلٌ به يُنْـثَرُ الدُّرُّ الثَّمِـينُ ويُنْظَمُ

لئن كان فى ضَخْمِ الأساطِيلِ فَخْـرُكُمْ لَفَخْرُكُمْ بالشـاعِرِ الفَـرْدِ أَعْظَمُ

إلى عظمة السلطان حسين كامل (٣)

ألقاها بين يديه فى أثناء زيارته لمدينة طنطا فى السرادق الذى أقيم له هناك

[نشرت فى ٦ مايو سنة ١٩١٦ م]

فى ساحَةِ (البَدَوِىِّ) حَلَّتْ ساحَةٌ عِزُّ البِـلادِ بِعِـزِّها مَوْصُولُ (٤)

وأتَى (الحُسَيْنُ) يَزُورُ قُطْبَ زَمانِه يَرْعَى ويَحْـرُسُ رَكْبَهُ (جِبْرِيلُ)

زادَتْ مَوَاسِمُنـا (بطَنْطَا) مَوْسِمًـا لِمَلِيـكِهِ التَّقْـدِيسُ والتَّبْجِيـلُ

(١) تحدّانا : بارانا ونازعنا الغلبة . وترسم آثاره : اقتدى بها وسار عليها .

(٢) الحقبة : المدة من الدهر .

(٣) أنظر التعريف بالمغفور له السلطان حسين كامل فى الحاشية رقم ٥ ص ٦٢ من هذا الجزء .

(٤) يريد «بالبدوى» : السيد أحمد البدوى المعروف ضريحه ومسجده بطنطا . ويريد بالساحة الثانية : ساحة السلطان

بالساحَتَيْنِ لكلِّ راجٍ مَوْئِلٌ ولكلِّ عافٍ مَرْبَعٌ ومَقِيلُ[1]

قُلْ للفَقِيرِ إذا سألْتَ فلا تَخَفْ رَدًّا فما في السّاحَتَيْنِ بَخِيلُ

بَرَكاتُ هٰذِى لا يَغِيضُ مَعِينُها نَفَحاتُ تِلْكَ كَثِيرُها مَأْمُولُ[2]

قد أخْصَبَ الإقليمُ حِينَ حَلَلْتَه والغَيْثُ لا يَبْقَى عليه مُحُولُ[3]

وبَدا يَمُوجُ بساكِنِيه وعِطْفُه قد كادَ مِنْ طَرَبِ اللِّقاءِ يَمِيلُ[4]

ذَكَرُوا بمَقْدَمِكَ المُبارَكِ مَوْقِفًا قد قامَ فيه أبوكَ (إسماعيلُ)

في مِثْلِ هٰذا اليومِ خَلَّدَ ذِكْرَه أَثَرٌ له بَيْنَ العِبادِ جَلِيلُ

نَثَرَ السُّعُودَ على الوُفُودِ وحَوْلَه يَتَجاوَبُ التَّكْبِيرُ والتَّهْلِيلُ

دامَتْ مآثِرُه ومَنْ يَكُ صُنْعُه كأبِيكَ اسْماعيلَ كَيْفَ يَزُولُ ؟

فاهْنَأْ بمُلْكِكَ يا (حُسَيْنُ) فعَهْدُه عَهْدٌ بتَحْقِيقِ الرَّجاءِ كَفِيلُ

وانْهَضْ بشَعْبِكَ في الشُّعُوبِ فإنّما لكَ بَعْدَ رَبِّكَ أمْرُه مَوْكُولُ

ولْيَهْنِئِ البَدَوِيَّ أنّ صَدِيقَه عَنْ وُدِّه المَعْهُودِ ليسَ يَحُولُ

قد جاءَه يَسْعَى إليه وحَوْلَه أعْلَى وأكْرَمُ مَنْ سَقاهُ النِّيلُ[5]

---

(١) المعافى : طالب المعرف . والمربع : المكان يقام فيه وقت الربيع . والمقيل : موضع الراحة نصف النهار .

(٢) « هذى » : إشارة إلى ساحة البدوى . ولا يغيض معينها : أى لا يقل ولا ينقص موردها . والمعين فى الأصل : الماء الجارى . « وتلك » : إشارة إلى ساحة السلطان .

(٣) المحول : الجدب .

(٤) يموج : يضطرب . والعطف : الجانب .

(٥) يريد « بالأعلى » و « الأكرم » : من كان فى ركب السلطان .

عمر بن الخطاب[١]

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لسماع هذه القصيدة بمدرج وزارة المعارف بدرب الجماميز
مساء الجمعة ٨ فبراير سنة ١٩١٨م

حَسْبُ القَوافِى وحَسْبِي حينَ أُلْقِيها ... أَنِّى إلى ساحَةِ (الفَارُوقِ) أُهْدِيها[٢]

لاهُمَّ! هَبْ لى بَياناً أَسْتَعِينُ به ... على قَضَاءِ حُقُوقٍ نامَ قاضِيها[٣]

قد نازَعَتْنِى نَفْسِى أَنْ أُوَفِّيَها ... وليسَ فى طَوْقِ مِثْلى أنْ يُوَفِّيها[٤]

فمُر سَرِىَّ المَعانِى أنْ يُواتِيَنِى ... فيها فإِنِّى ضَعِيفُ الحالِ واهِيها[٥]

(مقتل عمر)

مَوْلَى المُغِيرة! لا جادَتْكَ غادِيَةٌ ... مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ما جادَتْ غَوادِيها[٦]

مَزَّقْتَ منه أَدِيماً حَشْوُهُ هِمَمٌ ... فى ذِمَّةِ اللهِ عالِيها وماضِيها[٧]

---

(١) ولد أبو حفص عمر بن الخطاب بمكة سنة ٣٧ قبل الهجرة، وكان قبل إسلامه من أشد الناس عداوة للاسلام وأهله، ثم أسلم رضى الله عنه بعد ست سنين من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهده كلها؛ ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له اليد الطولى فى حسم الخلاف بين المسلمين على الخلافة؛ ولما أحس أبو بكر بدنو أجله استخلف عمر. وتاريخ عمر حافل بالأمور الجسام؛ وقتل رضى الله عنه يوم الأربعاء لأربع ليالى بقين من ذى الحجة سنة ٢٣ هـ

(٢) الفاروق: اسم لعمر بن الخطاب، سماه به رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه فرّق بين الحق والباطل.

(٣) لاهم: أى اللهم. (٤) الطوق: الجهد والطاقة.

(٥) سرى المعانى: شريفها ورفيعها. ويواتينى: يطيعنى ويمدّنى.

(٦) مولى المغيرة: هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وهو فارسى الأصل، وكان قد شكا إلى عمر إرتفاع الخراج الذى ضربه عليه مولاه المغيرة، ورجاه فى تخفيفه، فلم يجبه إلى ماطلب، فأسرها فى نفسه، وتحين به الفرص حتى طعنه بخنجره وهو قائم يصلى. ويقال: إن قتل عمر لم يكن نتيجة حقد أبى لؤلؤة عليه، ولكنه كان نتيجة مؤامرة سياسية كان أكبر العاملين فيها الهرمزان الفارسى، واختير أبو لؤلؤة لتنفيذ هذا الغرض. والغادية السحابة تنشأ غدوة والجمع الغوادى. وجادتك: أمطرتك؛ يدعو عليه بانقطاع الخير والرحمة عنه.

(٧) الأديم: الجلد. وقوله: «عاليها وماضيها» يصف همة عمر بالرفعة والمضاء.

طَعَنْتَ خاصرَةَ (الفارُوقِ) مُنْتَقِمًا — مِن الحَنِيفَةِ فى أَعْلَى مَجالِيها[١]

فأَصْبَحَتْ دَوْلَةُ الإِسلامِ حائِرَةً — تَشْكو الوَجيعَةَ لمّا ماتَ آسِيها[٢]

مَضَى وخَلَّفَها كالطَّودِ راسِخَةً — وَزَانَ بالعَدْلِ والتَّقْوَى مَغانِيَها[٣]

تَنْبُو المَعاوِلُ عنها وهى قائِمَةٌ — والهادِمُونَ كثيرٌ فى نَواحِيها[٤]

حَتَّى إذا ما تَوَلّاها مُهَدِّمُها — صاحَ الزَّوالُ بها فاندَكَّ عالِيها

واهًا على دَوْلَةٍ ! بالأَمْسِ قد مَلأَتْ — جَوانِبَ الشَّرْقِ رَغْدًا مِنْ أَيادِيها[٥]

كم ظَلَّلَتْها وحاطَتْها بأَجْنِحَةٍ — عَنْ أَعْيُنِ الدَّهْرِ قد كانت تُوارِيها[٦]

من العِنايةِ قد رِيشَتْ قوادِمُها — ومِن صَمِيمِ التُّقى رِيشَتْ خَوافِيها[٧]

واللهِ ما غالَها قِدْمًا وكادَ لها — واجتَثَّ دَوْحَتَها إلّا مَوالِيها[٨]

لو أنَّها فى صَمِيمِ العُرْبِ قد بَقِيَتْ — لمَا نَعاها على الأَيّامِ ناعِيها

يالَيْتَهُمْ سَمِعُوا ما قالَه (عُمَرٌ) — والرُّوحُ قد بَلَغَتْ منه تَراقِيها[٩]

لا تُكْثِرُوا مِنْ مَوالِيكُم فإِنَّ لهم — مَطامِعًا بَسَماتُ الضَّعْفِ تُخْفِيها

---

(١) الخاصرة الخصر . وفى أعلى مجاليها : أى فى أوضح مظاهرها .

(٢) الآسى : الطبيب .

(٣) الطود : الجبل العظيم . والمغانى : المنازل ، الواحد مغنى

(٤) تنبو : تكل وترتد .

(٥) الأيادى : النعم .

(٦) كم ظللتها ، أى هذه الدولة ظللت جوانب الشرق .

(٧) القوادم : عشر ريشات فى مقدم الجناح ، وهى كبار الريش . الواحدة قادمة . والخوافى : صغار الريش ، وهى تحت القوادم .

(٨) غالها : اغتالها وأهلكها . واجتث : استأصل . والدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل ، والجمع دوح . ويريد « بالموالى » : غير العرب . ويشير بهذا البيت إلى نكبة الدول الاسلامية على أيديهم ، فهم الذين قتلوا عمر ، وكانوا سببا فى إسقاط الدولة الدموية وإضعاف الدولة العباسية حتى سقطت .

(٩) يقال بلغت روحه التراقى ، إذا شارف الموت . والتراقى : أعالى الصدر حيث يترقى النفس .

(إســـلام عمـــر)

رأيتَ فى الدِّين آراءً مُوَفَّقَـــةً ... فأَنْزَلَ اللهُ قُـــرآنًا يُزَكِّيهـــا[١]

وكنتَ أوّلَ مَنْ قَرَّتْ بِصُحْبَتِـهِ ... عَيْنُ الحَنِيفَـةِ وٱجتازَتْ أَمانِيهـا

قد كنتَ أَعْدَى أعاديها فصِرْتَ لها ... بِنِعْمَةِ اللهِ حِصْـنًا من أَعادِيهـا[٢]

خَرَجْتَ تَبْغِى أذاهَا فى (مُحَمَّدِها) ... ولِلْحَنِيفَـةِ جَبّارٌ يُـوالِيهـا[٣]

فلَمْ تَكَدْ تَسْمَعُ الآياتِ بالِغَـةً ... حتى ٱنْكَفَأْتَ تُناوِى مَنْ يُناوِيها[٤]

سَمِعْتَ (سُورَةَ طَه) مِنْ مُرَتِّلِها ... فَزَلْزَلَتْ نِيَّـةً قد كنتَ تَنْوِيهـا[٥]

وقُلْتَ فيهـا مَقالًا لا يُطـاوِلُه ... قَوْلُ المُحِبِّ الّذى قد باتَ يُطْرِيها[٦]

ويومَ أَسْلَمْتَ عَزَّ الحَقُّ وٱرْتَفَعَتْ ... عن كاهِلِ الدِّينِ أَثْقالٌ يُعانِيهـا[٧]

---

(١) يزكيها : يعززها و يؤيدها . و يشير بهذا البيت إلى ما كان من عمر — رضى الله تعالى عنه — حين كان يرى الرأى فينزل به القرآن ، حتى بلغت موافقاته نيفا وعشرين آية ، منها آية التحريم فى الخمر لما قال : « اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا » . ومنها آية الاستئذان فى الدخول ، وذلك أنه دخل عليه غلامه ، وكان نائما ؛ فقال : « اللهم حرم الدخول فنزلت آية الاستئذان الخ .

(٢) يشير الشاعر بهذا البيت إلى ما عرف عن عمر من شدته على النبي والمسلمين قبل إسلامه ثم ما كان منه بعد ذلك من إعزاز الاسلام بدخوله فيه .

(٣) يواليها : يناصرها ، وهو الله تعالى . و يشير الشاعر بهذا البيت والأبيات بعده إلى السبب فى إسلام عمر ، وذلك أنه خرج فى يوم من الأيام ليواصل أذاه للنبي صلى الله عليه وسلم فلقيه نعيم بن عبد الله وأخبره باسلام أخته وزوجها سعيد ابن زيد ؛ وعيره ذلك ، فرجع عمر إليهما غاضبا ، وكان عندهما خباب بن الأرت ومعه صحيفة فيها سورة طه يقرئهما إياها ؛ فلما دنا عمر من البيت سمعهم ، وأحسوا هم به ، فاختفى خباب ، ودخل عمر ، فعثر على الصحيفة وقرأ ما فيها ، فأعجب به وأطراه ، ومال قلبه إلى الاسلام ، فقصد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم على يديه .

(٤) انكفأ : رجع . وتناوى : تناوئ ، تعادى .

(٥) يريد « بالنية » : النية التى كان ينويها عمر قبل إسلامه من إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٦) لا يطاوله : لا يغالبه . وأطراه يطريه : أحسن الثناء عليه وبالغ فى مدحه .

(٧) الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق .

وَصاحَ فيه (بِلالٌ) صَيْحَةً خَشَعَتْ ... لهـا القُلوبُ ولَبَّتْ أَمْرَ بارِيهـا[(١)]
فأنتَ فى زَمَنِ (المُخْتـارِ) مُنْجِدُها ... وأنتَ فى زَمَنِ (الصِّدِّيقِ) مُنْجِيها[(٢)]
كم اسـتراكَ رَسُـولُ اللهِ مُغْتَبِطاً ... بِحِكْمَةٍ لكَ عنـد الرَّأْىِ يُلْفِيهـا[(٣)]

(عمـــر وبيعـــة أبى بكـــر)

ومَوْقِفٍ لكَ بَعْدَ (المُصْطَفَى) افْتَرَقَتْ ... فيـه الصحَابَةُ لمـّا غابَ هادِيهـا[(٤)]
بايَعْتَ فيــه (أبا بَكْرٍ) فبايَعَـه ... على الخِـلافَةِ قاصِيهـا ودانِيهـا
وأُطْفِئَتْ فِتْنَةٌ لولاكَ لاسْتَعَرَتْ ... بين القَبـائِلِ وانسابَتْ أَفاعِيهـا[(٥)]
باتَ النبىُّ مُسَجًّى فى حَظِيرَتِه ... وأنتَ مُسْتَعِرُ الأَحْشَـاءِ دامِيهـا[(٦)]
تَهِيمُ بين عَجِيجِ النـاسِ فى دَهَشٍ ... مِنْ نَبْأَةٍ قد سَرَى فى الأَرْضِ سارِيها[(٧)]
تَصِيحُ مَنْ قالَ نَفْسُ المصطفى قُبِضَتْ ... عَلَوْتُ هامَتَــه بالسَّيْفِ أَبْرِيهـا[(٨)]

---

(١) بلال : هو إبن رباح ، وكان مولى لأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، اشتراه ثم اعتقه ، وكان له خازنا ، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا ، ومات رحمه الله بدمشق سنة عشرين هجرية . ويشير الشاعر بهذا البيت إلى إظهار المسلمين أمر دينهم بسبب إسلام عمر بعد ما كانوا يخفونه خوفا من المشركين ، وجهر بلال بالأذان .

(٢) يريد بالصديق : أبا بكر أوّل الخلفاء الراشدين . ويشير بالشطر الثانى من هذا البيت إلى الخلاف الذى سبق مبايعة أبى بكر ، وحسمه عمر يوم السقيفة ، ومناصرته لأبى بكر مدّة خلافته ، وسيشير الشاعر إلى ذلك بعد .

(٣) استراك : أجلها استرءاك ، أى طلب رأيك .

(٤) يشير إلى اختلاف المسلمين فى يوم السقيفة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ، وما كاد يلحقهم من انقسام الكلمة فى اختيار خليفة لهم ، وإلى فضل عمر يومها بلمه شعثهم وإسراعه إلى مبايعة أبى بكر بالخلافة .

(٥) استعرت : اتقدت . (٦) سجى الميت : مدّ عليه ثوبه وغطاه به .

(٧) هام يهيم : ذهب على وجهه لايدرى أين يذهب . والعجيج : الصياح ورفع الصوت . والنبأة : الصوت الخفى ، ويريد نبأ وفاة النبى صلى الله عليه وسلم . ويشير بهذا البيت والأبيات الخمسة بعده إلى ما تولى الناس وعمر معهم من الدهش بوفاة النبى صلى الله عليه وسلم حتى إن عمر وقف بينهم يهدّدهم بقطع رأس كل من يقول : "مات محمد" حتى جاءهم أبو بكر ، فخطبهم خطبة ذكرهم فيها بقوله تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) الآية ، فعادوا إلى صوابهم .

(٨) الهامة : الرأس

أَنْسَاكَ حُبُّكَ طه أنّه بَشَرٌ ... يُجْرِى عليه شُؤونَ الكَوْن مُجْرِيها
وأنّهُ وارِدٌ لا بدّ مَوْرِدَهُ ... مِنَ المَنِيَّة لا يُعفيه ساقِيها
نَسِيتَ فى حَقِّ طه آيةً نَزَلَتْ ... وقد يُذَكَّر بالآيات ناسِيها
ذَهِلْتَ يوما فكانت فِتْنَةٌ عَمَمٌ ... وثَابَ رُشْدُكَ فانجابَتْ دَياجِيها[1]
فالسقيفةِ يومٌ أنتَ صاحِبُه ... فيه الخلافةُ قد شِيدَتْ أَواسِيها[2]
مَدَّتْ لها (الأَوْسُ) كَفًّا كَىْ تَناوَلَها ... فمَدَّت (الخَزْرَجُ) الأَيْدى تُبارِيها[3]
وظَنَّ كُلُّ فَرِيقٍ أنّ صاحِبَهُمْ ... أَوْلَى بها وأَتَى الشَّحْناءَ آتِيها[4]
حتّى انبَرَيْتَ لهمْ فارتدّ طامِعُهُمْ ... عنها وآخَى (أبو بكرٍ) أَواخِيها[5]

عمر وعلىّ

وقَوْلَةٍ (لعَلِىٍّ) قالها (عُمَرٌ) ... أَكْرِمْ بسامِعِها أَعْظِمْ بمُلْقِيها[6]
حَرَقْتُ دارَكَ لا أُبْقِى عليكَ بها ... إنْ لم تُبايِعْ وبِنْتُ المصطفى فيها
ما كان غيرُ (أبى حَفْصٍ) يَفُوهُ بها ... أمامَ فارِسِ (عَدْنانٍ) وحامِيها
كِلاهُمَا فى سَبِيلِ الحَقِّ عَزْمَتُه ... لا تَنْثَنِى أو يكونَ الحَقُّ ثانِيها
فاذْكُرْهُمَا وتَرَحَّمْ كُلَّما ذَكَرُوا ... أَعاظِمًا أُلِّهُوا فى الكَوْنِ تأْلِيها

(١) عمم: عامة. وانجابت: انقشعت وزالت. والدياجى: الظلمات.

(٢) الأواسى: جمع آسية، وهى العمود.

(٣) الضمير فى "لها" و"تناولها" للخلافة. والأوس، والخزرج: قبيلتا الأنصار. وتباريها: تنازعها الغلبة على الخلافة.

(٤) صاحبهم: أى الذى نصبوه للخلافة منهم.

(٥) أخى أواخيها: أى مكن لها ووثق صلاتها وقواها. والأواخى: العرا. الواحدة: آخية.

(٦) يشير بهذه الأبيات إلى امتناع على عن البيعة لأبى بكر يوم السقيفة، وتهديد عمر إياه بتحريق بيته إذا استمر على امتناعه وكان فيه زوجة على فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم.

عمر وجبلة بن الأيهم

كم خِفْتَ فى الله مَضْعُوفاً دَعاكَ به ... وكم أَخَفْتَ قَوِيّاً يَنْثَنِي تِيها[(١)]

وفى حَديثِ فَتَى غَسّانَ مَوْعِظَةٌ ... لكلِّ ذى نَعْرةٍ يأبَى تَناسِيها[(٢)]

فما القَوِىُّ قَوِيّاً رَغْمَ عِزّتِه ... عند الخُصومَةِ (والفاروقُ) قاضيها

وما الضَّعيفُ ضَعيفاً بعدَ حُجّتِه ... وإنْ تَخاصَمَ واليها وَراعيها

(عمر وأبو سفيان)

وما أَقَلْتَ (أبا سُفْيانَ) حينَ طَوَى ... عَنكَ الهَدِيّةَ مُعْتَزّاً بمُهْدِيها[(٣)]

لَم يُغْنِ عنه وقد حاسَبْتَه حَسَبٌ ... ولا (مُعاوِيةٌ) بالشامِ يَجْبِيها

قَيّدْتَ منه جَليلاً شابَ مَفْرِقُه ... فى عِزّةٍ ليسَ مِنْ عِزٍّ يُدانِيها[(٤)]

---

(١) المضعوف : أى الضعيف . والقياس مضعف ، كقولهم : أسعده الله فهو مسعود ، والقياس مسعد (بفتح العين) . وبه ، أى بالله . وتيها : كبرا .

(٢) فتى غسان : وهو جبلة بن الأيهم أحد أبناء الغساسنة ملوك الشام ، كان قد اعتنق الاسلام ، وبينما هو يوما يطوف إذ وطىء أعرابى ثوبه ، فلطمه جبلة لطمة هشمت أنفه ، فشكاه الأعرابى إلى عمر ، فأمر أن يقتص منه ، وأبى جبلة ذلك ، وهرب ، والتجأ إلى القسطنطينية ، وتنصر . والنعرة (بتحريك العين) — وسكنت هنا للضرورة : الخيلاء والكبر .

(٣) وما أقلت أبا سفيان : أى ما تركته ولا تغاضيت عنه . وبمهديها ، أى معاوية ، ويشير الشاعر بهذه الأبيات إلى ما يروى من أن معاوية — وهو على الشام — بعث مرة إلى عمر بن الخطاب بمال وأدهم وكتب إلى أبيه أبى سفيان أن يدفع ذلك إلى عمر ، فخرج الرسول حتى قدم على أبى سفيان بالمال والأدهم ، فذهب أبو سفيان بالأدهم ، والكتاب إلى عمر ، واحتبس المال لنفسه ، فلما قرأ عمر الكتاب قال : فأين المال يا أبا سفيان ؟ قال : كان علينا دين ومعونة ، ولنا فى بيت المال حق ، فإذا أخرجت لنا شيئا قاضيتنا به ، فقال عمر : أطرحوه فى الأدهم (أى القيد) حتى يأتى المال فأرسل أبو سفيان من أتاه بالمال ، فأمر عمر باطلاقه من الأدهم ، فلما قدم الرسول على معاوية قال : أرأيت أمير المؤمنين أعجب بالأدهم ؟ قال : نعم ، وطرح فيه أباك ، قال : ولم ؟ قال : جاءه بالأدهم وحبس المال ، قال : أى والله ، والخطاب لو كان لطرحه فيه .

(٤) يريد بقوله : "جليلا" وما بعده من الأوصاف : أبا سفيان . والمفرق : وسط الرأس .

قد نَوَّهُوا باسمِه في جاهليّتِه ... وزادَه سيّدُ الكَوْنَيْنِ تَنْوِيها[١]

في فَتْحِ مَكَّةَ كانت دارُه حَرَمًا ... قد أمَّنَ اللهُ بعدَ البَيْتِ غاشِيها[٢]

وكلُّ ذلك لم يَشْفَعْ لَدَى (عُمَرٍ) ... في هَفْوَةٍ (لأبي سُفْيانَ) يأتيها

تاللهِ لو فَعَلَ (الخَطّابُ) فَعْلَتَه ... لَمَا تَرَخَّصَ فيها أو يُجازِيها[٣]

فلا الحَسابةُ في حَقٍّ يُجامِلُها ... ولا القَرابةُ في بُطْلٍ يُحابِيها[٤]

وتلكَ قُوَّةُ نَفْسٍ لو أرادَ بها ... شُمَّ الجِبالِ لَمَا قَرَّتْ رَواسِيها[٥]

عمر وخالد بن الوليد[٦]

سَلْ قاهرَ الفُرْسِ والرُّومانِ هل شَفَعَتْ ... له الفُتُوحُ وهل أَغْنَى تَوالِيها[٧]

غَزَا فأبلَى وخَيْلُ اللهِ قد عُقِدَتْ ... باليُمْنِ والنَّصرِ والبُشْرَى نَواصِيها[٨]

---

(١) نوّه به : رفع ذكره ومدحه وعظمه .

(٢) يشير بهذا البيت والذى قبله إلى ما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان يوم فتح مكة من جعل بيته أمنا لمن دخله واعتصم به من المشركين . وقوله : " بعد البيت " أى بعد الكعبة .

(٣) ترخص فى الأمر : تساهل . يقول : لو فعل الخطاب ، وهو أبو عمر ، مثل هذا ، ما تساهل فى عقابه حتى يجازيه .

(٤) الحسابة : الحسب . والبطل : الباطل . (٥) الشم : المرتفعة . والرواسى : الثابتة .

(٦) بينما كان خالد بن الوليد يقود جيوش المسلمين فى فتح الشام إذ جاء البريد من المدينة ينعى أبا بكر ويخبر باستخلاف عمر بن الخطاب ، ومعه أمر بعزل خالد بن الوليد ، وإسناد إمارة الجيش العامة إلى أبى عبيدة بن الجراح ، فكتم أبو عبيدة الأمر عن خالد ريثما تم النصر للمسلمين ، وكان وصول البريد على أصح الروايات والمسلمون على حصار دمشق . ويقال : أن سبب عزل خالد أمران : أولهما ما كان فى نفس عمر بن الخطاب على خالد بن الوليد منذ قتل خالد مالك بن نويرة ، وتزوج امرأته فى حرب الردة ، وثانيهما إقبال جند المسلمين على خالد بن الوليد وحبهم له واستماتتهم بين يديه فى جميع حروبه فى العراق والشام ، وذلك ليمن طالعه فى الحروب وشجاعته . وقد علم عمر بذلك ، فخشى من افتتان الناس به ، لهذا بادر بعزله قبل أن يصل خبر توليه الخلافة إلى المسلمين ، وخالد أمير على جيش عظيم منهم . ولم يكتم عمر عن خالد ما فى نفسه من جهته ، بل أظهره له ، فقال له بعد عزله : " وما عزلتك لريبة فيك ، ولكن افتتن الناس بك ، فخفت أن تفتتن بالناس " . وبقى خالد إلى آخر حياته مطيعا لعمر ، وقبل موته أوصى عمر بأولاده ، وقد أشار الشاعر إلى ذلك .

(٧) قاهر الفرس والرومان : خالد بن الوليد .

(٨) النواصى : جمع ناصية وهى مقدم الرأس . والمسموع فى مثل هذه العبارة إدخال الباء على "النواصى" لا على "اليمن" كما هنا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : "الخيل معقود بنواصيها الخير" فدخولها على اليمن على سبيل القلب والقلب فى اللغة سماعى .

يَرْمِى الأَعادِى بآراءٍ مُسَدَّدَةٍ ... وبالفَوارِسِ قد سالَتْ مَذاكِيها[١]

ما واقَعَ الرُّومَ إلاّ فَرَّ قارِحُها ... ولا رَمَى الفُرْسَ إلاّ طاشَ رامِيها[٢]

ولَم يَجُزْ بَلْدَةً إلا سَمِعْتَ بها ... اللهُ أكبرُ تَدْوِى فى نَواحِيها[٣]

عِشْرُونَ مَوْقِعَةً مَرَّتْ مُحَجَّلَةً ... مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ بَنانُ الفَتْحِ تُحْصِيها[٤]

و (خالِدٌ) فى سَبِيلِ اللهِ مُوقِدُها ... و (خالِدٌ) فى سَبِيلِ اللهِ صالِيها[٥]

أتاهُ أَمْرُ (أبِى حَفْصٍ) فقَبَّلَه ... كما يُقَبِّلُ آىَ اللهِ تالِيها[٦]

واسْتَقْبَلَ العَزْلَ فى إبّانِ سَطْوَتِه ... ومَجْدِه مُسْتَرِيحَ النَّفْسِ هادِيها

فاعْجَبْ لسَيِّدِ مَخْزُومٍ وفارِسِها ... يومَ النِّزالِ إذا نادَى مُنادِيها[٧]

يَقُودُه حَبَشِىٌّ فى عِمامَتِه ... ولا تُحَرِّكُ مَخْزُومٌ عَوالِيها[٨]

أَلْقَى القِيادَ إلى الجَرّاحِ مُمْتَثِلا ... وعِزَّةُ النَّفْسِ لَم تُجْرَحْ حَواشِيها[٩]

وانْضَمَّ للجُنْدِ يَمْشِى تحتَ رايَتِه ... وبالحَياةِ إذا مالَتْ يُفَدِّيها

وما عَرَتْه شُكُوكٌ فى خَلِيفَتِه ... ولا ارْتَضَى إِمْرَةَ الجَرَّاحِ تَمْوِيها[١٠]

---

(١) المذاكى : الخيل التى تم سنها وكملت قوتها . وانسيال المذاكى : كناية عن انتشارها وكثرتها تشبيها بانسيال الماء

(٢) قارحها : أى القوى المكتمل منهم . (٣) المسموع تدوّى (بتشديد الواو)، أى يرتفع الصوت بها .

(٤) محجلة : أى واضحة مشرقة بالانتصار فيها . ومعنى البيت أن خالدا ظفر فى ثلاثين موقعة تسجلها له يد الفتح .

(٥) صاليها : أى يقاسى حرها وشدّتها . (٦) أمر أبى حفص : أى أمر عمر بعزله .

(٧) مخزوم : قبيلة خالد .

(٨) يريد "بالحبشى" بلال بن رباح ، وهو الذى نفذ أمر عمر فى خالد بأن يجره بعمامته حين استحيا أبو عبيدة من تنفيذه ، فهد بلال عمامة خالد ووضعها فى رقبته ؛ ثم رجعها إلى رأسه ثانية ، وقال : نطيع أمراءنا ونكرم سادتنا . والعوالى : الرماح . وتحريكها : كناية عن الثورة على عمرو الانتصاف لخالد .

(٩) الضمير فى "ألقى" يعود إلى فارس مخزوم خالد بن الوليد . والجراح : هو أبو عبيدة بن الجراح .

(١٠) التمويه : إظهار ما يخالف الباطن .

فخالدٌ كان يَدرِى أنّ صاحِبَه قد وَجَّهَ النَّفسَ نَحوَ اللهِ تَوجيها[١]

فما يُعالِجُ مِنْ قَوْلٍ ولا عَمَلٍ إلّا أرادَ به للنّاسِ تَرفِيها[٢]

لذاكَ أوْصَى بأولادٍ له (عُمَراً) لمّا دَعاهُ إلى الفِرْدَوْسِ داعِيها

وما نَهَى (عُمَرٌ) فى يومِ مَصْرَعِهِ نِساءَ مَخْزومَ أنْ تبْكِى بَواكِيها[٣]

وقيل: خالَفْتَ يا (فارُوقُ) صاحِبَنا فيه وقد كان أَعْطَى القَوْسَ بارِيها[٤]

فقال: خِفْتُ ٱفتِتانَ المُسْلِمِين به وفِتْنَةُ النَّفْسِ أَعْيَتْ مَنْ يُداوِيها

هَبُوه أَخْطَأَ فى تَأْوِيلِ مَقْصِدِه وأنّها سَقْطَةٌ فى عَيْنِ ناعِيها[٥]

فلَنْ تَعِيبَ حَصِيفَ الرأْىِ زَلّتُهُ حتّى يَعِيبَ سُيُوفَ الهِنْدِ نابِيها[٦]

تاللهِ لمْ يَتَّبِعْ فى (ابنِ الوَليدِ) هَوًى ولا شَفَى غُلَّةً فى الصَّدْرِ يَطْوِيها

لٰكنّه قد رَأَى رَأْياً فأَتْبَعَه عَزِيمَةً منه لم تُثْلَمْ مَواضِيها[٧]

لَمْ يَرْعَ فى طاعةِ المولَى خُؤُولَتَه ولا رَعَى غيرَها فيما يُنافِيها[٨]

---

(١) صاحبه: أى عمر بن الخطاب. (٢) الترفيه: الرغد والنعيم.

(٣) يشير إلى ما يروى من أن عمر بلغه أن نسوة من نساء بنى المغيرة اجتمعن فى دار يبكين على خالد ابن الوليد، فقال: وما عليهن أن يبكين أبا سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة.

(٤) صاحبنا: يريد أبا بكر، "وفيه": أى فى خالد. وأعطى القوس باريها: أى استعان فى الحرب بمن له معرفة وحذق، وهو مثل يضرب فى تفويض الأمر إلى من يحسنه ويجيده.

(٥) هبوه: أى هبو عمر، وهو خطاب من الشاعر إلى الناس. وفى عين ناعيها: أى فى عين من يعدّد سقطات عمر وزلاته.

(٦) حصيف الرأى: جيده ومحكمه. و"نابيها" أى ما ينبو من سيوف الهند ويكل ويرتد. يقول: من عرف بالحكمة فى الرأى لا تعيبه زلة، كما لا يحط من قدر سيوف أن الهند تنبو مرة.

(٧) المواضى: السيوف الماضية. و"لم تثلم" أى لم تكسر أشفارها.

(٨) خؤولته: أى خؤولة قبيلة خالد لعمر: فأم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم. وفيما ينافيها: أى فى معصية المولى.

وما أصابَ ابنَه والسَّوطُ يأخذُه لَدَيْه من رأفةٍ فى الحَدِّ يُبْدِيها[1]

إن الذى برأَ (الفاروقَ) نَزَّهَه عن النقائص والأغراض تَنْزِيها[2]

فذاكَ خُلْقٌ من الفردوس طينتُه اللهُ أودَعَ فيها ما يُنَقِّيها

لا الكِبْرُ يَسْكُنُها، لا الظُّلْمُ يَصْحَبُها، لا الحقدُ يَعْرِفُها، لا الحِرصُ يُغويها

(عمر وعمرو بن العاص[3])

شاطَرْتَ داهيةَ السُّوَّاسِ ثَرْوَتَه ولَمْ تَخَفْه بمصرٍ وهْوَ واليها[4]

وأنتَ تعرفُ (عَمْرًا) فى حَواضِرِها ولستَ تَجْهَلُ (عَمْرًا) فى بَواديها

لم تُنْبِتِ الأرضُ كابنِ العاصِ داهيةً يَرْمِى الخُطوبَ برأْيٍ ليس يُخْطيها

فلم يُرِغْ حيلةً فيما أُمِرْتَ به وقامَ (عَمْرٌو) الى الأجمالِ يُزْجيها[5]

ولَم تُقِلْ عاملاً منها وقد كَثُرَتْ أمْوالُه وفَشَا فى الأرضِ فاشيها[6]

---

(١) يقول: إن ابنه لم ينل منه رأفة وهو يحدّ فى شرب الخمر، والسياط تأخذ من جسمه. ويشير بذلك إلى حدّه ولده عبدالرحمن فى الخمر وقد مرض بعد ذلك ومات.

(٢) برأ الفاروق: خلقه

(٣) كان شأن عمر رضى الله عنه مع عماله أن يصادرهم فى أنصاف أموالهم، لأنه كان يرى أن ما يجمعونه من المال إنما هو حق للمسلمين، فينبغى أن يؤخذ منهم ويرد لبيت المال، فعل هذا عمر مع من رأى لديهم ثروة لم يعلم مصدرها. وقد كتب إلى عمرو بن العاص: إنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن حين وليت مصر فكتب إليه عمرو: إن أرضنا أرض مزدرع ومتجر، فنحن نصيب فضلا عما نحتاج إليه لنفقتنا. فكتب إليه: إنى قد خبرت من عمال السوء ما كفى، وكتابك إلى كتاب من أقلقه الأخذ بالحق، وقد سؤت بك ظنا، وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك، فأطلعه عليه وأخرج اليه ما يطالبك به، وأعفه من الغلظة عليك. فلم يسع عمرو بن العاص على دهائه وعلو مكانته وبعده عن أمير المؤمنين إلا الخضوع لما أمره به، ومقاسمة ابن مسلمة ماله. وإلى هذه القصة يشير الشاعر.

(٤) داهية السواس: عمرو بن العاص.

(٥) أراغ: طلب. ويزجيها: يسوقها.

(٦) ولم تقل عاملا منها: أى لم تعف أحداً من عمالك من مشاطرة ماله. وفشا: اى انتشر وكثر.

(عمر وولده عبد الله[١])

وما وَفَى ٱبنُكَ (عبدُ اللهِ) أينُقَه ... لمّا ٱطّلعْتَ عليها فى مَرَاعيها[٢]

رأيتَها فى حِماهُ وهى سارحةٌ ... مثلَ القُصور قد ٱهتزت أعاليها

فقلتَ : ما كان (عبدُ الله) يُشْبِعُها ... لو لم يَكُنْ وَلَدى أو كان يُرْوِيها

قد ٱستعانَ بجاهى فى تجارتِه ... وباتَ باسمِ (أبِى حَفْصٍ) يُنَمِّيها[٣]

رُدُّوا النِّيَاقَ لبَيْتِ المالِ إنّ له ... حَقَّ الزِّيادةِ فيها قَبْلَ شاريها

وهــذه خُطَّةٌ للهِ واضِعُها ... رَدَّتْ حُقوقاً فأَغنَتْ مُسْتَمِيحيها[٤]

ما الاشتراكيّةُ المَنْشُود جانِبُها ... بينَ الوَرَى غَيْرَ مَبْنَى مِنْ مَبانِيها[٥]

فإنْ نكنْ نَحْنُ أَهْلِيها ومَنْبِتَها ... فإنّهم عَرَفُوها قَبْــلَ أَهْلِيها[٦]

---

(١) يشير الشاعر بهــذه الأبيات إلى ما يروى من أن عمر مر بنوق قد بدت عليها آثار النعمة فسأل عن صاحبها ، فقيل له : عبد الله ، فساقها إلى بيت المال ظنا منه أن ثروة ابنه لا تفى لهـا ، وأنه لولا جاهه بين النـاس ما قدر على إطعامها .

(٢) الأينق : النياق .

(٣) ينميها : يزيدها .

(٤) أغنت مستميحيها : أى أغنت أصحاب الحقوق عن استجدائها والتماسها بمذلة السؤال .

(٥) المنشود المطلوب . يريد أن المذهب الاشتراكى المعروف ما هو إلا فرع من هذه الخطة التى سار عليها عمر.

(٦) فإن نكن نحن : أى العرب ، أهل هــذه الخطة وفينا نبتت ، فان الغربيين قد عرفوها وعملوا بها قبلنا ونحن أحق بها وأهلها .

(عمر ونصر بن حجاج)

جَنَى الجَمَالُ على (نَصْرٍ) فغرّبَه ... عَنِ المَدِينةِ تَبْكيه ويَبْكِيها

وكَمْ رَمَتْ قَسَماتُ الحُسْن صاحِبَها ... وأَتْعَبتْ قَصَباتُ السَّبْق حاوِيها[1]

وزَهْرَةُ الرَّوْضِ لولا حُسْنُ رَوْنَقِها ... لَمَا ٱستطالَتْ عليها كفُّ جانِيها

كانت له لِمَّةٌ فَيْنانَةٌ عَجَبٌ ... على جَبِينٍ خَلِيقٍ أنْ يُحَلِّيها[2]

وكان أنَّى مَشَى مالَتْ عَقائِلُها ... شَوْقًا إليه وكادَ الحُسْنُ يَسْبِيها[3]

هَتَفْنَ تحتَ اللَّيالِي بآسمِه شَغَفًا ... ولِلحِسانِ تَمَنٍّ في لَيالِيها

جَزَزْتَ لِمَّتَه لَمَّا أُتِيتَ به ... ففاقَ عاطِلُها في الحُسْنِ حالِيها[4]

فَصِحْتَ فيه : تَحَوَّلْ عن مَدِينَتِهِمْ ... فإنَّها فِتْنَةٌ أَخْشَى تَمادِيها

وفِتْنَةُ الحُسْنِ إنْ هَبَّتْ نَوافِحُها ... كفِتْنَةِ الحَرْبِ إنْ هَبَّتْ سَوافِيها[5]

---

(١) قسمات الحسن : مجاليه . وقصبة السبق : ما ينصب في ميدان السباق ، فمن سبق اقتعلها وأخذها ليعلم أنه السابق .

(٢) اللمة (بالكسر) : الشعر المجاور شحمة الأذن ، والجمع لمم . وفينانة طويلة حسنة .

(٣) عقائلها : أى عقائل المدينة . وعقائل النساء : كرائمهن ، الواحدة : عقيلة . ويسبيها : يأسرها .

(٤) عاطل اللمة : المجرد منها . وحاليها : المتزين بها .

(٥) نوافحها : أى روائحها الطيبة ، جمع نافحة . وسوافي الحرب : أى عواصفها . والأصل في السوافي : الريح تحمل الغبار . يقول : إن الحسن يفعل في النفوس بلطفه ورقته ما تفعله الحرب بقسوتها وشدتها .

ويرويه بعض الأدباء نقلا عن حافظ " لوافحها " باللام مكان " نوافحها " بالنون ، واللوافح : الرياح الحارة المحرقة ، جمع لافحة ؛ والمعنى عليه يستقيم أيضا كما هو ظاهر .

(عمر ورسول كسرى [1])

وَراعَ صاحبَ (كِسْرَى) أنْ رَأَى عُمَرًا ... بَيْنَ الرَّعِيَّةِ عُطْلًا وهو راعِيها [2]

وعَهْدُه بمُلوكِ الفُرْسِ أنّ لها ... سُورًا من الجُنْدِ والأحراسِ يَحْمِيها

رآه مُسْتَغْرِقًا فى نَوْمِه فَرأى ... فيه الجَلالَةَ فى أَسْمَى مَعانِيها

فوقَ الثَّرَى تحتَ ظلِّ الدَّوْحِ مُشْتَمِلًا ... بِبُرْدَةٍ كادَ طُولُ العَهْدِ يُبْلِيها [3]

فهانَ فى عَيْنِه ما كانَ يُكْبِرُه ... مِنَ الأكاسِرِ والدّنيا بأيْدِيها

وقال قَوْلَةَ حَقٍّ أصْبَحَتْ مَثَلًا ... وأصْبَحَ الجِيلُ بَعْدَ الجيلِ يَرْوِيها :

أَمِنْتَ لمّا أَقَمْتَ العَدْلَ بَيْنَهُمُ ... فنِمْتَ نَوْمَ قَرِيرِ العَيْنِ هانِيها

(عُمَر والشورى [4])

يا رافعًا رايةَ الشُّورَى وحارسَها ... جَزاكَ رَبُّكَ خَيْرًا عن مُحِبِّيها

لَم يُلْهِكَ النَّزْعُ عن تأييدِ دَوْلَتِها ... وللمَنِيَّةِ آلامٌ تُعانِيها [5]

---

(١) يشير بهذه الأبيات إلى ما يروى من أنه لما وصل رسول كسرى إلى المدينة يريد مقابلة الخليفة جعل يستهدى إلى قصره ، فعلم أنه لا يسكن قصرا ، وانتهى به الأمر إلى أن وصل إلى بيت كبيوت أفقر العرب وهناك كان الخليفة العظيم راقدا على الرمل أمام البيت ، جاعلا منه وسادة أسند إليها رأسه ، ولم يكن حوله من مظاهر هذه الحياة ما يميزه من أصغر فرد فى رعيته ؛ فلما رأى الرسول ذلك دهش ، ووقف أمامه خاشعا وقال عبارته المعروفة : عدلت يا عمر وأمنت فنمت .

(٢) عطلا (بالضم) : أى متجردا من مظاهر الأبهة .

(٣) الدوح جمع دوحة ، وهى الشجرة العظيمة المتسعة الظل . واشتمل الرجل بثوبه : تلفف به وأداره على جسده .

(٤) كان عمر ممن يأخذون بالشورى فى أمورهم ، وكان يقول : لا خير فى أمر أبرم من غير شورى . وهو أوّل من قرر قاعدة الشورى فى انتخاب الخليفة ، فقد سئل عند ما طعن عمن يوصى به بعده ، فقال للمقداد بن الأسود : إذا وضعتمونى فى حفرتى فأدخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة أن قدم ، وأحضر عبد الله بن عمر ، ولا شىء له من الأمر ، وقم على رءوسهم ، فان اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد فاضرب رأسه بالسيف ، وان اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وأبى اثنان فاضرب رأسيهما ، فان رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا منهم ، فحكموا عبد الله بن عمر ، فأى الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم ، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس . وإلى هذه القصة يشير الشاعر .

(٥) دولتها : أى دولة الشورى .

لَمْ أَنْسَ أَمْرَكَ للمِقْدادِ يَحْمِلُهُ ... الى الجَماعةِ انْذارا وتَنْبِيها

إنْ ظَلَّ بَعْدَ ثلاثٍ رأيُها شُعَبًا ... بجَرِّدِ السَّيْفَ واضْرِبْ فى هَوادِيها [1]

فَاعْجَبْ لقوّةِ نَفْسٍ ليس يَصْرِفُها ... طَعْمُ المَنِيّةِ مُرًّا عن مَرامِيها

دَرَى عَمِيدُ بَنِي الشُّورَى بمَوْضِعِها ... فعاشَ ما عاشَ يَبْنِيها ويُعْلِيها

وما استَبَدَّ برأيٍ فى حُكومَتِهِ ... إن الحُكومَةَ تُغْرِى مُسْتَبِدِّيها

رأيُ الجَماعةِ لا تَشْقَى البِلادُ به ... رَغْمَ الخِلافِ ورأيُ الفَرْدِ يُشْقِيها

(مِثالٌ مِن زُهْدِه)

يامَنْ صَدَفْتَ عن الدُّنيا وزِينَتِها ... فلَمْ يَغُرَّكَ مِنْ دُنْياكَ مُغْرِيها [2]

ماذا رأيتَ بِبابِ الشامِ حين رَأَوْا ... أنْ يُلْبِسوكَ من الأثْوابِ زاهِيها

ويُرْكِبُوكَ على البِرْذَوْنِ تَقْدُمُه ... خَيْلٌ مُطَهَّمَةٌ تَحْلُو مَرائِيها [3]

مَشَى فَهَمْلَجَ مُخْتالا براكِبِهِ ... وفى البَراذِينِ ما تُزْهَى بِعالِيها [4]

فَصِحْتَ: يا قومُ، كادَ الزَّهْوُ يَقْتُلُنى ... وداخَلَتْنِى حالٌ لستُ أَدْرِيها

وكادَ يَصْبُو إلى دُنْياكُمُ (عُمَرُ) ... ويَرْتَضِى بَيْعَ باقِيهِ بفانِيها [5]

رُدُّوا رِكابِى فلا أَبْغِى به بَدَلًا ... رُدُّوا ثِيابِى فَحَسْبِى اليومَ بالِيها

---

(١) بعد ثلاث : أى بعد ثلاث ليال . والهوادى : الأعناق .

(٢) صدف : أعرض وصد .

(٣) البرذون : ضرب من الدواب دون الخيل وأقوى من الحمر . ويشير بهذا البيت وما بعده إلى أن عمر لما شخص إلى بيت المقدس رأى فرسه يتوجى ، فنزل عنه وأتى ببرذون فركبه ، فهزه ، فنزل فضرب وجهه بردائه ثم قال : قبح الله من علمك ، هذا من الخيلاء ، ثم دعا بفرسه بعد ما أجمه أياما فركبه ، ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس ، ولم يركب قبله ولا بعده برذونا .

(٤) الهملجة : حسن السير فى تبختر . وأزهى (بالبناء للمجهول) : اختال . وعاليها : راكبها .

(٥) يصبو : يميل .

(مِثالٌ مِنْ رَحْمتِه[1])

وَمَنْ رَآهُ أمامَ القِدْرِ مُنْبَطِحًا ... والنارُ تأخُذُ منه وهْوَ يُذْكِيها[2]

وقد تخَلَّلَ فى أثْناءِ لِحْيَتِهِ ... منها الدُّخانُ وَفُوهُ غابَ فى فِيها[3]

رأى هُناكَ أميرَ المؤمنينَ علَى ... حالٍ ترُوعُ — لَعَمْرُ اللهِ — رائيها

يَسْتَقْبِلُ النارَ خَوْفَ النارِ فى غدِهِ ... والعَيْنُ مِنْ خَشْيَةٍ سالَتْ مآقيها[4]

(مِثالٌ مِنْ تَقَشُّفِه وورَعِه)[5]

انْ جاعَ فى شِدَّةٍ قَوْمٌ شَرِكْتَهُمُ ... فى الجُوعِ أو تَنْجَلِى عنهمْ غَواشِيها[6]

جُوعُ الخليفةِ — والدُّنيا بقَبْضَتِه — ... فى الزُّهْدِ مَنْزِلَةٌ سُبْحانَ مُولِيها

فَمَنْ يُبارِى (أبا حَفْصٍ) وسيرَتَه ... أوْ مَنْ يُحاوِلُ (للفارُوقِ) تَشْبِيها

يومَ اشْتَهَتْ زَوْجُهُ الحَلْوَى فقالَ لها: ... مِنْ أيْنَ لى ثَمَنُ الحَلْوَى فأشْرِيها ؟

---

(١) يشير بالأبيات الآتية إلى ما روى من أن عمر رضى الله تعالى عنه كان يتعسس بالليل ، فرأى امرأة توقد النار على حصى وماء ، تشغل بذلك أولادها عن طلب الطعام حتى يناموا ، فحمل اليها عمر من بيت المال شيئا من الدقيق ، وجلس هو يشعل النار وينضج الطعام ، ولم ينصرف حتى أكل الأطفال وناموا .

(٢) انبطح : نام على وجهه ممتدا على الأرض . وأذكى النار : أوقدها .

(٣) فوه غاب فى فيها : أى فمه غاب فى فم النار وهو ينفخها .

(٤) المآقى : جمع مأق ومؤق ، وهو طرف العين مما يلى الأنف ، وهو مجرى الدمع .

(٥) يشير الشاعر بهذه الأبيات الآتية إلى حادثتين من تقشف عمر : (الأولى) ما يحكى عنه من أنه كان إذا نزلت بالقوم مجاعة لا يأكل داخل بيته ، ويأخذ طعامه ويشترك مع القوم إلى أن تنتهى المجاعة ، حتى يعلموا أن الخليفة لا يأكل من غير ما يأكلون . (الثانية) ما حكى عنه من أن امرأته اشتهت الحلواء ، فادّخرت لذلك من نفقة بيتها حتى جمعت ما يكفى لصنعها ، فلما نمى هذا إلى عمر ردّ ما ادّخرته إلى بيت المال ونقص من نفقتها بقدر ما ادّخرت .

(٦) "أو تنجلى" الخ ، أى حتى تنكشف عنهم غواشيها أى ما يغشاهم ويشملهم من الشدّة والقحط . الواحدة : غاشية .

لا تَمْتَطِى شَهَواتِ النَّفسِ جامحةً ... فكِسْرَةُ الخبزِ عن حَلْواكِ تَجْزِيها[1]

وهَلْ يَفِى بَيْتُ مالِ المُسْلِمين بما ... تُوحِى اليكِ إذا طاوَعْتِ مُوحِيها

قالت : لكَ اللهُ إنِّى لَسْتُ ارزؤه ... مَالًا لحاجَةِ نَفْسٍ كنتُ أَبْغِيها[2]

لكنْ أُجَنِّبُ شَيْئًا منْ وَظِيفَتِنا ... فِى كلِّ يَوْمٍ على حالٍ أُسَوِّيها[3]

حتى إذا ما مَلَكْنا ما يُكافِئُها ... شَرَيْتُها ثُمَّ إنِّى لا أُثَنِّيها[4]

قال : اذهبى واعلَمى إنْ كنتِ جاهلةً ... أَنَّ القَناعةَ تُغْنِى نَفْسَ كاسِيها[5]

وأَقْبَلَتْ بَعْدَ خَمْسٍ وهى حاملةٌ ... دُرَيْهِماتٍ لِتَقْضِى مِنْ تَشَهِّيها

فقال : نَبَّهْتِ مِنِّى غافلًا فَدَعِى ... هٰذِى الدَّراهِمَ إذْ لا حَقَّ لى فيها

وَيْلِى عَلَى عُمَرٍ يَرْضَى بمُوفِيَةٍ ... على الكَفافِ ويَنْهَى مُسْتَزِيدِيها[6]

مازادَ (عَنْ) قُوتِنا فالمُسْلِمُون به ... أَوْلَى فقُومِى لِبَيْتِ المالِ رُدِّيها

كذاكَ أَخْلاقُه كانتْ وما عُهِدَتْ ... بعدَ النُّبُوَّةِ أَخْلاقٌ تُحاكِيها

(مِثالٌ مِنْ هَيْبَتِه)

فى الجاهليّةِ والإسلامِ هَيْبَتُه ... تَثْنِى الخُطوبَ فلا تَعْدُو عَواديها

فى طَىِّ شِدَّته أَسْرارُ مَرْحَمَةٍ ... للعالَمِينَ ولكنْ ليسَ يُفْشِيها

---

(١) تجزيها : أى تغنى عنها .

(٢) لست أرزؤه مالا : أى لست أصيب من بيت المال شيئا .

(٣) وظيفتنا : أى ما يجرى علينا من بيت المال .

(٤) لا أثنيها : أى لا أعود إلى طلب ذلك مرة ثانية .

(٥) كاسيها : أى المتجمل بها .

(٦) بموفية على الكفاف : أى بما يزيد عن الحاجة من الرزق .

وبَيْنَ جَنْبَيْهِ فى أَوْفَى صَرامَتِهِ فُؤادُ والدةٍ تَرْعَى ذَرارِيها[١]

أَغْنَتْ عن الصَّارِمِ المَصْقُولِ دِرَّتُه فَكَمْ أَخافَتْ غَوِيَّ النفسِ عاتِيها[٢]

كانت له كعَصَا (موسَى) لِصاحِبِها لايَنزِلُ البُطْلُ مُجْتازًا بِوادِيها[٣]

أَخافَ حتَّى الذَّرارِى فى ملاعِبِها ورَاعَ حتَّى الغَوانِي فى مَلَاهِيها[٤]

أَرَيْتَ تِلْكَ الَّتِى لِلهِ قد نَذَرَتْ أُنْشُودةً لِرَسُولِ اللهِ تُهْدِيها ؟[٥]

قالتْ : نَذَرْتُ لئن عادَ النَّبِي لَنا مِنْ غَزْوَةٍ لَعَلَى دُفِّى أُغَنِّيها

ويَمَّمت حَضْرَةَ الهادِى وقد مَلَأَتْ أَنْوارُ طَلْعَتِهِ أَرْجاءَ نادِيها

وآستأْذَنَتْ ومَشَتْ بالدُّفِّ واندَفَعَتْ تُشْجِى بِأَلْحانِها ما شاءَ مُشْجِيها[٦]

(والمصطفى) (وأبو بَكْرٍ) بجانِبِهِ لا يُنكِران عليها مِنْ أَغانِيها

حتى إذا لاحَ منْ بُعْدٍ لها (عُمَرٌ) خارَتْ قُواهَا وكادَ الخَوْفُ يُرْدِيها[٧]

وخَبَّأَتْ دُفَّهَا فى ثَوْبِها فَرَقًا مِنْهُ ووَدَّتْ لو آنّ الأَرْضَ تَطْوِيها[٨]

قد كانَ حِلْمُ رَسُولِ اللهِ يُؤْنِسُها فجاءَ بَطْشُ (أَبِى حَفْصٍ) يُخَشِّيها[٩]

---

(١) أوفى صرامته : أى فى أقصى شدّته .

(٢) الصارم المصقول : السيف المجلو . والدرة : العصا يضرب بها ، ودرة عمر معروفة . والغوى : الضال .

(٣) البطل (بالضم) : الباطل . و يريد بالشطر الثانى أنه لا يضرب بها إلا فى حق .

(٤) الغوانى : النساء غنين بحسبهن و بجمالهن عن الزينة . الواحدة : غانية .

(٥) أريت : أى أرأيت ، ويشير الشاعر بهذا البيت وما بعده إلى ما يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر سفرا فنذرت جارية من قريش لئن ردّه الله تعالى أن تضرب بالدف ، وتغنى بين يديه ، فلما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الجارية لتفى بنذرها ، وضربت على الدف وكان أبو بكر إلى جانب الرسول لا ينكران عليها ذلك ، فلما طلع عليها عمر أسقط فى يدها واضطربت فرتح عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال متبسما : " لقد فر شيطانها " حين رأى عمر .

(٦) تشجى : تطرب

(٧) خارت قواها : ضعفت . وأرداه : أهلكه .

(٨) الفرق : الخوف .

(٩) يخشيها : يخوّفها .

فقالَ مَهْبِطُ وَحْيِ اللهِ مُبْتَسِماً … وفى ابتسامَتِهِ مَعْنًى يُواسِيها

قد فَرَّ شَيْطانُها ، لمّا رأَى عُمَراً … إن الشياطينَ تَخْشَى بأسَ مُخْزِيها

(مثالٌ من رُجوعه إلى الحقّ[1])

وفِتْيَةٍ وَلِعُوا بالرَّاحِ فانْتَبَذُوا … لهمْ مكاناً وجَدُّوا فى تَعاطِيها[2]

ظَهَرْتَ حائطَهُم لمّا عَلِمْتَ بهمْ … والليلُ مُعْتَكِرُ الأَرْجاءِ ساجِيها[3]

حتّى تَبَيَّنْتَهُم والخمرُ قد أَخَذَتْ … تَعْلُو ذُؤابَةَ ساقِيها وحاسِيها[4]

سَفَّهْتَ آراءَهُمْ فيها فما لَبِثُوا … أَنْ أَوْسَعُوكَ على ما جِئْتَ تَسْفِيها[5]

ورُمْتَ تَفْقِيهَهُمْ فى دِينِهِمْ فاذا … بالشَّرْبِ قد بَرَعُوا (الفارُوقَ) تَفْقِيها[6]

قالوا : مَكانَكَ قد جِئْنا بواحِدَةٍ … وجِئْتَنا بثَلاثٍ لا تُباليها

فأْتِ البُيُوتَ مِن الأَبْوابِ (ياعُمَرٌ) … فقد يُزَنُّ من الحِيطانِ آتِيها[7]

واستأْذِنِ الناسَ أَنْ تَغْشَى بيوتَهُمُ … ولا تُلِمَّ بدارٍ أو تُحَيِّيها[8]

---

(١) يشير بهذا البيت وما بعده إلى ما روى من أن عمر تسوّر الحائط على جماعة يشربون الخمر يريد أن يباغتهم ، فأنكروا عليه أمورا ثلاثة أتاها ؛ وهى دخوله عليهم من غير الباب ، وعدم استئذانه ، وتجسسه عليهم ، وكل هذه نهى عنها الله ، فانثنى عنهم بعد أن لزمته حجتهم .

(٢) الراح : الخمر .

(٣) ظهر الحائط : علاه . واعتكر الليل اختلط ظلامه : الساجى : الساكن الراكد الظلمة .

(٤) يريد بالذؤابة أعلى الرأس . والذؤابة فى الأصل : الضفيرة من الشعر . وحاسيها : شاربها .

(٥) فيها : أى فى الخمر .

(٦) الشرب : الشاربون . وبرعوا : فاقوا .

(٧) نوّن "عمر" هنا لضرورة الوزن . وفى كتب النحو أن المنادى المبنى على الضم إذا اضطر الشاعر إلى تنوينه فله فيه وجهان : الضم والنصب ، فمن الأول :

* سلام الله يا مطرٌ عليها *

ومن الثانى :

* يا عديًا لقد وقتك الأواقى *

ويزن : يتهم .

(٨) أى لا تدخل الدار حتى تستأذن وتسلم على أهلها .

وَلا تَجَسَّسْ فهٰذِى الآىُ قد نَزَلَتْ ... بالنَّهْى عنه فلَمْ تَذْكُرْ نَواهِيهـا
فعُدْتَ عنهم وقد أَكْبَرْتَ حُجَّتَهُمْ ... لَمَّا رَأَيْتَ كِتَابَ اللهِ يُمْلِيهـا
وما أَنِفْتَ وإنْ كانوا على حَرَجٍ ... مِنْ أَنْ يَحُجَّكَ بالآياتِ عاصِيهـا[1]

(عُمَرُ وشَجَرَةُ الرِّضْوانِ[2])

وَسَرْحَةٍ فى سَماءِ السَّرْحِ قد رَفَعَتْ ... بِبَيْعَةِ المُصْطَفَى مِنْ رأْسِها تِيهـا[3]
أَزَلْتَها حِينَ غالَوْا فى الطَّوافِ بها ... وكانَ تَطْوافُهُم للدِّينِ تَشْوِيهـا[4]

(الخـاتمة)

هٰـذِى مَناقِبُه فى عَهْـدِ دَوْلَتِـهِ ... للشّاهِـدِينَ وللأَعْقابِ أَحْكِيهـا
فى كُلِّ واحِدةٍ مِنهنّ نابِلَةٌ ... من الطبائِـعِ تَغْذُو نَفْسَ واعِيهـا[5]
لَعَلَّ فى أُمّةِ الإسْـلامِ نابِتَـةً ... تَجْلُو لحاضِرِها مِرْآةَ ماضِيهـا[6]
حتّى ترَى بَعْضَ ما شادَت أوائِلُها ... من الصُّرُوحِ وما عاناهُ بانِيهـا
وحَسْبُها أَنْ تَرَى ما كانَ مِن (عُمَرٍ) ... حتّى يُنَبِّـهَ منها عَيْنَ غافِيهـا[7]

---

(١) الحرج : الاثم . وحجه يحجه : غلبه الحجة .

(٢) شجرة الرضوان : هى الشجرة التى بايع النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه تحتها يوم الحديبية ، وقد رأى عمر أن الناس يصلون عندها و يطوفون بها ، فخاف أن ينصرف تكريمهم لها إلى معنى من معانى الوثنية ، فأمر بقطعها ، فقطعت ، و إلى هذا يشير الشاعر بالأبيات الآتية .

(٣) السرحة : الشجرة الطويلة ، أو هى من الشجر ما لا شوك فيه . يقول : إن هذه الشجرة قد تعالت تيها و افتخارا على مثيلاتها من أعالى الأشجار بهذه البيعة .

(٤) غالوا : بالغوا وأكثروا .

(٥) نابلة : أى سجية شريفة من سجايا النبل .

(٦) النابتة الناشئون .

(٧) الغافى : النائم .

تحية محمد عسران عبد الكريم

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتكريمه فى فندق شبرد فى ٧ يوليه سنة ١٩١٩ م حين استقال من الحكومة أوّل مرة ، وهى على لسان تجار الغلال

لقــد عاشَرْتَنا فلبِثْتَ فينا ... مثالاً للنزاهَــةِ والـكمالِ
بحِلْمٍ كان مَحْمُودَ المَــزايا ... وعَدْلٍ كان مَمْــدُودَ الظِّلالِ
فإنْ كُنْتَ اعتَزَلْتَ إباءَ ضَيْمٍ ... فمِثْلُكَ بالوظائفِ لا يُبَالِى
فَحَبَّاتُ القُلوب تَسُوقُ شُكْرًا ... إليكَ بقَدْرِ حَبّاتِ الغلالِ(١)

تحية أحمد شوقى بك

وكان حافظ قد أعدّها ليستقبله بها عند قدومه الى مصر من منفاه بالأندلس ، ولـكنه عجل بنشرها قبل قدومه مخافة أن يلحقه القدر المحتوم ، كما قال فى رسالته الى الأهرام

[نشرت فى ١٤ أغسطس سنة ١٩١٩ م]

وَرَدَ الكِنَانَةَ عَبْقَـرِىُّ زَمانِـهِ ... فتَنَظَّرِى يا مِصْرُ سِحْـرَ بيانِهِ(٢)
وأَتَى الحُسانُ فهَنِّئوا مُلْكَ النُّهَى ... بقيامِ دَوْلَتِــهِ وعَوْدِ حُسانِهِ(٣)
النِّيلُ قد أَلْقَى إليهِ بسَمْعِـهِ ... والمـاءُ أَمْسَكَ فيه عن جَرَيانِهِ
والزَّهْرُ مُصْـغٍ والخَمائِلُ خُشَّعٌ ... والطيرُ مُسْتَمِعٌ على أفْنانِهِ(٤)

(١) حبات القلوب : سويداواتها .
(٢) تنظرى : انتظرى .
(٣) الحسان من الرجال (بضم الحاء) والحسن (بالتحريك) : كلاهما بمعنى واحد .
(٤) الخمائل : المواضع تكثر فيها الأشجار الواحدة : خميلة .

والقطر فى شَوْقٍ لِأَنْدُلُسِيَّةٍ شَوْقِيَّةٍ تَشْفِيه مِنْ أَشْجَانِهِ[١]

يصغى لأَحْمَدَ إنْ شَدَا مُتَرَنِّمًا إِصْغاءَ أُمَّةِ أَحْمَدٍ لأذانِهِ[٢]

فاصدَح وغَنِّ النِّيلَ واهزُزْ عِطْفَه يَكْفِيه ما عناهُ من أحْزَانِهِ[٣]

واذكر لنا الحمْراءَ كيف رأيتَها والقَصْرَ ما ذا كان مِنْ بُنْيانِهِ[٤]

ما ذا تَحَطَّمَ مِنْ ذُراهُ وما الذى أبقَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ أرْكانِهِ[٥]

واهًا عليه وأَهْلِه وبُناتِه أيّامَ كان النَّجْمُ مِنْ سُكّانِهِ

إذْ مُلْكُ أندلسٍ عَرِيضٌ جاهُه وشَبابُه المَبْكِىُّ فى رَيْعانِهِ[٦]

الفَتْحُ والعُمْرانُ آيَةُ عَهْدِه وكَتائِبُ الأَقْدارِ مِنْ أَعْوانِهِ

لَبِسَتْ به الدُّنيا لِباسَ حَضارَةٍ قد كانَ يَخْلَعُه على جِيرانِهِ[٧]

زالتْ بَشاشَتُه وزَالَ وأَقْفَرَتْ مِنْ أُنْسِه الدُّنيا ومِنْ إنْسانِهِ[٨]

وطَوَى الثَّرَى سِرَّ الزَّوال فيا تُرَى هل ضاقَ صَدْرُ الأَرْضِ عن كِتْمانِهِ؟[٩]

فتكَلَّمَتْ تِلكَ الطُّلُولُ وأَفْصَحَتْ لمّا وَقَفْتَ مُسائِلاً عن شانِهِ

---

(١) أندلسية شوقية : أى قصيدة من شعر شوقى فى وصف الأندلس .

(٢) يريد "بأحمد" الثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) صدح : رفع صوته بالغناء . والعطف : الجانب .

(٤) الحمراء : هى ذلك البناء الذى لا يزال على طول عهده فى غرناطة أجمل ما يرى فى البلاد الأسبانية ، وكان قلعة تضم بين جدرانها القصر السلطانى ، وفى هـذا القصر كان يعيش سلاطين بنى الأحمر .

(٥) تحطم : تهدم . وذراه : أعاليه . وصروف الزمان : حوادثه وتغيراته .

(٦) ريعان كل شىء : أوّله .

(٧) جيرانه : أى ممالك الغرب المجاورة للأندلس . (٨) إنسانه : أى أهله .

(٩) سر الزوال : أى السبب فى زوال ملك العرب عن الأندلس ، يستفسر الشاعر فى هـذا البيت والذى بعده : هل ضاق صدر الأرض عن حفظ ذلك السر فباح به لشوقى لما وقف على أطلال الحمراء ؟

وَلَعَلَّ نَكْبَتَهُ هُنَاكَ تَفَرُّقٌ ... وَتَعَدُّدٌ قد كان فى تِبْيَانِهِ

عِبَرٌ رَأَيْنَاهَا على أيّامِنَا ... قد هَوَّنَتْ ما نابَه فى آنِهِ

وحَوادِثٌ فى الكَوْنِ إِثْرَ حَوادِثٍ ... جاءَتْ مُشَمِّرَةً لِهَدِّ كِيَانِهِ

سُبْحانَ جَبّارِ السّمٰواتِ العُلا ... ومُقَلِّبِ الأَكْوانِ فى أَكْوانِهِ

أَهْلًا بِشَمْسِ المَشْرِقَيْنِ ومَرْحَبًا ... بالأَبْلَجِ المَرْجُوِّ مِنْ إِخْوانِهِ[1]

أَشْكُو إِلَيْكَ مِنَ الزّمانِ وزُمْرَةٍ ... جَرَحَتْ فُؤادَ الشِّعْرِ فى أَعْيانِهِ[2]

كَمْ خارِجٍ عن أُفْقِهِ حَصَبَ الوَرَى ... بِقَرِيضِهِ والعُجْبُ مِلْءُ جَنانِهِ[3]

يَخْتالُ بينَ النّاسِ مُتَّئِدَ الخُطا ... رِيحُ الغُرُورِ تَهُبُّ مِنْ أَرْدانِهِ[4]

كَمْ صَكَّ مَسْمَعَنا بِجَنْدَلِ لَفْظِهِ ... وأَطالَ مِحْنَتَنا بِطُولِ لِسانِهِ[5]

ما زالَ يُعْلِنُ بَيْنَنا عن نَفْسِهِ ... حَتّى اسْتَغاثَ الصُّمُّ مِنْ إِعْلانِهِ

نَصَحَ الهُداةُ لَهُم فزادَ غُرُورُهُمْ ... واشْتَدَّ ذاكَ السَّيْلُ فى طُغْيانِهِ

أَوَ لَمْ تَرَ الفُرْقانَ وهو مُفَصَّلٌ ... لَمْ يَلْفِتِ البُوذِيَّ عن أَوْثانِهِ ؟

قُلْ لِلّذِى قد قامَ يَشْأَوُ أَحْمَدًا ... خَلِّ القَرِيضَ فَلَسْتَ مِنْ فُرْسانِهِ[6]

---

(١) الأبلج : الطلق الوجه .

(٢) أعيانه : أى رجال الشعر المبرزين فيه . "ويريد بالزمرة" ضعاف الشعراء ، وكان منهم فى رأى حافظ عبدالحليم المصرى الشاعر ، وهو المقصود بقوله بعد : "كم خارج" الخ ، وكانا قد تلاحيا قبل مقدم شوقى ثم احتكما اليه حين قدم .

(٣) أصل الحصب : الرمى بالحصا ، ثم استعمل فى كل رمى .

(٤) متئد : متمهل . وأردانه ، أى أثوابه . والأردان : جمع ردن بضم الراء ، وهو أصل الكم .

(٥) الجندل : الصخر .

(٦) يشأو أحمدا : أى يبلغ غاية شوقى .

الشِّعرُ فى أوْزانِه لو قِسْتَه ... لَظَلَمْتَه بالدُّرِّ فى مِيزانِه[١]

هَذا امْرُؤٌ قد جاءَ قَبْلَ أوانِهِ ... إنْ لم يَكُن قد جاء بَعْدَ أوانِه[٢]

إنْ قال شِعْرًا أو تَسَنَّمَ مِنْبرًا ... فَتَعَوَّذُوا باللهِ مِنْ شَيْطَانِه[٣]

تَخِذَ الخيالَ له بُراقًا فاعْتَلَى ... فوقَ السُّها يَسْتَنُّ فى طَيرَانِه[٤]

ما كان يَأْمَنُ عَثْرَةً لو لم يَكُنْ ... رُوحُ الحَقيقَةِ مُمْسِكًا بِعنانِه[٥]

فأَتَى بما لَمْ يَأْتِه مُتَقَدِّمٌ ... أو تَطْمَعُ الأذْهانُ فى إتيانِه

هَلْ للخَيالِ وللحَقِيقَةِ مَنْهَلٌ ... لم يَبْغِه الرُّوّادُ فى دِيوانِه[٦]

إنا لَنَلْهُو إذْ نَجِدُّ وإنه ... لَيَجِدُّ إذْ يَلْهُو بنَظْمِ جُمانِه[٧]

أقْلامُه لو شاءَ شَكَّ قَصِيرُها ... هامَ الثُّرَيَّا والسُّها بِسِنانِه[٨]

يُمْلِي عليها عَقْلُه وجَنانُه ... ما ليسَ يُنْكِرُه هَوَى وِجْدانِه

بَسْلٌ على شُعَرائنا أنْ يَنْطِقُوا ... قَبْلَ المُثُولِ لَدَيْه واسْتِئْذانِه[٩]

عافَ القَدِيمَ وقد كَسَتْه يدُ البِلَى ... خَلَقَ الأَديمِ فهانَ فى خُلْقانِه[١٠] ٤١

---

(١) فى أوزانه : أى فى الأوزان التى ينظم منها شوقى . و « الدر » متعلق بقوله : « قسته » .

(٢) يريد أن شوقيا قد جاء فى غير زمانه ، وزمانه الجدير به إما أن يكون زمن السابقين من الفحول الأقدمين ، أو ممن سيجود بهم الزمن بعد اكتمال الفن .

(٣) تسنم الشئ : علاه .

(٤) البراق : هى الدابة التى يروى أن النبى صلى الله عليه وسلم ركبها ليلة المعراج . والسها : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى . ويستن : يسرع .

(٥) العنان : سير اللجام الذى تمسك به الدابة . يقول إن الذى حمى شعره من الزلل والخطل ، هو أنه جعل الحقيقة غرضه الذى يرمى إليه فى قصائده ، ولولا ذلك لم يأمن الزلل .

(٦) المنهل : المورد ينهل منه الظامئون . والروّاد : الطالبون .

(٧) الجمان اللؤلؤ .

(٨) الهام : الرءوس . الواحدة : هامة .

(٩) بسل : حرام .

(١٠) عاف القديم : تجنب القديم من أغراض الشعر ومعانيه التى رثت و بليت .

وأبى الجديد وقد تأنق أهله ... في الرقش حتى غر في ألوانه[١]

تجديده بعث القديم من البلى ... وأعاد سؤدده إلى إبانه[٢]

ورمى جديدهم نفر بناؤه ... برواء زخرفه وبرق دهانه[٣]

شعراء نفح الطيب أنشر ذكرهم ... في أرض أندلس أديب زمانه[٤]

ود (ابن هانئ) (وابن عمار) بها ... لو يظفران معا بلثم بنانه[٥]

ولو استطاعا فوق ذاك لأقبلا ... رغم البلى والقبر يستبقانه[٦]

يا كرمة (المطرية) ابتهجي به ... واستقبلي الظمآن من أخدانه[٧]

مدي الظلال على الوفود وجددي ... عهدا طواه الدهر في بستانه

كم مجلس للهو فيه شهدته ... فسكرت من ديوانه ودنانه[٨]

غنى مغنيه فهاج غناؤه ... شجو الحمام على ذوائب بانه[٩]

---

(٣) الرقش: النقش والتزيين.

(٤) السؤدد: السيادة والرفعة. وإبان الشيء: زمانه.

(٥) الرواء: حسن المنظر.

(٦) نفح الطيب: هو كتاب نفح الطيب تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن يحيي المقري المغربي، نزيل فاس، ثم مصر، المتوفى في شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٤١ هـ. وصف في هذا الكتاب جزيرة الأندلس ورجالها من الكتاب والشعراء وغيرهم. ومعنى البيت أن شوقيا قد أحيا بحسن شعره ذكر الشعراء الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب.

(٧) بها: أي بالأندلس. وابن هانيء هو أبو القاسم محمد بن هانيء الأسدي الأندلسي الشاعر المعروف. ومنع «هانئا» من الصرف لضرورة الوزن. وابن عمار: هو ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار الأندلسي الشاعر المشهور، وقد مات بأشبيلية سنة سبع وسبعين وأربعمائة، وكانت ولادته سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة.

(٨) يستبقانه: أي يمشيان أمامه تجلة واحتراما.

(٩) المطرية: ضاحية من ضواحي القاهرة معروفة، وفيها كان بيت المرحوم شوقي بك المعروف بكرمة ابن هانيء.

(١) الدنان: جمع دن (بالفتح)، وهو إناء كبير للخمر.

(٢) شجو الحمام: بكاؤه. والبان: شجر سبط القوام لين، ورقه كورق الصفصاف، الواحدة بانة. وذوائبه: أعاليه.

فَتَرَنَّحَتْ أَشْجارُه وتمايلَتْ أَعْوادُها طَرَبًا على عيدانِهِ[١]

فكأن مَجْلِسَنا هُناكَ قَصيدَةٌ مِنْ نَظْمه طَلَعَتْ على عُبْدانِهِ[٢]

فالحمدُ لله الّذى قد رَدَّه مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِه إلى أَوْطانِهِ

فتنظَّروا آياتِه وتَسَمَّعوا قد قامَ بُلْبُلُكُمْ على أَغْصانِهِ

فى حفل عكاظ

أنشد هذه القصيدة فى حفل من الأدباء والشعراء برآسة أحمد شوقى بك بدار التمثيل العربى لتحية جريدة عكاظ يوم ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٠ ، وقد سمى صاحب الجريدة هذا الحفل "سوق عكاظ". وهى تتضمن مدحا لشوقى بك رئيس الحفل ونعيا على المصريين امتهانهم لجثث ملوكهم الأقدمين

أَتَيْتُ سُوقَ عُكاظٍ أَسْعَى بأَمْرِ الرَّئيس

أُزْجِى إليهِ قَوافٍ مُنَكَّسات الرُّءوسِ[٣]

لَيْسَت بذاتِ رُواءٍ تُزْهَى به فى الطُّروسِ[٤]

وَلَا بذَاتِ جَمَالٍ يَسْرِى بِها فى النُّفوسِ

لَمْ يُحْيِها فَضْلُ شَوْقى بَقِيَّةً مِنْ نَسِيس[٥]

فهنّ قَفْرٌ خَوالٍ مِنْ كُلِّ معنًى نفيس

---

(١) يريد عيدان الغناء .

(٢) الضمير فى " نظمه " لشوقى . وعبدانه (بضم العين وكسرها) ، أى عبيده من بقية الشعراء .

(٣) أزجى : أسوق .

(٤) الرواء : حسن المنظر . والطروس : الصحف يكتب فيها ، الواحد : طرس .

(٥) النسيس : بقية الروح .

وهَنّ جُهْدُ مُقِلٍّ حَلِيفِ هَمٍّ وبُوسِ
قال الرئيسُ ومَنْ ذا يقولُ بعد الرَّئيسِ
سَقَى الحضورُ شَراباً يُنْسِى شرابَ القُسُوسِ[١]
مُعَتَّقاً قبلَ عادٍ فى مُظْلِماتِ الحُبُوسِ
تُذْكِى الدِّياراتُ منه نارا كنارِ المَجُوسِ[٢]
يُريكَ والليلُ داجٍ شُموسَه فى الكُؤوسِ
بناتِ أفكارِ شَوْقِى فى جَلْوَةٍ كالعَرُوسِ
تُزْهَى بمعنًى سَرِىٍّ أَتَى بمعنًى شَمُوسِ[٣]
وليلة من "عُكاظٍ" ضَمَّت حُماةَ الوَطِيسِ[٤]
أَحْيَا بها ذِكْرَ عَهْدٍ آثارُه فى الطُّرُوسِ[٥]
عهدٌ سَما الشعرُ فيه الى مَجالِى الشُّموسِ
وَوِرْدُه كان أَصْفَى مِنْ مَوْرِدِ القَامُوسِ[٦]

---

(١) يريد "شراب القسوس" : الخمر ، وذلك لما اشتهر به القساوسة والرهبان من ادخار الخمر وتعتيقها فى الأديار .

(٢) تذكى : تشعل . ونار المجوس : النار التى يعبدونها ؛ و يضرب بها المثل فى قوة الاشتعال ودوامه . وقد شبه بها الخمر فى الحمرة ، حتى كأنها تلتهب .

(٣) السرى : الرفيع . والشموس : النفور الصعب المنال .

(٤) الوطيس : الحرب . و يريد " بحماة الوطيس " حملة الأقلام .

(٥) يريد عهد سوق عكاظ الأول فى الجاهلية ، أيام كان يحضرها فحول الشعراء يتناشدون الأشعار .

(٦) القاموس : البحر أو لجته .

بحثتها بحديث ... أسوقه للجلوس
قد زرت متحف مصر ... فى ظهر يوم الخميس
فى زمرة من رفاق ... غر الشمائل شوس (١)
فضقت ذرعا بأمر ... على النفوس بئيس (٢)
وكدت أصرع غما ... لحظها المعكوس (٣)
وصرعة الغم أدهى ... من صرعة الخندريس (٤)
رأيت جثة (خوفو) ... بقرب (سيزستريس) (٥)
فقلت يا قوم هذا ... صنع العقوق الخسيس
أجساد أملاك مصر ... وشائدى منفيس (٦)
من بعد خمسين قرنا ... لم تسترح فى الرموس (٧)
أرى فراعين مصر ... فى ذلة ونحوس
معروضة للبرايا ... أجسادهم بالفلوس
عنهم نبشنا زمانا ... فى مظلمات الدروس (٨)

(١) شوس : أى من علية القوم وعظمائهم ، الواحد أشوس وهو فى الأصل : الذى ينظر بمؤخر العين تكبرا وتيها .

(٢) بئيس : شديد .

(٣) حظها : أى حظ مصر .

(٤) الخندريس : الخمر المعتقة .

(٥) خوفو وسيزستريس : ملكان معروفان من ملوك مصر الأقدمين .

(٦) منفيس : مدينة مصرية قديمة كان لها شأن كبير معروف فى تاريخ مصر القديم ؛ وموضعها الآن البدرشين وميت رهينة .

(٧) الرموس : القبور ، الواحد رمس .

(٨) الدروس : العفاء والبلى . ويريد « بظلمات الدروس » : طبقات الأرض التى دفنوا فيها .

قَدِيسَ ظُلْمًا حِماهُمْ وكانَ غيرَ مَدُوسِ

لعلّهم حَصَّنُوهم من هادمات الفُؤوسِ[١]

علمًا بأنْ سوفَ يُمْنَى بيومِ شرٍّ عَبُوسِ[٢]

لو أن أمثال (مينا) فى الغرب أو (رمسيس)[٣]

بَنَوا عليهم وخطّوا حظائر التقديس

مدحة للمغفور له (فؤاد الأوّل)[٤]

أنشدها بين يدى جلالته حين زيارته مدرسة فؤاد الأول بقصر الزعفران (٥) فى ديسمبر سنة ١٩٢٢ م

أَقصرَ الزَّعفرانِ لأَنْتَ قصرٌ خَلِيقٌ أنْ يَتِيهَ على النُّجومِ

كِلا عَهْدَيْكَ للأَجْيالِ فَخْرٌ وزَهْوٌ للحَديثِ وللقَديمِ[٦]

ثَوَى بالأَمْسِ فيكَ عُلًا ومَجْدٌ وأنتَ اليومَ مَثْوًى للعُلُومِ[٧]

---

(١) يشير إلى ما اشتهرت به مقابر قدماء المصريين من التحصين والامتناع على من يريد اقتحامها .

(٢) الضمير فى « يمنى » يعود على « حمى » المتقدّم ذكره . ويمنى : يبتلى ويصاب .

(٣) ميناورمسيس : ملكان معروفان من ملوك مصر الأقدمين .

(٤) ولد المغفور له الملك فؤاد الأول بقصر الجيزة فى ٢ ذى الحجة سنة ١٢٨٤ هـ . وارتقى عرش المملكة المصرية فى ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٣٥ هـ . وتوفى بعد ظهر يوم الثلاثاء ٧ صفر سنة ١٣٥٥ هـ .

(٥) قصر الزعفران بالعباسية : من القصور التى بناها المغفور له إسماعيل باشا الخديو ، سمى قصر الزعفران لأن الأرض التى بنى فيها كان يزرع بها الزعفران قديما ، وكانت هنالك ترعة يقال لها : ترعة الزعفران ، وردمت هذه الترعة قريبا . وهذا الموضع الذى بنى فيه القصر يتبع الوايلى الصغرى ، وقد استبدل به المغفور له الملك فؤاد الأول قطعة أرض فى مركز طلخا ، بمديرية الغربية من أملاك الحكومة .

(٦) يريد « بالعهدين » : عهد هذا القصر أيام إسماعيل ، وعهده أيام كان مدرسة ثانوية .

(٧) ثوى : أقام . والمثوى : المكان يقام فيه .

فمَنْ نُبْلٍ ، إلى مجْدٍ أثيلٍ ، إلى عِلْمٍ ، إلى نَفْعٍ عَمِيمِ

أَضَفْتَ إلى صُروحِ العِلْمِ صَرْحًا بزَوْرَةِ ذٰلك المَلِكِ الحكيمِ

فيالَكَ مَنْزِلًا رَحْبًا سَرِيًّا بَنَتْه أنامِلُ الذَّوقِ السَّلِيمِ

وحاطَتْه بِبُسْتانٍ أنيقٍ يُرِيكَ جَمالُه وَجْهَ النَّعِيمِ[1]

(أبا فارُوقَ) أنتَ وَهَبْتَ هٰذا لمِصْرَ وهٰكذا مَنْحُ الكَرِيمِ

ولا عَجَبٌ فمِصْرُ على وَلاءٍ ومالِكُها على خُلُقٍ عَظِيمِ

يُطالِعُها ببِرٍّ كُلَّ يَوْمٍ ويَرْعاها بِعَيْنِ أبٍ رَحِيمِ

ويُرْهِفُ مِنْ عَزائِمِ آلِ مِصْرٍ إذا خارَتْ لدى الخَطْبِ الجَسِيمِ[2]

كَسَوْتَ الأَزْهَرَ المَعْمُورَ ثَوْبًا مِنَ الإجْلالِ والعِزِّ المُقِيمِ

قَضَيْتَ به الصَّلاةَ فكادَ يُزْهَى بزائِرِه على رُكْنِ الحَطِيمِ[3]

رأى فِيكَ (المُعِزَّ) زَمانَ أعْلَى قَواعِدَه على ظَهْرِ الأَدِيمِ[4]

فهَشَّ وهَزَّه طَرَبٌ وشوقٌ كما هَشَّ الحَمِيمُ إلى الحَمِيمِ[5]

وهَلَّلَ كُلُّ مَنْ فيه ودَوَّتْ به أصْواتُ شَعْبِكَ كالهَزِيمِ[6]

كذا فلْيَحْمِلِ التَّاجَيْنِ مَلْكٌ يُعِزُّ شعائِرَ الدِّينِ القَوِيمِ[7]

---

(٢) الأنيق : الذى يعجبك بحسنه .

(٣) أرهف السيف والسكين ونحوهما : شحذه وحدّده . وخارت : ضعفت .

(٤) الحطيم : حجر الكعبة (بكسر الحاء وسكون الجيم) .

(٥) يريد المعز لدين الله الفاطمى ، الذى اختطت فى أيامه القاهرة ، وبنى الأزهر . وظهر الأديم : وجه الأرض .

(٦) الحميم : الصديق . (٧) دوّى : علا صوته فسمع . والهزيم : صوت الرعد .

(٧) يريد "بالتاجين" تاج الملك ، وتاج الدين .

وَيَخْشَى رَبَّه ويُطِيعُ مَوْلًى ... هَداهُ إلى الصِّراطِ المُسْتَقِيمِ

أَيَأْذَنُ لى المَلِيكُ البَرُّ أَنِّى ... أُهَنِّئُ مِصْرَ بالأَمْرِ الكَرِيمِ

فيا مِصْرُ اسجُدِى للهِ شُكْرًا ... وتِيهِى واقعُدِى طَرَبًا وقُومِى

فَقَدْ تَمَّ البِناءُ وعَنْ قَرِيبٍ ... تُزَفُّ لكِ البَشائِرُ مِنْ "نَسِيمٍ"[1]

فَدارُ (البَرْلَمانِ) أعزُّ دارٍ ... تُشادُ لطَالِبِ المَجْدِ العَمِيمِ

بهـا يَتَجَمَّلُ العَرْشُ المُفَدَّى ... وتَحْيَا مِصْرُ فى عَيْشٍ رَخِيمِ

فَشَرِّفْهـا بِرَبِّكَ واخْتَتِمْهـا ... وأَسْـعِدْها بدُسْـتُورٍ تَمِيمِ[2]

بآيِ (مُحَمَّدٍ) وبآيِ (عِيسَى) ... فَعَـوِّذْهُ وآياتِ (الكَلِيمِ)[3]

(أبا فارُوقَ) خُذْ بيَدِ الأَمانِى ... وحَقِّقْها على رَغْمِ الخَصِيمِ

أَفِقْنـا بَعْـدَ نَوْمٍ فَوْقَ نَوْمٍ ... على نومٍ كأَصْحـابِ الرَّقِيمِ[4]

وأَصْبَحْنا بيُمْنِـكَ فى نُهُوضٍ ... يُكافِئُ نَهْضَـةَ النبتِ الجَمِيمِ[5]

نُحِطْنـا بالرِّعايَةِ كُلَّ يَوْمٍ ... نَحُفُّـكَ بالوَلاءِ المُسْـتَدِيمِ

---

(١) يريد بالبناء : دار (البرلمان) . و يريد " بنسيم " : محمد توفيق نسيم باشا ، وكان رئيسا للوزارة إذ ذاك .

(٢) التميم : التام .

(٣) الضمير فى "عوذه" الدستور . والكليم : موسى عليه السلام .

(٤) يريد " بأصحاب الرقيم " أهل الكهف ؛ و يضرب المثل بطول نومهم ، قال تعالى : (ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا) الآية . والرقم : لوح كتبت فيه أسماؤهم ، أو هو كهفهم الذى لجأوا إليه .

(٥) اليمن : البركة . و يكافىء : يماثل . والجميم من النبت : الناهض المنتشر .

تهنئة المغفور له سعد زغلول باشا بالنجاة[١]

قالها على أثر الاعتداء عليه بإطلاق النار فى محطة القاهرة إذ كان مسافرا إلى الاسكندرية[٢]
[نشرت فى ١٣ يوليه سنة ١٩٢٤م]

أَحْمَدُ اللهَ إذْ سَلِمْتَ لِمِصْرٍ　　قد رَماها فى قَلْبِها مَنْ رَماكَا
أَحْمَدُ اللهَ إذْ سَلِمْتَ لِمِصْرٍ　　ليس فيها لِيَوْمِ جِدٍّ سِواكَا
أَحْمَدُ اللهَ إذْ سَلِمْتَ لِمِصْرٍ　　ووَقاهَا بلُطْفِه مَنْ وَقاكَا
قد شُغِلْنَا يا (سَعْدُ) عَنْ كلِّ شَيْءٍ　　وشُغِلْنا بأَنْ يَتِمَّ شِفاكَا
فى سَبِيلِ الجِهادِ والوَطَنِ المَحْبُوبِ ما سالَ أَحْمَراً مِنْ دِماكَا
قُلْ لِذَاكَ الأَثِيمِ والفاتِكِ المَفْتُونِ: لا كنتَ، كَيْفَ تَرْمِى السِّماكَا؟[٣]
انَّمـا قد رَمَيْتَ فى شَخْصِ (سَعْدٍ)　　أُمَّةً حُرَّةً فشَلَّتْ يَداكَا

---

(١) ولد المغفور له سعد زغلول باشا بأبيانا من أعمال مركز فوة سنة ١٨٦٠ م . وبعد أن قضى فى الأزهر حينا من الزمن تولى بعض أعمال التحرير فى الوقائع ، وكتب فيها بعض المقالات فى الاستبداد والشورى والأخلاق ، ثم ألحق ببعض الأعمال الإدارية فى الحكومة ، وفصل لاتهامه بالاشتراك فى الثورة العرابية ، فاشتغل بالمحاماة إلى أن اختير للقضاء بمحكمة الاستئناف الأهلية سنه ١٨٩٢ م . وهو أوّل محام ولى مناصب القضاء فى مصر ، ثم ولى منصب وزارة المعارف ، وهو أوّل من قرر دراسة العلوم الرياضية باللغة العربية ، ثم تولى وزارة الحقانية ، ثم كان عضوا بالجمعية التشريعية ، وتولى زعامة النهضة الوطنية ورآسة الوفد المصرى ، وظل زعيما لتلك النهضة من سنة ١٩١٩ م إلى أن توفى فى أغسطس سنة ١٩٢٧ م رحمه الله .

(٢) فى يوم ١٢ يوليو سنة ١٩٢٤ م بينما كان سعد زغلول باشا والوزراء فى محطة القاهرة يريدون السفر إلى الإسكندرية لتهنئة جلالة الملك بعيد الأضحى سنة ١٣٤٢ هـ ، ومن ثم يسافرون إلى إنجلترا للفاوضات ، تقدّم من سعد باشا عبد الخالق عبد اللطيف الدلبشانى وأطلق عليه رصاصة مرت بالذراع اليمنى فيما يلى الأبط ، ومست الثدى الأيمن ، وكان الجرح غير شديد ، فشفى منه بعد أيام .

(٣) يريد بالأثيم الفاتك عبد الخالق الدلبشانى ، وهو الذى اعتدى على المغفور له سعد زغلول باشا .

وقال فيه أيضاً :

أنشدها في الحفل الذي أقامه أعضاء (البرلمان) يوم الخميس ٢٤ يوليه سنة ١٩٢٤م بكازينو سان استفانو بالإسكندرية تكريما لسعد وابتهاجا بنجاته من حادث الاعتداء عليه

الشَّعْبُ يَدْعُو اللهَ يا زَغْلُولُ ... أنْ يَسْتَقِلَّ على يَدَيْكَ النِّيلُ
إنّ الذي اندسَّ الأَثيمُ لقتْلِه ... قد كانَ يَحْرُسُه لنا جِبْرِيلُ
أَيَمُوتُ (سَعْدٌ) قَبْلَ أنْ نَحْيَا به ؟ ... خَطْبٌ على أَبْناءِ مِصْرَ جَليلُ
يا (سَعْدُ) إنّكَ أنتَ أَعْظَمُ عُدّةٍ ... ذُخِرَتْ لنا نَسْطُو بها ونَصُولُ
ولأَنْتَ أَمْضَى نَبْلَةٍ تَرْمِي بها ... فانفُذْ وأَقْصِدْ فالنِّبالُ قَليلُ[1]
النَّسْرُ يَطْمَعُ أنْ يَصِيدَ بأَرْضِنا ... سَنُرِيه كَيْفَ يَصِيدُه زَغْلولُ[2]
إنّا رَمَيْناهُمْ بنَدْبٍ حُوَّلٍ ... عن قَصْدِ وادِي النِّيلِ لَيْسَ يَحُولُ[3]
بأَشَدِّنا بَأْساً وأَقْدَمِنا على ... خَوْضِ الشَّدائِدِ والخُطوبُ مُثولُ[4]
بفَتًى جَمِيعِ القَلْبِ غيرِ مُشَتَّتٍ ... إنْ مالَتِ الأَهْرامُ لَيْسَ يَمِيلُ[5]
فاوِضْ ولا تَخْفِضْ جَناحَكَ ذِلّةً ... إنّ العَدُوَّ سِلاحُه مَفْلُولُ[6]
فاوِضْ وأنتَ على المَجَرّةِ جالِسٌ ... لِمَقامِكَ الإعْظامُ والتَّبْجِيلُ[7]
فاوِضْ نَخالُكَ أُمّةٌ قد أَقْسَمَتْ ... ألّا تَنامَ وفي البِلادِ دَخِيلُ

(١) أقصد السهم : أصاب المقتل .

(٢) يريد بالنسر : الإنجليز ؛ واستعمله هنا لإثارة العجب من أن يصيد الزغلول (فرخ الحمام) النسر .

(٣) الضمير في «رميناهم» للإنجليز . والندب : الماضي في الحاجة ، النافذ في قضائها . والحوّل : الشديد الاحتيال .

(٤) مثول أي ماثلات حاضرة .

(٥) جميع القلب : لا يتفرق من الخوف .

(٦) مفلول : مثلوم مكسر الحد لا يصلح للضرب والطعان .

(٧) يريد علو مكانته وارتفاع منزلته .

عُزْلٌ ولكنْ فى الجهادِ ضَراغِمٌ   لا الجيشُ يُفزِعُها ولا الأُسْطُولُ[١]

أُسْطُولُنا الحقُّ الصُّراحُ وجَيْشُنا   الحُجَجُ الفِصَاحُ وحَرْبُنا التّدْليلُ

ما الحَرْبُ تُذْكِيها قَناً وصَوارِمٌ   كالحَرْبِ تُذْكِيها نُهًى وعُقُولُ[٢]

خُضْها هُنالِكَ باليَقِينِ مُدَرَّعا   واللهُ بالنَّصْرِ المُبِينِ كفيلُ

أَزَعِيمُهُمْ شاكى السِّلاحِ مُدَجَّجٌ   وزَعِيمُنا فى كَفِّه منْديلُ؟[٣]

وكذلِكَ المِنْدِيلُ أَبْلَغُ ضَرْبَةً   مِنْ صارِمٍ فى حَدِّه التَّضْلِيلُ

لكَ وَقْفَةٌ فى الشَّرْقِ تَعْرِفُها العُلا   ويَحُفُّها التَّكْبِيرُ والتَّهْلِيلُ

زَلْزِلْ بها فى الغَرْبِ كُلَّ مُكابِرٍ   لِيَرَى ويَعْلَمَ ما حَواهُ الغِيلُ[٤]

لا تَقْرَب (التَّاميزَ) واحذَرْ وِرْدَه   مَهْمَا بَدا لكَ أنَّه مَعْسُولُ[٥]

الكَيْدُ مَمْزُوجٌ بأَصْفَى مائِه   والخَتْلُ فيه مُذَوَّبٌ مَصْقُولُ[٦]

كَمْ وارِدٍ يا (سَعْدُ) قَبْلَكَ ماءَه   قد عادَ عنه وفى الفُؤادِ غَلِيلُ[٧]

القومُ قد مَلَكُوا عِنانَ زَمانِهِمْ   ولَهُمْ رِواياتٌ به وفُصُولُ[٨]

ولهمْ أَحابِيلٌ إذا أَلْقَوْا بها   قَنَصُوا النُّهَى فأَسِيرُهُمْ مَخْبُولُ[٩]

فاحذَرْ سِياسَتَهُم وكُنْ فى يَقْظَةٍ   سَعْدِيَّةٍ إنَّ السِّياسَةَ غُولُ

---

(١) العزل : الذين لا سلاح معهم ، الواحد أعزل . والضراغم : الأسود .

(٢) أذكى الحرب : أشعل نارها . والقنا : الرماح ، الواحدة قناة . والصوارم ، السيوف القواطع .

(٣) شاكى السلاح ، أى ذو شوكة وحدة فى سلاحه . والمدجج : اللابس السلاح .

(٤) الغيل : الأجمة وموضع الآساد .

(٥) معنى النهى عن قرب (التاميز) : التحذير من خداع أهله :

(٦) الختل : الخداع والمكر .

(٧) الغليل : شدة العطش .

(٨) القوم : الإنجليز . والعنان : سير اللجام الذى يمسك به الفرس .

(٩) الأحابيل : أى المصايد .

إنْ مَثَّلوا فَدَعِ الخَيالَ فإنَّما عِنْدَ الحَقيقةِ يَسْقُطُ التَّمْثيلُ
الشِّبْرُ في عُرْفِ السِّياسَةِ فَرْسَخٌ واليومُ في فَلَكِ السِّياسَةِ جيلُ
ولِكُلِّ لَفْظٍ في المَعاجمِ عِنْدَهم مَعْنًى يُقالُ بأنَّه مَعْقُولُ
نَصَلَتْ سِياسَتُهم وَحالَ صِباغُها ولِكُلِّ كاذِبَةِ الخِضابِ نُصُولُ[1]
جَمَعُوا عَقاقيرَ الدَّهاءِ ورَكَّبُوا ما رَكَّبُوه وعِنْدَكَ التَّحْليلُ
يا (سَعْدُ) أنتَ زَعيمُنا ووَكِيلُنا وعليكَ عِنْدَ مَليكِنا التَّعْويلُ
فادفَعْ وناضِلْ عَنْ مَطالِبِ أُمَّةٍ يا (سَعْدُ) أنتَ أَمامَها مَسْئُولُ
النِّيلُ مَنْبَعُه لَنا ومَصَبُّه ما إنْ له عن أَرْضِها تَحْويلُ
وثِقَتْ بِكَ الثِّقَةَ التي لم يَنْفَرِجْ للرَّيْبِ فيها والشُّكوكِ سَبيلُ
جَعَلَتْ مكانَكَ في القُلوبِ مَحَبَّةً أوَ بَعْدَ ذاكَ على الوَلاءِ دَليلُ؟
كادَتْ تُجَنُّ وقد جُرِحْتَ وخانَها صَبْرٌ على حَمْلِ الخُطوبِ جَميلُ
لَمْ يَبْقَ فيها ناطِقٌ إلا دَعا لكَ رَبَّه ودُعاؤُه مَقْبُولُ
يا سَعْدُ كادَ العيدُ يُصْبِحُ مَأْتَمًا الدمعُ فيه أَسًى عليكَ يَسيلُ[2]
لولا دِفاعُ اللهِ لانطَوَتِ المُنَى عند انطوائِكَ وانقَضَى التأميلُ
شَلَّتْ أَنامِلُ مَنْ رَمَى ، فلِكَفِّه حَزُّ المُدَى ، ولِكَفِّكَ التَّقْبيلُ[3]
هذا وِسامُكَ فوقَ صَدْرِكَ مالَه مِنْ بَيْنِ أَوْسِمَةِ الفَخارِ مَثيلُ[4]
حَلَّيْتَه بِدَمٍ زَكِيٍّ طاهِرٍ في حُبِّ مِصْرَ مَصُونُه مَبْذُولُ

---

(١) نصلت : انكشفت وخرجت من لونها الكاذب إلى لونها الصادق . وحال : تحول .

(٢) العيد : أي عيد الأضحى من سنة ١٣٤٢ هـ . وقد عطلت فيه التهانى بسبب الاعتداء على سعد باشا .

(٣) المدى : جمع مدية وهى السكين .

(٤) يريد «بالوسام» ما أصاب صدره من الدم .

فى كلِّ عَصْرٍ للجُناةِ جَرِيرَةٌ ... لَيْسَتْ على مَرِّ الزَّمانِ تَزُولُ(١)

جارُوا على (الفارُوقِ) أعْدَلِ مَنْ قَضَى ... فينا وزَكَّى رَأْيَهُ التَّنْزِيلُ(٢)

وعلى (عَلِيٍّ) وهْوَ أطْهَرُنا فَمًا ... ويدًا وسَيْفُ نَبِيِّنا المَسْلُولُ(٣)

قِفْ يا خَطِيبَ الشَّرْقِ جَدِّدْ عَهْدَنا ... قَبْلَ الرَّحِيلِ لِيُقْطَعَ التَّأْوِيلُ

فاوِضْ فإنْ أوْجَسْتَ شَرًّا فاعْتَزِمْ ... واقْطَعْ فحَبْلُكَ بالهُدَى مَوْصُولُ

وارْجِعْ إلينا بالكَرامَةِ كاسِيًا ... وعليكَ من زَهَراتِها إكْلِيلُ

إنّا سَنَعْمَلُ للخَلاصِ ولا نَنِى ... واللهُ يَقْضِى بَيْنَنا ويُدِيلُ(٤)

كم دَوْلَةٍ شَهِدَ الصَّباحُ جَلالَها ... وأتَى عليها الليلُ وهْىَ فُلُولُ(٥)

وقُصُورِ قَوْمٍ زاهِراتٍ فى الدُّجَى ... طَلَعَتْ عليها الشمسُ وهْىَ طُلُولُ(٦)

يأيُّها النَّشْءُ الكِرامُ تَحِيَّةً ... كالرَّوْضِ قد خَطَرَتْ عليه قَبُولُ(٧)

يا زَهْرَ مِصْرَ وزَيْنَها وحُماتَها ... مَدْحِى لكُمْ بَعْدَ الرَّئِيسِ فُضُولُ

جُدْتُمْ لها بالنَّفْسِ فى وَرْدِ الصِّبا ... والوَرْدُ لم يُنْظَرْ إليه ذُبُولُ(٨)

كم من نَجِيبٍ دُونَها ومُجاهِدٍ ... دَمُهُ على عَرَصاتِها مَطْلُولُ(٩)

سِيرُوا على سَنَنِ الرَّئِيسِ وحَقِّقُوا ... أمَلَ البِلادِ فكُلُّكُمْ مأْمُولُ

أنتُمْ رِجالُ غَدٍ وقد أوْفَى غَدٌ ... فاسْتَقْبِلُوهُ وحَجِّلُوهُ وطُولُوا(١٠)

---

(١) الجريرة : الجناية .

(٢) الفاروق : هو عمر بن الخطاب . يشير إلى قتل أبى لؤلؤة إياه غيلة . وزكى : عزز . يريد ما كان ينزل من الآيات تعزيزا وموافقة لما كان يراه عمر .

(٣) يشير إلى قتل عبد الرحمن بن ملجم عليا رضى الله تعالى عنه غيلة أيضا .

(٤) ونى ينى : قصر . ويديل : يجعل الدولة لنا عليهم .

(٥) وهى فلول : أى متفرقة مهزومة .

(٦) الطلول : جمع طلل ، وهو الشاخص من آثار الديار .

(٧) القبول : ريح الصبا .

(٨) فى ورد الصبا : أى فى زهرة الشباب .

(٩) العرصات : جمع عرصة ، وهى كل بقعة ليس فيها بناء ؛ يريد ميادينها . ومطلول : لم يثأر به .

(١٠) أوفى : أتى . وحجلوه : أى جعلوه يوما أبيض . وطولوا : افخروا واعتزوا .

إلى الأستاذ أحمد لطفى السيد بك (باشا)

وجهها إليه حين ترجم كتاب الأخلاق لأرسطو سنة ١٩٢٤ م

يا كاسِىَ الأخلاق فى ... بَلَدٍ عن الأخلاق عارى

لم يَبْقَ فينا مَن يُجا ... دِلُ فى مَقامِكَ أو يُمارى (١)

بالأمسِ قد علّمْتَنا ... أدَبَ الكتابةِ والحِوارِ (٢)

واليومَ قد أطْرَفْتَنا ... بالطَّيِّباتِ من الثِّمارِ (٣)

بكتابِ رَسْطاليسَ تا ... جِ نَوادِرِ الفَلَكِ المُدارِ (٤)

جاهَدْتَ فى تفْصيلِه ... ووَصَلْتَ لَيْلَكَ بالنَّهارِ

تَزِنُ الكلامَ كأنه ... ماسٌ بميزانِ التِّجارِ

وتَصُونُ مَعْنَى رَبِّه ... صَوْنَ اللآلئ فى المَحارِ (٥)

وتَضِنُّ دُهْقانَ الكَلا ... مِ كضَنِّ دُهْقانِ النُّضارِ (٦)

حتَّى حَسِبْتُكَ فى الأنا ... ةِ والاختبارِ والاختيارِ

صَنَعًا يُصَوِّرُ فى الفُصُو ... صِ لَدَى الفَراعنةِ الكِبارِ (٧)

---

(١) يمارى : ينازع .

(٢) يشير بهذا البيت إلى عهد الممدوح فى رآسة تحرير « الجريدة » وما كان يكتبه فيها من مقالات .

(٣) ألطفه بكذا : أتحفه به .

(٤) تاج نوادر الفلك : أى أثمن نوادر الزمن وأنفسها . (٥) ربه : أى مؤلفه أرسطوطاليس .

(٦) دهقان الكلام (بالنصب) ، على النداء . والدهقان (بكسر الدال وتضم) : التاجر . والنضار : الذهب .

(٧) الصنع (بالتحريك) : الحاذق بالصنعة ؛ وشبهه بالمصور فى الفصوص لما فى ذلك من مراعاة الدقة .

إنّى قَـرَأْتُ كتابَهُ بَيْنَ الخُشُـوعِ والاعتبار
فإذا المُتَرْجِـمُ ماثِلٌ جَنْبَ المُؤَلِّف فى إطـار
وعَلَيْهما نُـورٌ يفيـ ـضُ من المَهَـابَةِ والوَقَار
قالوا ، لقـد هَجَرَ السِّيا سَةَ وانْزَوَى فى عُقْر دار
تَرَكَ المجَالَ لغَـيْرِه ورأى النَّجاةَ مع الفِـرار
لا تَظْـلِمُوا رَبَّ النُّهَى وحَذار مِنْ خَطَلٍ حَذار[1]
هَجَـرَ السِّيَاسَةَ للسِّيـا سَةِ لا لنَوْمٍ أو قَـرارِ
لو أنّهمْ عَلِمُـوا الذى يَبْنِى لهمْ خَلْفَ السِّتـارِ
لسَعَوْا إلى حامى الفَضيـ ـلة والحَقِيقَـة والذِّمار[2]
وافاهُـمُ بدَعائم الـ أخْلاق والحِكَم السَّوارى[3]
أسّ السِّـياسَةِ والنَّجا حِ وحصْن سَيِّدَة البحار[4]
كَلِفَتْ بها وتَمَسَّكَتْ قَبْلَ الفَيـالِقِ والجَوارِى[5]
يا عاشِقَ الخُـلُقِ الصَّريـ ـحِ وشانِئَ الخُلُق المُوارى[6]

(١) الخطل : الخطأ والزلل .

(٢) الذمار : كل ما يلزمك حفظه وحمايته .

(٣) الدعائم : العمد ، الواحدة دعامة . والسوارى : جمع سارية ، أى التى تسير فى الناس .

(٤) يريد « بسيدة البحار » : انجلترا .

(٥) الفيالق : الجيوش العظيمة ، الواحد فيلق . والجوارى : السفن ، الواحدة جارية .

(٦) الشانىء : المبغض .

إنِّى اختَبَرْتُكَ فى الكُهُو لَةِ والصِّبَا حَقَّ اختيارِ

لَم يَجْرِ فى ناديكَ هُجْـ ـرُ القَوْلِ أو خَلْعُ العذارِ[١]

حُلْوُ التواضُعِ والتَّـوا ضُعُ آيَةُ القوْمِ الخِيَارِ

مُرُّ التكبُّرِ حينَ يَدْ عُوكَ التَّواضُعُ للصِّغارِ[٢]

سِرْ فى طَرِيقكَ وادعًا فَلأَنْتَ مَأْمُونُ العِثَارِ

واجعَلْ على لُقَمِ الطَّرِ يقِ صُوًى تَلُوحُ لكلِّ سارى[٣]

إنَّا إلى (كُتُبِ السيا سَةِ) يا حَكِيمُ على أُوارِ[٤]

عَجِّلْ بها قَبْلَ (الفَسا دِ) وقَبْلَ عاديَةِ البَوارِ[٥]

إنَّا نُناضِلُ أُمَّـةً أَقْطابُها أُسْدٌ ضَوارى[٦]

عَرَكُوا الزَّمانَ وأَهْلَه وتَحَصَّنُوا منْ كلِّ طارى[٧]

أَمْسَتْ سِياسَتُهُمْ كطَلَّسْمٍ يُحَيِّرُ كلَّ قارى

إنْ يُنْكِروا بَعْضَ الغُمُو ضِ على أَديبٍ ذى اقتِدارِ

---

(١) هجر القول : القبيح منه . وخلع العذار : كناية عن التهتك وعدم المبالاة .

(٢) الصغار : الذل .

(٣) لقم الطريق (بفتح اللام وضمها) : وسطه . والصوى : العلامات التى تجعل على الطريق ليهتدى بها ؛ الواحدة صوة (بضم الصاد وتشديد الواو) .

(٤) يريد بكتب السياسة : كتاب أرسطو فيها . والأوار : شدّة العطش .

(٥) يشير إلى كتاب (الكون والفساد) الذى كان يترجمه الأستاذ أحمد لطفى السيد وقتئذ ، وكان يود حافظ لو أن الأستاذ ترجم كتاب أرسطو فى السياسة ونشره قبل كتاب الكون والفساد .

(٦) يريد الأمة الإنجليزية . والضوارى : المتعودة الصيد والافتراس .

(٧) عركوا الزمان : خبروه . والطارى : أى الطارئ ، أى ما يطرأ على الدول من أحداث .

فلأنهم لم يذكروا ... أن المترجم فى إسار[1]
لم يعن أحمد أن يجى ... ء بآى قيس أو نزار[2]
وهو المجلى فى أسا ... ليب الفصاحة والمبارى[3]
لغة العلوم حقائق ... هى عن زخارفنا عوارى[4]
تأبى الغلو وتحسب الـ ... إغراق كالثوب المعار[5]
والنقل إن عدم الأما ... نة كان عنوان الخسار

إلى حفنى بك محمود

قالها حين رشحه الوفد لعضوية (البرلمان) عن بندر الجيزة

[نشرت فى ١١ مايو سنة ١٩٢٦ م]

يا كاسى الخلق الرضى وصاحب الـ ... أدب السرى ويا فتى الفتيان[6]
إن رشحوك فأنت من بيت رمى ... بسهامه عن حوزة الأوطان[7]
زكاك إقدام ورأى شاهد ... ونقى إيمان وحسن بيان
لو كنت بين الناخبين لأدركوا ... ما فيك يا (حفنى) من رضوان[8]

(١) « أن المترجم » الخ : أى أنه متقيد بأغراض المؤلف وعباراته لا يعدوها .

(٢) يريد بقوله : "بآى قيس أو نزار" بيان العرب الأقدمين . وقيس ونزار : قبيلتان من العرب معروفتان .

(٣) المجلى : السابق الذى يجىء أوّلا .

(٤) زخارفنا : أى ما يزين به الأدباء أشعارهم ورسائلهم من تحلية وتمنيق .

(٥) الغلو والإغراق فى الشئ : المبالغة فيه . (٦) السرى : الرفيع .

(٧) حوزة الأوطان : أى ما يجب الدفاع عنه وحمايته منها .

(٨) يشير بهذا البيت إلى أن الممدوح من بلد آخر غير البلد الذى رشح للنيابة عنه ، ولو كان منه لأدرك أهله ما فيه من رضى وخير .

إلى سعد زغلول باشا

أنشدها بين يديه على أثر قدومه من مسجد وصيف إلى العاصمة على الباخرة دندرة

[نشرت فى ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٦ م]

ما بالُ (دَنْدَرَةٍ) تميسُ تهادياً ... مَيْسَ العَرُوسِ مَشَتْ على إستبرقِ (١)

والنيــــلُ يجرى تحتها متهللاً ... والموجُ بين مهلِّلٍ ومصفِّقِ

ألعلَّها — والتيهُ يثنى عطفَها — ... حملت ركابَ زعيمِ قلبِ المشرقِ ؟ (٢)

إنى أرى نوراً يفيضُ وطلعةً ... قد زانها وضحُ الجبينِ المشرقِ

هـذا زعيمُ النيلِ حلَّ عرينَه ... بعـد الغيابِ فيا وفودُ تدفَّقى (٣)

وتمنَّـى بقدومه وترفَّقى ... عند الزحامِ فسلِّمى وتفرَّقى (٤)

وتنظَّرى إنَّ الخلاصَ محتَّمٌ ... فاللهُ أسلمَ أمرَنا لموفَّقِ (٥)

كم أزمةٍ مرت بنا فاجتاحها ... (سعدٌ) بسيلِ بيانه المتدفِّقِ (٦)

يأيها السبّاقُ فى طلبِ العلا ... ها قد أتيتَ مجلِّياً لم تُسبقِ (٧)

سبقَ البشيرَ ركابُ سعدٍ جارياً ... وركابُ سعدٍ وانياً لم يُلحقِ (٨)

---

(١) تميس : تتمايل وتتبختر . والإستبرق : الديباج الغليظ ، وهو لفظ معرب .

(٢) العطف : الجانب ويريد « بقلب المشرق » : مصر ، لأنها منه بمنزلة القلب من الجسد .

(٣) العرين : مأوى الأسد .

(٤) يروى أن الرئيس ابتسم عند ما أنشد هـذا البيت ، وقال : " إلا أنت يا حافظ " .

(٥) تنظرى : انتظرى .

(٦) اجتاحها : استأصلها وأودى بها . ويقال : إن حافظا لما أنشد هـذا البيت خاطب الرئيس وقال : " ألم يحصل " ؟ ، فضحك سعد وقال : « أنا لا أعرف » . (٧) المجلى : السابق الذى يجىء أولا .

(٨) يقول : إن سعدا قد أفاض من صفته — وهى السبق فى سبل العلا — على الباخرة ، فسبقت البشير وهو يجرى ، ولو كانت وانية لسبقته أيضا ، لأنها اكتسبت فضيلة السبق بمن حل بها .

تهنئة أحمد شوقى بك [1]

أنشدها فى المهرجان الذى أقيم لتكريمه بالأوبرا فى ٢٩ أبريل سنة ١٩٢٧ م
وقد اشترك فيه بعض شعراء الأقطار الشرقية

بَلابِلَ وادِى النِّيل بالمَشْرِقِ اسْجَعِى ... بشِعْرِ أَمِيرِ الدَّوْلَتَيْنِ وَرَجِّعِى [2]

أَعِيدِى على الأَسْماعِ ما غَرَّدَتْ به ... يَرَاعَةُ شَوْقِى فى ابْتِداءٍ ومَقْطَعِ [3]

بَرَاها له البارى فلم يَنْبُ سِنُّها ... إذا ما نَبا العَسَّالُ فى كَفِّ أَرْوَعِ [4]

مَواقِعُها فى الشَّرْقِ والشَّرْقُ مُجْدِبٌ ... مَواقِعُ صَيْبِ الغَيْثِ فى كُلِّ بَلْقَعِ [5]

لَدَيْها وُفُودُ اللَّفْظِ تَنْساقُ خَلْفَها ... وُفُودُ المَعانِى خُشَّعاً عند خُشَّعِ [6]

إذا رَضِيَتْ جاءتْ بأَنْفاسِ رَوْضَةٍ ... وإنْ غَضِبَتْ جاءتْ بِنَكْباءَ زَعْزَعِ [7]

أَحَنُّ على المَكْدُودِ مِنْ ظِلِّ دَوْحَةٍ ... وأَحْنَى على المَوْلُودِ مِنْ ثَدْيِ مُرْضِعِ [8]

على سِنِّها رِفْقٌ يَسِيلُ ورَحْمَةٌ ... ورَوْحٌ لِمَنْ يَأْسَى وذِكْرَى لِمَنْ يَعِى [9]

---

(١) أنظر التعريف بالمرحوم (أحمد شوقى بك) فى الحاشية رقم ١ من ص ٤٥

(٢) يريد « بالدولتين » : النظم والنثر . والترجيع : ترديد الصوت بالغناء .

(٣) فى ابتداء ومقطع : أى فى أوّل القصيدة وآخرها .

(٤) نبا ينبو : كل وارتد . والعسال : الرمح يهتز لينا . والأروع : الشجاع الشهم .

(٥) صيب (بتسكين الياء) أصلها صيب (بتشديدها) ، وهو المطر المنهمر المنصب . والبلقع : الأرض القفر لا نبات بها . يقول : إن آثار قلمه تفعل فى نفوس الشرقيين الظامئة ما تفعل السحب فى الأرض المجدبة .

(٦) يقول : إن يراعة هذا الشاعر قد ملكت ناصيتى الألفاظ والمعانى لا يستعصى عليها منهما شىء .

(٧) النكباء : الريح تنحرف عن مهب الرياح ، وتقع بين ريحين . والزعزع : الشديدة العصف .

(٨) المكدود : من أضناه الكد والمشقة . والدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل .

(٩) الروح : الراحة والرحمة . ويأسى : يحزن . ويعى : يحفظ .

تَسابَقُ فوقَ الطِّرسِ أفكارُ رَبِّها ... سِباقَ جِيادٍ فى مَجالٍ مُرَبَّعِ (١)

تَطيرُ بُروقُ الفِكْرِ خَلْفَ بُروقِها ... تُناشِدُها باللهِ لا تَتَسرَّعى (٢)

تُحاوِلُ فَوْتَ الفِكْرِ لَوْ لَمْ تَكُفَّها ... أَنامِلُهُ كَفَّ الجَموحِ المُرَوَّعِ (٣)

أَلَمْ تَعلَموا أنّا بذُخْرَى نَباغَةٍ ... نُفاخِرُ أَهلَ الشَّرقِ فى أىِّ مَجْمَعِ (٤)

نُفاخِرُ مِنْ (شَوْقِينا) بيَراعَةٍ ... ونَزْدادُ فَخْرًا مِنْ (عَلِيٍّ) بمِبْضَعِ (٥)

فذاكَ شِفاءُ الجِسْمِ تَدْمَى جِراحُه ... وتلكَ شِفاءُ الوالِهِ المُتَوجِّعِ (٦)

نَمَتْكَ ظِلالٌ وارِفاتٌ وأَنْعُمٌ ... ولِينُ عَيْشٍ فى مَصيفٍ ومَرْبَعِ (٧)

ومَنْ كانَ فى بَيْتِ المُلوكِ ثَواؤُهُ ... يَنشأْ على النُّعْمَى ويَمْرَحْ ويَرْتَعِ (٨)

لَئِن عَجِبُوا أَنْ شابَ (شَوْقِى) ولَمْ يَزَلْ ... فَتِىَّ الهَوَى والقَلْبِ جَمَّ التَّمَتُّعِ (٩)

لقد شابَ مِنْ هَوْلِ القَوافِى ووَقْعِها ... وإِتيانِهِ بالمُعجِزِ المُتَمَنِّعِ

كما شَيَّبَتْ هُودٌ ذُؤابَةَ أَحمَدٍ ... وشَيَّبَتِ الهَيْجاءُ رأْسَ المُدَرَّعِ (١٠)

---

(١) تسابق : أى تتسابق . والطرس : الصحيفة يكتب فيها . والمجال : حيث تجول الجياد ، أى تجرى .

(٢) بروق الفكر : أى بروق فكر الشاعر . والضمير فى « بروقها » يعود على « اليراعة » المتقدمة . شبه فكر الشاعر ويراعته فى سرعتيهما بالبروق ، وجعل برق يراعته أسرع من برق فكره .

(٣) الجموح : الفرس الذى يركب رأسه لا يثنيه شىء . والمروّع : المفزع . يقول : إن يراعته تسبق أفكاره لولا أن أنامله تردها وتكبحها .

(٤) بذخرى : متعلق ، بقوله : « نفاخر » . والنباغة : النبوغ ، فعلها من باب كرم .

(٥) يريد « بعلى » : على إبراهيم باشا الجراح المعروف . والمبضع : المشرط .

(٦) ذاك : أى المبضع . وتلك : أى اليراعة .

(٧) نمتك : أى تعهدتك بالتربية والنماء . والوارفات : المتسعة الممتدة . والمربع : المكان يقام به فى فصل الربيع .

(٨) الثواء : الإقامة . (٩) فتى الهوى : جديده . يريد أن عواطف قلبه لم يطفئها المشيب .

(١٠) يشير بالشطر الأول إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « شيبتنى هود وأخواتها » أى سورة هود ، لما فيها من آيات الوعيد . والذؤابة من الشعر : الضفيرة . والهيجاء : الحرب . ويشير بالشطر الثانى إلى قول الشاعر :

وما شاب رأسى من سنين تتابعت ... علىّ ولكن شيبتنى الوقائع

يَعِيبُون (شَوْقِى) أن يُرَى غَيْرَ مُنْشِدٍ ... وما ذاكَ عَنْ عِيٍّ به أو تَرَفُّعِ [1]

وما كانَ عاباً أَن يَجِىءَ بمُنْشِدٍ ... لآياتِه أو أنْ يَجِىءَ بمُسْمِعِ [2]

فهذا (كَليمُ اللهِ) قد جاءَ قَبْــلَه ... (بهارُونَ) ما يَأْمُرْه بالوَحْىِ يَصْدَعِ [3]

بَلَغْتَ بوَصْفِ النِّيلِ منْ وَصْفِكَ المَدَى ... وأيامَ (فِرْعَوْنٍ) ومَعْبُودِه (رَعِ) [4]

وما سُقْتَ منْ عَادِ البِلادِ وأَهْلِها ... وماقُلْتَ فى أهْرامِ (خُوفُو) و(خَفْرَعِ) [5]

فأَطْلَعْتَها شَوْقِيَّــــةً لو تَنَسَّقَتْ ... مع النَّيِّراتِ الزُّهْرِ خُصَّتْ بمَطْلَعِ [6]

أ(منْ أَيِّ عَهْدٍ فى القُرَى)قد تَفَجَّرتْ ... يَنابِيعُ هٰذا الفِكْرِ أَمْ (أُخْتُ يُوشَعِ) ؟ [7]

---

(١) العى : عدم القدرة على الكلام . والترفع : الكبر . ويشير إلى أن شوقيا كان فى الحفلات لا ينشد قصائده بنفسه كما يفعل غيره من الشعراء ، بل كان ينيب عنه فى كل مجتمع من ينشد قصائده .

(٢) العاب والعيب : كلاهما بمعنى واحد .

(٣) كليم الله : نبيه موسى عليه السلام . وصدع بالأمر : جاهر به مصرحا . ويشير إلى ما ورد فى القرآن حكاية عن موسى عليه السلام : (واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى اشدد به أزرى) الآيات .

(٤) المدى : الغاية . ويشير بهذا البيت إلى قصيدة لشوقى فى النيل وتاريخ من ملك من الفراعنة بعث بها إلى مرجليوث المستشرق المعروف فى سنة ١٩١٤ م . وأوّلها :

من أى عهد فى القرى تتدفق ... وبأى كف فى المدائن تغدق

و "رع" : اسم للشمس عند قدماء المصريين ، وهو من معبوداتهم .

(٥) العاد : جمع عادة ؛ يريد عادات قدماء المصريين . وخوفو وخفرع : ملكان معروفان من ملوك مصر الفراعنة .

(٦) تنسقت : انتظمت . والنيرات الزهر : النجوم .

(٧) "من أى عهد فى القرى" : مطلع القصيدة السابق ذكرها فى الحاشية رقم ٤ من هذه الصفحة . وأخت يوشع : الشمس ؛ وأطلق عليها ذلك لما روى من أنها تأخرت عن المغيب لأجل يوشع . ويشير إلى قصيدة لشوقى فى توت عنخ أمون ، أوّلها :

قفى يا أخت يوشع خبرينا ... أحاديث القرون الغابرينا

وفى (تُوتَ) ما أعْيَا ٱبتكارَ مُوَفّقٍ ... وفى (ناشئٌ فى الوَرْدِ) إلْهَامُ مُبْدِعِ[١]

أَسالَتْ (سَلَا قَلْبِى) شُئُونِى تَذَكُّرًا ... كَمَا نَثَرَتْ (رِيمٌ على القاعِ) أَدْمُعِى[٢]

و(سَلْ يَلْدِزًا) إنِّى رَأَيْتُ جَمَالَهَا ... على الدَّهْرِ قد أَنْسَى جَمَالَ (المُقَنَّعِ)[٣]

أَطَلَّتْ علينا (أُخْتُ أَنْدَلُسٍ) بِمَا ... أَطَلَّتْ فَكَانَتْ لِلنُّهَى خيرَ مَشْرَعِ[٤]

وفى نَسْجِ (صَدَّاحٍ) أَتَيْتَ بِآيَةٍ ... مِنَ السَّهْلِ لا تَنْقادُ (لِٱبْنِ المُقَفَّعِ)[٥]

(١) يشير بقوله : " وفى توت " إلى قصيدة لشوقى فى توت عنخ أمون ، أولها :

درجت على الكنز القرون ... وأتت على الدن السنون

وبقوله : « ناشئ فى الورد » إلى قصيدة له فى المنتصرين من ورجهم فى الامتحانات ، أولها :

ناشئ فى الورد من أيامه ... حسبه الله أبا لورد عثر

(٢) يشير بقوله : " سلا قلبى " إلى قصيدة لشوقى قالها فى استقباله لمصر عند عودته من منفاه بالأندلس ، أولها :

سلا قلبى غداة سلا وتابا ... لعل على الجمال له عتابا

وبقوله : " ريم على القاع " إلى قصيدة له فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم سماها : نهج البردة ، وأولها :

ريم على القاع بين البان والعلم ... أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

والشئون : الدموع .

(٣) يشير إلى قصيدة للدوح فى خلع السلطان عبد الحميد سماها : (عبرة الدهر) ، أولها :

سل يلدزا ذات القصور ... هل جاءها نبأ البدور

ويريد بالمقنع : المقنع الكندى ، وهو لقب غلب عليه لأنه كان أحسن الناس وجها وأمدهم قامة وأكملهم خلقة ، ويروون أنه كان إذا سفر اللثام أصابته أعين الناس فيمرض ويلحقه عنت ، فكان لا يمشى إلا مقنعا ، واسمه محمد بن ظفر ابن عمير ، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية ، وكان ذا منزلة وشرف بين قومه .

(٤) أطلت علينا : أى ظهرت لنا من أعلى . ويشير إلى قصيدة لشوقى فى رثاء مدينة أدرنة ، وهى من أمهات مدن الدولة العثمانية ، وكانت قد سقطت فى يد البلغار فى الحرب البلقانية ، وأول القصيدة :

يا أخت أندلس عليك سلام ... هوت الخلافة عنك والإسلام

والمشرع : المورد الذى يستقى منه .

(٥) يشير إلى قصيدة لشوقى فى تفضيل حجاب المرأة على سفورها ، يخاطب بها المرحومة باحثة البادية ، أولها :

صداح يا ملك الكنا ... رويا أمير البلبل

وابن المقفع : هو عبد الله بن المقفع الكاتب المعروف .

وروائع وَصْفٍ فى (أبى الهَولِ) سُقْتَه ... كبُسْتان نَوْرٍ قَبْلَ رَعيِك ما رُعِى[(١)]

خَرَجْتَ به عن طَوْق كلِّ مُصَوِّرٍ ... يجيدُ دَقِيقَ الفَنِّ فى جَوْف مَصْنَعِ[(٢)]

وفى (انظُرْ إلى الأقمارِ) زَفْرةُ واجِدٍ ... وأنّةُ مَقْرُوحِ الفــؤادِ مُوَزَّعِ[(٣)]

بَكَيْتَ على سِرِّ السَّماءِ وطُهْــرِها ... وما ٱبتَذَلُوا مِنْ خِدْرِها المُتَرَفِّعِ

شَياطِينُ إِنْسٍ تَسْرِق السَّمْعَ خُلْسَةً ... ولا تَحْــذَر المَخْبُــوء لِلْمُتَسَمِّعِ[(٤)]

وســينِيَّةٍ (للبُحْتُرِىّ) نَسَخْتَها ... بسينِيَّةٍ قد أخْرَسَت كلَّ مُدّعى[(٥)]

أتَى لك فيها طائعًا كلُّ ما عَصَى ... على كلِّ جَبّارِ القَرِيحَــةِ أَلْمَعِى[(٦)]

شَجَا (البُحْتُرِى) إيوانُ (كِسْرَى) وهاجَه ... وهاجَتْ بكَ (الحَمْراءُ) أشْجانَ مُوجَعِ[(٧)]

---

(١) الرائع : ما أعجب الناس بحسنه . ويشير إلى قصيدة لشوقى فى وصف أبى الهول ، أولها :

أبا الهول طال عليــك العصر ... وبلغت فى الأرض أقصى العمر

والنور (بفتح النون) : زهر النبات .

(٢) الطوق : الجهد والطاقة .

(٣) يشير إلى قصيدة لشوقى فى رثاء فتحى ونورى الطيارين العثمانيين ، وكانا قد سقطت بهما طائرتهما فى أثناء رحلتهما إلى مصر قبل نشوب الحرب العظمى ، وأولها :

انظر إلى الأقمار كيف تزول ... وإلى وجوه السعد كيف تحول

والواجد : ذو الوجد . والفؤاد الموزع : المفرق مما اختلف عليه من الشجون .

(٤) يريد بشياطين الإنس : الطيارين . ويريد « بالمخبوء للتسمع » : الشهب التى يرجم بها من الشياطين من يسترق السمع من السماء .

(٥) يشير بهذا البيت إلى قصيدة لأبى عبادة البحترى على قافية السين فى وصف إيوان كسرى ، أولها :

صنت نفسى عما يدنس نفسى ... وترفعت عن جدا كل جبس

وقصيدة لشوقى يعارضه بها ، يذكر فيها بعده عن بلاده فى منفاه ، ويرثى فيها الأندلس ، وأولها :

اختلاف النهار والليــل ينسى ... اذكرا لى الصبا وأيام أنسى

(٦) الألمعى (بتشديد الياء وخففت للشعر) : الذكى المتوقد .

(٧) البحترى : هو أبو عبادة الوليــد بن عبيد الله الطائى ، الشاعر المعروف . والحمراء : قصر بغرناطة بالأندلس ، بنى فى عهد دولة بنى الأحمر ، ولا تزال آثاره ماثلة حتى اليوم .

وَقَفْتَ بِهـا تَبْكِي الرُّبُوعَ كما بَكَى ... فيـا لَكُمَا مِنْ واقِفَيْنِ بأَرْبُعِ

فَنَسْجُكَ كالدِّيباجِ حَلَّاه وَشْيُه ... وفى النَّسْجِ ما يَأتِي بِثَوْبٍ مُرَقَّعِ[1]

وشِعْرُكَ ماءُ النَّهْرِ يَجْرِى مُجَدَّدا ... وشِعْرُ سَوادِ النّاسِ ماءٌ بِمُنْقَعِ[2]

أ (أَفْضَى إلى خَتْمِ الزَّمانِ فَفَضَّه) ... مِنَ الوَحْىِ والإِلْهامِ أَمْ قَوْلُ لَوْذَعِى ؟[3]

و (قَلْبِى ادَّكَرْتَ اليومَ غَيْرَ مُوَفَّقٍ) ... رُقَى السِّحْرِ أَمْ أَنَّاتُ أَسْوانَ مُولَعِ ؟[4]

تَمَلَّكْتَ مِنْ مُلْكِ القَرِيضِ فَسِيحَه ... فَلَمْ تُبْقِ يا (شَوْقِى) لَنا قِيدَ إِصْبَعِ

فبِاللهِ دَعْ للنّاثِرِين وَسِيلَةً ... تُفِىءُ عليهِمْ واتَّقِ اللهَ واقْنَعِ[5]

عَمِلْتَ على نَيْلِ الخُلُودِ فَنِلْتَه ... فَقُلْ فى مَقامِ الشُّكْرِ يا رَبِّ أَوْزِعِ[6]

جَلَا شِعْرُه للنّاسِ مِرْآةَ عَصْرِه ... ومِرْآةَ عَهْدِ الشِّعْرِ مِنْ عَهْدِ (تُبَّعِ)[7]

يَجِيءُ لنا آناً (بِأَحْمَدَ) ماثِلًا ... وآونةً (بِالبُحْتُرِىِّ) المُرَصَّعِ[8]

---

(١) الوشى : النقش . وشبه فى الشطر الثانى الشعر الذى لا تستوى أجزاؤه فى الحسن وضده بالثوب المرقع .

(٢) سواد الناس : عامتهم . والمنقع : الموضع يستنقع فيه الماء .

(٣) يشير إلى قول شوقى فى رثاء (اللورد) كارنارفون الذى كشف عن قبر توت عنخ أمون :

أفضى إلى ختم الزمان ففضه ... وحبا إلى التاريخ فى محرابه

واللوذعى : الذكى الذهن .

(٤) الأسوان : الحزين . والرقى : جمع رقية ، وهى العوذة يتعوّذ بها من العلل والآفات .

(٥) تفىء عليهم : أى تعود عليهم بالخير والرزق .

(٦) أوزعه الله الشكر : ألهمه إياه . ويشير إلى قوله تعالى حكاية عن سليمان بن داود عليهما السلام فى سورة النمل : (فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك) الآية .

(٧) تبع : لقب لملوك حمير . ويريد بهذا البيت أن شعر الممدوح قد صوّر القديم والجديد .

(٨) يريد « بأحمد » أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الكوفى الكندى الشاعر المعروف .

ويَشْأو رُقَى (هُوجُو) ويَأتِى نَسِيبُه لَنا من ليالى (أَلْفَرِيدَ) بأَرْبَعِ[١]

وإن خَطَرتْ ذِكْرَى الفُحُولِ بفارِسٍ وما خَلَّفُوا فى القَوْلِ من كلِّ مُشْبِعِ[٢]

أتانا برَوْضٍ مُزْهِرٍ من رِياضِهِمْ و (حافظُهُمْ) فيه يُغَنِّى ويَرْتَعِى[٣]

فقُل للّذى يَبْغِى مَداهُ مُنافِساً طَمِعْتَ لَعَمْرُ اللهِ فى غَيْرِ مَطْمَعِ[٤]

فذَلِكَ سَيْفٌ سَلَّهُ اللهُ قاطِعٌ فأيّانَ يَضْرِبْ يَفْرِ دِرْعاً ويَقْطَعِ[٥]

وهَلْ تَدْفَعُ الدِّرْعُ المَنِيعَةُ صارِماً به يَضْرِبُ المِقدارُ فى كَفِّ سَلْفَعِ[٦]

نُفِيتَ فلَمْ تَجْزَعْ ولَمْ تَكُ ضارِعاً ومَنْ تَرْمِه الأَيّامُ يَجْزَعْ ويَضْرَعِ[٧]

وأَخْصَبْتَ فى المَنْفَى وما كُنْتَ مُجْدِباً وفى النَّفْىِ خِصْبُ العَبْقَرِىِّ السَّمَيْذَعِ[٨]

---

(١) يشأو ، يسبق . رقى هوجو ، أى أشعاره التى تشبه رقى السحر . وفكتور هوجو ، هو شاعر فرنسا المعروف . انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٣٣ ، والنسيب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن فى الشعر . وألفريد : هو ألفريد دى‌موسيه من كبار شعراء فرنسا ، ولد بباريس سنة ١٨١٠ م ، وتوفى بها سنة ١٨٥٧ م ، وكان ممتازا فى شعره بالرقة ولطف الصياغة ، وهو صاحب الليالى الأربع المشار إليها فى هـذا البيت فى الحب والشك والسلوان ، وهى ليـلة من (آيار) وليـلة من (كانون أوّل) ، وليلة من (آب) وليلة من (تشرين أوّل) . وفى كل ليلة من هذه الليـالى الأربع يشرح حالا من أحواله المتعلقة بالحب ؛ وهذه الليالى هى التى رفعته إلى الطبقة الأولى بين شعراء فرنسا .

(٢) بفارس : يريد أمة الفرس ، وقد عرف شعراؤها بالإبداع فى المعانى ، وفى هذا يقول حافظ من قصيدة له فى مدح البارودى :

ومن كل معنى فارسى بطاعتى وكل نفور منـه أن يتوددا

(٣) يريد « بحافظ » : شمس الدين محمد الشيرازى الشاعر الغنائى المعروف ، ولد بشيراز فى مستهل القرن الثامن الهجرى ، وتوفى سنة ٧٩٣ هـ . يقول فى هذا البيت والذى قبله : إنه إذا ذكر الفحول من شعراء الفرس وما أبدعوا فيه من المعانى وأجادوا ، نمق شوقى من رياض أشعاره ما يحكى رياض أشعارهم حتى إن شاعرهم الكبير حافظا الشيرازى ليتغنى ويرتعى فى رياض ذلك الشاعر العربى (شوقى) .

(٤) المدى : الغاية .

(٥) يفرى : يشق .

(٦) المقدار : القدر . والسلفع : الجرىء الشجاع .

(٧) يضرع : يذل .

(٨) يريد بقوله : «أخصبت فى المنفى» : أن شعره جاد وحسن فى النفى ، وما كان مجدبا من قبل . والسميذع : السيد الكريم .

لقد زادَ (هوجو) فيه خصبَ قريحةٍ ... وآبَ إلى أوطانِه جدَّ مُمْرِعِ[١]

وأَدْرَكَ (سامى) بالجزيرة غايةً ... إليها مُلوكُ القولِ لم تَتطلَّعِ[٢]

تذكَّرتَ عذبَ النيلِ والنفسُ صبةٌ ... الى نَهْلةٍ من كوب ماءٍ مُشَعْشَعِ[٣]

وأرسلتَ تستسقى بَنى مصرَ شَربةً ... فَقَطَّعتَ أحشائى وأضرمتَ أضلعى[٤]

أَنَرْوَى ولا تَرْوَى وأنتَ أحقُّنا ... بِرِيٍّ فيا قلبَ النُّبوغِ تَقَطَّعِ

وإن شئتَ عنّا ياسماءُ فأقلِعى ... ويا ماءَها فاكفُفْ ويا أرضُ فابلَعى[٥]

حَرامٌ علينا أن نَلَذَّ بنَهْلةٍ ... وأنتَ تُنادينا ونحنُ بمَسْمَعِ

أَبَى اللهُ إلّا أن يَرُدَّكَ سالمًا ... ومَن يَرعَه يَسْلَمْ ويَغنَمْ ويَرْجِعِ

وعُدْتَ فقَرَّتْ عينُ مصرٍ وأصبحتْ ... رياضُ القوافى فى ربيعٍ مُوَشَّعِ[٦]

وأدركتَ ما تبغى وشيَّدتَ آيةً ... على الشاطىء الغربىِّ فى خيرِ موقعِ[٧]

---

(١) « فيه » أى فى المنفى . والممرع : المخصب شبه شوقيا (بهوجو) كلاهما زاده النفى خصبا فى قريحته ونضجا فى شاعريته .

(٢) ملوك القول : فحول الشعراء . ويشير إلى نفى المرحوم محمود باشا سامى البارودى إلى جزيرة سيلان عقب الثورة العرابية ، وما قاله فى أثناء النفى من الشعر .

(٣) النهلة : السقية . والمشعشع : الممزوج . يشير بهذا البيت وما بعده إلى الأبيات التى بعث بها شوقى وهو فى منفاه إلى حافظ ، وهى :

يا ساكنى مصر إنا لا نزال على ... عهد الوفاء وإن غبنا مقيمينا

الأبيات . أنظر صفحة ٢٨٠ من هذا الجزء . وانظر رد حافظ عليها فى ص ١٧٩

(٤) أضرمت : ألهبت .

(٥) أقلعت السماء : كفت عن المطر . ويشير إلى قوله تعالى فى سورة هود : (وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى) .

(٦) الربيع الموشع الموشى بألوان الزهر والنبات .

(٧) يشير إلى قصر شوقى الذى بناه على الشاطىء الغربى للنيل بالجيزة .

يحفُّ بها روضٌ يُحَيِّي بدورها بُكوراً بِريّاً عَرْفُه المتضوِّع[١]

حتى يتهادى النيلُ تحت ظلاله تهادى خَوْدٍ فى رداءٍ مُجَزَّع[٢]

لقد كنتَ تَرْجو منه بالأمس قَطْرةً فدونكه فابْرُدْ غليلك وانْقَع[٣]

أميرَ القوافى قد أتيتُ مُبايِعاً وهذى وفودُ الشرق قد بايعتْ معى

فغنِّ رُبوعَ النيلِ واعطِفْ بنظرةٍ على ساكنى النَّهْرَيْنِ واصدَحْ وأبْدِع[٤]

ولا تَنْسَ (نجْداً) إنها مَنْبِتُ الهوى ومَرْعى المَهَا من سارحاتٍ ورُتَّع[٥]

وحَيِّ ذُرَا (لُبْنان) واجعل (لتونُسٍ) نصيباً من السَّلْوَى وقَسِّمْ ووَزِّع

ففى الشِّعرِ حَثُّ الطامحين إلى العُلا وفى الشِّعرِ زُهْدُ الناسكِ المتورِّع

وفى الشِّعْرِ ما يُغْنى عن السَّيْفِ وَقْعُه كما رَوَّعَ الأعداءَ بَيْتُ (لأشْجَع)[٦]

وفى الشِّعْرِ إحياءُ النُّفوسِ وريُّها وأنتَ لرِيِّ النَّفْسِ أعْذَبُ مَنْبَع

فنبِّهْ عقولاً طال عَهْدُ رُقادها وأفئدةً شُدَّتْ إليها بأنْسُع[٧]

---

(١) الريا والعرف : الرائحة الطيبة . وبكورا : أى فى بكرة الصباح . والمتضوع : المنتشر الرائحة .

(٢) يتهادى : يمشى فى لين وخفة . والخود : الشابة الحسنة . والمجزع : المختلف الألوان .

(٣) نقع ظمأه بالماء : أرواه .

(٤) يريد بساكنى النهرين : أهل العراق . والنهران : دجلة والفرات . واصدح : أى غن بالشعر .

(٥) المها : بقر الوحش ، الواحدة مهاة ؛ يريد النساء اللاتى يشبهنها فى سعة العيون وجمالها : ويطلب إلى الشاعر أن يغنى نجدا بشعره ، كما يغنى أهل مصر .

(٦) يشير إلى بيت لأشجع بن عمرو السلمى الشاعر العباسى المعروف من قصيدة يمدح بها الرشيد :

وعلى عدوّك يابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والإظلام
فإذا تنبه رعته وإذا غفا سلت عليه سيوفك الأحلام

والمقصود هنا البيت الثانى .

(٧) الأنسع : جمع نسع (بكسر النون) وهو سير من جلد تشد به الرحال . يريد وصف الأفئدة بالتقيد والأسر فى أغلال العادات القديمة .

فقد غَمَرَتْهـا مِحْنَةٌ فوقَ مِحْنَةٍ وأنتَ لهـا يا شاعرَ الشَّرْق فادْفَعِ
وأنتَ بحمْد اللهِ ما زِلْت قَادراً على النَّفْعِ فاستَنْهِضْ بيانَكَ وانْفَعِ
وخُذْ بزِمامِ القَوم وانْزِعْ بأهْلِه إلى المَجد والعَلْياءِ أكرَمَ مَنْزَعِ[1]
وقفْنا على النَّهْج القَويمِ فإنّنا سلَكْنا طَريقاً للهُدَى غيرَ مَهْيَعِ[2]
مَلأْنَا طِباقَ الأرْض وَجْداً ولَوْعَةً بِهِنْدٍ ودَعْدٍ والرَّبابِ وبَوْزَعِ
ومَلَّتْ بَناتُ الشِّعْر مِنّا مَواقفاً بِسقْطِ اللِّوَى (والرَّقْمَتَيْنِ) (ولَعْلَعِ)[3]
وأقْوامُنا في الشَّرْق قَد طَالَ نَوْمُهُمْ وما كَانَ نَوْمُ الشِّـعْرِ بالمُتَوَقَّعِ
تَغَيَّرَت الدُّنْيـا وقد كَانَ أهْلُها يَرَوْنَ مُتُونَ العيس ألْيَنَ مَضْجَعِ[4]
وكان بَريدُ العِـلْمِ عيراً وأيْنُقاً مَتَى يُعْيِها الإيجافُ في البِيد تَظْلَعِ[5]
فأصْبَحَ لا يَرْضَى البُخارَ مَطِيَّـةً ولا السِّلْكَ في تَيّاره المتدفِّـعِ
وقد كانَ كَلَّ الأمرِ تَصويبُ نَبْلَةٍ فأصبَحَ بَعْضَ الأمْرِ تَصْويبُ مِدْفَعِ
ونحنُ كما غَنَّى الأوائلُ لم نَزَلْ نُغَـنِّي بأرْماحٍ وبِيضٍ وأذْرُعِ[6]
عَرَفنا مَدَى الشيءِ القَديمِ فهَلْ مَدًى لشيءٍ جَـديدٍ حاضِرِ النَّفْعِ مُمْتِـعِ[7]

---

(١) وانزع بأهله : أى قد أهل الشرق وسر بهم .

(٢) قفنا على النهج القويم : أى أرشدنا إلى الطريق المستقيم فى أغراض الشعر . والمهيع : الطريق الواضح البين .

(٣) بنات الشعر : أى معانيه وأغراضه . و «سقط اللوى» الخ : أسماء مواضع فى بلاد العرب وردت فى شعر القدماء .

(٤) متون العيس : ظهور الإبل .

(٥) العير : القافلة . والإيجاف : الإسراع . والبيد : جمع بيداء . وتظلع : تعرج فى مشيتها . يقول : كانت وسائل العلم فيما مضى السفر على ظهور الإبل التى لا تسعف راكبها .

(٦) يريد بالبيض : السيوف . (٧) المدى : الغاية .

لَدَى كُلِّ شَعْبٍ فى الحَوادِثِ عُدَّةٌ   وعُدَّتُنا نَدْبُ التُّراثِ المُضَيَّعِ(١)

فيا ضَيْعَةَ الأَقْلامِ إنْ لم تُقِمْ بِها   دِعامَةَ رُكْنِ المَشْرِقِ المُتَزَعْزِعِ(٢)

أتَمْشِى به شُمَّ الأُنوفِ عُداتُه   ورَبُّ الحِمَى يَمْشِى بأَنْفٍ مُجَدَّعِ(٣)

عَزِيزٌ عليه يا بَنِى الشَّرْقِ أنْ تُرَى   كَواكِبُه فى أُفْقِه غيرَ طُلَّعِ

وأَعْلامُه مِنْ فَوْقِه غيرَ خُفَّقٍ   وأَقْلامُه مِنْ تَحْتِها غيرَ شُرَّعِ(٤)

وكيف يُوَقَّى الشَّرَّ أو يَبْلُغُ المُنَى   على ما نَرَى مِنْ شَمْلِه المُتَصَدِّعِ؟

فإنْ كُنتَ قَوّالاً كَرِيمًا مَقالُه   فقُلْ فى سَبِيلِ النِّيلِ والشَّرْقِ أوْ دَعِ

إلى المحتفلين بتكريم حافظ

بيتان قالها فى المأدبة التى أقامها بعض أدباء الغرب فى (جروبى) لتكريمه هو (وشوقى) (ومطران)

[نشرا فى ٣١ يناير سنة ١٩٢٨م]

قَدْ قَرَأْناكُمُ فَهَشَّتْ نُهانَا   فاقْتَبَسْنَا نُورًا يُضِىءُ السَّبِيلا(٥)

فاقْرَءونا ومَنْ لنا أنْ تُصِيبُوا   بَيْنَ أَفْكارِنا شُعاعًا ضَئِيلا ؟

---

(١) ندب التراث المضيع : أى البكاء على ما خلفه العرب الأقدمون من مآثر ومفاخر .

(٢) الدعامة : عماد البيت . والمتزعزع : المضطرب .

(٣) شم الأنوف : وصف يقال للسادة الأعزاء . والمجدّع : المقطوع . و يقال ذلك للذليل . يقول : إن أعداء الشرق والطامعين فيه قد عزوا به وسادوا ، وأهله ذلوا به واستكانوا . ويشير بذلك إلى ما جنته الامتيازات على الشرق .

(٤) الشرع : المسددة المصوبة إلى الغرض .

(٥) قرأناكم : أى قرأنا ما أنشأتموه من نظم ونثر .

تحيـــة لجمعية المرأة الجديدة

[نشرت فى ١٢ أبريل سنة ١٩٢٨م]

إليكُنّ يُهْـدِى النِّيلُ أَلْفَ تَحِيَّـةٍ ... مُعَطَّـرَةٍ فى أَسْطُـرٍ عَطِـرات

ويُثْنِى على أعْمالِكُنّ مُوَكِّلِى ... بإِطْراءِ أَهْـلِ الـبِرِّ والحَسَنات[1]

أَقَمْـتُنّ بالأَمْسِ الأَساسَ مُبارَكًا ... وجِئْتُنّ يومَ الفَتْحِ مُغْتَبِطاتِ

صَنَعْتُنّ ما يُعْيِى الرجالَ صَنِيعُـهُ ... فزِدْتُنّ فى الخَيْراتِ والبَرَكاتِ

يقولون: نِصْفُ النّاسِ فى الشَّرقِ عاطِلٌ ... نِساءٌ قَضَيْنَ العُمْـرَ فى الحُجُراتِ

وهذى بَناتُ النِّيلِ يَعْمَلْنَ للنُّهَى ... ويَغْـرِسْنَ غَرْسًا دانِىَ الثَّمَراتِ

وفى السَّنَـةِ السَّوْداءِ كُنتنّ قُدْوَةً ... لنـا حِينَ سالَ المَوْتُ بالمُهُجاتِ[2]

وقَفْتُنّ فى وَجْهِ الخَمِيسِ مُدَجَّجًا ... وكُنْتُنّ بالإيمـانِ مُعْتَصِـماتِ[3]

وما هالَكُنّ الرُّمْحُ والسَّيْفُ مُصْلَتًـا ... ولا المِدْفَعُ الرَّشَّاشُ فى الطُّرُقاتِ[4]

تَعَلَّمَ منكنّ الرجالُ فأَصْبَحُوا ... على غَمَراتِ المَوْتِ أَهْـلَ ثَبـاتِ

(صَفِيّةُ) قادَتْكُنّ للمَجْدِ والعُـلا ... كما كانَ (سَـعْدٌ) قائدَ السَّرَواتِ[4]

---

(١) موكلى : أى أن النيل قد أنابه عنه فى إبلاغهن ثناءه عليهن وشكره لهن .

(٢) يريد بالسنة السوداء : سنة ١٩١٩ م التى احتدمت فيها نار الثورة الوطنية ، وقد أخذ السيدات المصريات من الجهاد فيها بنصيب وافر .

(٣) الخميس : الجيش . والمدجج : لابس السلاح . ويشير بهذا البيت وما بعده إلى مظاهرة السيدات التى تعرض لها الجنود أيام اشتعال الثورة الوطنية ، وثبت السيدات لهم ولم يتفرقن ؛ وقال حافظ فى هذه الحادثة قصيدته المعروفة التى أولها :

خرج الغوانى يحتججـــــن ورحت أرقب جمعهنه

(٤) المصلت : المجرّد من غمده .

(٥) سروات الناس : أشرافهم .

عَرَفْنا لهـا فى مَجْدِ (سَعْدٍ) نَصِيبَها ... مِنَ الحَزْمِ والإقْدامِ فى الأَزَمات

تُهَوِّنُ للشَّيْخِ الجَليـلِ هُجُومه ... على الهَوْلِ بالتشجيعِ والبَسَماتِ

وتَدْفَعُه للمَـوْت والثَّغْـرُ باسِـمٌ ... وفى صَدْرِها نَـوْءٌ مِنَ الزَّفَـراتِ[1]

كذا فَلْيَكُنْ صُنْعُ الكَرِيمِ وصَبْرُه ... على دَهْرِه والدَّهْرُ غَـيرُ مُواتِى[2]

لِتَحْىَ الغَونِى فى ظِـلالِ مَليكَةٍ ... سَمتْ فى مَعاليهـا على المَلَكاتِ

وظَلَّ (فُؤَادٌ) مَفْخَرَ الشَّرْقِ كلِّهِ ... كَثِيرَ الأيادِى صادِقَ العَزَمات

إلى "الدكتور" "صاحب المعالى" محمد حسين هيكل بك "باشا" وخليل مطران بك

قالها فى مناظرة كانت بين (هيكل) و (مطران) فى مدرج كلية الآداب ، موضوعها :
"هل الأدب العربى — قديمه وحديثه — يكفى وحده لتكوين الأديب؟"
[نشرت فى ١٨ أبريل سنة ١٩٢٨ م]

سَمَا الخَطِيبانِ فى المَعَالِى ... وجازَ شَأْوَاهُمـا السِّماكَا[3]

جالَا فَـلَمْ يَتْرُكا مَجـالًا ... واعْتَرَكَا بالنُّهَى عِراكَا[4]

فَلَسْتُ أَدْرِى على اخْتِبارِى ... مَنْ مِنْهُما جَلَّ أَنْ يُحاكَى ؟

فَوَحْىُ عَقْلِى يَقُولُ : هٰذا ... ووَحْىُ قَلْبِى يقُولُ : ذاكَا

وَدِدْتُ لو كُلُّ ذِى غُرُورٍ ... أَمْسَى لنَعْلَيْهِما شِراكَا[5]

(١) نوء من الزفرات : أى ثقل منها تنوء باحتماله . (٢) المواتى : الموافق .
(٣) الشأو : الغاية . والسماك : أحد كوكبين نيرين يقال لأحدهما : السماك الرامح ، وللآخر : السماك الأعزل .
(٤) النهى : العقول . الواحدة نهية .
(٥) شراك النعل : سيره الذى يكون على ظهر القدم ، وهو مثل فى القلة .

تحية الشآم

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لسماع هذه القصيدة بالجامعة الأميركية ببيروت

[نشرت فى ٢ يونيه سنة ١٩٢٩ م]

حَيَّا بَكُورُ الحَيَا أَرْبَاعَ لُبْنَانِ ... وطالَعَ اليُمْنُ مَنْ بالشَّأْمِ حَيَّانِى (١)

أهلَ الشَّآمِ لقد طَوَّقْتُمُ عُنُقِى ... بِمِنَّةٍ خَرَجَتْ عن طَوْقِ تِبْيَانِى (٢)

قُل للكَرِيمِ الّذِى أَسْدَى إلَىَّ يَدًا ... أَنَّى نَزَحْتَ فأنتَ النازِحُ الدّانِى (٣)

ما إنْ تَقَاضَيْتُ نَفْسِى ذِكْرَ عارِفَةٍ ... هل يَحْدُثُ الذِّكْرُ إلّا بَعْدَ نِسْيانِ (٤)

ولا عَتَبْتُ على خِلٍّ يَضَنُّ بِها ... ما دامَ يَزْهَدُ فى شُكْرِى وعِرْفانِى (٥)

أَقَرَّ عَيْنِى أَنِّى قُمْتُ أُنْشِدُكُمْ ... فى مَعْهَدٍ بِحُلَى العِرْفانِ مُزْدانِ

وشاعَ فِىَّ سُرُورٌ لا يُعادِلُه ... رَدُّ الشَّبابِ إلى شَعْرِى وجُثْمانِى

لِى مَوْطِنٌ فى رُبُوعِ النِّيلِ أُعْظِمُه ... ولِى هُنا فى حِماكُمْ مَوْطِنٌ ثانِى

إنِّى رأيتُ على أَهْرامِها حُلَلًا ... مِن الجَلالِ أَراهَا فَوْقَ (لُبْنانِ)

لَمْ يَمْحُ مِنها ولا مِنْ حُسْنِ جِدَّتِها ... على التَّعاقُبِ ما يَمْحُو الجَدِيدانِ (٦)

---

(١) بكور الحيا : المطر المبكر . والأرباع : المنازل الواحد ربع . وطالعه : طلع عليه . واليمن : البركة والخير .

(٢) الطوق : الطاقة والجهد .

(٣) أسدى : بذل وأعطى . واليد : المعروف والجميل . ونزح : بعد ، أى أنت إذا بعدت عنا بجسمك ، قريب بتذكرنا لأياديك علينا .

(٤) تقاضى : طلب . والعارفة المعروف . يريد أنه ما طلب إلى نفسه يوما أن تتذكر جميلا أسدى إليها ، فهى دائما تذكره ولا تنساه ، ولا يتذكر الإنسان شيئا إلا بعد نسيانه .

(٥) يضن بها : أى يبخل بالعارفة . وعرفانى : أى معرفتى .

(٦) الجدة : ضدّ القدم . والجديدان : الليل والنهار ، ولا يفردان ، فلا يقال الواحد منهما : الجديد .

حَسِبْتُ نَفْسِى نَزِيلاً بينكُمْ فإذا ... أَهْلِى وصَحْبى وأحْبابِى وجِيرانِى

منْ كلِّ أَبْلَجَ سامى الطَّرفِ مُضْطَلِعٍ ... بالخَطْبِ مُبْتَهِجٍ بالضَّيْفِ جَذْلانِ (١)

يَمْشى إلى المَجْدِ مُخْتالاً ومُبْتَسِمًا ... كأنّه — حينَ يَبْدُو — عُودُ مُرّانِ (٢)

سَكَنْتُمُ جَنّةً فَيْحاءَ ليس بها ... عَيْبٌ سِوَى أنّها فى العالَمِ الفانِى (٣)

إذا تأمّلْتَ فى صُنْعِ الإلهِ بها ... لَمْ تَلْقَ فى وَشْيِهِ صُنْعًا لإنْسانِ (٤)

فى سَهْلِها وأعاليها وسَلْسَلِها ... بُرْءُ العَلِيلِ وسَلْوَى العاشِقِ العانِى (٥)

وفى تَضَوّعِ أَنْفاسِ الرِّياضِ بها ... رَوْحٌ لكلِّ حَزِينِ القَلْبِ أَسْوانِ (٦)

أَنَّى تَخَيَّرْتَ مِنْ (لُبْنانَ) مَنْزِلَةً ... فى كلِّ مَنْزِلَةٍ رَوْضٌ وعَيْنانِ (٧)

يالَيْتَنى كنتُ مِنْ دُنْيايَ فى دَعَةٍ ... قَلْبِى جَمِيعٌ وأَمْرِى طَوْعُ وِجْدانِى (٨)

أَقْضِى المَصِيفَ بلُبْنانٍ على شَرَفٍ ... ولا أَحُولُ عَنِ المَشْتَى (بِحُلْوانِ) (٩)

ياوَقْفَةً فى جِبالِ الأَرْزِ أَنْشُدُها ... بينَ الصَّنَوْبَرِ والشَّرْبِينِ والبانِ (١٠)

---

(١) الأبلج : الطلق الوجه . وسامى الطرف : مرتفعه ، أى طموح إلى المعالى . واضطلع بالأمر : نهض به . والجذلان : الفرح .

(٢) المران : الرماح اللدنة . الواحدة : مرانة . شبهه بالرمح فى استقامة القامة . (٣) الفيحاء : الواسعة .

(٤) الوشى : نمنمة الثوب ونقشه وتحسينه ، شبه به اختلاف الألوان فى الزهر والنبات .

(٥) السلسل : الماء العذب السلس السهل . والعانى : المعذب .

(٦) التضوع : انتشار الرائحة . والروح : الراحة والرحمة . والأسوان : الحزين .

(٧) « فى كل » جواب « أنى » الشرطية .

(٨) الدعة : السكون والراحة . وجميع : أى غير متفرق ولا مشتت الشئون .

(٩) الشرف : المرتفع من الأرض

(١٠) جبال الأرز : مرتفعات لبنان . والأرز : شجر معروف بها ، وكذلك الصنوبر . والشربين : شجر كالسرو إلا أنه أشد حمرة وأزكى رائحة وأعرض ورقا وأصغر ثمرا . والبان : شجر سبط القوام لين ورقه كورق الصفصاف . الواحدة : بانة ، وبه تشبه القدود .

تَسْتَهْبِطُ الوَحْىَ نَفْسى مِنْ سَماوَتِها ... ويَنْثَنِى مَلَكًا فى الشِّعْرِ شَيْطانى [١]

عَلَىَّ أُجاوِدُكُمْ فى القَوْلِ مُقْتَدِيًا ... بِشاعِرِ الأَرْزِ فى صُنْعٍ وإِتْقانِ [٢]

لا بِدْعَ إِنْ أَخْصَبَتْ فيها قَرائِحُكُمْ ... فأَعْجَزَتْ وأَعادَتْ عَهْدَ (حَسَّانِ) [٣]

طيبُ الهَواءِ وطيبُ الرَّوْضِ قد صَقَلا ... لَوْحَ الخَيالِ فأَغْراكُمْ وأَغْرانى

مَنْ رامَ أَنْ يَشْهَدَ الفِرْدَوْسَ ماثِلَةً ... فلْيَغْشَ أَحْياءَكُمْ فى شَهْرِ نَيْسانِ [٤]

تاهَتْ بِقَبْرِ (صَلاحِ الدِّينِ) تُرْبَتُها ... وتاهَ أَحْياؤُها تيهًا (بِمَطْرانِ) [٥]

يَبْنِى ويَهْدِمُ فى الشِّعْرِ القَديمِ وفى الشِّـ ... ـعْرِ الحَديثِ فنِعْمَ الهادِمُ البانِى

إذا لَمَحْتُمْ بِشِعْرِى وَمْضَ بارِقَةٍ ... فَبَعْضُ إِحْسانِهِ فى القَوْلِ إِحْسانى [٦]

رَعْيًا لِشاعِرِكُمْ ، رَعْيًا لِكاتِبِكُمْ ... جَزاهُما اللهُ عَنِّى ما يَقُولانِ

أَرَى رِجالًا مِنَ الدُّنْيا الجَديدَةِ فى الدُّنْيـ ... ـا القَديمَةِ تَبْنِى خَيْرَ بُنْيانِ [٧]

قد شَيَّدُوا آيَةً بِالشَّامِ خالِدَةً ... شَتَّى المَناهِلِ تَرْوِى كُلَّ ظَمْآنِ

لَئِنْ هَدَوْكُمْ لَقَدْ كانَتْ أَوائِلُكُمْ ... تَهْدِى أَوائِلَهُمْ أَزْمانَ أَزْمانِ [٧]

---

(١) من سماوتها : أى من أعلى هذه الجبال .

(٢) جاوده ، فى القول : أى باراه فى جودته . ويريد « بشاعر الأرز » : خليل مطران بك .

(٣) يريد بحسان : حسان بن ثابت الأنصارى الشاعر المعروف .

(٤) نيسان (بالفتح) : شهر من شهور السنة المسيحية ، وهو يقابل أبريل .

(٥) يريد بصلاح الدين : الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب مؤسس الدولة الأيوبية بمصر ، ورجل الحروب الصليبية المعروف ، وكانت وفاته بدمشق سنة ٥٨٩ هـ . ويريد بمطران : خليل مطران بك الشاعر المعاصر المشهور .

(٦) الومض : اللمعان .

(٧) يريد « بالدنيا الجديدة » : أميركة . و « بالبنيان » : الجامعة الأميركية ببيروت التى أنشد فيها الشاعر قصيدته هذه .

(٨) يشير إلى فضل الشرق قديما على العالم . ويريد بقوله : « أزمان أزمان » الإمعان فى القدم .

لا غَرْوَ إنْ عَمَّرُوا فى الأَرْضِ وٱبتكَرُوا ... فيها أَفانِينَ إصْلاحٍ وعُمْرانِ[١]

فتِلْكَ دُنياهُمُ فى الجَوِّ قد نَزَعَتْ ... أَعِنَّةَ الرِّيحِ مِنْ دُنْيا سُلَيْمانِ[٢]

أَبَتْ أُمَيَّةُ أَنْ تَفْنَى مَحامِدُها ... على المَدَى وأَبَى أَبْناءُ غَسّانِ[٣]

فمِنْ غَطارِفَةٍ فى (جِلِّقٍ) نُجُبٍ ... ومِنْ غَطارِفَةٍ فى أَرْضِ (حَوْرانِ)[٤]

عافُوا المَذَلَّةَ فى الدّنيا فعندهُمُ ... عِزُّ الحياةِ وعِزُّ المَوْتِ سِيّانِ[٥]

لا يَصْبِرُونَ على ضَيْمٍ يُحاوِلُهُ ... باغٍ مِنَ الإنْسِ أو طاغٍ مِنَ ٱلجانِ

شَقَقْتُ أَسْواقَ (بَيْرُوتٍ) فما أَخَذَتْ ... عَيْنايَ فى ساحِها حانُوتَ يُونانِى

فقلتُ فى غِبْطَةٍ : للهِ دَرُّهُمُ ... ليسَ الفَلاحُ لِوانٍ غيرِ يَقْظانِ

تَيَمَّمُوا أَرْضَ كُولُنْبٍ فما شَعَرَت ... منهم بوَطْءِ غَرِيبِ الدارِ حَيْرانِ[٦]

سادُوا وشادُوا وأَبْلَوْا فى مَناكِبِها ... بَلاءَ مُضْطَلِعٍ بالأَمْرِ مِعْوانِ[٧]

---

(١) لا غرو : لا عجب . والأفانين : الضروب . الواحد : أفنون (بالضم) .

(٢) الأعنة : جمع عنان ، وهو سير اللجام الذى تمسك به الدابة . وسليمان : هو سليمان بن داود عليهما السلام . ويشير بهذا إلى تفوق الأميركيين فى الطيران .

(٣) الغسانيون : أمراء تخوم الشام قديما من العرب ، وكانت لهم فيها حضارة ، ثم كان الشأم ملك بنى أمية ، وكانت دمشق دار خلافتهم نحو تسعين عاما ، وإلى هاتين الدولتين يشير الشاعر .

(٤) الغطارفة : الأشراف والسادة ، الواحد غطريف (بالكسر . وجلق (بكسرتين وتشديد اللام) اسم لكورة الغوطة كلها ؛ أو هى دمشق نفسها . وحوران (بالفتح) : كورة واسعة من أعمال دمشق ذات قرى كثيرة ومزارع .

(٥) عافوا : أبوا وكرهوا .

(٦) تيمموا : قصدوا . وأرض كولمب : أميركة ، نسبة إلى كاشفها كريستوف كولمب . يشير إلى هجرة الشاميين إليها واستبطانهم لها حتى أصبحوا كأنهم من أهلها .

(٧) أبلوا فى مناكبها : جدّوا واجتهدوا فى نواحيها : ومضطلع بالأمر : ناهض به قوى عليه . والمعوان (بالكسر) الحسن المعونة الكثيرها .

إنْ ضاقَ مَيْدانُ سَبْقٍ مِنْ عَزائِمِهِمْ ... صاحَتْ بِهِمْ فَأَرَوْهَا أَلْفَ مَيْدانِ(١)

لا يَسْتَشيرُون إن هَمُّوا سِوَى هِمَمٍ ... تأْبَى المُقامَ على ذُلٍّ وإِذْعانِ

ولا يبالُونَ إنْ كانتْ قُبُورُهُمُ ... ذُرَا الشَّوامِخِ أَوْ أَجْوافَ حِيتانِ(٢)

في الكَوْنِ مَوْرِقُهُمْ في الشامِ مَغْرِسُهُمْ ... والغَرْسُ يَزْكُو نِقالاً بَيْنَ بُلْدانِ(٣)

إنْ لَمْ يَفُوزوا بسُلْطانٍ يُقِرُّهُمُ ... فَفِي المُهاجَرِ قد عَزُّوا بسُلْطانِ(٤)

أَوْ ضاقَتِ الشأْمُ عَنْ بُرْهانِ قُدْرَتِهِمْ ... ففي المُهاجَرِ قد جاءُوا بِبُرْهانِ

إنَّا رأينا كِراماً مِنْ رِجالِهِمُ ... كانوا عليهمْ لَدَيْنا خيرَ عُنْوانِ

أنَّى الْتَقَيْنَا الْتَقَى في كُلِّ مُجْتَمَعٍ ... أَهْلٌ بأَهْلٍ وإِخْوانٌ بإِخْوانِ

كم في نَواحي رُبُوعِ النِّيلِ مِنْ طُرَفٍ ... (لليازِجيِّ) و (صَرُّوفٍ) و (زَيْدانِ)

وكَمْ لأَحْيائِهِمْ في الصُّحْفِ مِنْ أَثَرٍ ... له (المُقَطَّمُ) و (الأهرامُ) رُكْنانِ(٥)

مَتَى أَرَى الشَّرقَ أدناهُ وأَبْعَدَه ... عَنْ مَطْمَعِ الغَرْبِ فيه غيرَ وَسْنانِ(٦)

تَجْرِي المَوَدَّةُ في أَعْراقِه طُلُقاً ... بِجَرْيَةِ الماءِ في أثناءِ أَفْنانِ(٧)

---

(١) الضمير فى « صاحت » يعود على عزائمهم .

(٢) ذرا الشوامخ : أعالى الجبال .

(٣) مورقهم : أى حيث آثارهم النضرة وأعمالهم الناجحة ؛ وهو من ورق الشجر يرق (وزان وعد يعد) ، أى ظهر ورقه . يقول : إن آثارهم الباهرة وأعمالهم الموفقة فى مختلف نواحى العالم ، وموطنهم الذى نشأوا فيه بلاد الشأم . ويزكو : ينمو . شبههم بالغرس الذى يستفيد من تغيير بيئته وتربته قوة ونماء .

(٤) المهاجر (بضم الميم وفتح الجيم) : اسم المكان من هاجر .

(٥) المقطم والأهرام : صحيفتان مصريتان معروفتان أصحابهما من إخواننا اللبنانيين .

(٦) الوسنان : النائم

(٧) طلقا : منطلقة . والأفنان : الأغصان ، الواحد فنن بالتحريك . والذى فى نسخة الديوان أفناء أفنان ؛ ولم نجد لقوله « أفناء » معنى يناسب سياق البيت . وقد أثبتناها بالتاء مكان الفاء نقلا عن الشاعر نفسه .

لا فَرْقَ ما بَيْنَ بُوذِىٍّ يَعِيشُ به ... ومُسْلِمٍ ويَهُودِىٍّ ونَصرانى

ما بالُ دُنْياهُ لمّا فاءَ وارفُها ... عليه قد أَدْبَرَتْ مِنْ غَيْرِ إِيذانِ[1]

عَهْدُ (الرَّشيد) (ببَغْدادٍ) عَفاومَضَى ... وفى دِمَشْق انطَوَى عَهْدُ(ابنِ مَرْوَان)[2]

ولا تَسَلْ بَعْدَه عَنْ عَهْدِ (قُرْطُبَةٍ) ... كيف انْمَحَى بين أَسْيافٍ ونِيرانِ[3]

فعَلِّموا كُلَّ حَىٍّ عِنْدَ مَوْلِدِه ... عليكَ للّهِ والأوطانِ دَيْنانِ

حَتْمٌ قَضاؤُهُما ، حَتْمٌ جَزاؤُهُما ... فَارْبَأْ بنَفْسِكَ أَنْ تُمْنَى بخُسْرانِ[4]

(النِّيلُ)وَهْوَ إِلى(الأُرْدُنِّ)فى شَغَفٍ ... يُهْدِى إلى (بَرَدَى) أَشْواقَ وَلْهانِ[5]

وفى (العِراقِ) به وَجْدٌ (بِدِجْلَتِه) ... و (بالفُراتِ) وتَحْنانٌ (لسَيْحانِ)[6]

إِنْ دامَ ما نَحْنُ فيهِ مِنْ مُدابَرَةٍ ... وفِتْنَةٍ بين أَجْناسٍ وأَدْيانِ[7]

رأيتُ رَأْىَ (المَعَرِّى) حينَ أَرْهَقَه ... ما حَلَّ بالناسِ مِنْ بَغْىٍ وعُدْوانِ[8]

---

(١) فاء وارفها : أقبل خيرها ونعيمها . والوارف : الظل المنتشر المتسع . والإيذان : الإعلام .

(٢) يشير إلى عهد بغداد الحافل أيام الرشيد من سنة ١٧٠ هـ (سنة ٧٨٦ م) إلى سنة ١٩٣ هـ (سنة ٨٠٩ م) وإلى عهد دمشق الزاهر أيام بنى أمية ؛ وقد بقيت فيها الخلافة ٩٠ عاما من سنة ٤١ هـ (سنة ٦٦١ م) إلى سنة ١٣٢ هـ سنة (٧٥٠ م) .

(٣) قرطبة : بلد معروف بالأندلس . ويريد بعهدها : دولة العرب بها .

(٤) يقال : إنى أربأ بك عن هذا الأمر ، أى أرفعك عنه ولا أرضاه لك . وتمنى : تصاب .

(٥) الأردن : نهر معروف بالشام ، يصب فى البحر الميت . وبردى (بالتحريك) : نهر عليه دمشق .

(٦) دجلة والفرات : نهران معروفان فى العراق يصبان فى الخليج الفارسى . ويريد «بسيحان» : نهر سيحون فى آسيا الوسطى الروسية الذى يصب فى بحر آرال .

(٧) المدابرة : المقاطعة .

(٨) أرهقه : آذاه . والمعرّى : هو أبو العلاء المعرى الشاعر المعروف .

لا تَطْهُر الأَرْضُ من رِجْسٍ ومن دَرَنٍ ... حتّى يُعاوِدَها (نُوحٌ) بطُوفانِ[1]
وَلّى الشَّبابُ وجازَتْني فُتُوّتُه ... وهَدَّمَ السُّقْمُ بَعْدَ السُّقْمِ أَرْكاني[2]
وقد وَقَفْتُ على السِّتِّين أَسْأَلُها ... أَسَوْفَت أم أَعَدَّتْ حُرَّ أَكْفاني؟[3]
شاهَدْتُ مَصْرَعَ أَتْرابي فَبَشَّرَني ... بِضَجْعَةٍ عِنْدها رَوْحي ورَيْحاني[4]
كم من قَرِيبٍ نأى عَنّي فأَوْجَعَني ... وكَمْ عَزيزٍ مَضَى قَبْلي فأَبْكاني
مَنْ كانَ يَسْأَلُ عَنْ قَوْمي فإِنَّهُمُ ... وَلَّوْا سِراعاً وخَلَّوْا ذلكَ الوَاني[5]
إِنّي مَلِلْتُ وُقُوفي كُلَّ آوِنَةٍ ... أَبْكي وأَنْظِمُ أَحْزاناً بأَحْزانِ
إذا تَصَفَّحْتَ دِيواني لِتَقْرَأَني ... وَجَدْتَ شِعْرَ المَراثي نِصْفَ دِيواني
أَتَيْتُ مُسْتَشْفِياً والشَّوْقُ يَدْفَعُ بي ... إلى رُباكُمْ وعُودي غَيْرُ فَيْنانِ[6]
فأَنْزِلُوني مَكاناً أَسْتَجِمُّ به ... ويَنْجَلي عن فُؤادي بَرْحُ أَحْزاني[7]
وجَنِّبُوني على شُكْرٍ مَوائِدَكُمْ ... بِما حَوَتْ مِنْ (أَفاوِيهٍ) وأَلْوانِ[8]
حَسْبي وحَسْبُ النُّهَى ما نِلْتُ مِنْ كَرَمٍ ... قد كِدْتُ أَنْسَى به أَهْلي وخُلّاني

---

(١) الرجس : النجس . والدرن : الدنس . ونوح : هو نوح النبي عليه السلام ؛ وقصة الطوفان فى عهده معروفة ، ورد ذكرها فى القرآن . ويشير بهذا البيت إلى قول أبى العلاء :

أرى الأرض للطوفان مشتاقة ... لعلها من درن تغسل

(٢) جازتنى : خلفتنى وتركتنى .

(٣) حر كل شئ : خالصه .

(٤) الروح : الراحة .

(٥) الوانى : أى المتأخر عنهم .

(٦) غير فينان : يريد أن عوده ذابل ذاو . والفينان من النبات : ما طال منه وحسن .

(٧) أستجم : أستريح . والبرح : الأذى والسقم .

(٨) يريد « بالأفاويه » : التوابل . وهى جمع الجمع ومفردها الأفواه ، وواحد الأفواه فوه كسوق .

تهنئة "صاحب المقام الرفيع" محمد محمود باشا

بلقب (دكتور) الشرف فى الحقوق الذى منحته إياه جامعة أكسفورد ، وكان رئيسا للوزارة إذ ذاك

[نشرت فى ٢٦ مايو سنة ١٩٢٩ م]

شَرَفُ الرِّآسَــة يا مُحَمَّـدُ زانَه شَرَفُ النُّهَى

بُرْدَانِ مِنْ نَسْجِ الجَلا لِ إليهما الفَخْرُ انْتَهَى

جَعَــلاَ مَقَرَّكَ يا مُحَمَّـدُ فَوْقَ أكْنافِ السُّهَى (١)

زانَتْكَ أَلْقَــابُ الرِّجا لِ العامِلِيــنَ وزِنْتَهَــا

أمْنِيَّـــةٌ قَــد نَالَهَــا أمَــلُ الخُلُود ونِلْتَهَــا

فاسلُكْ سَبِيلَكَ فى الجِها دِ مُوَفَّقَــا ومُــنَزَّهَــا

وٱحفَظْ لِمِصْرَ حُقُوقَ مِصْـ ـرَ فَأَنْتَ فى الجُلَّى لهَا (٢)

إلى (الدكتور) "السر" على ابراهيم بك (باشا)

قالها وقد عمل (الدكتور) عملية لصاحب (الدولة) المقام الرفيع محمد محمود باشا

[نشرت فى ٢٥ يوليه سنة ١٩٣٠ م]

أيَا يَدًا قَدْ خَصَّها رَبُّها بآيَةِ الإعْجازِ فى الخَلْقِ

وَمِشْرَطًا جُمِّعَ مِنْ رَحْمَةٍ وصِيغَ مِن يُمْنٍ ومِن رِفْقِ

نَجَّيتُما مِنْ مَرَضٍ قاتِلٍ مَطْلَعَ آمالِ بَنِي الشَّرْقِ

---

(١) السهى : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى .

(٢) الجلى : ما جل من الشدائد .

لَوْلاَ كُمَا لاَنْدَكَّ صَرْحُ العُلاَ ... وَٱنْحَدَرَ البَدْرُ عَنِ الأُفُقِ
وبَاتَتِ الأَخْلاقُ فى حَسْرَةٍ ... على نَبِيلِ النَّفْسِ والخُلُقِ
صانَكُما اللّٰهُ لِبُرْءِ الوَرَى ... وصانَهُ للعُرْفِ وٱلحَقِّ[1]

وقال فيه أيضا :

(ارتجلها فى حفل أقيم لتكريمه سنة ١٩٣٠ م)

قُلْ للطَّبِيبِ الَّذِى تَعْنُو ٱلجِراحُ له ... ماذا ٱعْتَدَدْتَ لجُرْحِ العاشِقِ العانِى[2]
قد كانَ مِبْضَعُه والجُرْحُ يَرْمُقُـه ... يُمْنَى الحَبِيبِ تُواسِى صَدْرَ وَلْهَانِ[3]

إلى المستشار "صاحب المعالى" محمود غالب (بك) باشا[4] والأستاذ أحمد لطفى السيد (بك) باشا مدير الجامعة المصرية

[نشرت فى ٣١ مارس سنة ١٩٣٢ م]

قد رَاعَ دَارَ العَدْلِ طُغْـ ... ـيـانٌ وَرَاعَ الجامِعَـهْ
فَحَمَيْتُمَا حَرَمَيْهِمَـــا ... رَغْمَ الخُطُوبِ الفاجِعَهْ

(١) العرف : الخير والجود . (٢) تعنو : تخضع وتذل . واعتددت أى أعددت . والعانى : الأسير .
(٣) المبضع : المشرط .
(٤) يشير الشاعر بهـذه القصيدة إلى حادثتين : إحداهما ، أن محمود بك غالب المستشار بمحكمة الاستئناف كان رئيسا لإحدى دوائر محكمة الجنايات ، وقد عرضت على الدائرة التى يرأسها قضية القنابل المعروفة ، اتهم فيها جماعة بالقـاء القنابل على بيوت بعض الكبراء ، واستمر غالب بك ينظر هذه القضية ثلاث جلسات ، فلما كانت الجلسة الرابعة يوم ٢٣ مارس سنة ١٩٣٢ م تنحى عن النظر فيها ، وقال إنه يرى من الحكمة أن يمسك عن ذكر الأسباب التى حملته على هذا التنحى . و إنه لم يخضع فى هذا إلا لسلطان ضميره . والثانية ، أن الأستاذ أحمد لطفى السيد بك مدير الجامعة كان قد استقال من منصبه فى ٩ مارس سـنة ١٩٣٢ م لنقل (الدكتور) (طه حسين) عميد كلية الآداب إلى وزارة المعارف بدون رضاه ، ودون رضا الجامعة .

وقَهَرْتُمَا الباغى عَلَى رَدِّ الحُقُوق الناصعَهْ[١]

لله دَرُّ المُسْتَشَار ودَرُّ ذَاكَ الباقعَهْ[٢]

فهُما اللّذان تَكَفَّلاَ عَنّا بصَدِّ القارعَهْ

نَظَرَ الحيادُ بعَيْنِه فى النّاسِ هَوْلَ الواقعَهْ[٣]

أَمُنَى المحايِدِ أنْ يرَى مصْرَ العزِيزَة ضارِعَهْ ؟[٤]

كَذَبَ الحيادُ فلَنْ تَكُو نَ جُهُودُ مِصْرِ ضائعَهْ

فالحَقُّ لا تُلْوِى به تِلْكُ السُّيُوفُ اللّامعَهْ[٥]

أَصْبَحْتُ أَسْأَلُ خاطرى والنَّفْسُ مِنِّى جازعَهْ

أَنَعِيشُ تَحْتَ اللّيْلِ أمْ تَحْتَ الشُّمُوس الساطعَهْ

الى (الدكتور) طه حسين

أنشدهما فى حفل أقامه (للدكتور) بفندق مينا هاوس طلبة الجامعة بعد فصله من منصبه

[نشرت فى ٧ أبريل سنة ١٩٣٢ م]

قد أَجْدَبت دارُ الحِجَا والنُّهَى بَعْدَكَ منْ آرائكَ النافعَهْ[٦]

وأَخْصَبَتْ أَرْجاءُ مصْرٍ بمَنْ صَيَّرَ مِصْراً كلَّها جامعَهْ

---

(١) الناصعة : أى الظاهرة التى لا يسع أحدا نكرانها .

(٢) الباقعة : الذكى العارف ، الذى لا يفوته شئ ولا يدهى .

(٣) كنى "بالحياد" عن الإنجليز، لأنهم كانوا فى هذا العهد يدعون أنهم على الحياد فى الشؤون الداخلية فى مصر، وأن التبعة كلها على الوزراء المصريين .

(٤) ضارعة : ذليلة .

(٥) ألوى بالشىء : ذهب به .

(٦) يريد "بدار الحجا والنهى" : الجامعة المصرية .

تهنئة المغفور له جلالة الملك "فؤاد" الأوّل بعيد جلوسه

أَرَأَيْتَ رَبَّ التَّاجِ فى ... عِيدِ الجلُوسِ وقد تَبَدَّى(1)
وشَهِدْتَ جِبْرِيلًا يَمُـدُّ عليه ظِلَّ اللهِ مَدَّا
ونَظَرْتَ تَطْوَافَ القُلُو ... بِ بِسَاحةِ العَرْشِ المُفَدَّى
وسَمِعْتَ تَسْبِيحَ الوُفُو ... دِ بِحَمْدِه وَفْدًا فوَفْدا
هٰـذا ٱبْنُ إسْمَاعِيلَ رَبُّ النِّيلِ مَنْ أَغْنَى وأَسْدَى(2)
النِّيلُ يَجْرِى تَحْتَهُ ... فَيَخُدُّ وَجْهَ الأَرْضِ خَدَّا(3)
يَهَبُ النُّضَارَ كأَنَّه ... مِنْ فَيْضِ جَدْوَاه ٱسْتَمَدَّا(4)
وكأَنَّمَا هُو عالِمٌ ... بالكِيمِيَاءِ أَصَابَ جَدَّا(5)
يَدَعُ الثَّرَى تِبْرًا فهَلْ ... شَهِدَ الوَرَى للنِّيلِ نِدَّا ؟
النَّاسُ يومَ جُلُوسِه ... يَسْتَقْبِلُونَ العَيْشَ رَغْدا
أَنَّى سَلَكْتَ سَمِعْتَ أَدْ ... عِيَةً له وسَمِعْتَ حَمْدا
عِشْ يا (أَبَا الفَارُوقِ) والْـ ... بَسْ مِنْ نَسِيجِ الحَمْدِ بُرْدا
ها صَوْلَجَانَ المُلْكِ مِنْ ... شَجَرِ الجِنَانِ إليكَ يُهْدَى(6)

---

(1) تبدى : بدا وظهر . (2) أسدى : أعطى . (3) يخد : يشق .

(4) النضار : الذهب . والجدوى : العطية والمعروف . (5) الجد : الحظ .

(6) الصولجان : العصا المنعطفة الرأس ، والجمع صوالجه ، وهو لفظ فارسى معرب ، و يقال : صولجان الملك ، لأن الملوك قديما كانوا يتخذونه شعارا للملك .

حُدَّتْ عُلَا صِيد المُلُو ... كِ ولا أَرى لُعلاكَ حَدّا[١]

فابنِ الرِّجالَ بِنايَةً ... يَشقَى العَدُوّ بها ويَرْدَى[٢]

واضرِبْ بسَوْطِ البَأْسِ أَعْـ ... ـطافَ الزّمانِ إذا ٱستَبَدَّا[٣]

أَىُّ المُلُوكِ أَجَلُّ منْـ ... ـكَ مَكَانَةً وأَعَزُّ جُنْدَا ؟

مَنْ مِنهُمُ كَفّاهُ يو ... مَ البَذْلِ مِنْ كَفَّيْكَ أَنْدَى ؟[٤]

مَنْ مِنهُمُ نامتْ رَعِـ ... ـيَّتُهُ وقامَ اللَيلَ سُهْدَا ؟

مَنْ مِنهُمُ سامَاكَ أَوْ ... سامَى جَلالَكَ أو تَحَدَّى ؟[٥]

مَنْ مِنهُمُ أوفَى حِجًا ... وحَصافَةً وأَبَرُّ وَعْدا ؟[٦]

فى الشَّرْقِ فانظرْ هَلْ تَرَى ... حَسَبًا (كإسماعيلَ) عَدّا ؟

هٰذِى (الجزيرةُ) و (العرا ... قُ) و (فارسٌ) يُهْدَدْنَ هَدّا[٧]

وإليكَ (مَكّةَ) هلْ تَرَى ... أَحَدًا بِها وإليكَ (نَجْدا)

وإليكَ (تُونُسَ) و (الجزا ... ئِرَ) قد لَبِسْنَ العَيْشَ نَكْدا

لَمْ يَرْتَفِعْ فى الشّرقِ تا ... جٌ فوقَ تاجِ (النِّيلِ) مَجْدا

جَدَّدتَ عَهْدَ (الرّاشدِيـ ... ـنَ) تُقًى وإحْساناً وزُهْدا

ونَرَى عَلَيْكَ مَخايِلَ الْـ ... ـخُلَفاءِ إنْصافاً ورُشْدا

---

(١) الصيد : جمع أصيد ، وهو المتكبر المزهو .
(٢) يردى : يهلك .
(٣) الأعطاف : الجوانب الواحد عطف (بالكسر) .
(٤) أندى : أسخى .
(٥) ساماك : أى غالبك فى السمو . وتحداك : نازعك الغلبة .
(٦) الحجا : العقل . والحصافة : جودة الرأى .
(٧) يهددن هدا : أى أن أركان العمران تتداعى فيها

جَلَّتْ صفاتُكَ ، كم مَحَوْ تَ أَسًى وكَمْ أَوْرَيْتَ زَنْدا[١]
أَعطيتَ لا مُتَرَبِّحًا أو مُخْفِيًا فى الجُود قَصْدا[٢]
رَوَّيْتَ أفئدةَ الرَّعيَّ ةِ من هَواكَ فكيف تَصْدَى[٣]
ومَلَكْتَهُنَّ كما مَلَكْ تَ زِمامَ (مِصْرَ) أباً وجَدّا[٤]
فَإِذا نَهَيْتَ فطاعةٌ وإذا أَمَرْتَ فلا مَرَدّا
أَعطَوْكَ طاعةَ مُخْلِصٍ ومَنَحْتَهُمْ عَطْفًا ووُدّا
أَوْضَحْتَ للمصرىِّ نَهْ جَ صَلاحِهِ فسَعَى وجَدّا[٥]
أَعْدَدْتَه وكَفَلْتَه ورَعَيْتَه حتّى آستعَدّا
ودَعَوْتَه أن يَسْتَرِدَّ فَخارَ مِصْرٍ فاستَرَدّا
ورَدَ الحَياةَ عَزيزةً فنَجا وكان الموتُ وِرْدا
وحَمَى الكِنانةَ بَعْدَ ما حَفَرتْ لها الأَطماعُ لَحْدا
فَتَحْتَ أَعيُنَنا فأَبْ صَرْنَ الضِّياءَ وكُنَّ رُمْدا[٦]
وأَقَمْتَ جامعةً بمصْ رَ تَشُدُّ أَزْرَ العِلْمِ شَدّا[٧]
كَمْ سَيِّدٍ بِالعِلْمِ كا نَ برَغْمِه للجَهْلِ عَبْدا[٨]

---

(١) الأسى : الحزن . وإيراء الزند : كناية عن إغاثة الملهوف وإجابة السائل . والأصل فى إيراء الزند ، استخراج ناره .

(٢) لامتربحا ، أى غير مترقب من وراء معروفك وإعطائك نفعا لك . (٣) تصدّى : تظمأ

(٤) الزمام (بالكسر) : ما تقاد به الدابة . (٥) النهج : الطريق . وجد : اجتهد .

(٦) الرمد : المصابة بالرمد ، الواحدة رمداء . وكنى بذلك عن الجهل . و "بالضياء" عن العلوم والمعارف .

(٧) تشد أزر العلم : أى تقويه وتنهضه .

(٨) يقول : كم من رجل سوّده العلم وكان قبل ذلك على الرغم منه عبدا لجهله .

وَرَفَعْتَ فى ثَغْرِ الثُّغُو ... رِ لِمُنْشَآتِ البَحْرِ بَنْدا[١]

أَسَّسْتَ مَدْرَسَةً تُبِيـ ... دُ لنا بِمُلْكِ البَحْرِ عَهْدا

فَمَتَى أَرَى أسْطُولَ مِصْـ ... ـرَ يُثِيرُ فَوْقَ البَحْرِ رَعْدا

ومَتَى أَرَى جَيْشَ البِلا ... دِ يَسُدُّ عينَ الشَّمْسِ سَدّا

وَنَظَرْتَ فى الطَّيَرانِ نَظْـ ... ـرَةَ مُصْلِحٍ لم يَأْلُ جُهْدا[٢]

أَعْدَدْتَ عُدَّتَه ولم ... تَرَ منه للأوطانِ بُدّا

أَعْظِمْ بأسْطُولِ الهَوا ... ءِ إذ انْبَرَى فَسَطَا وشَدّا

مَنْ راءَه يومَ النِّزا ... لِ رَأَى النُّسورَ تَصِيدُ أُسْدا[٣]

وتَراهُ عنـد السِّلْمِ سِرْ ... باً مِنْ طَواوِيسٍ تَبَدَّى[٤]

وطَوائِفَ العُمَّالِ كَمْ ... أَوْلَيْتَها رِفْداً فَرِفْدا[٥]

مَنْ ذا يُطِيقُ لبَعْضِ ما ... أَصْلَحْتَ أو أَسْدَيْتَ عَدّا

دُمْ يا (فُؤادُ) مُؤَيَّدا ... بالمالِ والأَرْواحِ تُفْدَى

وأَعِدْ لنا عَهْدَ المُعِـ ... ـزِّ الفاطِمِيِّ فأنْتَ أَهْدَى[٦]

(١) يريد "بثغر الثغور" الاسكندرية . والمنشآت : السفن . والبند : العلم الكبير ، فارسى . يشير إلى مدرسة البحرية التى أنشأها المغفور له الملك فؤاد الأول .

(٢) لم يأل : لم يقصر . وفى عهد المغفور له الملك فؤاد الأول نظمت مصر الطيران ، وأنشأت أول أسطول جوى .

(٣) راءه : رآه . والنزال : الحرب .

(٤) السرب : جماعة الطير . والمعنى أن هذه الطائرات فى أيام السلم تشبه الطواويس فى الاعجاب بجمالها والاختيال بحسنها .

(٥) الرفد : العطاء والصلة . يشير إلى ما نالته نقابات العمال فى عهد جلالته من تأييد ومساعدات .

(٦) كان "المعز" رابع خلفاء الدولة الفاطمية ، ولى الخلافة سنة ٣٤١ هـ ، وتوفى سنة ٣٦٥ هـ . وفى أيامه دخل الفاطميون مصر ، وكان عهده من أزهى عصورها وأزهرها .

تهنئة لصاحب السعادة أحمد نجيب الهلالى بك

قال هذين البيتين مرتجلا عند ما تولى وكالة المعارف للتعليم الفنى والفنون الجميلة سنة ١٩٢٩ م

أَضْحَى (نَجِيبٌ) وَكِيلاً لنا وَنِعْمَ الوَكِيلُ
فَلْيَنْعَمِ الشِّعْرُ بالاً فالشِّعْرُ فَنٌّ جَمِيلُ

التقريظات

تقريظ كتاب "فحول البلاغة" لمؤلفه السيد توفيق البكرى[1]

[نشر هذان البيتان فى سنة ١٣١٣ ه]

هٰذا كِتَابٌ مُذْ بدا سِرُّهُ للنّاس قالوا : مُعْجِزٌ ثانى
أَثَابَكَ اللّٰهُ على جَمْعِهِ ثوابَ (عُثْمَانَ بنِ عَفّان)[2]

تقريظ جريدة "مصباح الشرق"[3] لصاحبها إبراهيم المويلحى بك

أَهْلَ الصِّحافَةِ لا تَضِلُّوا بَعْدَه فَسَماؤُكُمْ قد زانَها (المِصْباحُ)
الحَقُّ فيه زَيْتُــه ، وفَتِيلُهُ صِدْقُ الحَدِيثِ ، ونُورُهُ الإِصْلاحُ[4]

(١) ولد السيد الشيخ توفيق البكرى فى سنة ١٨٧٠ م ، وقد كان نقيبا للأشراف ومشيخة الطرق الصوفية ، كما كان عضوا بمجلس شورى القوانين . وكان يجيد اللغتين الفرنسية والانجليزية فوق إجادته العربية التى عدّ فيها من أئمة الأدب والبيان . وقد أنعم عليه السلطان عبد الحميد ، وسمو الخديو عباس بكثير من الأوسمة . وله غير هذا الكتاب ، صهاريج اللؤلؤ ، وأراجيز العرب ، والمستقبل للاسلام ، وتوفى رحمه الله يوم السبت ١٣ أغسطس سنة ١٩٣٢ م .

(٢) خص " عثمان بن عفان " بالذكر لأنه هو الذى نال ثواب جمع القرآن .

(٣) مصباح الشرق : صحيفة سياسية أدبية ، وكانت تصــدر فى كل أسبوع فى مصر ، أنشئت فى سنة ١٣١٥ ه (سنة ١٨٩٧ م) ، واحتجبت فى سنة ١٣٣١ ه (سنة ١٩٠٣ م) .

(٤) الفتيل : جمع فتيلة ، وهى ذبالة المصباح .

تقريظ ديوان الشاعر الكاتب مصطفى صادق الرافعى

(سنة ١٣٢١ هـ — سنة ١٩٠٤ م)

أَراكَ — وأَنتَ نَبْتُ اليومِ — تَمْشِى ... بِشِعْرِكَ فوقَ هامِ الأَوَّلينا[١]

وأُوتِيتَ النُّبوّةَ فى المَعانى ... وما دانَيْتَ حَدَّ الأَرْبَعينا[٢]

فزِنْ تاجَ الرِّآسَةِ بَعْدَ (سامِى) ... كما زانَتْ فرائدُه الجَبينا[٣]

وهٰذا الصَّوْبَجانُ فكُنْ حَرِيصا ... على مُلْكِ القَرِيضِ وكُنْ أَمينا[٤]

فحَسْبُكَ أَنّ مُطْرِيكَ (آبنُ هانى) ... وأَنّكَ قد غَدَوْتَ له قَرِينا[٥]

تهنئة المؤيد بداره ومطابعه الجديدين

[نشرت فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٠٦ م]

أَحْيَيْتَ مَيْتَ رَجائِنا بصَحيفةٍ ... أَثْنَى عليها الشَّرْقُ والإِسْلامُ[٦]

أَضْحَتْ مُصَلًّى للبَلاغةِ عِنْدَما ... سَجَدَتْ بِرَحْبِ فِنائِها الأَقْلامُ[٧]

فعَلَى مُؤَيَّدِكَ الجَديدِ تَحِيّةٌ ... وعَلَى مُؤَيَّدِكَ القَديمِ سَلامُ

---

(١) الهام : الرءوس ، الواحدة : هامة .

(٢) يشير بهذا إلى ما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله : بعثت على رأس الأربعين .

(٣) يريد "بسامى" : المرحوم محمود سامى البارودى باشا . انظر التعريف به فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٧ ، وفرائد اللؤلؤ : يتائمه التى لا توائم لها .

(٤) الصوبجان (فى أصل معناه) : العصا المعوجة من طرفها ؛ وهو لفظ فارسى معرّب ، و يقال : صوبجان الملك ، لأن الملوك كانوا فى القديم يتخذونه علامة على توليهم الملك .

(٥) مطريك : مادحك . و يريد "بابن هانىء" : المرحوم أحمد شوقى بك ، وكان يلقب بابن هانىء ، وسمى داره بالمطرية : كرمة ابن هانىء تشبها (بالحسن بن هانىء) المعروف بأبى نواس .

(٦) يخاطب بهذا البيت وما بعده صاحب المؤيد وهو الشيخ على يوسف .

(٧) الفناء (بكسر الفاء) : الساحة أمام البيت .

تقريظ "حديث عيسى بن هشام"

لصاحبه محمد المويلحي بك[1]

[نشر فى أول مارس سنة ١٩٠٧ م]

قَلَمٌ إذا رَكِبَ الأَنامِلَ أو جَرَى ... سَجَدَتْ له الأقلامُ وهْىَ جَوارِى

يَخْتالُ ما بَيْنَ السُّطُورِ كَضَيْغَمٍ ... يَخْتالُ بَيْنَ عَوامِلٍ وشِفارِ[2]

تأوِى الظِّباءُ إليه وهِىَ أوانِسٌ ... وتَحِيدُ عنه الأُسْدُ وهِىَ ضَوارِى[3]

ما حالَ خُلْقُ الماءِ بَيْنَ سُطُورِه ... إلّا إلى خُلُقِ الزِّنادِ الوارِى[4]

فإذا رَضِيتَ فأحْرُفٌ مِنْ رَحْمَةٍ ... وإذا غَضِبْتَ فأحْرُفٌ مِن نارِ

يابْنَ الذى غَنَّى اليَراعُ بكَفِّهِ ... فَصَبَتْ إليه مَسامِعُ الأقْدارِ[5]

لكَ فى دَمِى حَقٌّ أرَدْتُ وفاءَهُ ... يومَ الوَفاءِ فقَصَّرَتْ أشْعارِى[6]

لم يُنْسِنِى مَرُّ الزَّمانِ ولم يَزَلْ ... حِفْظُ الوِدادِ سَجِيَّتِى وشِعارِى

---

(١) هو محمد بك ابن ابراهيم بك المويلحى ؛ ولد بالقاهرة سنة ١٨٥٨ م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم تولى عدّة مناصب فى الحكومة المصرية ، واشترك فى تحرير عدّة صحف ؛ وكان هو وأبوه ابراهيم بك من أعلام الكتاب المشهورين فى مصر إذ ذاك ، وهما صاحبا صحيفة مصباح الشرق . ومحمد بك المويلحى ، هو مؤلف كتاب عيسى بن هشام ؛ وتوفى يوم السبت أول مارس سنة ١٩٣٠ م .

(٢) الضيغم : الأسد ؛ ويريد به هنا : الشجاع والعوامل : صدور الرماح : الواحد عامل . والشفار : جمع شفرة ، وهى حدّ السيف .

(٣) الضوارى : المدرّبة على الصيد والافتراس . يريد أن هذا القلم إذا رق ولطف أنست إليه الظباء ؛ وإذا قسا : خافته الآساد .

(٤) ما حال : أى ما تحول . ويريد « بخلق الماء » : الرقة والعذوبة . و « بخلق الزناد » : ما فيه من التوقد والالتهاب . والزناد الوارى : الذى خرجت ناره .

(٥) صبت : مالت . (٦) كان الممدوح كثير الإغداق على حافظ ، فهو إلى ذلك يشير بهذا البيت .

هَـــذا كتابُك قد حَكَتْ آياته ... آياتِ موسى التِّسعَ فى الإكبار[1]

نَسَجَ الحرير أبوكَ نَسْجَ نِجاره ... ونسجتَ أنت حرائرَ الأفكار[2]

فإذا نثرتَ على الصحيفةِ خِلتَها ... غَرسًا ألحَّ عليه صَوبُ قِطار[3]

يا صاحبَ المصباح ماذنبُ النُّهى ... حتى حَجَبْتَ مطالعَ الأنوار[4]

قد كنتَ تَهديها السبيلَ بضوئه ... فتركتَها فى ظُلمةٍ وعِثار[5]

باتتْ تُرجِّى منكَ عودةَ غائبٍ ... نورُ البصائرِ فيه والأبصار

وشمائلِ الفكرِ التى أرسلتَها ... حِكَمًا فأغنتْها عن الأسفار[6]

فاشرَعْ يراعَكَ يا (محمدُ) ، إنّه ... نارُ اللئامِ وجَنّةُ الأحرار[7]

وابعثْ لنا (عيسى) فهذا وقتُه ... فالناسُ بينَ مُخادعٍ ومُوارى[8]

---

(١) آيات موسى التسع : أى معجزاته ، وهى مذكورة كلها فى القرآن ، قال الله تعالى فى سورة الإسراء : (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) الآية .

(٢) النجار : الأصل والمحتد . ويشير بهذه العبارة إلى أن أبا الممدوح وهو إبراهيم بك المويلحى كان من كبار تجار الحرير بمصر ، وكان شريكا فى هذه التجارة لأخيه عبد السلام المويلحى باشا عم الممدوح وقد أخطأهما التوفيق فى تجارتهما ، فمد إليهما يد المساعدة المغفور له إسماعيل باشا الخديو ، واختصهما بجعلهما وحدهما المقدمين لجميع ما يلزم للبيت الخديو من أنواع الحرير، واقتدى به فى ذلك سراة مصر ووجهاؤها ، فصلحت حالهما بعد ذلك .

(٣) ألح للسحاب على النبات : دام مطره عليه . والقطار : الأمطار ، الواحد قطر (بفتح فسكون) . يريد تشبيه ما يكتب فى صحفه بأنواع الزهر الغض المترعرع مما توالى عليه من الأمطار . وفى الديوان المطبوع : « نثار » مكان « قطار » .

(٤) قد سبق التعريف بصحيفة « مصباح الشرق » فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ١٣٨ من هذا الجزء .

(٥) تهديها : أى تهدى النهى .

(٦) الأسفار : الكتب ، الواحد سفر (بكسر السين وسكون الفاء) .

(٧) اشرع يراعك : أى سدد قلمك وصوبه نحو الأغراض السامية .

(٨) يريد كتاب عيسى ابن هشام . ويشير بذلك إلى ما ورد من أن نبى الله عيسى عليه السلام سيعود فى آخر الزمان لهداية الناس . والموارى : المدارى الذى يبطن خلاف ما يظهر .

ومُطاوِلٍ في الكاتِبين ومُدَّعٍ ... في العَالِمين ومُولَعٍ بفَخارِ[1]

أَمِنُوا يَرَاعَكَ حين طالَ سُكُونُه ... فتَطَلَّعُوا لمَراتِبِ الأَقْمارِ[2]

إنِّى لأَنظِمُ ما نَثَرْتَ وإنْ يَكُنْ ... نَثْرُ النَّظِيمِ مَطِيَّةَ النُّثَّارِ[3]

تقريظ كتاب مرآة العروض

المطبوع سنة ١٣٢٥ ﻫ تأليف الشيخ أحمد عثمان الجرزى القاضى الشرعى

(عثمانُ) إنَّكَ قد أَتَيْتَ مُوَفَّقًا ... شَرْوَى سَمِيِّكَ جامِعِ التَّنْزِيلِ[4]

جَمَّعْتَ أَشْتاتَ القَرِيضِ وزِدْتَه ... حُسْنًا بِهذا الشَّرحِ والتَّذْيِيلِ

وجَلَوْتَ (مِرْآةَ العَرُوضِ) صَقِيلةً ... لِلنَّيلِ فاسْتَوْجَبْتَ شُكْرَ النِّيلِ

تقريظ صحيفة كوكب الشرق

لصاحبها محمد حافظ عوض بك

[نشر هذان البيتان فى أوّل عدد صدر منها فى ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٤ م]

يا كَوْكَبَ الشَّرْقِ أَشْرِقْ ... فالحادِثاتُ تَجِدُّ

لا تَخْشَ طالِعَ سَوْءٍ ... فكَوْكَبُ الشَّرْقِ سَعْدُ

---

(١) المطاول: المفاخر. والعالمين: جمع عالم (بكسر اللام) فيهما.

(٢) يقول: إن هؤلاء المدعين قد أمنوا بطش قلمك بهم حين احتجبت صحيفتك فتطلعوا إلى المراتب العالية التى لم يكونوا ليتطلعوا إليها لو أنك دائب على الكتابة.

(٣) يقول: إن شعرى فى الحقيقة ليس إلا نظما لما تنثر، فهو مقتبس من وحى قلمك، وإن تكن عادة الكتاب نثر ما ينظم الشعراء.

(٤) شروى سميك: أى مثل سميك عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه جامع القرآن.

تهنئة المقتطف[1] بعيدها الخمسينى

[نشرت فى أول يونيو سنة ١٩٢٦ م]

شَيْخَانِ قد خَبَرَا الوُجُودَ وأَدْرَكَا   ما فيه مِنْ عِلَلٍ ومِنْ أَسْبَابِ[2]

وأستَبْطَنَا الأَشْيَاءَ حتّى طالَعَا   وَجْهَ الحَقِيقَةِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ[3]

خمسونَ عاما فى الجِهادِ كلاهُما   شاكِى البَرَاعَةِ طاهِرُ الجِلْبَابِ[4]

لا تَعْجَبُوا انْ خَضَّبَا قَلَمَيْهِما   وبَيَاضُ شَيْبِهما بغَيْرِ خِضَابِ

فلِكُلِّ حُسْنٍ حِلْيَةٌ يُزْهَى بها   وأَرَى البَرَاعَةَ حِلْيَةَ الكُتَّابِ

إنّى نَظَرْتُ إلى البَرَاعَةِ فى يَدِى   فحَسِبْتُها فى القَدْرِ عُودَ ثِقَابِ

ونَظَرْتُها تَنْقَضُّ مِنْ كَفَّيْهِما   فوقَ الطُّرُوسِ خِلْتُها كشِهَابِ

يَزْهَى مُدَجَّجَنَا بِرُمْحٍ واحِدٍ   وأَرَاهُما لا يُزْهَيَانِ بغَابِ[5]

مُتَوَاضِعانِ ولا أَرَى مُتَكَبِّرًا   غيرَ الجَهُولِ مُدَنَّسًا بالعابِ[6]

---

(١) أنشئت هذه المجلة فى سنة ١٨٧٦ م وكان مقرها أولا سورية ، ثم انتقلت إدارتها إلى مصر فى سنة ١٨٨٥ م

(٢) يريد « بالشيخين » : (الدكتور) فارس نمر باشا و (الدكتور) يعقوب صروف ؛ أما الأول منهما فهو العالم السورى المعروف عضو مجمع اللغة العربية الملكى فى مصر ، ومنشىء مجلة المقتطف وجريدة المقطم مشتركا مع صاحبه السابق ذكره فى كلتا الصحيفتين . أما الثانى وهو (الدكتور) يعقوب صروف ، فولد بلبنان فى سنة ١٨٥٢ م وكان (الدكتور) منقطعا إلى تحرير المقتطف ، وانقطع (الدكتور) نمر إلى تحرير المقطم ، وكانت وفاة (الدكتور) صروف فى سنة ١٩٢٧ م .

(٣) استبطنا الأشياء : اختبرا بواطنها .

(٤) شاكى البراعة : أى ذو شوكة وحدّة فى قلمه .

(٥) المدجج : لابس السلاح . والغاب : جمع غابة ، وهى الشجر الكثير . ويطلق أيضا على القصب الفارسى تتخذ منه الأقلام . والشاعر يومىء إلى المعنيين .

(٦) العاب : العيب .

يَتَجاذَبُ القُطْرانِ مِن فَضْلَيْهِما ... ذَيْلَ الفَخارِ وليسَ ذا بِعُجابِ (١)

فهُما هُنا عَلَمانِ مِنْ أعْلامِنا ... وهُما هُنالكَ نُخْبَةُ الأنْجابِ

جازَا مَدَى السَّبْعِينَ لم يَتَوانَيا ... عَنْ وَصْلِ حَمْدٍ واجْتِنابِ سِبابِ (٢)

نَسَباهُما قَلَماهُما فَلْيَسْحَبا ... ذَيْلاً على الأحْسابِ والأنْسابِ (٣)

قَلَمانِ مَشْرُوعانِ في شِقَّيْهِما ... وَحْيٌ يَفِيضُ على أُولِي الألْبابِ (٤)

مُتَسانِدانِ إذا الخُطُوبُ تَألَّبَتْ ... مُتَعانِقانِ تَعانُقَ الأحْبابِ (٥)

نَفَحاتُ (آذارٍ) إذا لَمْ يُظْلَما ... فإذا هُما ظُلِما فَلَفْحَةُ (آبِ) (٦)

ما سَوَّدا بَيْضاءَ إلاّ بَيَّضا ... بالكاتِبَيْنِ صَحِيفَةَ الإعْجابِ (٧)

لِلمَقْصِدِ الأسْمَى لَدَى حَرَمِ النُّهَى ... رَفَعا قِباباً حُوجِزَتْ بِقِبابِ (٨)

خَطَّا بِمُقْتَطَفِ العُلُومِ بَدائِعاً ... ورَوائِعاً بَقِيَتْ على الأحْقابِ (٩)

جاءا لنا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ نافِعٍ ... أو كُلِّ فَنٍّ مُمْتِعٍ بِلُبابِ

في كُلِّ لَفْظٍ حِكْمَةٌ مَجْلُوَّةٌ ... وبِكُلِّ سَطْرٍ مَهْبِطٌ لِصَوابِ

فاللَّفْظُ فيه مُقَوَّمٌ بِصَحِيفَةٍ ... والسَّطْرُ فِيهِ مُقَوَّمٌ بِكِتابِ

---

(١) القطران : مصروسورية . (٢) جاوزا : جاوزا . الغاية .

(٣) يقال : سحب الذيل على كذا ، أى أنه لم يحفل به ولم يأبه له .

(٤) مشروعان : أى مصوبان مسددان . (٥) تألبت : تجمعت وتضافرت .

(٦) آذار وآب : شهران من شهور السنة المسيحية معروفان ، وتكثر الأزهار فى الأول ، ويشتد الحر فى الثانى : واللفحة من قولهم : لفحته النار والسموم (بفتح السين) : أى أحرقته بحرها .

(٧) بالكاتبين : متعلق بقوله بعد « الإعجاب » . أى لم يكتبا بالمداد الأسود صحيفة بيضاء إلا كتبا عند قرائهما صحيفة أخرى مملوءة بالإعجاب بهما . (٨) قبابا حوجزت بقباب : أى متصلة بعضها ببعض .

(٩) الروائع من الأشياء : ما أعجبك بحسنها . والأحقاب : الدهور .

دَانِى القُطُوفِ كَرِيمَةٌ أَفْيَاؤُه   عَذْبُ الوُرُودِ مُفَتَّحُ الأَبْوَابِ[١]

ذُلُلٌ مَسالِكُه فأَنَّى جِئْتَه   أَلْفَيْتَ نَفْسَكَ فى فَسِيحِ رِحَابِ[٢]

تَتَسابَقُ الأَقْلامُ فيه ولا تَرَى   مِنْ عاثِرٍ فِيها ولا مِنْ نابِى[٣]

كَمْ مِنْ يَراعَةِ كاتِبٍ جالَتْ بِه   ولُعابُها فى الطِّرْسِ حُلْوُ رُضَابِ[٤]

كَمْ مِنْ سُؤالٍ فيه كانَ جَوابُه   إِلْهَامَ نابِغَةٍ وفَصْلَ خِطَابِ

كَمْ فيه مِنْ نَهْرٍ جَرَى بِطَرِيقَةٍ   تَرِدُ النُّهَى مِنْهُ أَلَذَّ شَرابِ[٥]

وَقَفَتْ سُقَاةُ الفَضْلِ فى جَنَباتِه   تَرْوِى النُّفُوسَ بِمُتْرَعِ الأَكْوابِ[٦]

ماذا أُعِدُّ وهٰذِه آياتُه   فى العَدِّ تُعْجِزُ أَمْهَرَ الحُسَّابِ

قَدْ نُسِّقَتْ وتَآلَفَتْ فكَأَنَّها   فى الحُسْنِ مِثْلُ تَآلُفِ الأَحْزابِ[٧]

وتَرَى تَهافُتَنا عليه وحِرْصَنا   فَتَخالُ فيه مَقاعِدَ النُّوَّابِ

يا ثَرْوَةَ القُرَّاءِ مِنْ عِلْمٍ ومِنْ   فَضْلٍ ومِنْ حِكَمٍ ومِنْ آدابِ

الشَّرْقُ أَثْبَتَ يَوْمَ عِيدِكَ أَنَّه   ما زَالَ فى رِيٍّ وخِصْبِ جَنابِ

عادَتْ سَماءُ الفَضْلِ فيه فأَطْلَعَتْ   زُهْرًا مِنَ الأَعْلامِ والأَقْطابِ[٨]

---

(١) الأفياء : الظلال ، ويريد بقوله : « دانى القطوف » قرب مأخذه وسهولة الاستفادة من بحوثه .

(٢) ذلل مسالكه : سهلة ممهدة .   (٣) نبا ينبو : كل وارتد عن المقصد

(٤) اللعاب : الريق . ويريد به هنا : المداد . والرضاب : لعاب العسل .

(٥) النهر : مجرى الماء المعروف . ويومئ به إلى العمود من الصحيفة ، وهو استعمال صحفى معروف فى هذا العصر .

(٦) المترع : المملوء

(٧) نسقت : نظمت . ويشير الشاعر بالتشبيه الذى فى هذا البيت إلى ما كان فى هذا العهد الذى أنشدت فيه هذه القصيدة من تآلف الأحزاب المصرية واجتماعها بعد الافتراق ، وتكوين وزارة و (برلمان) ائتلافيين .

(٨) الزهر : النجوم .

العِلْمُ شَرْقٌ تَغافَلَ أَهْلُه ... عنه فعاقَبَهُمْ بِطُولِ غِيابِ
وتَنَبَّهُوا لِمُصابِهِمْ فتَضَرَّعُوا ... فعَفَا وعاوَدَهُمْ بِغَيْرِ عِتابِ
فتَذَوَّقُوا طَعْمَ الحَيَاةِ وأَدْرَكُوا ... ما في الجَهالَةِ مِنْ أَذًى وتَبابِ[1]
العِلْمُ في البَأْسَاءِ مُزْنَةُ رَحْمَةٍ ... والجَهْلُ في النَّعماءِ سوط عذابِ[2]
ولَعَلَّ وِرْدَ العِلْمِ ما لَمْ يَرْعَه ... ساقٍ مِنَ الأَخْلاقِ وِرْدُ سَرابِ
إنِّي قَرَأْتُكَ في الكُهُولَةِ والصِّبا ... ومَلأْتُ مِنْ ثَمَرِ العقولِ وِطابِي[3]
وأَتيتُ أَقْضِي بَعْضَ ما أَوْلَيْتَنِي ... وأَقُولُ فيكَ الحَقَّ غيرَ مُحابِي
لو كنتُ في عَهْدِ الفُتُوَّةِ لَمْ أَزَلْ ... لَوَهَبْتُ للشَّيْخَيْنِ بُرْدَ شَبابِي
لَكِنَّنِي أَبْلَيْتُه وطَوَيْتُه ... وتَخِذْتُ مِنْ نَسْجِ المَشِيبِ ثِيابِي
وأَرَى رِكابِي حِينَ شابَتْ لِمَّتِي ... يَحْتَثُّها سَفَرٌ بِغَيْرِ إِيابِ[4]
(يَعْقُوبُ) إنَّكَ قد كَبِرْتَ ولَمْ تَزَلْ ... في العِلْمِ لا تَزْدادُ غَيْرَ تَصابِي
لاحَتْ بِرَأْسِكَ هِزَّةٌ ولَعَلَّها ... مِنْ وَقْعِ فِكْرِكَ لا مِنَ الأَعْصابِ
فِكْرٌ سَرِيعٌ كَرُّه مُتَدَفِّعٌ ... كتَدَفُّعِ الأَمْواجِ فوقَ عُبابِ[5]
لا يَسْتَقِرُّ ولا يُحَدِّثُ نَفْسَه ... أَنْ يَنْثَنِي عَنْ جَيْئَةٍ وذَهابِ
أو أَنَّها طَرَبٌ بِنَفْسِكَ كُلَّما ... وُفِّقْتَ في بَحْثٍ وكَشْفِ نِقابِ[6]

---

(١) التباب : النقص والخسران .
(٢) المزنة : السحابة الممتلئة بالماء .
(٣) الوطاب : جمع وطب ، وهو فى الأصل سقاء اللبن ؛ والمراد هنا : أنه ملأ فكره ونفسه .
(٤) اللمة : الشعر المجاور لشحمة الأذن . ويحتثها : يسرع بها . ويريد « بالسفر » : الموت .
(٥) العباب : معظم السيل .
(٦) أو أنها : أى هزة رأسه . والنقاب : اللثام .

أو أنّها ٱستنكارُ ما شاهَدْتَه — فى النّاس من لَهْوٍ وسُوءِ مآب

لَم يُلْهِكَ الإثْراءُ عن طَلَبِ العُلا — بالجِدِّ لا بتَصَيُّدِ الألقابِ[1]

لك فى سَبِيلِ العِلْمِ أجرُ مُجاهِدٍ — والصَّبْرِ أَجْرُ مُلازِمِ المِحْراب

وإليكَ مِنْ جُهْدِ المُقِلِّ قَصيدةً — يُغْنِيكَ مُوجَزُها عن الإسْهاب[2]

لولا السَّقامُ وما أُكابِدُ مِن أسًى — لَلَحِقْتُ فى هٰذا المَجال صِحابى[3]

تقريظ كتاب "فى ظلال الدموع"

لصاحبه محمد شوكت التونى

[نشر فى ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٩ م] .

قَدْ قَرَأْنا ظِلالَكُمْ فٱشْتَفَيْنا — بارَكَ اللهُ فى (ظِلالِ الدُّمُوعِ)

عَلَّمَتْنا لَدَى الأَسَى كَيْفَ تَشْفِي — مُرْسَلاتُ الدُّمُوعِ داءَ الضُّلُوعِ

وأَرَتْنَا مِنَ الجَدِيدِ بَيانًا — لَمْ يَكُنْ قَبْلَها كَثِيرَ الشُّيُوعِ[4]

فى طِرازٍ كأنَّما نَسَّقَتْه — مِنْ مَجانِى الرُّبَا بَنانُ الرَّبِيعِ[5]

فعَلَى كاتِبِ الظِّلالِ سَلامٌ — مِنْ حَزِينٍ وبائِسٍ وصَرِيعِ

---

(١) الإثراء : كثرة الأموال . والجد : الاجتهاد .

(٢) المقل : الفقير . والإسهاب : الإطالة .

(٣) صحابى : أى الذين تكلموا فى هذا الحفل وأثنوا عليكما .

(٤) الجديد : أى الأدب الجديد .

(٥) نسقته : نظمته ؛ شبه بيانه بأزهار الربا فى الربيع .

الأهاجي

قال في هجاء الجرائد

[نشرا في أول ديسمبر سنة ١٩١٧ م]

جَرائِدٌ ما خُطَّ حَرْفٌ بِها ... لِغَيْرِ تَفْريقٍ وتَضْليلِ
يَحْلُو بِها الكِذْبُ لأَرْبابِها ... كأَنَّها أَوَّلُ إبريلِ (١)

في عتاب كثير العيوب

[نشرا في ٢ نوفبر سنة ١٩٢١ م]

يا ساكِنَ البَيْتِ الزُّجا ... جِ هَبِلْتَ ، لا تَرْمِ الحُصُونا (٢)
أَرَأَيْتَ قَبلَكَ عارِيًا ... يَبْغِي نِزالَ الدّارِعِينا (٣)

في مَلك ضعيف الرأى

لا تَعْجَبُوا فَمَلِيكُكُمْ لَعِبَتْ بِه ... أَيْدِى البِطانَةِ وهو في تَضْليل
إنِّى أَراهُ كأَنّه في رُقْعَةِ الـ ... شِّطْرَنْجِ أو في قاعَةِ التَّمْثِيلِ

---

(١) أوّل إبريل : يوم يتملح فيه بالكذب عند بعض الإفرنج ؛ وكذبة إبريل معروفة

(٢) كنى ببيت الزجاج عن كثرة عيوب هذا المهجو ، وأنه من اليسير على الناس فضيحته والحط من شأنه ، كما كنى بالحصون عن عكس ذلك . « وهبلت : بالبناء للفاعل ، كما قاله بعض اللغويين » وقال ثعلب : القياس « هبلت » للمجهول ، أى ثكلتك أمك .

(٣) الدارعون : لابسو الدروع .

فى رجل عظيم البطن ضخم البدن

عطَّلْتَ فنَّ الكهرباء فلم نجد ... شيئا يعوق مسيرَها إلاكا[1]

تسرى على وجه البسيطة لحظةً ... فتجوزها وتحار فى أحشاكا[2]

وقال على لسان بعض المتصوفة[3]

[فى مجزوء الوافر]

أحرقُ الدُّفَّ لو رأيتُ شكيبا ... وأفضُّ الأذكار حتى يغيبا[4]

هو ذكرى وقبلتى وإمامى ... وطبيبى إذا دعوتُ الطبيبا

لو ترانى وقد تعمدْتَ قتلى ... بالتنائى رأيتَ شيخا حريبا[5]

كان لا ينحنى لغيرك إجلا ... لا ولا يشتهى سواك حبيبا

لا تعيبنَّ يا شكيبُ دبيبى ... (إنما الشيخ من يدبُّ دبيبا)[6]

---

(١) الكهربا : مقصور ويمد.

(٢) تسرى ، أى الكهربا والبسيطة : الأرض . وتجوزها : تقطعها . يقول : إن أحشاءه أوسع من الأرض مسالك .

(٣) يلاحظ أننا أثبتنا هذه القصيدة فى باب الهجاء لما تفيده من وصف هذا الصوفى بصفة قبيحة ؛ وهو ما يقصد إليه حافظ وإن كانت القصيدة فى الغزل .

(٤) شكيب : غلام تركى زعموا أنه كان يعشقه هذا المتصوف . والدف (بالضم) أو (بالفتح) ، والأول أفصح : نوع من الطبل معروف ، يضربون عليه فى اللهو وبعض حلقات الذكر .

(٥) تعمدت : قصدت . والتنائى : التباعد . والحريب : المسلوب .

(٦) الدبيب : المشى على هينة كمشى الشيوخ ؛ ويستعمل فى الزحف انسلالا . والشطر الأخير من هذا البيت عجز بيت لشاعر قديم ، وصدره :

زعمتنى شيخا ولست بشيخ ... إنما الشيخ من يدب دبيبا

كم شربتَ المُدامَ فى حضرة الشَّيْـ ـخ جهارًا وكم سُقيتَ الحليبا
فسلُوا سُبحتي ، فهل كان تسبيـ ـحى فيها إلّا (شَكِيباً شَكِيباً) ؟
وإذا أدنفَ الشُّيوخَ غرامٌ كنتُ فى حَلْبة الشّيوخ نَقيبا[1]
عُدْ إلينا فقد أطلتَ التجافي واركب البرقَ إنْ أطقتَ الرُّكوبا
وإذا خفتَ ما يُخافُ من اليمِّ فرشْنا لأخمصَيْك القلوبا[2]
ودعَوْنا بِساطَ صاحِب بِلْقِيـ ـسَ فلبّى دُعاءَنا مُستجيبا[3]
وأمرْنا الرّياحَ تجرى بأمرٍ منكَ حتّى نراكَ منّا قريبا[4]

فى بائع كُتُب صفيق الوجه

أديمُ وجهِكَ — يازنديقُ — لو جُعلتْ منه الوِقايةُ والتّجليدُ للكُتُبِ[5]
لم يَعلُها عنكبوتٌ أينما تُركتْ ولا تُخافُ عليها سَطوةُ اللّهبِ

فيمن كثرت مخازيه

هُنا يَستغيثُ الطِّرسُ والنِّقسُ والّذى يَخُطُّ ومَنْ يتلُو ومَنْ يتسمَّعُ[6]
مخازٍ وما أدرِى إذا ما ذكرتُها إلى الحمْدِ أُدْعَى أوْ إلى اللّوْمِ أُدفَعُ

---

(١) أدنفه المرض : أثقله وأضناه .

(٢) اليم : البحر . والأخمص : ما لا يمس الأرض من باطن القدم ؛ ويراد به القدم كلها كما هنا .

(٣) بلقيس : هى ملكة سبأ ، وصاحبها هو نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام ، وقصتها مع ذلك النبى الكريم مشهورة ؛ وقد ورد ذكرها فى القرآن فى سورة النمل .

(٤) يريد بهذا البيت والذى قبله أننا نمهد لك وسائل الاسراع فى العودة .

(٥) أديم الوجه : جلده ؛ يصف فى هذا البيت وما بعده جلدة وجهه بالصفاقة .

(٦) الطرس (بالكسر) : الصحيفة يكتب فيها . والنقس بكسر النون : المداد .



ذكرى وتشوق

كتب بها من السودان إلى صديقه محمد بك بيرم

[نشرت فى سنة ١٩٠٠ م]

أَثَرْتَ بِنا مِنَ الشَّوْقِ القَدِيمِ وذِكْرَى ذٰلِكَ العَيْشِ الرَّخِيمِ (١)

وأَيّامٍ كَسَوْناها جَمالًا وأَرْقَصْنا لها فَلَكَ النَّعِيمِ

مَلَأْناها بِنا حُسْناً ، فكانت - بجِيدِ الدَّهْرِ - كالعِقْدِ النَّظِيمِ (٢)

وفِتْيانٍ مَسامِيحٍ عليهم جَلابِيبٌ مِن الذَّوْقِ السَّلِيمِ (٣)

لَهُمْ شِيَمٌ أَلَذُّ مِن الأَمانِي وأَطْرَبُ مِنْ مُعاطاةِ النَّدِيمِ (٤)

كَهَمِّكَ فى الخَلاعَةِ والتَّصابِي وإنْ كانوا على خُلُقٍ عَظِيمِ (٥)

دَعَوْتَهُمُ إلى أُنْسٍ فَوافَوْا مُوافاةَ الكَرِيمِ إلى الكَرِيمِ

وجاءُوا كالقَطا وَرَدَتْ نَمِيرًا على ظَمَإٍ وهَبُّوا كالنَّسِيمِ (٦)

---

(١) أثرت : هيجت . والعيش الرخيم : اللين الناعم . (٢) الجيد : العنق .

(٣) المساميح : جمع مسماح ، وهو الجواد الكريم .

(٤) الشيم : السجايا والأخلاق . والمعاطاة : المناولة ؛ ويريد بها مناولة الخمر .

(٥) كهمك : أى كعزمك وإرادتك ، أى هم كما شئت من خلاعة ولهو .

(٦) القطا : الحمام ، الواحدة قطاة ، ويضرب بها المثل فى الاهتداء ، فيقال : « أدل من قطاة » لأنها لا تخطىء الطريق ليلا فى الفلاة . والماء النمير الناجع فى الرى .

وكانَ اللّيلُ يَمرَحُ فى شَبابٍ ... ويَلْهو (بالمَجَرّةِ) والنُّجومِ (١)

فواصَلْنا كُؤوسَ الرّاحِ حَتّى ... بَدَتْ للعينِ أنوارُ الصَّريمِ (٢)

وأعْمَلْنا بها رأْىَ (ابنِ هانِى) ... فأُلحِقْنا بأصحابِ الرَّقيمِ (٣)

وظَبْيٍ مِنْ بَنِى مِصْرٍ غَريرٍ ... شَهِىِّ اللّفظِ ذى خَدٍّ مَشِيمِ (٤)

ولَحْظٍ بابِلىٍّ ذى انْكِسارٍ ... كأنّ بطَرْفِه سِيما اليَتيمِ (٥)

سَقانا فى مُنادَمَةٍ حَدِيثاً ... نَسِينا عِنْدَه بِنْتَ الكُرومِ (٦)

سَلامُ اللهِ يا عَهْدَ التّصابى ... عليكَ وفِتْيَةَ العَهْدِ القَديمِ

أحِنُّ لهُمْ ودُونَهُمُ فَلاةٌ ... كأنّ فَسيحَها صَدْرُ الحَليمِ (٧)

كأنّ أديمَها أحْشاءُ صَبٍّ ... قد التَهَبَتْ مِنَ الوَجْدِ الألِيمِ (٨)

---

(١) مرح يمرح (وزان فرح يفرح) : تبختر واختال . وشباب الليل : أوّله . والمجرة : مجموعة نجوم كثيرة ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بياض فى السماء ، وتشبه بالنهر ، فيقال : نهر المجرة . (٢) الصريم (هنا) : الصبح .

(٣) يريد أبا على الحسن بن هانىء الحكمى ، المشهور بأبى نواس من أئمة شعراء الدولة العباسية ، ولد بالبصرة سنة خمس وأربعين ومائة ؛ وقيل سنة ست وثلاثين ومائة . وتوفى سنة خمس وتسعين ومائة ؛ وقيل ثمان وتسعين ومائة ، ودفن ببغداد ؛ وكان كثير المجون ، دائم التشبيب ، مدمنا للخمر . وأصحاب الرقيم : هم أصحاب الكهف المذكورون فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) الآية ، ويشير الشاعر بهذا البيت إلى نومهم فى كهفهم ، أى مغارتهم ، مدة طويلة ، قال تعالى : (ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) . والرقيم : قريتهم التى خرجوا منها ، أو جبلهم الذى كان فيه الكهف . وقيل : الرقيم لوح رصاص نقش فيه نسبهم وأسماؤهم وقصصهم ودينهم ، ومم هربوا . يريد أنهم جروا على مذهب أبى نواس فى الشرب حتى ناموا نومة أهل الكهف .

(٤) الغرير : الحديث السن الغافل ، الذى لم يجرب الأمور لحداثته . والمشيم : الذى فيه شامة ، (أى خال فى خده) .

(٥) البابلى : نسبة إلى بابل ، وهى ناحية بالعراق ، منها الكوفة والحلة ، ينسب إليها الخمر والسحر . ويريد «باللحظ البابلى» أنه يعمل فى العقول والنفوس عمل الخمر والسحر . وانكسار اللحظ : فتوره . وسيما اليتيم : ضعفه ومذلته ، لأنهما أظهر ما يكونان فى اليتيم . والسيما والسيماء : العلامة والهيئة .

(٦) بنت الكروم : الخمر ، لأنها تعتصر منها . (٧) الفلاة : الصحراء الواسعة .

(٨) أديم الفلاة : وجهها وظاهرها .

كأنّ سَرابَها إذْ لاحَ فيها ... خداعٌ لاحَ في وَجْهِ اللَّئيمِ[١]

تَضِلُّ بلَيْلِها (لِهْبٌ) فتَحْكِي ... (بِوادِي ٱلتِّيهِ) أَقْوامَ ٱلكَليمِ[٢]

وتَمْشِي السّافياتُ بها حَيارَى ... إذا نُقِلَ الهَجِيرُ عن ٱلجَحيمِ[٣]

فَمَنْ لى أنْ أَرَى تلكَ ٱلمَغانِي ... وما فيها مِنَ الحُسْنِ ٱلقَديمِ[٤]؟

فما حَظٌّ (ٱبْنِ داوُدٍ) كَحَظِّي ... ولا أُوتِيتُ مِنْ عِلْمِ العَليمِ[٥]

ولا أنا مُطْلَقٌ كالفِكْرِ أَسْرِي ... فأَسْتَبِقُ الضَّواحِكَ في الغُيُومِ[٦]

ولٰكِنّي مُقَيَّدَةٌ رِحالِي ... بقَيْدِ العُدْمِ في وادِي ٱلهُمومِ[٧]

نَزَحْتُ عن الديارِ أَرُومُ رِزْقِي ... وأَضْرِبُ في ٱلمَهامِهِ والتُّخُومِ[٨]

---

(١) السراب : هو ماتراه نصف النهار على بعد عند اشتداد الحر (يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) . ويشبهون به من يطمعك ظاهره وتونسك حقيقته .

(٢) لهب (بكسر اللام وسكون الهاء) : قبيلة من الأزد باليمن كانت على معرفة تامة بالنجوم تسرى على ضوئها وتتعرف بها السبل ، كما كان يضرب بها المثل فى العيافة والزجر . ووادى التيه : هو القسم المنحصر بين خليج السويس وخليج العقبة من شبه جزيرة طور سيناء ؛ وسمى بالتيه لأن بنى إسرائيل قد تاهوا فيه أربعين سنة ، كما قص الله تعالى ذلك فى القرآن الكريم . والكليم : نبى الله موسى عليه السلام . يقول : إنما بيننا من فياف لو سرت فيها لهب لما أفادتها خبرتها ولضلت كما ضل قوم موسى فى التيه .

(٣) السافيات الريح التى تسفى التراب ، أى تحمله وتذروه . والهجير : شدة الحر . أى أن الرياح تسير فيها حائرة لا تهتدى إلى وجهة من اتساع أقطارها ، وتبحث عن كنف من ذلك الحر الذى كأنه اقتطع من الجحيم .

(٤) المغانى : المنازل التى غنى بها أهلها : أى أقاموا ، الواحد مغنى (بفتح الميم وسكون الغين) .

(٥) ابن داود : هو نبى الله سليمان بن داود صلوات الله عليهما وسلامه . والمعنى أنه لم يؤت من الحظ ما أوتى سليمان بن داود من تسخير الرياح والجن لأمره ، فيحملانه إلى تلك المغانى والمنازل التى يتشوق إلى رؤيتها والإقامة فيها .

(٦) « أستبق الضواحك » الخ : أسبق البروق فى السحب ، أى أجاوزها وأخلفها ورائى .

(٧) العدم : الفقر .

(٨) نزحت : بعدت . وضرب فى الأرض : خرج فيها ساعيا . والمهامه : جمع مهمه ومهمهة . وهى المفازة البعيدة المتسعة . والتخوم : الحدود بين الأرضين .

وما غادَرْتُ فى السُّودان قَفْراً ولَمْ أَصْبُغْ بتُرْبَتِه أَديمى(١)

وهأنَا بَيْنَ أَنْيابِ المَنايا وتَحْتَ بَراثِنِ الخطْبِ الجسيم(٢)

ولولا سَوْرَةٌ للمَجْدِ عِنْدِى قَنِعْتُ بِعِيشَتِى قَنَعَ الظَّلِيم(٣)

*
* *

أَيَا ابْنَ الأَكْرَمين أباً وجَدًّا ويابنَ عُضادَةِ الدِّينِ القَوِيم(٤)

أقامَ لدينِنا أَهْلُوكَ رُكْناً له نَسَبٌ إلى رُكْنِ الحَطِيم(٥)

فما طافَ العُفاةُ به وعادُوا بغَيْرِ العَسْجَدِيَّةِ واللَّطِيم(٦)

---

(١) الأديم : الجلد . يريد أنه لم يترك قفرا فى السودان إلا خلط جلده بترابه . فقوله : « لم أصبغ » الخ : صفة لقوله « قفرا » ، واقتران جملة الصفة بالواو كما هنا غير مقيس ، وزيادتها لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف ، ومنه قوله تعالى : (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) .

(٢) المعروف المشهور « هأنذا » إلا أن مثل هذا ورد فى الشعر ، ومنه قوله :

فهأنا تائب عن حب ليلى فمالك كلما ذكرت تذوب

والبراثن : مخالب الأسد ، الواحد برثن (بضم الباء والثاء وسكون ما بينهما) .

(٣) سورة المجد : أثره وأمارته . والظليم : ذكر النعام . وقد ضرب الشاعر قناعة النعام مثلا فى الاكتفاء بأقل القوت ولو كان مما لا يقتات به ، وذلك لأن النعام يقتات بما يجده فى الفلاة من الحصى والحجارة إذا أعوزه القوت وعز عليه الكلأ .

(٤) العضادة : الذى يعاضدك أى يعاونك .

(٥) الحطيم : حجر الكعبة ؛ أو هو ما بين الركن والمقام .

(٦) العفاة : طلاب الأرزاق والمعروف ، مفرده العافى . والعسجدية : الإبل التى تحمل العسجد أى الذهب . واللطيم : الإبل التى تحمل الطيب والبز ، واحده لطيمة . أى ما قصد أهلك قاصد إلا عاد مثقلا بالعطاء من ذهب وثياب .

أَتَيْتُكَ وَالخُطُوبُ تَزِفُّ رَحْلِى ... ولى حالٌ أَرَقُّ من السَّدِيمِ[١]

وقد أَصْبَحْتُ مِنْ سَعْيِي وكَدْحِى ... على الأرزاقِ كالثَّوْبِ الرَّدِيمِ[٢]

فلا تُخْلِقْ – فُدِيتَ – أَدِيمَ وَجْهِى ... ولا تَقْطَعْ مُواصَلَةَ الحَمِيمِ[٣]

عتاب محمد البابلى بك[٤]

[نشرت فى سنة ١٩٠٠ م]

أَخِى واللهِ قد مُلِئَ الوِطَابُ ... وداخَلَنِى بُصُحْبَتِكَ ارْتِيابُ[٥]

رَجَوْتُكَ مَرَّةً وعَتَبْتُ أُخْرَى ... فلا أَجْدَى الرَّجاءُ ولا العِتابُ[٦]

نَبَذْتَ مَوَدَّتِى فَاهْنَأْ بِبُعْدِى ... فَآخِرُ عَهْدِنَا هٰذَا الكِتابُ

---

(١) تزف رحلى : أى تحملنى على الإسراع إليك ؛ يقال : أزفه : إذا حمله على الزفيف ، وهو الإسراع . ويجوز أن يقرأ تزف (بفتح التاء وضم الزاى) على سبيل التشبيه بزفاف العروس ، وهو إهداؤها . السديم : الضباب الرقيق ، جمعه سدم (بضمتين) .

(٢) الكدح : هو الدءوب فى طلب الرزق وكسبه بمشقة . والرديم : الثوب الخلق البالى .

(٣) تخلق : من أخلق الثوب إذا أبلاه . وأديم الوجه : جلدته . و إخلاق أديم الوجه : كناية عن إذلاله وابتذال حيائه بالإلحاف فى المسألة . والحميم : الصديق : جمعه أحماء (بكسر الحاء وتشديد الميم) .

(٤) هو محمد البابلى بن عبده البابلى بك الذى كان من كبار تجار الجواهر فى مصر ؛ وقد أدخل ولديه محمدا وأحمد فى مدرسة الشرطة (البوليس) ، وبعد إتمامهما الدراسة بها ألحقا ببعض الأعمال فى الحكومة المصرية ، ولكنهما لم يمكثا طو يلا حتى تركا الحكومة وتفرغا لأعمالهما ؛ واشتهر محمد بظرفه وفكاهته الحلوة حتى إن بعض الأدباء قد جمع كتابا ممتعا فى نكته وطرائفه ؛ وكان من أصدقاء حافظ الملازمين له ؛ وكانت وفاته فى سبتمبر سنة ١٩٢٤ م .

(٥) الوطاب : جمع وطب (بالفتح) ، وهو فى الأصل سقاء اللبن ؛ والمراد أنه قد أكثر من فعل ما يريب حتى امتلأت نفسه بالشك فى صدق مودته .

(٦) أجدى : نفع .

بين حافظ وداود عمون

بعث حافظ بهذه القصيدة إلى داود عمون بك الشاعر اللبنانى والمحامى المعروف فأجابه عليها بقصيدة تأتى بعد

[نشرت فى ٢٦ مارس سنة ١٩٠٢ م]

شَجَتْنا مَطالِعُ أَقْمارِها فسالَتْ نُفُوسٌ لِتَذْكارِها[١]
وبِتْنا نَحِنُّ لِتِلْكَ القُصُور وأَهْلِ القُصُورِ وزُوّارِها
قُصُورٌ كأَنَّ بُرُوجَ السَّماء خُدُورُ الغَوانِي بأَدْوارِها[٢]
ذَكَرْنا حِماها وبَيْنَ الضُّلُوع قُلوبٌ تَلَظَّى على نارِها[٣]
فَمَرَّتْ بأَرْواحِنا هَزَّةٌ هِيَ الكَهْرَباءُ بتَيّارِها
وأرضٌ كَسَتْها كِرامُ الشُّهور حَرائِرَ مِنْ نَسْجِ (آذارِها)[٤]
إذا نَقَّطَتْها أَكُفُّ الغَمام أَرَتْكَ الدَّرارِى بأَزْهارِها[٥]
وإِنْ طالَعَتْها ذُكاءُ الصَّباح أَرَتْكَ اللُّجَيْنَ بأَنْهارِها[٦]

(١) شجتنا : أطربتنا وشوقتنا : وسالت نفوس : أى ذابت من اللوعة والشوق . والضمير فى قوله : « أقمارها » و « تذكارها » : للقصور فى البيت التالى .

(٢) يشبه خدور الغوانى ، أى حيث يستترن ببروج السماء فى الامتناع على من رامها . وأدوار القصور : طبقاتها ؛ وهو استعمال عامى .

(٣) تلظى : تتلظى ، أى تحترق .

(٤) وأرض (بالرفع) : عطف على قوله فى البيت الثالث : « قصور » وآذار : الشهر الثالث من السنة المسيحية ، وهو شهر تكثر فيه الأزهار .

(٥) الدرارى (بتشديد الياء ، وخففها الشاعر لضرورة الوزن) : الكواكب المتوقدة المتلألئة ، الواحد درى (بتشديد الياء بعد الراء المشددة) . يقول إن هذه الأرض إذا أمطرها السحاب أنبتت من الأزهار ما يشبه الكواكب فى إشراقها ولمعانها .

(٦) ذكاء : الشمس . واللجين : الفضة . يقول : إذا طلعت الشمس على هذه الأرض بدت أنهارها تحت الشعاع كأنها الفضة فى صفائها وبريقها .

وإنْ هَبَّ فيها نَسيمُ الأَصيل أتاكَ النَّسيمُ بأَخْبارِها[١]

وخلٌّ أقَام بأرْض الشَّآم فباتَتْ تُدلُّ على جارِها[٢]

وأَضْحَتْ تَتيهُ بِرَبِّ القَريض كَتيهِ البَوادِي بأشْعَارِها

ولِلنِّيلِ أوْلَى بذاكَ الدَّلال ومِصْرُ أحَقُّ (بِبَشّارِها)

فشَمِّرْ وعَجِّلْ إليها المَآب وخَلِّ الشآمَ لأقْدارِها[٣]

فكيفَ لعَمْرِي أطَقْتَ المُقام بأرضٍ تَضِيقُ بأحْرارِها ؟

وأنتَ المُشَمِّرُ إثْرَ المَظالِمِ تَسْعَى إلى مَحْوِ آثارِها

ثَأَرْتَ اللَّيالِي وأقْعَدْتَها بِمَصْقُولِ عَزْمِكَ عَنْ ثارِها[٤]

إذا ثُرْتَ ماجَتْ هِضابُ الشَّآم وباتَتْ تَرامَى بثُوّارِها[٥]

أَلَسْتَ فَتاها ومُخْتارَها وشِبلَ فَتاها ومُخْتارِها ؟[٦]

وإنْ قُلْتَ أصْغَتْ مُلوكُ الكَلام ومالَتْ إليكَ بأبْصارِها

---

(١) الأصيل : وقت ما بعد العصر إلى المغرب . يقول : إن النسيم ذاهب على هذه الأرض حمل من طيبها وروائحها العطرة ما يدل على ما فيها من الأزهار والرياحين .

(٢) يريد بالخل : داود بك المدوح . وتدل : من الدل وهو معروف . ويريد « بجارها » : وادى النيل .

(٣) المآب : الرجوع .

(٤) المصقول من السيوف : المجلو . ومعنى البيت أنه جعل لليالى عنده ثأرا بانتصاره على أحداثها ونوائبها ، ثم أعجزها عن طلب ثأرها بمضاء عزمه .

(٥) ترامى : تترامى .

(٦) الشبل : ولد الأسد .

أَ(داودُ) حَسْبُكَ أنّ المَعالِـ ـى تَحْسَبُ دارَكَ فى دارِها
وأنَّ ضَمائرَ هذا الوُجود تَبُوحُ إليكَ بأَسْرارِها
وأنّكَ إمّا حَلَلْتَ الشَّآم رأَيْنَاكَ جُذْوَةَ أفْكارِها[١]
وإنْ كنتَ فى مِصْرَ نِعْمَ النَّصير إذا ما أَهابَتْ بأَنْصارِها[٢]

أبيات داود (بك) التى أجاب بها حافظا

أَمِنْ ذِكْرِ سَلْمَى وتَذْكارِها نَثَرْتَ الدُّمُوعَ على دَارِها ؟[٣]
وعِفْتَ القُصورَ لأَجْلِ الطُّلُول تُطالِعُ طامسَ آثارِها[٤]
وَقَفْتُ بها لَيْلَتِى ناشِدًا عَساها تَبُوحُ بأَسْرارِها[٥]
ولِلدّارِ أَنْطَقُ آياتُها من الرّاوياتِ وأَخْبارِها[٦]
تُعيدُ عليكَ لَيالى الحِمَى بأَنْجُمِها وبأَقْمارِها
سَلامٌ عَلَيْكَ زَمانَ الشَّباب رَبيعِ الحَياةِ بآذارِها[٧]
لأَنْتَ مُخَفِّفُ أَحْزانِها وأَنْتَ مُسَوِّغُ أَكْدارِها[٨]

---

(١) الجذوة (بتثليث الجيم) : الجمرة الملتهبة . (٢) أهاب به : دعاه .

(٣) يلاحظ أن التذكار هو نفس الذكر ؛ فالجمع بينهما تكرار ظاهر .

(٤) عاف الشيء : رغب عنه وزهد فيه . وتطالع : تنظر . والطامس من آثار الديار وغيرها : ما اندثر منها وامحى .

(٥) الناشد : السائل .

(٦) أنطق آياتها : أى آثارها أنطق ؛ وفى هذه العبارة نبوّ واضطراب ظاهران ؛ ومعنى البيت أن آثار الديار أوضح بيانا عن أنباء من سكنوها ممن يحدّث عنها ويروى أخبارها .

(٧) شبه زمن الشباب بالربيع ، وهو أنضر فصول السنة .

(٨) مسوغ أكدارها : أى مسهل وقع مصائبها وأحزانها .

وَلَوْلا الشَّبابُ وذِكْرَى الشَّباب لَعاشَ الفَتَى عُمْرَه كَارِها
قَطَفْنا الحَياةَ به حُلْوَةً وقد جاء إِبّانُ إِمْرارِها[1]
أُطَوِّفُ فى الشَّرْقِ عَلِّى أَرَى بِلادًا تَطِيبُ لِأَحْرارِها
فلَمْ أَرَ إِلّا أُمورًا تَسُوء وتَصْدَعُ أَكْبادَ نُظّارِها
فظُلْمٌ بتِلكَ وذُلٌّ بهٰذِى وجَهْلٌ مُغَشٍّ لأَبْصارِها[2]
تَعُقُّ مَراحِمَ رُعْيانِها وتَرْعَى الوَلاءَ لجَزّارِها[3]
إذا شاءَ (قاسِمُ) رَفْعَ الحِجاب تُسَمِّيه هاتِكَ أَسْتارِها[4]
فلا قَوْلَ إِلّا لجُهّالِها ولا رَأْىَ إِلّا لأَغْرارِها[5]
يَدِبُّ التَّراخِى على تُرْبِها ويَجْرِى الخُمولُ بأَنْهارِها
مَنالُ التَّرَقِّى بإِرْغامِها ومَرْجَى الفَلاحِ بإِجْبارِها[6]
أَهٰذا الّذى أَوْرَثَتْ أَهْلَها بِلادُ العُلومِ وأَنوارِها ؟

* * *

عَدِمْتُ حَياتِى إذا لَمْ أَقِفْ حَياتِى على نَفْعِ أَمْصارِها
أَ(حافِظُ) هٰذا مَجالُ العُلا فشَمِّرْ لسَبْقٍ بمِضْمارِها

---

(١) إبان الشىء : وقته .
(٢) مغش لأبصارها : أى يحجبها بغشاوة .
(٣) الولاء الحب . يريد أن الأمم الشرقية تجحد الجميل لأنصارها وأوليائها ، وتسدى المودّة لخصومها وأعدائها .
(٤) يريد المرحوم قاسم بك أمين . وقد منعه من الصرف هنا لضرورة الوزن . ويشير بهذا البيت إلى رأى قاسم أمين فى حرية المرأة وما لقيه فى سبيل ذلك من النقد الشديد .
(٥) الأغرار : الذين لا تجربة لهم ، واحده غر (بكسر الغين وتشديد الراء) .
(٦) يريد أن الرق والفلاح إنما ينالها فى هذه الأمم الشرقية من أطاع المستعمرين فى إرغامها على ما تكره وإكراهها على ما لا تحب .

أَ(شوقى)أَ(حافظُ)طالَ السُّكوت وتَرْكُ الأُمُـــورِ لأَقْدارِها
فصُـــوغَا القَوافيَ مَصْقُولَةً وشُـــقَّا الجُـلُودَ بَبتّارِها[1]
عَسـاها تُحَـرِّكُ أَوطانَنـا وتَنْشُــرُ مَيّتَ أَحْيائِهـــا[2]
أقولُ وأَعْـلَمُ أَنّى سـأُرْمَى بأَنّى مُحَـــرِّكُ ثُـوّارِهـا
وأَنّى الدَّخيـلُ وأَنّى الغَريب وأَنّى النَّصــيرُ لقهّـارِها[3]
أُحبُّ بِلادِى على رَغْمِهـا وإنْ لَمْ يَنَلْني سِوَى عارِها
ولَسْتُ بأَوّل ذِى هِمَّــةٍ تَصَـدَّى الزّمانُ لإِنْكارِها[4]

إلى إسماعيل صبرى باشا[5]

عند ٱستقالته من وكالة الحقانية (وزارة العدل)

[نشرت فى ٩ فبراير سنة ١٩٠٧ م]

يا صارِماً أَنِفَ الثَّـواءَ بِغِمْـده وأَبَى القَرار ، أَلاَ تَزالُ صَقيلاَ[6]
فالبِيضُ تَصْدَأُ فى الجُفُونِ إذا ثَوَتْ والمـاءُ يَأْسَنُ إنْ أَقامَ طَوِيلاَ[7]

(١) المصقولة : الصافية المجلوة . والبتار من السيوف والباتر : القاطع منها .

(٢) نشر الميت وأنشره : أحياه . ويلاحظ أن هنا غلطا فى حرف الروى ، إذ عدل الشاعر فى هذا البيت عن الراء إلى الهمز ، ولو قال أخبارها لاستقام البيت .

(٣) الدخيل فى القوم : الداخل فيهم المنتسب إليهم وليس منهم .   (٤) تصدّى : تعرض .

(٥) ولد المرحوم إسماعيل صبرى باشا فى سنة ١٨٥٤ م وبعد أن أخذ حظه من التعلم فى مصر ونال شهادة الحقوق سافر إلى أوربة فأتم علومه القانونية هناك؛ ونال الشهادة من كلية إكس ، وبعد عودته إلى مصر تولى عدة مناصب قضائية وإدارية ، وآخر منصب تولاه وكالة الحقانية ، واعتزله فى سنة ١٩٠٧ م وكانت وفاته فى مارس سنة ١٩٢٣ م وشعره معروف بالرقة ولطف الصياغة وجودة النسيب ، كما اشتهر بالإجادة فى المقطعات الصغيرة . وله ديوان قيم جمعه صاحب العزة صهره حسن رفعت بك ، وصححه العالم الاديب الشيخ أحمد الزين ، ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٨ م .

(٦) الصارم : السيف القاطع . والثواء : الإقامة . والصقيل : المجلو ؛ يقال : صقله يصقله (بضم القاف) صقلا وصقالا ، إذا جلاه وكشف صدأه . شبه صبرى باشا بالسيف القاطع المجلو ، ومنصبه الحكومى بالغمد الذى يستقر فيه السيف .

(٧) البيض : وصف يكنى به عن السيف . وجفون السيوف : أغمادها ، الواحد جفن . وثوت : أقامت . وأسن الماء (من باب ضرب ونصر وعلم) فهو آسن : تغير فلم يشرب .

أَهْلًا بمَوْلاىَ الرَّئِيسِ وليس مِنْ ... شَرَفِ الرِّآسةِ أَنْ أراكَ وَكيلا[١]

فاطرَحْ مَعاذِيرَ السُّكوتِ وقُلْ لنا ... هَلاَّ وَجَدْتَ إلى الكلامِ سَبِيلا ؟

وَاضْرِبْ على الوَتَرِ الذى اهتزَّتْ له ... أَعطافُنا زَمَنًا ، وغَنِّ النِّيلا[٢]

وارْدُدْ على مُلْكِ القَرِيضِ جَمالَه ... تَصْنَعْ بصاحِبِكَ القَدِيمِ جَمِيلا[٣]

ما زال يَرْجُو أنْ يُقالَ عِثارُه ... حتّى أَقالَ اللهُ (إسماعيلا)[٤]

ذكرى وتشوّق

كتب بها إلى صديقه أحمد بك بدر وهو فى كلية ادنبره بإنجلترا

[نشرت فى ١٥ يوليه سنة ١٩٠٨ م]

مُلِكَتْ علَىَّ مَذاهِبِى ... وعَصانِىَ الطبعُ السَّلِيمُ[٥]

وجَفَا يَراعِى الصّاحِبا ... نِ فلا النَّثِيرُ ولا النَّظِيمُ

أَشْقَى وأَكْتُمُ شَقْوَتِى ... واللهُ بِى وبِها عَلِيمُ

حَلِمَ الأدِيمُ وما الذى ... أرجو وقد حَلِمَ الأَدِيمُ[٦]

---

(١) وكيلا : يريد وكالة ممدوحه لوزارة الحقانية ، وهى آخر المناصب التى تولاها .

(٢) الأعطاف : الجوانب ، الواحد عطف .

(٣) يريد « بصاحبه القديم » : الشعر .

(٤) يقال : أقلت فلانا عثرته وأقلته منها ، أى عفوت عنه ودفعت عنه شر ما كان يتوقع بسببها . ويريد بالإقالة الثانية : تخلى ممدوحه عن منصبه . وأصل الإقالة فى البيع فسخه والتحلل مما يوجبه عقده .

(٥) ملكت عليه مذاهبه : أى سدت عليه سبل القول .

(٦) حلم الأديم : مثل يضرب فى فساد الأمر حتى لا يرجى صلاحه . والأديم : الجلد ؛ يقال : حلم الأديم يحلم (وزان علم يعلم) ، إذا وقع فيه الحلم (بالتحريك) ، وهو دود يقع فيه حتى يفسد و ينقب .

لا مِصْرُ تُنْصِفُنِي ، ولا أنا عَنْ مَوَدَّتِها أَرِيمُ[1]

وإذا تَحَوَّلَ بائسٌ عن رَبْعِها فأنا المُقِيمُ

فيها صَحِبْتُكَ واصْطَفَيْـ ـتُكَ أيُّها الخِلُّ الحَمِيمُ

أنا مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ خَبَرْ تَ ومَنْ مَوَدَّتُه تَدُومُ

للّٰه ذَيّاكَ الجِوا رُ وذلكَ العَيْشُ الرَّخِيمُ[2]

بالجانِبِ الغَرْبِيِّ فَوْ قَ النِّيلِ والدُّنيا نَعِيمُ

أيّامَ يَعْرِفُنا السُّرو رُ بها وتُنْكِرُنا الهُمُومُ

أيّامَ نَلْهُو بالظِّبَا ءِ وفي مَسارِحِها نَهِيمُ[3]

لا أنتَ تُصْغِي للعَذُو لِ ولا أُبالِي مَنْ يَلُومُ

للّٰه أَنْدِيَةٌ لَنا قد زانَها الخُلُقُ الكَرِيمُ

لَمْ يَغْشَها وَغْدٌ ولَمْ يَنْزِلْ بِساحَتِها لَئِيمُ

تَمْشِي الخَلاعَةُ في نَوا حِيها تُراقِبُها الحُلُومُ[4]

لَهْوٌ كما شاءَ الصِّبا وحِجاً كما شاءَ الحَكِيمُ[5]

ومُدامَةٌ يَسْعَى بها مُتَأَدِّبٌ ويَطُوفُ رِيمُ[6]

يَجْرِي على كاساتِها أُنْسٌ يَخِفُّ له الحَلِيمُ

---

(١) أريم : أتحول .

(٢) العيش الرخيم ، اللين الرغد .

(٣) المسارح : المراعى ، الواحد مسرح .

(٤) الحلوم : العقول ، الواحد حلم . ويريد بقوله : «تراقبها الحلوم» : أن هذه الخلاعة لم يتجاوز فيها الحد .

(٥) الحجا : العقل .

(٦) الريم : الظبي الخالص البياض ، شبه به الساقى .

لا تَشْتَكِى مِنـّـا ، ولا يَشْكُو عَواقِبَهـا النَّدِيمُ

والنِّيـلُ مِرْآةٌ تَنَـفَّـسَ فى صَحِيفَتِها النَّسِيمُ

سَلَبَ السماءَ نُجُومَهـا فَهَـوَتْ بِلُجَّتِـه تَعُومُ[1]

نُشِرَتْ عليـه غِلالةٌ بَيْضاءُ حاكَتْها الغُيُومُ[2]

شَفَّتْ لأَعْيُنِنا سِوَى ماشابَهُ منهـا الأَدِيمُ[3]

وكأَنَّنـا فـوقَ السَّما ءِ وتحتَنا ذاكَ السَّدِيمُ[4]

تَجْرِى الحَوادِثُ حَيْثُ تَجْـ رِى لانُضامُ ولا نَضِيمُ

لا الصُّبْحُ يُزْعِجُنـا بأَنْـ باءِ الزَّمان ولا الصَّرِيمُ[5]

يالَيْتَ شِعْرِى ! كيف أَنْـ تَ وكيفَ حالُكَ يازَعِيمُ ؟

أَمّا أَنا فكَمَا أَنا أَبْلَى كما يَبْـلَى الرَّدِيمُ[6]

لا خِلَّ بَعْـدَكَ مُؤْنِسٌ نَفْسِى ولا قَلْبٌ رَحِيمُ

كادَ الزَّمانُ لَنَا ، وَلا عَجَبٌ إذا كادَ الغَـرِيمُ[7]

أَمْسَى آحتَوَاكَ الزَّمْهَرِيـ رُ وظَلَّ يَصْهَرُنِى الجَحِيمُ[8]

---

(١) يريد بهذا البيت أن نجوم السماء قد تمثلت على صفحته لصفاء مائه .

(٢) الغلالة (بالكسر) : ثوب رقيق . وحاكتها : نسجتها .

(٣) شفت : رقت . وشابه : خالطه ومازجه . « ويريد بالأديم » أديم السماء ، أى ظاهرها يقول : إن هذه الغلالة تمثلت على صفحة الماء كالثوب الممزق . وكانت الغيوم قطعا فى السماء ، فما صادف من وجه الماء انعكاس غيم كان شفافا يبين ما تحته ، وما صادف منه أديم السماء بدا غير شفاف .

(٤) السديم : الضباب الرقيق ، شبه به البحر الذى يجرى من تحتهم .

(٥) الصريم : الليل . (٦) الرديم : الثوب القديم .

(٧) الغريم : الخصم . (٨) الزمهرير : شدّة البرد . ويريد بالزمهرير : شدّة البرد فى اسكتلندا .

فشرابك الماء الشنا … ن ، وشربى الماء الحميم [١]

ومناك لو طلعت ذكا … ء عليك فى يوم يصوم [٢]

ومناى لو محقت ذكا … ء وغالها ليل بهيم [٣]

فبليتى الحر الألي … م وخطبك القر الأليم [٤]

فكأننى فرعون مص … ر وأنت شيطان رجيم [٥]

فابعث إلى بنفحة … بردا بها يحدو الهزيم [٦]

أبعث إليك بلفحة … حرى بها تجرى السموم [٧]

أما تحيتنا إلي … ك فسوف يشرحها الرقيم

شكر

أنشد هذه القصيدة فى فندق الكونتننتال فى الحفل الذى أقيم لتكريمه فى يوم الجمعة ٣١ مايو ١٩١٢ م

ملكتم على عنان الخطب … وجزتم بقدرى سماء الرتب

فمن أنا بين ملوك الكلام ؟ … ومن أنا بين كرام الحسب ؟

---

(١) الماء الشنان) بالضم) : البارد . والماء الحميم : الحار .

(٢) ذكاء (بالضم) : اسم الشمس ، غير منصرف للعلمية والتأنيث . ويقال : صام النهار : إذا قام قائم الظهيرة واعتدل ، ويقال : صامت الشمس (أيضا) إذا استوت .

(٣) ليل بهيم : مظلم . (٤) القر (بالضم) : البرد .

(٥) شبه الشاعر نفسه بفرعون مصر ، لأنه يعذب بالنار ، وصديقه بالشيطان الرجيم ، لأن الشيطان نارى الطبع يعذب بالزمهرير .

(٦) البرد : حب الغمام ، وهو مفعول « يحدو » . يقول : أهد إلى نفحة من جو بلاد كم بردا يسبقه رعد . ويحدو ، من الحداء . والهزيم : الرعد . (٧) السموم : الريح الحارة . ولفحتها ، إحراقها .

أَتَسْعَى إلىَّ حُمَاةُ القَرِيضِ ؟ وتَمْشِى إلىَّ سَرَاةُ العَرَبْ ؟[١]

وتَنْظِمُ فِىَّ عُقُودَ الجُمَان وتَنْثُرُ فوقى نِثَارَ الذَّهَبْ ؟[٢]

وأُكرَم حتّى كأنّى نَبَغْت وقُمْتُ لمصرَ بما قدْ وَجَبْ ؟

فماذا أَتَيْتُ من الباقيات ؟ ! وهذا شبابى ضَياعاً ذَهَبْ !

عَمِلْتُ لقَوْمِى جُهْدَ المُقِلّ على أنّه عَمَلٌ مُقْتَضَبْ[٣]

فلَمْ يغْنِ شيْئاً ولمْ يُجْدِهِمْ ولَمْ يَبْقَ إلاّ بقَاءَ الحَبَبْ[٤]

وهل أنا إلّا امْرُؤٌ شاعرٌ كثيرُ الأَمانِى قليلُ النَّشَبْ ؟[٥]

يَقُولُ ويُطْرِبُ أَتْرابَه ويَقْنَعُ منهمْ بذاكَ الطَّرَبْ[٦]

تَعَلَّقْتُ حِيناً بذَيْلِ البيان وأَدْخَلْتُ نَفْسِى فِيمَنْ كَتَبْ

فلا السَّبْقُ لى فى مَجالِ النُّهَى ولا لِىَ يَوْمَ الفَخارِ الغَلَبْ

ولا أنا منْ عِلْيَةِ الكاتِبِين ولا أنا بالشّاعِرِ المُنْتَخَبْ

ولٰكنْ سَمَا بِىَ عَطْفُ الأَمِير ورَأْىُ الوَزِير وفَضْلُ الأَدَبْ[٧]

---

(١) حماة القريض : رجال الشعر . والسراة : جمع سرى ، وهو الرفيع القدر من الناس .

(٢) الجمان : اللؤلؤ ، الواحدة جمانة . شبه به وبنثار الذهب ما قيل من الشعر والخطب فى مدحه والثناء على أدبه .

(٣) المقتضب : المتقطع قبل التمام .

(٤) الحبب : الفقاقيع التى تكون على سطح الماء ، ويشبه به زوال الشىء بسرعة .

(٥) النشب : المال .

(٦) أترابه : أمثاله فى السن ، الواحد ترب (بكسر التاء وسكون الراء) .

(٧) يريد « بالوزير » : أحمد حشمت باشا وزير المعارف إذ ذاك . ولد فى كفر المصيلحة من إقليم المنوفية فى (سنة ١٢٧٥ هـ) (سنة ١٨٥٨ م) وبعد أن أتم علومه ونال شهادة الحقوق تولى عدة مناصب قضائية وإدارية فى الحكومة المصرية ، وآخر المناصب التى تولاها نظارته للمعارف العمومية ، وتوفى فى سنة ١٩٢٦ م وكان له من الأيادى البيضاء على حافظ ما جعله يلهج بشكره فى هذه القصيدة .

وما كنتُ أحْلُمُ – لولا الوزيرِ – بِهذا الهَناءِ وهذا اللَّقَبْ[١]

علَى أيادٍ له جَمَّةٌ وَفَضْلٌ قَديمٌ شَريفُ السَّبَبْ[٢]

فآناً أُقَالَ به عَثْرَتِي وأُورَى زِنادِى ، وآناً وَهَبْ[٣]

تَفَيّأْتُ مِنْهُ ظِلالَ النَّعِيم وأصبَحْتُ أعْرِفُ لُبْسَ القَصَبْ[٤]

وأمْشِي آختيالًا إلى عابِدِين يُطالِعُنِى بَدْرُها عَنْ كَثَبْ[٥]

وأَلْثِمُ كَفَّ كَرِيمِ الجُدُود غِياثِ العُفاةِ مُزِيلِ الكُرَبْ[٦]

وأَحْتَثُّ بَيْنَ وُفُودِ السَّراة مَطايَا الرَّجاءِ لذاكَ الرَّحَبْ[٧]

أَتَوا خالِصِين لِوَجْهِ الأَمِير فلا عَنْ رِياءٍ ولا عَنْ رَهَبْ[٨]

لَهُمْ ما يَشَاءُونَ مِنْ رَبِّهِمْ رِضاءُ الأَمِيرِ ونَيْلُ الأَرَبْ

ولِلكاشِحِينَ نَكالُ الزَّمان ونَحْسُ النُّجُومِ ذَواتِ الذَّنَبْ[٩]

فَعَهْدُ الأَمِيرِ كَعَهْدِ الرَّشِيد يَمُتُّ إليهِ بِحَبْلِ النَّسَبْ

---

(١) يريد لقب (البكوية) الذى أنعم عليه به فى السنة المشار إليها فى أوّل هذه القصيدة .

(٢) الأيادى : النعم .

(٣) الضمير فى « به » للفضل . يقال : أورى فلان زندى ، إذا أجابنى إلى ما أطلب . والأصل فى إيراء الزند ، أن تستخرج ناره .

(٤) تفيأ الظل : التجأ إليه واستظل به .

(٥) « يريد بالبدر » : الخديو عباس الثانى . والكثب (بالتحريك) : القرب .

(٦) العفاة : طلاب المعروف ، الواحد عاف (كقاض) .

(٧) أحتث مطايا الرجاء : أى أبعثها فى سرعة . والسراة من الناس : الرفيعو المنزلة ، الواحد سرى (بفتح السين وكسر الراء) .

(٨) الرهب : الخوف .

(٩) الكاشحون : الأعداء الذين يبطنون العداوة ، الواحد كاشح ، وذلك لأنه يتباعد منك و يوليك كشحه .

إليـــكَ (أبا حَسَنٍ) أنْتَمى ... فما زَلَّ مَوْلًى إليــكَ انْتَسَبْ[1]

عَرَفْتَ مَكَانِى فأَدْنَيْتَـــنِى ... وشَرَّفْتَ قَدْرى (بدار الكُتُبْ)[2]

وعَرَّفْتَ دَهْرِى مَكان الأَديب ... وقد كانَ دَهْرِى شَديدَ الكَلَبْ

فلو أنّ لى مُرْقصاتِ (الخليل) ... وإعْجازَ (شَـوْقى) إذا ما رَغبْ[3]

لَقُمْتُ بشُـــكْرِكَ حَقَّ القِيام ... ولٰكِنْ طَلَبْتُ فَعَـزَّ الطَّلَبْ

فشُكْرِى لصُنْعكَ شُـكْرُ النَّبات ... ببَطْنِ الفَــلاةِ لقَطْـرِ السُّحُبْ

وشُكْراً (لشَوْقى) رَسُولِ القَريض الـ ... ـكَريمِ الإخاءِ المَتينِ السَّبَبْ

وشُكْراً (لداوُدَ) ربِّ الـيراع ... وشُكرا (لسَرْكيسَ) ربِّ العجَبْ[4]

وشُـكْرا لـكلِّ كَريمٍ سَـعَى ... إلىَّ وكلِّ أديبٍ خَطَبْ

هُمُ شَجَّعونى على أنْ أقُول ... وما كان لى بَيْنَهُـمْ مُضْطَربْ[5]

هُـمُ أَلْهَمُونى فَصيحَ الكلام ... هُـمُ عَلَّمُـــونى طَريقَ النُّخَبْ[6]

فعَنْهُمْ أَخَذْتُ وعنهمْ صَـدَرْت ... ومِنْ عِنْدِهمْ فَضْـلِيَ المُكْتَسَبْ

---

(١) انتمى : انتسب . ويريد « بأبى حسن » : المرحوم أحمد حشمت باشا . وهو خير من عمل لإنهاض الأدب العربى فى العصر الحاضر .

(٢) يشير إلى أن حشمت باشا هو الذى عين حافظا فى منصبه المعروف بدار الكتب .

(٣) يريد « بالخليل » : خليل بك مطران الشاعر المعروف ؛ ومرقصاته : قصائده .

(٤) داود : هو داود بركات بك الكاتب اللبنانى المعروف ، وكان رئيسا لتحرير جريدة الأهرام . ولد بقرية يحشوش من أعمال لبنان سنة ١٨٧٠ م ، وتوفى فى ٤ نوفبر سنة ١٩٣٣ م . وسركيس : هو سليم سركيس الكاتب ، اللبنانى المعروف محرر جريدة المشير ومجلة سركيس ، ولد فى بيروت عاصمة لبنان سنة ١٨٦٩ م وكانت وفاته فى سنة ١٩٢٥ م .

(٥) المضطرب : المذهب .

(٦) طريق النخب : أى طريق المنتخب من الكلام المختار منه ، وهو جمع نخبة (بضم النون وسكون الخاء أو بضمها)

فَحَيُّوا عَزِيزَ البِلادِ الّذى ... على الشُّهْبِ ذَيْلَ المَعالِى سَحَبْ
وحَيُّوا (سَعِيداً) وَزِيرَ الأَمِير ... قَرِيبَ الصَّوابِ بَعِيدَ الغَضَبْ[1]
تَوَلَّى الرِّآسَةَ والحادِثات ... تَرُوعُ النُّفُوسَ بِوَقْعِ النُّوَبْ
فسَاسَ البِلادَ وأَرْضَى العِباد ... وأَرْضَى الأَمِيرَ وأَرْضَى الأَدَبْ

إلى حفنى[2] ناصف بك

قالها فى حفل أقامه أعضاء نادى طنطا لتكريم حفنى بك لانتقاله من القضاء إلى التفتيش (بنظارة) بوزارة المعارف

[نشرت فى ٥ أكتوبر سنة ١٩١٢ م]

يا يومَ تكريمِ (حِفْنِي) ... أَرْهَفْتَ للقَوْلِ ذِهْنِي[3]
فيا قَرِيضُ أَجِبْنِي ... ويا بَيانُ أَعِنِّي
عَلَّى أَفِى بعْضَ دَيْنِي ... إِنْ كان ذلكَ يُغْنِي
يا مَنْ ضَرَبْتَ بسَهْمٍ ... فى كُلِّ عِلْمٍ وفَنِّ
بَنَيْتَ للشِّعْرِ فِينا ... والنَّثْرِ أَعْظَمَ رُكْنِ

(١) يريد المرحوم محمد سعيد باشا وكان رئيسا للوزارة إذ ذاك .

(٢) محمد حفنى بك ناصف هو ابن الشيخ إسماعيل ناصف ؛ ولد عام ١٢٧٢ هـ فى ضاحية من ضواحى القاهرة تدعى بركة الحاج ، ثم دخل كتّاب القرية فالأزهر فدار العلوم ، ثم كان أستاذ اللغة العربية فى مدارس الحكومة ، واختير للتدريس فى مدرسة الحقوق ، فرأى أن يشارك طلبتها فى درسهم ، فتعلم القانون وترك التدريس وانتخب كاتب سر للنائب العمومى ، ثم عين قاضيا بالمحاكم الأهلية سنة ١٨٩٢ م فوكيلا لإحدى المحاكم ، وانتخب لتدريس الأدب العربى فى الجامعة المصرية وهى أهلية ، ثم انتخب مفتشا أوّل للغة العربية بوزارة المعارف ؛ بعد المغفور له الشيخ حمزة فتح الله . وتوفى حفنى سنة ١٣٣٧ هـ (سنة ١٩١٩ م) وكان رحمه الله فكه الحديث ، مليح النادرة ، مشاركا فى كل علم وفن من علوم اللغة وفنونها .

(٣) الإرهاف : الشحذ والتحديد .

وما خُلِقْتَ لَعَمْرِى ... فى الشَّرْقِ إلَّا لتَبْنِى
فكلُّ ربِّ يَراعٍ ... فى مِصْرَ خِرِّيجُ (حفْنِى)
إنْ قال شعْرًا فراحٌ ... تُدارُ فى يَوْمِ دَجْنِ[1]
أو قال نَثْرًا فروحٌ ... يَجْتازُنا غبَّ مُزْنِ[2]
فإنْ بَدَأْتَ بقَوْلٍ ... منه فبالكأسِ ثَنِّ
وطِرْ إلى اللَّهْوِ وارْغَبْ ... عن حِكْمَةِ المُتَأنِّى
فالعَيْشُ فى بِنْتِ فكْرٍ ... تُجْلَى وفى بِنْتِ دَنِّ[3]
وإنْ طَلَبْتَ مزيدًا ... ففى مُناجاةِ خِدْنِ
لولا الحَيَاءُ ولَوْلا ... دِينِى وعَقْلِى وسِنِّى
لَقُمْتُ فى يَوْمِ (حفْنِى) ... أدْعُو لسَكْرَة (يَنِّى)[4]
ولَا أقُولُ (لحفْنِى) ... ما قيلَ قِدْمًا (لمَعْن)[5]
لا تَنْسَ عَيْشًا تَوَلَّى ... ما بَيْنَ شَرْحٍ ومَتْنِ[6]

---

(١) الراح : الخمر . والدجن : ظل الغيم فى اليوم المطير . وقديما مدح الشعراء الشرب واللهو فيه .

(٢) الروح : الريح . والمزن المطر ، وأنقى ما يكون النسيم غب مطر .

(٣) بنت الفكر : نتاج القرائح والأفكار . و بنت الدن : وعاء كبير لها .

(٤) سكرة ينى : مثل بلدى مصرى يضرب فى كثرة الشرب والإفراط فى السكر .

(٥) يشير بهذا البيت إلى ما ورد من أن شاعرا أراد أن يجرب حلم معن بن زائدة الشيبانى ويستثير حفيظته ، فهجاه بقصيدة منها :

أتذكر إذ لحافك جلد شاة ... وإذ نعلاك من جلد البعير ؟

(٦) يريد بهذا البيت وما بعده من الأبيات تذكير حفنى بعهده فى الأزهر وما لاقاه من شظف العيش فيه أيام كان طالبا به مع زميله المرحوم سلطان محمد بك .

وَلَّى شَبَابُكَ فيه ما بَيْنَ مدٍّ وغَنٍّ

وذُقْتَ منْ (جاءَ زَيْدٌ) ومنْ شُرُوحِ (الشُّمُنِّي)[١]

ومِنْ حَوَاشِى الحَوَاشِى على مُتُونِ (ابنِ جِنِّي)[٢]

ـ ما لَمْ تُذِقْكَ اللَّيالى قَلَبْنَ ظَهْرَ المِجَنِّ[٣]

أيَّامَ (سُلْطانُ) يَلْهُو (بمشِّه) ويُغَنِّي[٤]

يَبيتُ يَقْصَعُ ما لَمْ أُسَمِّه أو أُكَنِّي

يَشْكُو إليكَ وتَشْكُو إليه عيشَةَ غَبْنِ

أيَّامَ يَدْعُوكَ (حفْنِى): منَ الحَيَاةِ أَجِرْنِى

هاتِ المُسَدَّسَ إنِّى سَئِمْتُ (مشِّي) و(جُبْنِي)

مَنْ لى بدِرْهَمِ لَحْمٍ عَلَيْهِ حَبَّةُ سَمْنِ[٥]

قَرِمْتُ واللهِ حتَّى صاحَتْ عَصافيرُ بَطْنِي[٦]

---

(١) الشمنى: هو أبو العباس تقى الدين أحمد بن محمد بن محمد بن حسن التميمى الدارى الحنفى من علماء القرن التاسع ولد بالإسكندرية سنة ٨٠١ ﻫ وتوفى فى شهر ذى الحجة سنة ٨٧٢ ﻫ .

(٢) ابن جنى: هو أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى ، إمام من أئمة النحو معروف ، ولد قبل سنة ٣٣٠ ﻫ وتوفى فى صفر سنة ٣٩٢ ﻫ .

(٣) "ما": مفعول به لقوله قبل: "وذقت". والمجن: الترس. وقلبن له ظهر المجن، أى تغيرن عليه وتنكرن له، وهو مثل يضرب لمن كان مع صاحبه على مودة ثم تحوّل عنها .

(٤) يريد بسلطان: المرحوم سلطان محمد بك زميل حفنى بك، وكان (مجاورا) معه فى الأزهر، وتخرج فى دار العلوم، ثم كان أستاذا بها وبالجامعة المصرية القديمة أيضا .

(٥) الحبة: جزء من ثمانية وأربعين جزءا من درهم .

(٦) قرم إلى اللحم قرما (بالتحريك): اشتدت شهوته إليه . وصياح عصافير البطن: كناية عن شدة الجوع .

أيّامَ عيــــدُكَ يَــومٌ تَفُـــوزُ فيه بدُهْنِ
أيّامَ (مَهْيَــا) أَشْــهَى إِلَيْكَ منْ (سَنْ جُونّي)[١]

* * *

أَقُــولُ هٰــذا وإنِّى لَمُحْسِنٌ فيكَ ظَنّى
فإنْ غَدَوْتَ وزِيرًا يومًا وجِئْنا نُهَنّى
فلا تَكُنْ ذا حِجابٍ ولا تُطِــلْ فى التَّجَنّى
ولا تَقُلْ من غُرُورٍ يأيُّهـا النــاسُ إنّى[٢]

* * *

أَخْشَى عليــكَ المَنـايا حتّى كأنّكَ مِنّى[٣]
إذا شَكَوْتَ صُــداعا أَطَلْتُ تَسْهِيــدَ جَفْنِى
وإنْ عَراكَ هُزالٌ هَيّأْتُ لَحْـدِى وقُطْنى
وإنْ دَعَــوْتُ لِحَىٍّ يــومًا فإيّاكَ أَعْــنى
عُمْرِى بعُمْرِكَ رَهْنٌ فعِشْ أَعِشْ أَلْفَ قَرْنِ
نَبْــقَى وإبْلِيس فيهــا نُبْــلِى اللّيــالِى ونُفْنى
أَسْرَفْتُ فى المَزْحِ فاصفَحْ ياسَــيِّدى واعفُ عَنّى

(١) مهيأ : اسم لبائع أطعمته أكثرها من الفول بجوار الأزهر . (وسان جونى) : اسم لبائع حلواء فى مدينة حلوان . أنشأ قصرا فى روضة ، على الشاطىء الشرقى للنيل ، عند حلوان ، لا يزال يعرف باسمه إلى اليوم مع تغيير الملكية

(٢) إنى : أى إنى كذا وكذا مما يحدث به عن نفسه فى معرض الفخر .

(٣) يشير بهذا البيت والأبيات الخمسة الآتية بعده إلى حادثة معروفة بين حفنى وحافظ ، وذلك أنه لما توفى المرحوم الشيخ محمد عبده وقف على قبره يوم تأبينه ستة من الخطباء ، وهم : الشيخ أبو خطوة ، وحسن عاصم باشا ، وحسن عبد الرازق باشا ، وقاسم أمين بك ، وحفنى ناصف بك ، وحافظ ابراهيم بك ، وقد مات الأربعة الأولون واحدا بعد واحد على حسب ترتيبهم فى يوم التأبين وجاءت النوبة على حفنى بك ، وكان قد بعث إلى حافظ بأبيات يذكره فيها بالموت ويدعوه إلى الاستعداد له إذا نزلت به المنية .

فالذنبُ ذَنْبُ (شُدُودى) فالْعَنْ (شُدُودِى) ودَعْنى [١]

قدسَنَّ فينَا مُزاحًا على الحقيقَة يَجْنِي

ذُقْتُ الأَمَرَّيْنِ منه فسَلْ (سَليمًا) وسَلْنِي [٢]

واسمَعْ مَديحَ مُحِبٍّ يُطْرِى بحَقٍّ ويُثْنِي

لقد جَمَعْتَ خِلالاً تَضَمَّنَتْ كلَّ حُسْنِ

مُفَتِّشًا وفَقِيهًا وقاضيًا وابنَ فَنِّ [٣]

إنَّ (المَعارِفَ) فازَتْ بِمُنْيَةِ المُتَمَنِّى

(بِحِشْمَتٍ) و (عَلِيٍّ أَبِي الفُتوحِ) و (حفنى) [٤]

اعتذار إلى أحمد شوقى بك

كتب به إليه حينما أقيم حفل زواج كريمته السيدة أمينة هانم بحامد العلايلى بك
فى كرمة (ابن هانىء) ولم يحضره حافظ لمرض ألم به

[نشرت فى ١٥ يناير سنة ١٩١٣ م]

يا سَيِّدى وإِمامى ويا أَديبَ الزَّمانِ

قد عاقَنِي سُوءُ حَظِّى عَنْ حَفْلَةِ المِهْرَجانِ

---

(١) هو (الدكتور) ابراهيم شدودى الزحلى الشاعر الأديب المعروف وكان قد نظم مقطوعة فى تكريم حافظ نحا فيها هذا النحو من المزح ، وذكر حافظا عهده السابق فى الجيش .

(٢) يريد سليم سركيس (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ١٦٧ من هذا الجزء) .

(٣) ابن فن : كلمة شائعة الاستعمال بمصر يوصف بها الظرفاء وأصحاب النكت الطريفة والفكاهات الرقيقة .

(٤) يريد بحشمت : أحمد حشمت باشا وزير المعارف إذ ذاك ، وعلى أبو الفتوح باشا : وكيلها .

وكنتُ أوّلَ ساعٍ إلى رِحابِ (ابنِ هانِي)[١]
لكنْ مَرِضْتُ لنَحْسِي في يَوم ذاكَ القِرانِ
وقد كفانِي عِقاباً ما كانَ منْ حِرْمانِي
حُرِمْتُ رُؤْيَةَ (شَوْقي) ولَثْمَ تلكَ البَنانِ
فاصفَحْ فأنتَ خَليقٌ بالصَّفْحِ عن كلِّ جانِي
وعِشْ لعَرْشِ المعانِي ودُمْ لتاجِ البَيانِ
إنْ فاتَنِي أَنْ أُوَفِّي بالأَمْسِ حَقَّ التَّهانِي
فاقْبَلْهُ منِّي قَضاءً وكُنْ كَرِيمَ الجَنانِ[٢]
واللهُ يَقْبَلُ منَّا الصَّلاةَ بَعْدَ الأَوانِ

دعابة

رزق الشيخ أمين تقى الدين الأديب السورى مولودا سماه حافظا

وقال فيه :

لِي وَلَدٌ سَمَّيتُه حَافِظًا تَيَمُّنًا بحافِظِ الشّاعِرِ[٣]

[نشرت فى ١٥ يوليه سنة ١٩١٣]

فقال حافظ :

كحافِظِ ابراهِيمَ لكنّه أَجْمَلُ خَلْقًا منه فى الظّاهِرِ
فَلَعْنَةُ اللهِ على (حافِظ) إنْ لَمْ يَكُنْ بالشّاعِرِ الماهِرِ

---

(١) يريد بابن هانى : أحمد شوقى بك ، وكان يكنى بهذه الكنية تشبها بأبى نواس الحسن بن هانى الحكمى الشاعر العباسى المعروف ، لما بين الشاعرين من الشبه فى الاتصال بالملوك ومخالطتهم ، والاتحاد فى بعض أغراض شعرهما .

(٢) الجنان : القلب .

(٣) لم ينون اسم حافظ لضرورة الوزن .

لَعَلَّ أَرْضَ الشامِ تُزْهَى به ... على بِلادِ الأَدَبِ الزّاهِرِ[1]
على بلاد النِّيلِ تِلْكَ التي ... تاهَتْ بأَصْحابِ الذَّكا النّادرِ[2]
(شَوْقِي)و(مَطْرانَ)و(صَبْرِى)ومَنْ ... سَمَّيْتُه في مَطْلَعِي الباهِرِ

فقال الشيخ أمين :

وانَجْلَتِي إِنْ لَمْ يَجِئْ شاعِرًا ... يُنْسِى أَباهُ حِكْمَةَ النّاثِرِ
شِعْرٌ نَظَمْناهُ ولَوْلا الذى ... رُزِقْتُه ما مَرَّ بالخاطرِ

فقال حافظ :

فيا وَلِيدِى كُنْ غَدًا شاعِرًا ... وابْدَأْ بِهَجْوِ الوالِدِ الآمِرِ[3]
فالذَّنْبُ ذَنْبِي وأَنا المُعْتَدِى ... هَلْ يَسْلَمُ الشّاعِرُ مِنْ شاعِرِ؟

بين شوقى وحافظ

[نشرت فى سنة ١٩١٧ م]

كان (أحمد شوقى بك) قد بعث بأبيات ثلاثة وهو فى منفاه بالأندلس إلى حافظ ، وهى :

يا ساكِنِي مِصْرَ إِنّا لا نَزالُ عَلَى ... عَهْدِ الوَفاءِ – وإِنْ غِبْنا – مُقِيمِينَا
هَلّا بَعَثْتُمْ لَنا مِنْ ماءِ نَهْرِكُمُ ... شَيْئًا نَبُلُّ به أَحْشاءَ صادِينَا[4]
كُلُّ المَناهِلِ بَعْدَ النِّيلِ آسِنَةٌ ... ما أَبْعَدَ النِّيلَ إِلّا عَنْ أَمانِينَا[5]

---

(١) يريد "بلاد الأدب" : مصر . (٢) تاهت : افتخرت . (٣) الآمر : أى الذى يأمرك بصنع الشعر .
(٤) الصادى : الظمآن . (٥) المناهل : الموارد . والماء الآسن : المتغير .

فأجابه حافظ بهذه الأبيات

[نشرت فى ٨ مايو سنة ١٩١٧]

عَجِبْتُ للنِّيلِ يَدْرِى أنَّ بُلْبُلَه ... صادٍ ويَسْقِى رُبَا مِصْرٍ ويَسْقِينا

واللهِ ما طابَ للأَصْحابِ مَوْرِدُه ... ولا ارْتَضَوْا بَعْدَكُمْ مِنْ عَيْشِهِمْ لِينا

لَمْ تَنْأَ عنه وإنْ فارَقْتَ شاطِئَه ... وقد نأيْنا وإنْ كُنّا مُقِيمِينا[1]

بين حافظ والهراوى

احتجب المرحوم حافظ إبراهيم بك حين كان بدار الكتب المصرية بعض أيام فى بيته بالجيزة سنة ١٩١٨ م فذهب صديقه المرحوم محمد الهراوى الشاعر المعروف ليزوره ولما رآه على غير حالته المألوفة جالت بعض المعانى فى خاطره ، فارتجل الهراوى الأبيات الآتية :

يا رَئِيسَ الشِّعْرِ قُلْ لِى ... ما الّذى يَقْضِى الرَّئِيسُ[2]

أنْتَ فى الجِيزَةِ خافٍ ... مِثْلَما تَخْفَى الشُّمُوسُ

قابِعٌ فى كِسْرِ بَيْتٍ ... قد أظَلَّتْهُ الغُرُوسُ

زاهِدٌ فى كلِّ شَىْءٍ ... مُطْرِقٌ ساهٍ عَبُوسُ

أينَ شِعْرٌ منك نَضْرٌ ؟ ... فَلَنَا فيه مَسِيسُ[3]

وحَدِيثٌ منكَ حُلْوٌ ... يَتَشَهّاه الجُلُوسُ ؟

---

(١) ينأى : يبعد .

(٢) يقضى : يصنع ويعمل . قال تعالى : (فقضاهن سبع سموات فى يومين) .

(٣) مسيس : أى حاجة ماسة ، يقال : مست الحاجة إلى كذا ، أى ألجأت إليه .

وفُكاهاتٌ عِذابٌ تَتَمنّاها النُّفُوسُ
قد جَفَوْتَ الشِّعرَ حتّى حَدَّثَتْ عنك الطُّرُوسُ
وهَجَرْتَ الناسَ حتّى ساءلُوا : أين الأَنِيسُ ؟

فأجابه حافظ على البديهة أيضا :

أنَا في الجِيزَةِ ثاوٍ لَيْسَ لي فيها أَنِيسُ[1]
أَنْكَرَ الأُنْسُ مَكانِي ونأى عَنِّي الجَلِيسُ
لَيْسَ يَدْرِي مَن رآني أطَلِيقٌ أمْ حَبِيسُ ؟

دعابة كتب بها إلى السيد محمد الببلاوى نقيب الأشراف

[لما ولى نقابة الأشراف سنة ١٩٢٠ م]

قُلْ للنَّقِيبِ لقد زُرْنا فَضِيلَتَهُ فَذَادَنا عَنْهُ حُرّاسٌ وحُجّابُ[2]
قد كانَ بابُكَ مَفْتُوحاً لقاصِدِه واليومَ أُوصِدَ دُونَ القاصِدِ البابُ[3]
هَلّا ذَكَرْتَ (بدارِ الكُتْبِ) صُحْبَتَنا إِذْ نَحْنُ رَغْمَ صُرُوفِ الدَّهْرِ أَحْبابُ[4]
لو أنّني جِئْتُ (لِلْبابَا) لَأَكْرَمَني وكانَ يُكْرِمُني لو جِئْتُه (البابُ)[5]
لا تَخْشَ جائِزَةً قد جِئْتُ أَطْلُبُها إِنِّي شَرِيفٌ وللأَشْرافِ أَحْسابُ[6]
فاهْنَأْ بما نِلْتَ مِنْ فَضْلٍ وإِنْ قُطِعَتْ بَيْني وبَيْنَكَ بَعْدَ اليَوْمِ أَسْبابُ[7]

(١) الثاوى : المقيم . (٢) ذادنا : منعنا . (٣) أوصد الباب : أغلقه .

(٤) صروف الدهر : نوائبه ؛ يشير إلى أن السيد محمد الببلاوى كان هو والشاعر يعملان معا فى دار الكتب المصرية .

(٥) يريد بالبابا كبير القسوس برومة ، ويريد " بالباب " : رأس الطائفة المعروفة بالبابية ، وهم فرقة من غلاة الشيعة ، وسمى بابا ، لأنهم يعدونه باب المهدى ، أى نائبه .

(٦) يشير بقوله " إنى شريف " ، إلى الحكم الشرعى المعروف من أن الصدقة لا تجوز على الأشراف .

(٧) يريد بالأسباب : روابط المودّة .

استئذان الرئيس

بيتان ارتجلهما فى الاستئذان على المغفور له سعد زغلول باشا

[نشرا فى ٢٥ نوفبر سنة ١٩٢٤ م]

قُلْ للرَّئِيس أَدَامَ اللهُ دَوْلَتَهُ ... بأَنَّ شاعرَه بالبابِ مُنْتَظِرُ

إِنْ شاءَ حَدَّثَهُ أَوْ شَاءَ أَطْرَبَهُ ... بكلِّ نادِرَةٍ تُجْلَى بها الفِكَرُ

دعابة

قالها فى (الدكتور) محجوب ثابت سنة ١٩٢٧ م ، وكان كلاهما فى ضيافة المرحوم سعد زغلول باشا فى مسجد وصيف ، وكان (الدكتور) — فيما قالوا — مشغولا بأمرين إذ ذاك : وزارة يتولاها ، وفتاة غنية من بيت عريق يتزوّجها وإلى هذا يشير الشاعر فى القصيدة الآتية :

يُرْغِى ويُزْبِدُ بالقَافَاتِ تَحْسَبُها ... قَصْفَ المَدافِعِ فِى أُفْقِ البَساتِينِ[1]

مِنْ كلِّ قافٍ كأَنَّ اللهَ صَوَّرَها ... من مارِجِ النارِ تَصْوِيرَ الشَّياطِينِ[2]

قد خَصَّهُ اللهُ بالقَافاتِ يَعْلُكُها ... واْختَصَّ سُبْحَانه بالكافِ والنُّونِ[3]

يَغِيبُ عنه الحِجَا حِينًا ويَحْضُرُه ... حِينًا فَيَخْلِطُ مُخْتَلًّا بمَوْزُونِ[4]

---

(١) يشير بهذا البيت إلى كثرة ورود حرف القاف فى حديث (الدكتور) محجوب ثابت وحرصه على النطق بها . ويزيد بالشطر الثانى منه أن هذه القافات الثقيلة الوقع على الأذن فى وسط كلماته الرقيقة أشبه بأصوات المدافع المرعدة فى البساتين الغناء .

(٢) المارج : النار التى لا دخان لها .

(٣) يعلكها : يمضغها . ويريد "بالكاف والنون" : قوله تعالى لما يريد خلقه : "كن فيكون" .

(٤) الحجا : العقل والفطنة .

لا يَأمَنُ السامعُ المِسْكينُ وَثْبَتَـــه مِنْ (كردفان) إلى أَعْلَى (فِلَسْطِينِ)[١]

بَيْنَـا تراه يُنادى الناسَ فى (حَلَبٍ) إذا بِهِ يَتَحَـــدَّى القَوْمَ فِى (الصِّينِ)[٢]

ولَمْ يَكُنْ ذاكَ عَنْ طَيْشٍ ولا خَبَلٍ لكنَّها عَبْقَـــرِيَّاتُ الأَسـاطِينِ[٣]

يَبِيتُ يَنْسِـــجُ أَحْلامًا مُذَهَّبَـــةً تُغْنِى تفاسِيرُها عن (إِبْنِ سِيرِينِ)[٤]

طَــوْرًا وزِيرًا مُشـاعًا فى وزارَتِه يُصَرِّفُ الأَمْرَ فى كُلِّ الدَّواوِينِ[٥]

وتارَةً زَوْجَ عُطْبُــولٍ خَدَلَّجَـــةٍ حَسْنـاءَ تَمْلِكُ آلافَ الفَـــدادِينِ[٦]

يُعْفَى من المَهْـــرِ إكْرامًا لِلِحْيَتِه وما أَظَلَّتْه مِنْ دُنْيـا ومِنْ دِينِ[٧]

دمع السرور

قال هذين البيتين عند زيارته للمجمع العلمى بدمشق

شَكَرْتُ جَمِيـلَ صُنْعِكُمُ بِدَمْعِى ودَمْعُ العَيْنِ مِقْيَاسُ الشُّعُورِ

لأَوّلِ مَرّةٍ قَـد ذاقَ جَفْـنِى ــ عَلى ما ذاقَه ــ دَمْعَ السُّرورِ

---

(١) كردفان : بلد بالسودان معروف . ويشير بهذا البيت وما بعده إلى كثرة تنقل (الدكتور) محجوب بين المجالس والأندية ، وتنقله فى موضوعات الحديث ، وعدم استقراره فى مكان واحد ولا موضوع واحد ، وبعد المسافات التى يقطعها فى هذا التنقل .

(٢) تحداه : باراه ونازعه الغلبة .

(٣) يريد "بالأساطين" : الأعلام المبرزين فى مختلف العلوم والفنون ، جمع أسطوانة ، وهى فى الأصل العمود والسارية .

(٤) أظهر الهمز فى "ابن سيرين" لضرورة الوزن . وابن سيرين : عالم بصرى معروف بتفسير الأحلام ، وينسب له كتاب مشهور فى ذلك ، ومات فى سنة ١١٠ هـ .

(٥) يشير بهذا البيت إلى أمنية (الدكتور) محجوب فى أن يكون وزيرا فى إحدى الوزارات ، وهو لا يستقر فى أمنيته على وزارة واحدة .

(٦) العطبول من النساء : الفتية الجميلة الممتلئة ، الطويلة العنق . والخدلجة : الممتلئة الذراعين والساقين . يشير إلى أمنية (الدكتور) محجوب فى أن يتزوج من تلك صفتها .

(٧) يشير بهذا البيت إلى طول لحية (الدكتور) محجوب وما يتوسمه الناس فيه بسببها من الصلاح والخير حتى إنهم ليعفونه من مهور بناتهم إكراما لها إذا أراد التزوج من إحداهن .

دعابة كتب بها إلى صديق له

وكانت جوابا عن قصيدة دعابية أيضا بعث بها اليه هذا الصديق

وافَى كتابُكَ يَزْدَرِى بِالدُّرِّ أو بالجَوْهَرِ
فقرأتُ فيه رِسالةً مُزِجَتْ بذَوْبِ السُّكَّرِ
أجْرَيْتَ فى أثْنائِها نَهَرَ انسِجامِ الكَوْثَرِ (١)
وفَرَطْتَ بين سُطورِها مَنْظُومَ تاجِ القَيْصَرِ (٢)
وخَبَأْتَ فى أَلْفاظِها من كلِّ مَعْنًى مُسْكِرِ
فترَى المَعانِى الفارسيّةَ فى مَغانِى الأسْطُرِ (٣)
كالغانياتِ تقنّعتْ خَوْفَ المُريبِ المُجْتَرِى (٤)
مَعْنًى ألذُّ من الشَّماتةِ بالعَدُوِّ المُدْبِرِ (٥)
أوْ منْ عتابٍ بينَ مَحْبُوبٍ وحِبٍّ مُعْذِرِ (٦)
أو فَتْرةٍ أضاعَها الـ قَامِرُ عندَ المَيْسِرِ (٧)

(١) الكوثر : نهر فى الجنة . وانسجامه : انسيابه واطراده ؛ وفى هاتين الكلمتين قلب ظاهر دعت إليه ضرورة الوزن والأصل : انسجام نهر .

(٢) منظوم تاج القيصر : جواهره .

(٣) المعانى الفارسية : أى البديعة ؛ وقد نسبها إلى فارس لأنهم كانوا أهل إبداع فى الفنون . وشبه الأسطر المحتوية على المعانى بالمغانى ، وهى المنازل المسكونة .

(٤) الغانيات : جمع غانية ؛ وهى المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة . والمجترى : المجترئ .

(٥) المدبر : المنهزم .

(٦) الحب (بالكسر) : المحبوب . والمعذر : المنصف العادل . و يجوز أن يراد به معنى المقصر فيما يرضى محبوبه .

(٧) يشبه لذة معانيه بلحظة اللعب فى الميسر . والقامر : المقامر .

أو مَجَالِسٍ للخَمْـرِ مَعْـقُودٍ بيَـوْمٍ مُمْطِـرِ
تِسْعُون بيتا شِـدْتَهـا فوقَ سِنـانِ السَّمْهَرِى[١]
والسَّـمْهَرِىُّ قَـلَمٌ فى كَفِّ لَيْثٍ قَسْوَرِ[٢]
أَفَتَى القَوافِى ! كيفَ أَنْـتَ؟ فقَدْ أَطَلْتَ تَحَسُّرِى!
أتُرَى أَرَاكَ امِ اللّقا ءُ يكونُ يومَ المَحْشَرِ

... ...[٣]

ما كان ظَنِّى أنْ تَعِـيشَ أيا لَئِيمَ المَكْسِرِ[٤]
ولقـد قُذِفْتَ الى الجَحِيـم وبئسَ عُقْبَى المُنْكَرِ
تاللهِ لو أَصْـبَحْتَ (أَفْـلاطُونَ) تِلْكَ الأَعْصُرِ[٥]
وغَـدَا (أبقراط) بِبـابِكَ كالعَـدِيمِ المُعْسِرِ
وبَرَعْتَ (جالِينُوسَ) أو (لُقْمانَ) بيْنَ الحُضَّرِ[٦]
ما كنتَ إلّا تافِـهَ الْـآدابِ عنـدَ المَعْشَـرِ
غُفْـرانَكَ اللّهُـمّ إِنِّى مِنْ ظُلامَتِـهِ بَرِى[٧]

---

(١) السمهرى : الرمح الصلب . أو هو نسبة إلى سمهر زوج ردينة اللذين كانا يثقفان الرماح ؛ أو إلى قرية فى الحبشة . ومعنى (شادها فوق سنان السمهرى) أنه أنشأها بقلمه الجبار .

(٢) القسور : اسم من أسماء الأسد ، سمى بذلك لغلبته وقهره .

(٣) هنا نضرب عن ذكر أبيات اقتضاها مقام المداعبة بين صديقين حميمين لا يصح نشرها .

(٤) اللئيم المكسر : الذى يظهر لؤمه بعد الاختبار . وأصله من العود الذى يظهر ضعفه حين يكسر .

(٥) أفلاطون : فيلسوف يونانى معروف ؛ ولد فى سنة ٤٢٧ ق م ، وكانت وفاته فى سنة ٣٤٧ ق م .

(٦) الحضر : جمع حاضر .

(٧) برى : برىء .

سَوِيَّتُه كالكَرْكَدَنِّ   وجاءَنا كالأَخْدَرِى(١)

وَجْهٌ ولا وَجْهُ الخُطُو   بِ وقامَةٌ لم تُشْبَرِ(٢)

ومن العَجائبِ أنَّ مِثْـ   ـلَ لِسانِه لَمْ يُبْتَرِ(٣)

كَمْ باتَ يَلْتَحِمُ العُرُو   ضَ وجاءَ بالأَمْرِ الفَرِى(٤)

فَافْعَلْ به اللَّهُمَّ كالنُّـ   ـمْرُوذ فهْوَ بها حَرِى(٥)

وَانْزِلْ عليه السُّخْطَ إنْ   أَمْسَى ولَمْ يَسْتَغْفِرِ(٦)

فهو الّذى ابْتَدَعَ الرِّبا   وأَقامَ رُكْنَ الفُجَّرِ

وأقامَ دِينَ عبادةِ الدِّ   ينارِ بَيْنَ الأَظْهُرِ

ولقد عَجِبتُ لِبُخْلِه   ولِكَفِّه المُتَحَجِّرِ

لا يَصْرِفُ السُّحْتُوتَ إلَّا   وهْوَ غَيرُ مُخَيَّرِ(٧)

---

(١) سويته : خلقته . والكركدن : ويسمى الحمار الهندى ، حيوان فى جثة الفيل خلقته كخلقة الثور إلا أنه أعظم منه ذو حافر ، وعلى رأسه قرن واحد ، وهو بتشديد الدال وتخفيف النون ، ومجيئه هنا مشدد النون مخفف الدال من لغة العامة ، وكذلك ورد فى شعر المتنبى . والأخدرى : حمار الوحش .

(٢) لم تشبر : لم تقس بالشبر لشدة قصرها .

(٣) يبتر : يقطع .

(٤) يلتحم العروض : أى ينال من أعراض الناس . والمعروف فى هذا "لحم" و "ألحم" ؛ يقال : لحم فلان فلانا من باب نصر ، إذا أضر به وناله بمكروه ؛ وألحمنى عرض فلان ، إذا أمكننى منه أشتمه ، أى جعل عرضه لحمة للعائب . والفرى (بتشديد الياء وخففت للشعر) : المصنوع المختلق (بفتح اللام) ، أو الأمر العظيم .

(٥) النمروذ بالذال والدال لغتان : ملك جبار من القدماء كان فى زمن نبى الله إبراهيم عليه السلام . وحرى (بتشديد الياء وخففت للشعر) : خليق وجدير .

(٦) وأنزل ؛ أصله "وأنزل" باثبات الهمزة ، ووصلها لضرورة الوزن ، ولو حذف الواو وهمز الألف لصح الشعر والنحو ، واستقام الصرف .

(٧) السحتوت : أصله السويق القليل الدسم ، ثم أطلق على الشيء القليل ؛ واستعمل فى نوع من العملة قليل القيمة .

لو أنّ فى إمكانه عَيْشًا بغيرِ تَضَوُّر[١]
لاختارَ سَدَّ الفَتْحَتَيْن وقال : ياجَيْبُ آحذَر[٢]

عتاب كتب به إلى محمد سليمان أباظة بك[٣]

طَال الحديثُ عليكُمْ أيُّها السَمَرُ ولاحَ للنَّوْمِ فى أجْفَانِكُمْ أَثَرُ[٤]
وذٰلكَ اللَّيلُ قد ضاعَتْ رَواحِلُه فايسَ يُرْجَى له مِنْ بَعْدِها سَفَرُ[٥]
هٰذِى مَضاجِعُكُمْ ياقَوْمُ فالتَقِطوا طيبَ الكَرَى بعُيونٍ شابَها السَّهَرُ[٦]
هل يُنْكِرُ النَّوْمَ جَفْنٌ ـ لو أُتيحَ له ـ إلَّا أنا ونُجومُ اللَّيْلِ والقَمَرُ؟
أَبيتُ أَسْأَلُ نَفْسِى كيف قاطَعَنِى هٰذا الصَّديقُ؟ ومالى عنه مُصْطَبَرُ
فما مُطَوَّقَةٌ قد نالَهَا شَرَكٌ عندَ الغُروبِ إليه ساقَها القَدَرُ[٧]
باتَتْ تُجاهِدُ هَمًّا وهىَ آيِسَةٌ مِنَ النَّجاة وجُنْحُ اللَّيْلِ مُعْتَكِرُ[٨]
وباتَ زُغْلُولُها فى وَكْرِها فَزِعًا مُرَوَّعًا لرُجوعِ الأُمِّ يَنْتَظِرُ[٩]

---

(١) التضوّر : التألم من شدّة الجوع .

(٢) يريد " بالفتحتين " مدخل الطعام ومخرجه . وآحذر : أى أحذر الإتفاق .

(٣) ذكر فى هامش ديوان حافظ المطبوع عند ذكر هذه القصيدة أنها كانت طويلة ففقد أكثر أبياتها ؛ وقد حاولنا العثور على بقيتها فلم نوفق .

(٤) السمر : المتسامرون .

(٥) الرواحل : الركائب . يشبه الليل فى طوله بمسافر فقد رواحله ، فهو لذلك مقيم متحول .

(٦) التقطوا طيب الكرى : أى تصيدوا لذيذ النوم . وشابها : خالطها .

(٧) المطوقة : الحمامة ذات الطوق ؛ وهو لون يخالف لون سائرها يحيط بالعنق .

(٨) جنح الليل (بالكسر و يضم) : طائفة منه . واعتكر الظلام : اختلط .

(٩) زغلولها : (بضم الزاى) فرخها الصغير .

يُحفِزُ الخوفُ أحشاهُ وتزعجه إذا سرت نسمةٌ أو وسوس الشجرُ[١]
— منى بأسوأ حالاً حين قاطعنى هـذا الصديق فهلا كان يدّكرُ[٢]
يابن الكرام أتنسى أننى رجلٌ لظلِّ جاهك بعد الله مفتقرُ ؟
إنى فتاك فلا تقطع مواصلتى هبنى جنيت فقل لى كيف أعتذرُ ؟

استعطاف

بعث به للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

لقد بتُّ محسودًا عليكَ ، لأننى فتاكَ ، وهل غيرُ المنعم يحسدُ ؟
فلا تبلغ الحُسَّاد منى شماتةً ففعلك محمودٌ وأنتَ محمدُ

وداع محمد المويلحى بك[٣]

حين سفره إلى معرض باريس

يا كاتبَ الشرق ويا خيرَ من تتلو بنو الشرق مقاماته[٤]
سافر وعُد يحفظك ربُّ الورى وابعث لنا عيسى بآياته[٥]

---

(١) يحفز أحشاه : يفزعها ويدفعها إلى الاضطراب . ويريد "بوسواس الشجر" : حفيفه .

(٢) أسوأ : خبر "ما" فى قوله السابق : "فما مطارقة" ... الخ . ويدكر : يتذكر .

(٣) انظر التعريف بالمويلحى فى الحاشية رقم ١ من صفحة ١٤٠

(٤) يريد "بمقاماته" : كتاب عيسى بن هشام الذى أنشأه محمد بك المويلحى على نسق هذا النوع القديم من النثر المعروف بالمقامات .

(٥) يريد عيسى بن هشام ، الذى افترضه محمد المويلحى بك صاحب حديثه ؛ ويشير بذلك إلى أن مؤلف هذا الكتاب كان قد وعد بعمل جزء ثان خاص بأوربة ، فهو يستنجزه وعده بذلك .

وقال يستقبله عند هذا المؤتمر :

مَنْ لَمْ يَرَ المَعْرِضَ فى اتّساعِ وَفاتَهُ ما فيه من إبْداعِ
فَمَعْرِضُ القَوْمِ بلا نِزاعِ فى نَفْثَةٍ من ذلكَ اليَراعِ[1]

عتاب كتب به إلى جماعة من أصحابه

تَناءَيْتُ عنكم فحُلَّتْ عُرَا وضاعَتْ عُهودٌ على ما أَرَى[2]
وأَصبَحَ حَبْلُ اتّصالى بكُمْ كَخَيْطِ الغَزالةِ بَعْدَ النَّوَى[3]
وقد زالَ ماكانَ من أُلْفَةٍ وودٌّ زَوالَ شهابِ الدُّجَى
كأنّ بَقاءَ الوِفاقِ بينكُمْ وبَيْنِى بَقاءُ حَبابِ الحَيَا[4]
سَكَنْتُ إليكُمْ ولَمْ تَسْكُنوا إلَىَّ وقد كُنْتُ نِعْمَ الفَتَى[5]
ونَفْسى فَريقان : هٰذا به مَزَجْتُ الوَفاءَ ، وذاكَ النَّدَى
أَصَبْتُمْ تُراثًا وأَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ عَنّا فسُرَّ العِدا[6]
ومَنْ كانَ يُنْسِيه إثْراؤُه صَديقَ الخَصاصَةِ لا يُصْطَفَى[7]

(١) اليراع : القلم . و يريد بنفثته : ما يخطه من عبر وجودة وصف ، شبه ذلك بنفث السحر .

(٢) تناءيت : بعدت . والعرا : جمع عروة ، وهى معروفة ؛ وقد كنى بها عن العهود والمواثيق ، أى أنه بعد عنهم فقطعوا الصلة به .

(٣) الغزالة : الشمس . وخيطها : شعاعها . وقد شبه به حبل اتصاله بأصدقائه فى الضعف والوهن .

(٤) حباب الماء (بفتح الحاء) : فقاقيعه التى تكون على سطحه . والحيا : المطر .

(٥) سكن إليه : اطمأن إليه ووثق به .

(٦) التراث (بالضم) : ما يصاب من المال الموروث . ويريد "بالتكاثر" : التنافس فى كثرة الأموال والمفاخرة بها .

(٧) الإثراء : كثرة الأموال . والخصاصة : الفقر والاحتياج .

ذكرى

كتب بها من السودان إلى طائفة من إخوانه

* مَنْ واجِدٍ مُنَفَّرِ ٱلمَنامِ[١] *
* طَرِيدِ دَهْرٍ جائِرِ الأَحْكامِ *
* مُشَتَّتِ الشَّمْلِ على الدَّوامِ *
* مُلازِمٍ لِلْهَمِّ والسَّقامِ *
* إليكُمُ يا نُزهَةَ الأنامِ *
* وفِتْيَةَ الإيناسِ وٱلمُدامِ *
* مَن أَقْسَموا بألْزَمِ الأَقْسامِ *
* بأنْ يُقَضُّوا دَوْلَةَ الظَّلامِ *
* مابَيْنَ بِنْتِ ٱلحانِ وٱلأَنْغامِ[٢] *
* ومُطْرِبٍ مِنْ خيرةِ الأَقْوامِ *
* أرَقَّ مِنْ شِعْرِ (أبى تمّامِ)[٣] *
* ومَجْلِسٍ فى غَفْلَةِ الأيّامِ *

---

(١) الواجد : ذو الوجد ، ومنفر المنام : مطرود عنه النوم ، وقوله : "من واجد" : خبر مقدم ، والمبتدأ قوله : "تحية" بعد أبيات طويلة .

(٢) بنت الحان : الخمر ، والحان : موضع بيعها .

(٣) أبو تمام : هو حبيب بن أوس الطائى شاعر عباسى معروف .

* قد مَلَّ فيه كاتِبُ الآثامِ[١] *
* تَحِيَّةٌ كالوَرْدِ فى الكِمامِ[٢] *
* أزْهَى من الصِّحّة فى الأَجْسامِ *
* يَسُوقُها شَوْقٌ إليكمْ نامِى[٣] *
* تَقْصُرُ عنه هِمّةُ الأَقْلامِ *
* ياليْتَ شِعْرِى بَعْدَ هٰذا العامِ *
* إليكُمْ تَرْمِى بِىَ المَرَامِى *
* أمْ يَنْتَوِينى رائِدُ الحِمامِ[٤] *
* فأنْطَوِى فى هٰذه الآكامِ[٥] *
* وتُولِمُ الضَّبْعُ عَلى عِظامِى[٦] *
* وَلائماً للوَحْشِ فى الإظْلامِ *
* فإنْ أَتَى يَوْمِى وأَوْدَى لامِى[٧] *
* وباتَ زادَ الدُّودِ والرَّغامِ[٨] *

---

(١) مل : تعب . وكاتب الآثام : الملك الذى يكتب سيئات المرء وذنوبه . يريد أن المجلس قد أتى من المعاصى ما يعيى كاتب الذنوب فيمل الكتابة من كثرة ما يكتب ويحصى .

(٢) الكمام (بكسر الكاف) : جمع كامة ، وهى غطاء الزهر .

(٣) نامى : زائد .

(٤) انتواه : قصده . والحمام الموت . ورائده : رسوله .

(٥) الآكام : جمع أكمة ، وهى الرابية والحجارة تجتمع فى مكان واحد ؛ يريد آكام السودان .

(٦) تولم : تقيم الولائم .

(٧) أودى : هلك . ولام الإنسان ، شخصه .

(٨) الرغام : التراب .

* باللهِ أدْعُوكُمْ وبالإسْلامِ *
* أنْ تَذْكُروا ناظِمَ ذا الكَلامِ *
* إذا جَلَسْتُمْ مَجْلِسًا للجامِ[١] *
* وكانَ ساقِيكُمْ مِنَ الآرامِ[٢] *
* في لَيْلَةٍ والبَدْرُ في تَمامِ *

وداع لصديقيه محمد بدر وأحمد بدر

عند سفرهما إلى بلاد الإنجليز للتعلم

سِيرَا أيا بَدْرَيْ سَمَاءِ العُلا   واستَقْبِلا التَّمَّ ولا تَأْفُلا[٣]
سيرَا إلى مَهْدِ العُلومِ التى   كانت لنا ثُمَّ ازْدَهاها البِلَى[٤]
سيرَا إلى الأرْضِ التى أنْبَتَتْ   عِزًّا وأضْحَتْ للمَلا مَوْئِلا[٥]
يَمْشِى عليها الدَّهْرُ مُسْتَخْذِياً   وتَجْزَعُ الأحْداثُ أن تَنْزِلا[٦]
شِعارُ أهْلِيها وأبْنائِها   أنْ يَعْلَمَ المَرْءُ وأنْ يَعْمَلا

(١) الجام : الإناء من فضة ؛ ويريد به هنا : قدح الخمر ؛ وهو لفظ فارسى معرب .

(٢) الآرام : الغزلان ؛ الواحد رئم .

(٣) تم البدر : تمامه واكتماله . وأفل القمر والشمس يأفل (بكسر الفاء وضمها) : غابا .

(٤) ازدهاها البلى : تهاون بها واستخف .

(٥) يريد "بالأرض" : بلاد الإنجليز . والموئل : الملجأ .

(٦) استخذى استخذاء : خضع وذل .

فَزِيِّنَا المَجْدَ بِنُورِ النُّهَى[١] وجَمِّلَا الجَاهَ بأنْ تَكْمُلَا[١]

وآستَبْقِا العَلْياءَ وَاستَمْسِكَا بِعُرْوَةِ الصَّبْرِ ولا تَعْجَلَا

وخَبِّرَا الغَرْبَ وأبْنَاءَه بأنّنَا نحن الرِّجالُ الأُلَى[٢]

لئن غَدَا الدَّهْرُ بِنَا مُدْبِرًا لابُدّ لِلمُدْبِرِ أنْ يُقْبِلَا

لا زِلْتُمَا فَرْعَيْنِ في دَوْحَةٍ تُظِلُّ مَنْ رَجَّى ومَنْ أَمَّلا[٣]

نَمَتْكُمَا مِصْرُ ورَبَّاكُمَا أبٌ كَرِيمٌ جَدّ حتّى عَلَا

مَضَى وقد أَوْلاكُمَا نِعْمَةً لا تَبْسُطَا فيها ولا تَغْلُلَا[٤]

فرَحْمَةُ اللهِ على والِدٍ كَسَاكُمَا الإعْزازَ بَيْنَ المَلَا

إلى أحمد شوقى بك[٥]

يودّعه حين سفره إلى مؤتمر المستشرقين

يا شاعِرَ الشَّرْقِ ! آتَّئِدْ ماذا تُحاوِلُ بَعْدَ ذاكْ؟[٦]

هٰذِى النّجومُ نَظَمْتَها دُرَرَ القَرِيضِ وما كَفَاكْ

---

(١) النهى العقول .

(٢) الألى : أى الذين كان لهم تاريخ حافل بالسبق فى ميادين الحضارة والعلوم ؛ فحذف الصلة للعلم بها .

(٣) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل .

(٤) لاتبسطا فيها : أى لا تسعا فى الإنفاق . وغل يده يغلها (من باب نصر) : إذا قبضها عن الإنفاق . وأصله من وضع اليد فى الغل (بضم الغين وتشديد اللام) ، وهو طوق من حديد أو جلد يجعل فى العنق أو فى اليد .

(٥) انظر التعريف بشوقى فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ٥٠

(٦) اتئد : تمهل .

والبَــدْرُ قــد عَلَّمْتَــه أَدَبَ ٱلمُثــولِ إذا رَآكْ[١]
وسَمَوْتَ فى أُفُــقِ السُّعـــودِ فكِدْتَ تَعْــثُرُ بالسِّماكْ[٢]
وحَبـاكَ عَبّاسُ المحَـا مِدِ بالمَواهِبِ واصطَفـاكْ[٣]
ودَعَتْــكَ مِصْرُ رَسُولَهَـا للغَرْبِ مُـذْ عَرَفَتْ عُلاكْ
فارحَلْ وعُدْ بِوَديعــةِ الـــرَّحْمٰنِ أنتَ وصـاحبـاكْ

إلى صديقه محمد عبده البابلى بك يعاتبه[٤]

كتب بها إليه من السودان

إن عَضِّيــكَ يا أخِى بٱلمَــلامِ لا يُؤَدِّى لِمثْــلِ هٰـذا ٱلخِصـامِ[٥]
أنتَ(والشَّمسِ)(والضُّحى)واللَّيالى الـــعَشْرِ (والفَجْرِ) غـيرُ راعِى الذِّمامِ[٦]
ما عَهِــدْناكَ يا كريمَ السَّجايَا تَصْرِفُ النَّفْسَ عن هَناتِ الكِرامِ![٧]
ليس فى كُتْبِنـا سُـؤالُ نَوالٍ منــكَ حَتَّى خَشِـيتَ رَدَّ السَّــلامِ[٨]

---

(١) أدب المثول : أى أدب الوقوف بين يديك .

(٢) السماك : أحد كوكبين نيرين ، يقال لأحدهما : السماك الرامح ، وللآخر : السماك الأعزل .

(٣) حباك : أعطاك .

(٤) انظر التعريف بمحمد البابلى فى الحاشية رقم ٤ من صفحة ١٥٥

(٥) عضيك : أى عضى إياك .

(٦) يقسم بما أقسم الله به فى سور (الشمس) (والضحى) (والفجر) . والذمام : الحق والحرمة .

(٧) يريد بالهنات : الهفوات اليسيرة التى يحتمل مثلها ، الواحدة هنة ؛ أى ما عهدناك تتسامح لغيرك فى أقل هفوة ، فما بالك تأتى بالأخطاء الكبيرة ؟ !

(٨) النوال : العطاء .

نحن نَرْضَى بالقُوتِ مِنْ هٰذه الدُّنْيا و إنْ باتَ دُونَ قُوتِ النَّعامِ[١]
وإذا خانَ قِسْمُنا ما شَكَوْنا لِسوَى اللهِ أعْدَلِ القُسّامِ[٢]
كيف تَنْسَى يا (بابِلٌ) غَرِيبًا؟ باتَ بَيْنَ الظُّنُونِ والأَوْهامِ
وحَزِينًا إذ تَنَفّس عادَتْ فَحْمَةُ اللّيلِ جَمْرَةً من ضِرامِ؟[٣]
وإذا أنْ كادَ يَنْصَدِعُ الأفْقُ وتَعْتَلّ دَوْرَةُ الأجْرامِ؟[٤]
بات تحت البَلاءِ حتّى تَمَنّى لو يَكونُ المَبِيتُ تحتَ الرَّغامِ[٥]

وكتب إليه أيضا يعاتبه ويداعبه :

أَدَلالٌ ذاكَ أَمْ كَسَلُ ؟ أَمْ تَناسٍ منكَ أَمْ مَلَلُ ؟
أَمْ غَرِيقٌ أنْتَ في جَذَلٍ أَمْ بكاسَاتِ الهَنا ثَمِلُ ؟[٦]
أَمْ — وَقاكَ اللهُ — في كَدَرٍ أَمْ عَلَى الأعْذارِ مُتّكِلُ ؟
أَمْ مَشُوقٌ مُغْرَمٌ وَلِهٌ شَفّهُ التّشْبِيبُ والغَزَلُ ؟[٧]
أَمْ غَنِيٌّ باتَ يَشْغَلُهُ مالُه والكَسْبُ والأمَلُ ؟

---

(١) ضرب الشاعر قوت النعام مثلا فى التفاهة والقلة ، لأن النعامة تقتات بالحصى والحجارة إذا لم تجد ما تقتات به .

(٢) القسم (بكسر القاف) : النصيب والحظ من الخير والرزق .

(٣) يريد "بفحمة الليل" : سواده الشديد المشبه للفحم .

(٤) الأجرام : الأفلاك .

(٥) الرغام (بفتح الراء) : التراب . وكنى بالمبيت تحت الرغام عن الموت .

(٦) الجذل (بالتحريك) : الفرح . والثمل : النشوان .

(٧) الوله المتحير من شدة الوجد . وشفه : هزله وأوهنه . والتشبيب بالنساء : وصفهن وذكر محاسنهن .

أَمْ وَشَى واشٍ إليكَ بنـا فاحتواكَ الشّكّ (يا بَطَلُ) ؟[١]

قد مَضى شَهْرٌ وأَعْقَبَه ضِعْفُه والفِكْرُ مُشْتَغِلُ

لا كِتابٌ منكَ يُطفِئُ ما في فؤادى باتَ يَشْتَعِلُ

لا ولا رَدٌّ يُعَلِّلُنى أو عَلَى التَّسْليمِ يَشْتَمِلُ[٢]

يا صَديقى لا مُؤاخَذَةٌ أنتَ يابْنَ البابِلى ...[٣]

وكتب إليه أيضا يتشوق :

نَمى يا (بابِلِىُّ) إليكَ شَوْقى وعَيْنى لازَمَتْ سَكْبَ الدُّموعِ[٤]

ولو أنّى تَرَكْتُ سَراحَ قَلْبى لَطارَ إليكَ منْ قَفَصِ الضُّلوعِ

شُكْرُ وزير زار حافظا فى منزله

لا غَرْوَ إنْ أَشْرَقَ فى مَنْزِلِى فى لَيْلَةِ القَدْرِ مُحَيّا الوَزِيرْ

فالبَدْرُ فى أَعْلَى مَداراتِه للعَيْنِ يَبْدُو وَجْهُه فى الغَديرْ[٥]

---

(١) احتواه : ملكه وغلب عليه .

(٢) علله : شغله وألهاه .

(٣) موضع هذه النقط كلمة يستحيا من ذكرها ، ولا تخفى على القارئ .

(٤) نمى : زاد .

(٥) يقول فى هذين البيتين إن الوزير على سمو منزلته قد أشرق نوره فى منزلى على ضعته ، ولا عجب ، فالبدر فى السماء تظهر صورته فى غدير الماء .

دعابة[1] كتب بها إلى الأستاذ حامد سرى (بك)

فى يوم زفافه (٢ نوفبر سنة ١٩١٧) يستهديه من طعام العرس وثيابا يلبسها ، وكانا إذ ذاك متجاورين بالجيزة :

أَحامِدُ كَيْفَ تَنْسانِي ؟ وبَيْنِي وبَيْنَكَ يا أَخى صِلَةُ الجِوارِ

سأَشْكُو للوَزِيرِ فإِنْ توانَى شَكَوْتُكَ بَعْدَه للمستشار[2]

أَيَشْبَعُ مُصْطَفَى الخُولِى وأُمْسِى أُعالِجُ جَوْعَتِى فى كِسْرِ دارِى ؟[3]

وبَيْتِى فارِغٌ لا شَىْءَ فِيهِ سواىَ وإننى فى البَيْتِ عارِى

ومالى (جَزْمَةٌ) سَوْداءُ حَتَّى أُوافِيَكُمْ على قُرْبِ المَزارِ

وعِنْدِى مِن صِحابِى الآنَ رَهْطٌ إذا أَكَلُوا فاسادٌ ضَوارِى

فإِنْ لم تَبْعَثَنَّ إلىَّ حالاً بمائِدَةٍ على مَتْنِ البُخارِ

تُغَطِّيها مِنَ الحَلْوَى صُنُوفٌ ومِنْ حَمَلٍ تَتَبَّلَ بالبهارِ

فإِنِّى شاعِرٌ يُخْشَى لِسانِى وَسوفَ أُرِيكَ عاقِبَةَ احتِقارِى

---

(١) وردت الينا هذه الأبيات بعد الانتهاء من طبع هذا الباب فأثبتناها فى آخره ؛ وكان مقتضى طريقتنا فى ترتيب القصائد ترتيبا تاريخيا أن توضع قبل ذلك ، أى بعد الأبيات التى رد بها حافظ على شوقى فى سنة ١٩١٧ م .

(٢) يريد وزير الزراعة ؛ وكان حامد سرى بك من رجال هذه الوزارة ولايزال بها إلى اليوم .

(٣) إنما خص الأستاذ مصطفى الخولى بك بالذكر لما بينه و بين الأستاذ حامد سرى من صلة المصاهرة .

الوَصْفُ

وصف كساء له

قالها ارتجالا فى مجلس من إخوانه

[نشرت فى سنة ١٩٠٠ م]

لِى كِساءٌ أَنْعِمْ به مِنْ كِساءِ ... أَنا فيه أَتِيهُ مِثْلَ الكِسائِى[١]

حاكَهُ العِزُّ مِنْ خُيوطِ المَعالِى ... وسَقاهُ النَّعِيمُ ماءَ الصَّفاءِ

وتَبَدَّى فى صِبْغَةٍ مِنْ أَدِيمِ اللَّيْلِ مَصْقُولةً بِحُسْنِ الطِّلاءِ[٣]

خاطَهُ رَبُّهُ بِإِبْرةِ يُمْنٍ ... أَوْجَرُوا سَمَّها خُيُوطَ الهَناءِ[٣]

فكأَنِّى — وقد أَحاطَ بجِسْمِى — ... فى لِباسٍ من العُلا والبَهاءِ!

تُكْبِرُ العَيْنُ رُؤْيَتِى وتَرانِى ... فى صُفُوفِ الوُلاةِ والأُمَراءِ

أَلِفَ النَّاسُ — حيث كنتُ — مَكانِى ... أُلْفَةَ المُعْدِمِينَ شَمْسَ الشِّتاءِ

يا رِدائِى وأَنتَ خَيْرُ رِداءٍ ... أَرْتَجِيهِ لِزِينةٍ وآزْدِهاءِ[٤]

---

(١) الكسائى هو على بن حمزة ، إمام الكوفيين فى النحو واللغة ، وكان معلما لأولاد أمير المؤمنين هارون الرشيد ؛ وتوفى حوالى سنة ١٨٩ ﻫ .

(٢) تبدّى : ظهر . والأديم : الجلد . وأديم الليل : سواده ، لأنه كالجلد يغشى الشىء ويغطيه .

(٣) اليمن : البركة . "وأجروا سمها" الخ أى أدخلوا الخيوط فى ثقبها ، والإيجار فى الأصل : إدخال الوجور (وهو الدواء) فى فم المريض ؛ أو هو الطعن بالرمح فى الفم أو الصدر .

(٤) الازدهاء : الزهو والاختيال .

لا أحالَتْ لكَ الحَوادِثُ لَوْناً وتَهَدَّدْكَ ناسِجاتُ الجِواءِ[١]

غَفَلَتْ عنكَ للبِلَى نَظَراتٌ وتَخَطَّتكَ إِبرةُ الرَّفَّاءِ

صَحِبَتْنِي قَبلَ اصطحابِكَ دَهراً بِذلَةً في تَلَوُّنِ الحِرباءِ[٢]

نَسَبُوها لطَيْلَسانِ (ابنِ حَرْبٍ) نِسبةً لم تَكُنْ بذاتِ افتراءِ[٣]

كنتُ فيها إذا طَرَقْتُ أُناساً أنكَرُونِي كطارقٍ مِنْ وَباءِ

كَسَفَ الدهرُ لَوْنَها واستَعارَتْ لَوْنَ وَجْهِ الكَذُوبِ عند اللِّقاءِ

يا رِدائِي جَعَلْتَنِي عند قَومِي فوقَ ما أشتَهِي وفوقَ الرَّجاءِ

إنَّ قومِي تَرُوقُهُم جِدَّةُ الثَّوْ بِ ولا يَعْشَقُون غيرَ الرُّواءِ[٤]

قِيمةُ المرءِ عندَهُم بينَ ثَوْبٍ باهِرٍ لَونُه وبينَ حِذاءِ

قَعَدَ الفَضْلُ بِي وقُمْتَ بِعِزِّي بين صَحْبِي ، جُزِيتَ خيرَ الجَزاءِ[٥]

---

(١) أحاله : حوّله من حال إلى حال . وناسجات الجواء : الرياح التي تذهب في الأجواء طولا وعرضا كما يفعل الناسج فيما ينسجه ، لأنه يعترض النسيجة فيلحم ما أطال من السدى . والجواء جمع جوّ بالمعنى المعروف ؛ أو بمعنى الفلاة الواسعة .

(٢) البذلة من الثياب : ما لا يصان منها . والحرباء : دويبة نحو العظاية تستقبل الشمس برأسها وتدور معها كيف دارت ، وتتلوّن ألوانا بحرّ الشمس ؛ و يضرب بها المثل في التقلب .

(٣) الطيلسان (بالفتح وتثليث اللام) : كساء مدوّر أخضر لا أسفل له ، لحمته وقيل سداه من صوف ، يلبسه الخواص من العلماء ، وأصله من لباس العجم . وطيلسان بن حرب : مثل يضرب لكل ثوب قديم خلق ، وسبب ذلك أن بعض الشعراء كان قد مدح ابن حرب ، فخلع عليه طيلسانا باليا ، فقال في ذلك الطيلسان شعرا كثيرا حتى صير ذلك الطيلسان مثلا لكل ما بلي ورث من الثياب ؛ فمن ذلك قوله :

يابن حرب كسوتني طيلسانا رق من صحبة الزمان وصدّى

طال ترداده إلى الرفو حتى لو بعثناه وحده لتهدّى

وغير ذلك من الشعر . والافتراء : اختلاق الكذب .

(٤) تروقهم : تعجبهم . والرواء : حسن المنظر .

(٥) قعد بي : عجز عن رفع شأني ، إذ لم يقرّمه قومي بجهلهم به .

الحاكى

[نشرت فى سنة ١٩٠٠]

وَجَدُوا السَّبِيلَ إلى التَّقاطُعِ بَيْنَنا ... والسَّمْعُ يَمْلِكُهُ الكَذُوبُ الحاذِقُ

لا تَجْعَلِى الواشِينَ رُسْلَكِ فى الهَوَى ... فَلأَصْدَقُ الرُّسُلِ الجَمادُ النّاطِقُ [١]

الشمس

[نشرت فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٠]

لاحَ منها حاجِبٌ للنّاظِرِينْ ... فَنَسُوا باللَّيلِ وَضّاحَ الجَبِينْ [٢]

وَمَحَتْ آيَتُها آيَتَهُ ... وتَبَدَّتْ فِتْنَةً للعالَمِينْ

نَظَرَ آبراهامُ فيها نَظْرَةً ... فأَرَى الشَّكَّ وما ضَلَّ اليَقِينْ [٣]

قالَ : ذا رَبِّى ، فلمّا أَفَلَتْ ... (قالَ : إِنِّى لا أُحِبُّ الآفِلِينْ) [٤]

ودَعَا القَوْمَ إلى خالِقِها ... وأَتَى القومَ بِسُلْطانٍ مُبِينْ [٥]

---

(١) يصف فى البيت الأول الوشاة وأنهم أصابوا السبيل لامتلاك سمع من يحبها بما يلقون إليها من أكاذيب ؛ وما أقدر الكذوب على ذلك ، و ينهاها فى البيت الثانى عن أن توسط الوشاة بينه و بينها ، فإن فعلت فليكن الرسول ذلك الحاكى ، فهو الجماد الناطق الصادق .

(٢) وضاح الجبين : القمر .

(٣) أبراهام : لغة فى إبراهيم ، وهو نبى الله إبراهيم الخليل عليه السلام . ويشير بذلك إلى ما قصه الله تعالى فى القرآن فى سورة الأنعام عن إبراهيم عليه السلام ؛ قال تعالى : (فلما رأى الشمس بازغة) الآية . وقوله " فأرى الشك " ... الخ ، أى أظهر لقومه أنه شك فى الإله لكى يهديهم إليه وهو متيقن وجوده .

(٤) أفلت : غابت . (٥) السلطان : الحجة .

رَبِّ إنّ النّاسَ ضَلُّوا وغَوَوْا ... ورَأَوْا في الشّمسِ رأْيَ الخاسرِين

خَشَعَتْ أبصارُهُمْ لمّا بَدَتْ ... وإلَى الأذْقانِ خَرُّوا ساجِدين

نَظَرُوا آياتِها مُبْصِرَةً ... فعَصَوا فيها كَلامَ المُرْسَلِين

نَظَرُوا بَدْرَ الدُّجَى مِرْآتَها ... تَتَجَلَّى فيه حِينًا بَعْدَ حِين

ثُمّ قالوا : كيف لا نَعْبُدُها ... هلْ لها فيما تَرَى العَيْنُ قَرِين

هِيَ أُمُّ الأرْضِ في نِسْبَتِها ... هِيَ أُمُّ الكَوْنِ والكَوْنُ جَنِينْ[1]

هِيَ أُمُّ النّارِ والنُّورِ مَعًا ... هِيَ أُمُّ الرِّيحِ والماءِ المَعِينْ[2]

هِيَ طَلْعُ الرَّوْضِ نَوْرًا وجَنًى ... هِيَ نَشْرُ الوَرْدِ، طِيبُ الياسَمِينْ[3]

هِيَ مَوْتٌ وحَياةٌ للوَرَى ... وضَلالٌ وهُدًى للغابِرِين

صَدَقُوا لَكِنّهُمْ ما عَلِمُوا ... أنّها خَلْقٌ سَيَبْلَى بالسِّنِين

أَإلَهٌ لَمْ يُنَزَّهْ ذاتُه ... عن كُسُوفٍ؟ بِئْسَ زَعْمُ الجاهِلِينْ!

إنّما الشّمسُ وما في آيِها ... مِنْ مَعانٍ لَمَعَتْ للعارِفِين

حِكْمَةٌ بالِغَةٌ قد مَثَّلَتْ ... قُدْرَةَ اللهِ لِقَوْمٍ عاقِلِين

---

(١) يشير بقوله : "هى أم الأرض" إلى المعروف من أن الأرض كانت جزءا من الشمس ، ثم انفصلت وبرد ظاهرها بتطاول الزمن .

(٢) المعين : النابع من العيون .

(٣) يريد "بالطلع" : ما يبدو من الثمرة فى أول ظهورها . والنور النبات : زهره . والجنى : ما يجنى من الشجر . ونشر الورد رائحته المنتشرة منه .

دولة السيف ودولة المدفع

[نشرت فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

* يا دَوْلَةَ القَواضِبِ الصِّقالِ[١] *
* وصَوْلَةَ الذَّوابِلِ الطِّوالِ[٢] *
* كَمْ شِدْتِ بين الأَعْصُرِ الخَوالِى[٣] *
* مَمالِكًا عزيزةَ المَنالِ[٤] *
* قامَتْ بِحَدِّ الأبيَضِ القَصّالِ[٥] *
* وسِنِّ ذاكَ الأسمَرِ العَسّالِ[٦] *
* راحتْ بها الأيّامُ واللّيالِى *
* وخَلَفَتْها دَوْلَةُ الجَلالِ *
* مَمْلَكَةُ المِدْفَعِ ذاتُ الخالِ[٧] *
* قامَتْ بِحَوْلِ النارِ والزِّلْزالِ[٨] *

---

(١) القواضب : السيوف القواطع ، الواحد قاضب . والصقال : السيوف المجلوة ، الواحد صقيل .

(٢) الصولة : السطوة والقهر . والذوابل : الرماح الرقيقة اللاصقة بالليط ، وهو القشر ؛ وهى أجود الرماح ، الواحد ذابل .

(٣) الخوالى : الماضية .

(٤) عزيزة المنال : ممتنعة على من يريدها .

(٥) يريد "بالأبيض" : السيف والقصال (بالقاف) : القطاع .

(٦) الأسمر : صفة للرمح . والعسال : الشديد الاهتزاز والاضطراب للينه ، وهو من صفات الرماح الجيدة .

(٧) الخال : الكبر والخيلاء .

(٨) الحول : القوة .

* فأرهبتْ أفئدةَ الأبطالِ *

* أرْهبها مُزَعْزِعُ الجبالِ[١] *

* ومُفْزِعُ اللُّيوثِ فى الدِّحالِ[٢] *

* وقاطِعُ الآجالِ والآمالِ *

* وخاطِفُ الأرْواحِ مِنْ أمْيالِ *

* يَثُورُ (كالبركانِ) فى النِّزالِ[٣] *

* فيُتْبِعُ الأهْوالَ بالأهْوالِ *

* ويُرْسِلُ النّارَ على التَّوالِى *

* فيَحْطِمُ الهامَ ولا يُبالِى[٤] *

* ما كَوْكَبُ الرَّجْمِ هَوَى مِنْ عالِى *

* فَرَّ كالفِكْرِ سَرَى بالبالِ *

* على عَنِيدٍ مارِدٍ مُخْتالِ *

* مُسْتَرِقٍ للسَّمْعِ فى ضَلالِ *

---

(١) يريد "بمزعزع الجبال" : المدفع .

(٢) الدحال جمع دحل (بفتح الدال وسكون الحاء) وهو نقب ضيق فمه ، ثم يتسع أسفله حتى يمشى فيه وربما أنبت السدر ، ويستتر فيه السباع .

(٣) (البركان) : جبل النار . والنزال : القتال .

(٤) يحطم : يكسر . والهام : الرءوس ، الواحدة هامة .

(٥) العنيد : المخالف للحق الذى يرده وهو يعرفه ، والجمع عند (بضمتين) . ويريد "بالعنيد المارد" : الشيطان .

(٦) استرق السمع : استمع مستخفيا . ويشير الشاعر إلى ما ورد من أن الجن كانت تسترق السمع من السماء قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما بعث عليه الصلاة والسلام أرادت الجن استراق السمع كما كانوا يفعلون قبل البعثة ، فرجموا بالشهب ، ذكر الله ذلك فى القرآن فى سورة الجن .

* مِنْ عالَمِ التَّسْبِيحِ والإهْلالِ[١] *
* — أمْضَى وأنْكَى منه فى القتالِ[٢] *
* إذا سَرَتْ (قُنْبُلَةُ) الوَبالِ[٣] *
* مِنْ فَمِه المَحْشُوِّ بالنَّكالِ[٤] *
* يُنْذِرُهُمْ فى ساحَةِ المَجالِ *
* بالبَرْقِ والرَّعْدِ وبالآجالِ *
* ولَمْ يَكُنْ كَذلِكَ الخَتَّالِ[٥] *
* يَحُزُّ فى الهامِ وفى الأوْصالِ[٦] *
* صامتَ قَوْلٍ ناطِقَ الفِعالِ *
* رأيْتُه كالقَوْمِ فى المِثالِ[٧] *
* مالُوا عن القَوْلِ إلى الأعمالِ *
* فامتَلَكُوا ناصِيَةَ المَعالِى[٨] *

---

(١) الإهلال : رفع الصوت بذكر الله . و يريد "بعالم التسبيح والإهلال" : عالم الملائكة .

(٢) قوله "أمضى"... الخ خبر "لما" فى قوله قبل : "ما كوكب الرجم" . وأنكى : أبلغ نكاية ، أى قتلا وجرحا .

(٣) استعمال « القنبلة » بمعنى ما يخرج من فم المدفع عند انطلاقه استعمال شائع فى كلام عصرنا ، ولم ترد به لغة العرب ؛ وإنما ورد ذكر القنبلة بمعان أخرى . والوبال : الهلاك .

(٤) النكال : العذاب .

(٥) الختال : الخداع . ويريد به السيف ، والمعنى أن المدفع لا يأخذ الناس على غرة ، بل ينذرهم بشرره المشبه للبرق ، ثم بصوته المشبه للرعد ؛ ولم يكن كالسيف الذى يفتك بهم على غفلة فلا يشعرون به إلا وهو يجز رءوسهم و يقطع فى أوصالهم .

(٦) يحز : يقطع . وهى من الأفعال التى تتعدى بنفسها ، وعديت هنا بالحرف على تضمينها معنى (يقرض) أو نحوها مما يتعدى بالحرف . والأوصال : المفاصل ، الواحد وصل (بالكسر والضم) .

(٧) يريد « بالقوم » : أمم الغرب .

(٨) الناصية : مقدّم الرأس . وامتلكوا ناصية المعالى ، أى بلغوا ذروتها وأعلاها .

ليلة عيد جلوس الخديو عباس الثانى

يصف فيها الزينة الكبرى التى أقيمت بحديقة الأزبكية فى مساء ٨ يناير سنة ١٩٠١ م

يالَيْلَةً أَلْهَمَتْنِى ما أَتِيهُ به ... على حُماةِ القَوافِى أَيْنَما تاهُوا (١)

إنِّى أَرَى عَجَباً يَدْعو إلى عَجَبٍ ... الدَّهرُ أَضْمَرَه والعيدُ أَفْشاهُ

هل ذاكَ ماوَعَدَ الرَّحمنُ صَفْوَتَهُ ... رَوْضٌ وحُورٌ ووِلْدانٌ وأَمْواهُ؟ (٢)

أَمِ الحديقةُ ذاتُ الوَشْيِ قد حَلِيَت ... فى مَنْظَرٍ يستعيدُ الطَّرْفُ مَرْآهُ؟ (٣)

أَرَى المصابيحَ فيها وهىَ مُشْرِقةٌ ... كأَنَّها النَّوْرُ والوَسْمِىُّ حَيَّاهُ (٤)

أو إنَّما هىَ أَلفاظٌ مُدَبَّجةٌ ... وكُلُّ لَفْظٍ تَجَلَّى فيه مَعْناهُ (٥)

أَرَى عليها قُلوبَ القومِ حائمةً ... كالطَّيرِ لاحَ له وِرْدٌ فَوافاهُ (٦)

أَرَى بَنِى مصرَ تحتَ اللَّيْلِ قد نَسَلُوا ... إلى سُعودٍ به ضاحٍ مُحَيَّاهُ (٧)

أَرَى على الأَرضِ حَلْيًا قد نَسِيتُ به ... حَلْىَ السَّماءِ وحُسْنًا لَسْتُ أَنْساهُ (٨)

---

(١) حماة القوافى : فحول الشعراء .

(٢) صفوته : من اصطفاهم . والأمواه : جمع ماء .

(٣) يريد « بالوشى » هنا : ما اختلف من ألوان النبات والزهر ، تشبيها بالوشى فى الثوب ، وهو النقش . « ويستعيد الطرف مرآه » أى أن جمال المنظر يغرى بتكرار النظر .

(٤) النور : زهر النبات . والوسمى : المطر أول الربيع .

(٥) مدبجة : مزخرفة مزينة . وتجلى : تكشف .

(٦) حام الطائر على الماء : دار حوله . والورد (بكسر الواو) . الماء المورود .

(٧) نسلوا : أسرعوا . وضاحى المحيا : مشرق الوجه .

(٨) الحلى : ما يتزين به .

أَرَى أَرِيكَةَ (عَبَّاسٍ) تَحُفُّ بِها ... وِقايَةُ اللهِ والإِقْبالُ والجاهُ [(١)]

أَرَى سُمُوَّ (خِدِيوِينا) وقد بُسِطَتْ ... بالعَدْلِ والبَذْلِ يُمْناهُ ويُسْراهُ

قُلْ للأُلَى جَعَلُوا للشِّعرِ جائزةً ... فِيمَ الخِلافُ ؟! أَلَمْ يُرْشِدْكُمُ اللهُ ؟!

إِنِّي فَتَحْتُ لها صَدْرًا تَلِيقُ به ... إِنْ لَمْ تُحَلُّوهُ فالرَّحْمنُ حَلَّاهُ [(٢)]

لم أَخْشَ مِنْ أَحَدٍ في الشِّعرِ يَسْبِقُنِي ... إِلَّا فَتًى مالَه في السَّبْقِ إِلَّاهُ [(٣)]

ذاكَ الَّذي حَكَمَتْ فينا يَرَاعَتُه ... وأَكْرَمَ اللهُ (والعَبَّاسُ) مَثْواهُ [(٤)]

سوق الأسعار (البورصة)

[نشرت في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٠٤ م]

بِبابِكِ النَّحْسُ والسُّعُود ... ومَوْقِفُ اليَأْسِ والرَّجاءِ

وفِيكِ قد حارَتِ اليَهُود ... يا مَطْلَعَ السَّعْدِ والشَّقاءِ [(٥)]

* * *

(١) الأريكة : سرير الملك .

(٢) يشير بهذا البيت والذي قبله إلى جماعة من كبار الأدباء والعلماء ، منهم أحمد زكي باشا ، وإسماعيل صبري باشا ، وحفني ناصف بك ، اجتمعوا على أن يجعلوا للشعر جوائز من أنواط مختلفة تمنح للشعراء بحسب درجاتهم في الشعر ؛ فحافظ يقول : لا تختلفوا في تفضيل بعض الشعراء على بعض ، فالأمر في تفضيلي بين لا جدال فيه ، وإنكم إن لم تحلوا صدري بأغلى هذه الأنواط وأفضلها ، فإن الله قد حلاه بما وهبني من شاعرية مبدعة ، وملكة فياضة .

(٣) يريد « بالفتى » : أحمد شوقي بك الشاعر الأمير .

(٤) اليراعة : القلم . والمثوى : المنزلة .

(٥) إنما خص اليهود ؛ لأنهم أعلم من غيرهم بمسائل المال وطرق اكتسابه واستغلاله ، كما هو معروف .

وَوَجْهُكَ الضَّاحِكُ العَبُوسُ … قد ضَاقَ عن وَصْفِه البَيَانْ (١)
كم سُطِّرَتْ عِنْدَه طُرُوسُ … بِقِسْمَةِ العِزِّ والهَوَانْ (٢)
وطُؤْطِئَتْ دُونَه رءوسُ … يَهْتَزُّ مِنْ خَوْفِها الزَّمَانْ (٣)

*
* *

وكَمْ أَطافَتْ بِه وُفُودُ … وأَكْثَرُوا حَوْلَه الدُّعَاءْ
فَرابِحٌ نَجْمُه سَعِيدُ … وطامِعٌ بالخَسَارِ باءْ (٤)

*
* *

لمّا عَلَتْ صَيْحَةُ المُنادِى … وأَصْبَحَ القَوْمُ فى عَنَاءْ
وشَمَّرَتْ ثَرْوَةُ البِلادِ … وضَجَّتِ الأَرْضُ والسَّماءْ (٥)
قَنِعْتُ بالقُطْنِ فى الوِسادِ … وفى الحَشِيَّاتِ والغِطاءْ (٦)
وإنّما العاقِلُ الرَّشِيدُ … مَنْ سارَ فى مَنْهَجِ النَّجاءْ
باللهِ يا قَومُ لا تَزِيدُوا … فإنّ آمالَكُم هَبَاءْ (٧)

*
* *

---

(١) سكنت هذه القافية دفعا لما يترتب على تحريكها من وجود إقواء فى البيت الثانى ، وهو اختلاف فى حركة الروى . ويلاحظ أن فى هذه القصيدة أبياتا أخرى سكن رويها دفعا لهذا العيب المتقدم .

(٢) الطروس : الصحائف يكتب فيها ، الواحد طرس (بكسر فسكون) .

(٣) طؤطئت ، أى انخفضت وتطامنت .

(٤) باء بالخسارة : أى رجع به .

(٥) شمرت ثروة البلاد : أى استعدت للإسراع فى الذهاب والضياع .

(٦) الحشيات : الفرش المحشوة ، الواحدة حشية (بفتح الحاء وتشديد الياء) ، وهى المعروفة بالمرتبة .

(٧) الهباء : الغبار ؛ أو هو الشئ المنبث فى ضوء الشمس يشبه الدخان .

مُضارَباتٌ هى المَنَايا ورُسْلُها أَحرُف البُرُوقْ(١)
صَبُوحُ أَصْحابِها الرَّزايا وما لَهُمْ دونَها غَبُوقْ(٢)
قد أَتْلَفَتْ أَنفس البَرَايَا بأَسْهُمِ الغَدْرِ والعُقُوقْ

*
* *

هُبوطُها المَوْت ، والصُّعودُ ضَرْبٌ من البُؤْسِ والبَلاءْ
وما لَهَا عِنْدَهُمْ عُهُودُ إلّا كَمَا تَعْهَدُ النِّساءْ

*
* *

كم " بالَةٍ " سَبَّبَتْ وَبالَا وأَشْبَهَتْ لامِعَ السَّرابِ(٣)
وبَدْرَةٍ أَنبَتَتْ خَبالَا وأَثْمَرَتْ عاجِلَ الخَرابِ(٤)
وكم غَنِيٍّ أَضاعَ مالَا وشابَ فى مَوْقِفِ الحِسابِ

* *
*

فليَتَّعِظْ منكمُ البَعيدُ وليَتَّقِ اللهَ ذُو الثَّراءْ(٥)
فذلك التَّاجِرُ الشَّهيدُ قد عافَ مِن أَجْلِها البَقاءْ(٦)

---

(١) يريد « بأحرف البروق » ، الرسائل (التلغرافية) .

(٢) الصبوح : ما يشرب فى الصباح . والغبوق : ما يشرب فى العشى .

(٣) (البالة) : مقدار وزن معروف .

(٤) الخبال : ذهاب العقل .

(٥) الثراء : الغنى .

(٦) يشير بقوله : « التاجر الشهيد » إلى أن بعض التجار كان قد انتحر حين ذهبت ثروته كلها فى تلك المضاربات . وعاف الشىء يعافه و يعيفه : كرهه و زهد فيه .

زلزال مسينا[١]

سنة ١٩٠٨ م

نَبِّئاني إنْ كُنْتُما تعلمانِ ... ما دَهَى الكَوْن أيُّها الفرقدان[٢]

غَضِبَ اللهُ أم تمرَّدت الأر ... ضُ فأنْحَتْ على بني الإنسانِ؟[٣]

ليسَ هذا سُبْحانَ رَبِّي ولا ذا ... كَ ولٰكنْ طَبيعةُ الأكْوانِ

غَلَيانٌ في الأرضِ نَفَّسَ عنه ... ثَوَرانٌ في البَحْرِ و (البُرْكانِ)[٤]

رَبِّ، أينَ المَفَرُّ والبَحْرُ والبَـرُّ ... على الكَيْدِ للوَرَى عاملانِ ؟

كنتُ أخْشَى البِحارَ والموتُ فيها ... راصِدٌ غَفْلةً من الرُّبّانِ[٥]

سابحٌ تحتَنا ، مُطِلٌّ علينا ... حائمٌ حَوْلَنا ، مُناءٍ مُداني

فإذا الأرضُ والبحارُ سَواءٌ ... في خَلاقٍ كلاهُما غادرانِ[٦]

ما (لِمسِّينَ) ؟ عُوجِلَت في صِباهَا ... ودَعَاها من الرَّدَى داعِيانِ

---

(١) مسينا : بلد بجنوبي إيطالية معروف وقع فيه هذا الزلزال .

(٢) الفرقدان : نجمان معروفان .

(٣) أنحت على بني الإنسان : أي أقبلت عليهم بالعذاب . ويرويه بعض الأدباء : « فأخنت » ، أي أهلكتهم وأتت عليهم .

(٤) نفس عنه : خفف .

(٥) الربان : رئيس السفينة .

(٦) الخلاق : الحظ والنصيب من الخير والصلاح . يقول في هذه الأبيات الثلاثة : إنه كان لا يخشى إلا غائلة البحر ، ويأمن جانب البر فإذا بهما في الغدر سواء .

وَمَحَتْ تِلْكُمُ المحاسنَ منها ... حينَ تَمَّتْ آياتُها آيتانِ [١]

خُسفَتْ ، ثم أُغْرِقَتْ ، ثم بادَتْ ... قُضِيَ الأمْرُ كُلُّه في ثَوانِي

وأتَى أمْرُها فأَضْحَتْ كأنْ لَمْ ... تَكُ بالأمْسِ زينةَ البُلْدانِ

لَيْتَها أُمْهِلَتْ فتَقْضِي حُقوقًا ... مِنْ وَداعِ اللِّداتِ والجيرانِ! [٢]

لَحْظةً يَسْعَدُ الصَّديقانِ فيها ... باجتماعٍ ويَلْتَقِي العاشِقانِ

بَغَتِ الأرضُ والجبالُ عليها ... وطَغَى البحرُ أيَّما طُغْيانِ [٣]

تلكَ تَغْلِي حِقْدًا عليها فتَنْشَقُّ انْشِقاقًا مِنْ كَثْرَةِ الغَلَيانِ [٤]

فتُجيبُ الجبالُ رَجْمًا وقَذْفًا ... بشُواظٍ مِنْ مارِجٍ ودُخانِ [٥]

وتَسُوقُ البِحارُ رَدًّا عليها ... جَيْشَ مَوْجٍ نائِي الجَناحَيْنِ داني [٦]

فهُنا الموتُ أسْوَدُ اللَّوْنِ جَوْنٌ ... وهُنا المَوْتُ أحمرُ اللَّوْنِ قاني [٧]

جَنَّدَ الماءَ والثَّرَى لِهَلاكِ الْـ ... ـخَلْقِ ثُمَّ اسْتَعانَ بالنِّيرانِ [٨]

ودَعَا السُّحْبَ عاتِيًا فأمَدَّتْـ ... ـهُ بجَيْشٍ مِنَ الصَّواعِقِ ثاني [٩]

---

(١) يريد « بالآيتين » : زلزال الأرض ، وفيضان البحر .

(٢) اللدات : الأتراب ، الواحدة لدة (بكسر اللام وتخفيف الدال) . والمراد نظائرها من البلاد .

(٣) بغى عليه : ظلمه .

(٤) تلك : أى الأرض .

(٥) الشواظ : لهب لا دخان فيه . والمارج : الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد .

(٦) نائى الجناحين : أى بعيد ما بين الجانبين . والدانى : القريب . يريد أن الموج يتسع مرة ويضيق أخرى .

(٧) الجون : الشديد السواد . والقانى والقانىء : الشديد الحمرة . والعرب تطلق الموت الأسود على الموت خنقا ، والموت الأحمر على الموت قتلا لما يحدثه القتل من سيلان الدم .

(٨) الضمير فى « جند » و « استعان » : للموت .

(٩) عاتيا : معتديا ظالما .

فاستحالَ النَّجاءُ واستحكَمَ اليأ ... سُ وخارَتْ عَزائمُ الشُّجْعانِ(١)

وشَفَى الموتُ غُلَّهُ من نفوسٍ ... لا تُباليه في مَجالِ الطِّعانِ(٢)

أينَ (رِدْجو)؟ وأينَ ما كانَ فيها؟ ... مِنْ مَغانٍ مَأهولةٍ وغَواني(٣)

عُوجِلَتْ مِثْلَ أُخْتِها ودَهاها ... ما دَهاها مِنْ ذلكَ الثَّوَرانِ(٤)

رُبَّ طِفْلٍ قد ساخَ في باطِنِ الأر ... ضِ يُنادي: أُمِّي! أَبي! أَدْرِكاني!(٥)

وفَتاةٍ هَيْفاءَ تُشْوَى على الجَمْـ ... ـرِ تُعاني مِنْ حَرِّهِ ما تُعاني(٦)

وأَبٍ ذاهلٍ إلى النَّارِ يَمْشِي ... مُسْتَميتاً تُمْتَدُّ منه اليَدانِ

باحثاً عن بَناتِه وبَنيهِ ... مُسْرِعَ الخَطْوِ مُسْتَطيرَ الجَنانِ(٧)

تأكُلُ النَّارُ منه لا هُوَ ناجٍ ... مِنْ لَظاها ولا اللَّظَى عنه واني(٨)

غَصَّتِ الأرضُ أُتْخِمَ البَحْرُ مِمَّا ... طَوَياهُ مِنْ هذه الأَبْدانِ(٩)

وشَكا الحُوتُ للنُّسورِ شَكاةً ... رَدَّدَتْها النُّسورُ للحِيتانِ

(١) خارت: ضعفت.

(٢) الغل: الحقد والموجدة.

(٣) ردجو كالبريا: ولاية في إيطالية، وهي القصوى من جهة الجنوب، متاخمة للبحر الأيوني ومضيق مسينا، وقد هدمها ما انتابها من الزلازل. وإلى هذا يشير الشاعر. والمغاني: المنازل التي غنى بها أهلها أي سكنوا وأقاموا، الواحد مغنى (بفتح الميم والنون وسكون الغين). والغواني: النساء غنين بجمالهن وحسنهن عن الزينة.

(٤) أختها: مسينا.

(٥) ساخ: غاص.

(٦) الهيفاء: الضامرة البطن، الرقيقة الخصر.

(٧) مستطير الجنان: أي ذاهب القلب جزعا وإشفاقا.

(٨) اللظى: حر النار واشتعالها.

(٩) غصت: أي امتلأت. وأتخم: امتلأ جوفه، من التخمة، وهي الامتلاء من الطعام.

أَسْرَفَا فى الجُسُوم نَقْرًا ونَهْشًا ثمّ باتَا مِنْ كِظَّةٍ يَشْكُوان[١]
لا رَعَى اللهُ ساكِنَ القِمَمِ الشُّمِّ ولا حاطَ ساكِنَ القيعانِ[٢]
قد أَغارَا على أَكُفٍّ بَراها بارِئُ الكائناتِ للإتْقانِ[٣]
كيف لم يَرْحَمَا أَناملَها الغُرَّ ولم يَرْفُقَا بتلكَ البَنانِ ؟[٤]
لَهْفَ نَفْسِى وأَلْفَ لَهْفٍ عليها مِنْ أَكُفٍّ كانتْ صَناعَ الزّمانِ[٥]
مُولَعاتٍ بصَيْدِ كلِّ جَميلٍ ناصِباتٍ حَبائلَ الألْوانِ[٦]
حافراتٍ فى الصَّخرِ أو ناقشاتٍ شائداتٍ رَوائعَ البُنْيانِ
مُنْطِقاتٍ لِسانَ كلِّ جَمادٍ مُفْحِماتٍ سَواجِعَ الأَفْنانِ[٧]
مُلْهِماتٍ مِنْ دِقَّةِ الصُّنْعِ مالاَ يُلْهَمُ الشِّعْرُ مِنْ دَقيقِ المَعانِى
مِنْ تَماثيلَ كالنُّجومِ الدَّرارِى يَهْرَمُ الدَّهْرُ وهىَ فى عُنْفُوانِ[٨]

---

(١) الكظة : البطنة وما يعترى الإنسان من الامتلاء من الطعام .

(٢) ساكن القمم : يريد النسر لأنه يسكن أعالى الجبال . والشم : العالية المرتفعة ، الواحدة شماء . وحاط : حفظ ووقى . ويريد « بساكن القيعان » : ما يسكن قيعان البحر من الحيتان ، كما يدل على ذلك ما سبق .

(٣) براها : خلقها . ويريد أكف أصحاب الفنون .

(٤) البنان : الأصابع ، الواحدة بنانة .

(٥) الصناع : الحاذقة الماهرة فى العمل .

(٦) الحبائل : الأشراك . ويريد بقوله : « ناصبات حبائل الألوان » أن هذه الصور تتصيد القلوب والأنظار بما فيها من دقة وإتقان . ويحكى أن رفائيل المصوّر المعروف صوّر مرة عنقودا من العنب على حائط فخدع به بعض الطيور ، فمال إليه ينقر حبه .

(٧) سواجع الأفنان : الحمائم التى تسجع ، أى تغرد . والأفنان : الأغصان ، الواحد فنن (بالتحريك) . ويشير بالسطر الأول إلى ما تصنعه هذه الأيدى من التماثيل التى تقرب من الحقيقة حتى تكاد تنطق ؛ وبالشطر الثانى إلى أيدى الموسيقيين البارعين .

(٨) الدرارى (بتشديد الياء ، وخفف للشعر) : جمع درى ، وهو الكوكب المتوقد المتلألئ الصافى الشعاع . وعنفوان الشباب : أوله وريعانه .

عَجَبٌ صُنعُها ! وأَعْجَبُ منه صُنْعُه ! تلكَ قُدْرَةُ الرَّحمنِ[١]

إيهِ «مِسِّينَ» آسِي اليَوْمَ «بُمْبِيـ ـى» فقد أَوْحَشَتْ بذاكَ المَكانِ[٢]

آسِي الدُّرَّةَ التِي كانت الحِلْـ ـيَةَ في تاجِ دَوْلَةِ (الرُّومانِ)

غالَها قَبْلَكِ الزَّمانُ اغتيالًا وهيَ تَلْهُو في غِبْطَةٍ وأَمانِ[٣]

جاءَها الأَمرُ والسَّراةُ عُكُوفٌ في المَلاهِي على غِناءِ القِيانِ[٤]

بَيْنَ صَبٍّ مُدَلَّهٍ وطَرُوبٍ وخَليعٍ في اللَّهْوِ مُرْخَى العِنانِ[٥]

فانطَوَوْا كانطواءِ أَهْلِكِ بالأَمْـ ـسِ وزَالَتْ بَشاشَةُ العُمْرانِ

أنتِ (مِسِّينَ) لن تَزُولِي كما زا لَتْ ولكنْ أَمْسَيْتِ رَهْنَ الأَوانِ[٦]

إنَّ إيطاليا بَنُوها بُناةٌ فاطمَئِنِّي مادامَ في الحَيِّ بانِي

فَسَلامٌ عليكِ يومَ تَوَلَّيْـ ـتِ بما فيكِ مِنْ مَغانٍ حِسانِ!

وَسَلامٌ عليكِ يومَ تَعُودِينَ كما كنتِ جَنَّةَ الطُّلْيانِ!

---

(١) صنعه : أى صنع الله تعالى . يقول : إن هذه التماثيل — مهما بولغ فى إتقانها ودقتها — لا تبلغ صنع الله الذى أتقن كل شىء .

(٢) بمبى : مدينة قديمة من إيطالية الجنوبية تبعد اثنى عشر ميلا عن نابلى إلى الجنوب الشرقى وموقعها بجوار جبل فيزوف ؛ وقد حدث فيها زلزلتان خربتا قسما منها فى سنة ٦٣ م وكان بين هاتين الزلزلتين فترة أشهر ، ثم خربت بالمواد المتقذفة فى ٢٤ آب سنة ٧٩ م ، وبقيت هذه المدينة مدة سبعة عشر قرنا بعد ذلك مطمورة ، طامسة الذكر ؛ حتى كشفت أخيرا .

(٣) غالها : أهلكها :

(٤) يريد « بالأمر » : الهلاك والفناء . والسراة : جمع سرى (بفتح السين وتشديد الياء) ، وهو الرفيع القدر من الناس . والقيان : المغنيات ، الواحدة قينة .

(٥) المدله : الذاهب العقل من عشق ونحوه . والخليع : المتهتك . ومرخى العنان : الممدود له فى حبل الشهوات .

(٦) يريد بقوله : «أمسيت رهن الأوان» : أنه الوقت الذى يجدد الشعب فيه عمارتك ، ويعيد ما هدمته الزلازل من مغانيك فتصبحين كما كنت ، كما يدل عليه البيت الذى بعده .

وسلامٌ من كلِّ حيٍّ على الأرْ ضِ على كلِّ هالكٍ فيك فانِي!
وسلامٌ على الأُلَى أكَلَ الذئْ بُ وناشتْ جوارحُ العقْبانِ! [١]
وسلامٌ على امرئٍ جادَ بالدمْ عِ وثنَّى بالأصفرِ الرنّانِ! [٢]
ذاكَ حقُّ الإنسانِ عند بنِي الإنْ سانِ لم أدْعُكم إلى إحسانِ
فاكتبُوا في سماءِ (رِدْجُو) و(مِسِّيـ نا) و(كالَبْرِيَا) بكلِّ لسانِ
ها هُنا مصرعُ الصناعةِ والتصْ ويرِ والحِذْقِ والحجَا والأغانِي [٣]

براعة غناء

قالها في جاك رومانو المغنى الإسرائيلى المعروف [٤]

[نشرت في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٨ م]

ارحمُونا بنِي اليهودِ كفاكمْ ما جمعتمْ بحِذْقِكمْ من نقودِ
واصفحُوا عنْ عقولِنا ودعُوا الخلْ قَ بسرِّ التوْراةِ والتلْمودِ [٥]
لا تزيدُوا على الصكوكِ فخاخًا منْ غناءٍ ما بينَ دفٍّ وعودِ [٦]

---

(١) ناشت : نهشت .

(٢) الأصفر الرنان : الذهب ؛ يريد ما يتبرع به المتبرعون في عمارة هذا البلد

(٣) الحجا : العقل .

(٤) جاك رومانو : يهودى من أهالى الاسكندرية ، كان من رجال المال ، يعمل عملا رئيسيا في أحد المصارف ، وكان حسن المنادمة والغناء ، ظريف الشمائل ، وكان صديقا حميما للمرحوم عبده الحامولى .

(٥) التلمود : سفر ديني لليهود نما في القرون الأربعة أو الستة من العهد المسيحى : وصار مع التوراة كتاب اليهود المقدس .

(٦) الصكوك : وثائق الديون التى اشتهر بها اليهود .

وَيْحَكُمْ إنَّ (جاكَ) أَسْرَفَ حَتّى زادَ فى قومه على (داوُد)[١]

أَسْكِتُوه ، لاأَسْكَتَ اللهُ ذلكَ الصَّوْتَ صَوْتَ المُتَيَّم الغرِّيدِ[٢]

أَوْ دَعُوه ، فداؤهُ — إنْ تَغنَّى — كلُّ نفس وكلُّ ما فى الوُجُود

وقال فيه ايضا :

[نشرت فى ١٥ نوفبر سنة ١٩٠٨م]

يا (جاكُ) إنّك فى زَمانِكَ واحِدٌ ولِكلِّ عَصْرٍ واحدٌ لا يُلْحَقُ

إنَّ الأُلَى قد عاصَرُوكَ وفاتَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوكَ كأَنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا

قد جاء (مُوسَى) بالعَصَا وأَتَيْتَنا بالعُودِ يَشْدُو فى يَدَيْكَ ويَنْطِقُ[٣]

فإذا ٱرْتَجَلْتَ لنا الغناءَ فكُلُّنا مُهَجٌ تَسِيلُ وأَنْفُسٌ تَتَحَرَّقُ

فمُطالِبٌ بإعادَةٍ ، ومُطالِبٌ بزِيادَةٍ ، ومُهَلِّلٌ ومُصَفِّقٌ

تَتَسابَقُ الأَسْماعُ صَوْبَكَ كلَّما غَنَّيْتَها شَوْقا إليكَ وتُعْنِقُ[٤]

وتَوَدُّ أَفْئِدَةٌ هَتَكْتَ شَغافَها لو أنّها بذُيُولِها تَتَعَلَّقُ[٥]

خُلُقٌ كما شاءَ الجَلِيسُ وشِيمَةٌ يَذْكُو بها صَدْرُ النَّدِىِّ ويَعْبَقُ[٦]

ومروءةٌ لو أنّها قد قُسِّمَتْ بَيْنَ اليَهُودِ لأَحْسَنُوا وتَصَدَّقُوا

---

(١) خص داود عليه السلام لما اشتهر به من حسن الصوت ، ولما اشتهرت به مزاميره من الترنم بها وترتيلها .

(٢) الغريد : المغرد .

(٣) موسى : هو نبى الله موسى بن عمران عليه السلام ؛ ومعجزته فى عصاه مشهورة ورد ذكرها فى القرآن .

(٤) صوبك جهتك . وتعنق : تسرع . (٥) بذيولها : أى الأسماع . وشغاف القلب : غلافه .

(٦) الندى مجلس القوم . ويذكو ويعبق : أى يطيب ويتعطر .

نادى الألعاب الرياضية

أنشدها فى ليلة أحياها نادى الألعاب الرياضية (بالأوبرا الملكية)

[ليلة السبت ٨ أبريل سنة ١٩١٦م]

بنادِى الجَزِيرَةِ قِفْ ساعةً ... وشاهِدْ بِرَبِّكَ ما قد حَوَى

تَرَى جَنّةً مِنْ جِنان الرَّبِيع ... تَبَدَّت مع الخُلْدِ فى مُسْتَوَى[1]

جَمالُ الطَّبِيعَة فى أُفْقِها ... تَجَلَّى على عَرْشِه واستَوَى[2]

فقُلْ للحَزِين وقُلْ للعَلِيل ... وقُلْ للمَلُول : هُناكَ الدَّوَا

وقُلْ للأَدِيب : ابتَدِرْ ساحَها ... إذا ما البَيانُ عَلَيْكَ الْتَوَى[3]

وقُلْ للمُكِبِّ على دَرْسِه ... إذا نَهَكَ الدَّرْسُ منه القُوَى :[4]

تَنَسَّمْ صَباها تُجَدِّدْ قُواك ... فأَرْضُ الجَزِيرَة لا تُجْتَوى[5]

فَفِيها شِفاءٌ لمَرْضَى الهُمُوم ... ومَلْهًى كَرِيمٌ لمَرْضَى الهَوَى

وفيها وفى نادِها سَلْوَةٌ ... لكلِّ غَرِيبٍ رَمَتْه النَّوَى[6]

وفيها غِذاءٌ لأَهْل العُقُول ... إذا الرأسُ إثْرَ كَلالٍ خَوَى[7]

---

(١) تبدت : ظهرت .

(٢) تجلى : ظهر . واستوى أى استقر .

(٣) الساح : جمع ساحة . والتوى : صعب واستعصى .

(٤) المكب على درسه : المقبل عليه المجتهد فيه .

(٥) لا تجتوى : أى لا تكره الإقامة بها .

(٦) النوى : البعد .

(٧) الكلال الإعياء والتعب . وخوى : خلا .

ويارُبَّ يومٍ شـديد اللظَى	رَوَى عن جَهَنَّمَ ما قد رَوَى[١]
به الرِّيحُ لَفَّاحَةٌ للوُجـوه	به الشَّـمْسُ نَزَّاعَةٌ للشَّـوَى[٢]
قَصَدْتُ الجَزِيرَةَ أَبْغِي النَّجاة	وجِسْمِي شَواهُ اللَّظَى فَاشْتَوَى
فَأَلْفَيْتُ ناديَهـا زاهـرا	وأَلْفَيْتُ ثَمَّ نَعِيـمًا ثَوَى[٣]
فَأَنْزَلَـنِي مُـنْزَلًا طَيِّبـا	وَرَوَّى فؤادِيَ حَتَّى ارْتَوَى
وأَلْطَفَ وارِفُ تِلْكَ الظِّـلال	سَعِيرَ الهَجِيرِ وحَرَّ الجَـوَى[٤]
وحَلَّ الأصيلُ عِقالَ الشَّمال	فهبَّت بنَشْرٍ إليهـا انضَـوَى[٥]
فأَحْيَتْ بنَفْسِيَ ذِكْرَى الشَّبَاب	وما كان منهـا ومنـه انطَوَى[٦]
وعاوَدَ قَلْبِيَ ذاكَ الخُفُـوق	وقد كانَ بَعْدَ المَشِيبِ ارْعَوَى[٧]
فما بالُ قَومِيَ لا يأخُذُونَ	لتِلْكَ الجِنـان طَرِيقًا سَـوَا؟[٨]
وما بالُ قَوْمِيَ لا ينزِلُونَ	بغَيْرِ (جُرُوبِّي) و (بارِ اللُّوا)؟[٩]

(١) اللظى: شدة الحر.

(٢) لفاحة الوجوه: محرقة لها مغيرة لألوانها. والشوى: اليدان والرجلان وقحف الرأس. وكنى بقوله: «نزاعة للشوى»: عن شدة الحر. يشير إلى قوله تعالى فى وصف جهنم: (كلا إنها لظى نزاعة للشوى).

(٣) ثوى بالمكان: أقام به.

(٤) الوارف من الظلال: ما اتسع وامتد منها. والهجير: شدة الحر. والجوى: الحزن والحرقة وشدة الوجد.

(٥) الأصيل وقت العشى. يقول: إن ريح الشمال انطلقت فى هذا الوقت. والنشر: الرائحة الطيبة. وانضوى انضم إليها وامتزج بها.

(٦) الضمير فى «منها» للذكرى؛ وفى «منه» للشباب.

(٧) ارعوى عن الأمر: رجع عنه وكف.

(٨) طريقا سوا (بفتح السين والقصر)، أى سواء (بالمد) بمعنى المستوى الذى لا عوج فيه.

(٩) جربى، وبار اللوا: مقهيان معروفان فى القاهرة يقصد إليهما خاصة الناس.

تَراهُمْ على نَرْدِهِمْ عُكَّفًا ... يُبادِرُ كُلٌّ إلى ما غَوَى[١]

ولو أنْصَفُوا الجِسْمَ لَاسْتَظْهَروا ... له (بالمرانِ) وطِيبِ الهَوا[٢]

*
* *

فيا نادِياً ضَمَّ أُنْسَ النَّدِيمِ ... وهْوَ الكَرِيمِ وُقِيتَ البِلَى

لَيالِيكَ أُنْسٌ جَلَاها الصَّفا ... فأسْرَتْ إليكَ وُفُودُ المَلَا[٣]

فكَمْ ليلةٍ طابَ فيكَ الحَديثُ ... فكانَ الكُئُوسَ وكانَ الطِّلا[٤]

فمِنْ مُشْجِياتٍ إلى مُطْرِباتٍ ... إلى مُضْحِكاتٍ تُسَلِّي ، إلَى ...[٥]

وقد زانَ لَهْوَكَ ثوبُ الوَقارِ ... فلَهْوُكَ في كُلِّ ذَوْقٍ حَلَا

تَخِفُّ إليهِ رِزانُ الحِجَا ... وتَمْشِي إليهِ السَّراةُ الأُلَى[٦]

فقُلْ لِلّذِي باتَ تَحْتَ العُقُودِ ... بِحَرْبٍ على نَفْسِهِ مُبْتَلَى[٧]

أَتِلْكَ الأَماكِنُ لا تُسْتَرادُ ؟ ... أَتِلْكَ المَناظِرُ لا تُجْتَلَى ؟[٨]

---

(١) النرد : هو اللعبة المعروفة (بالطاولة) .

(٢) استظهروا : اى استعانوا . و « له » أى لأجله . والذى وجدناه فى كتب اللغة مرن الجسم مرونا ومرانة لا مرانا كما استعمله الشاعر متابعة لما شاع فى كلام أهل العصر .

(٣) الإسراء والسرى : السير بالليل .

(٤) الطلاء (بالمد ، وقصر للضرورة) : الخمر ؛ شبه به طيب الحديث .

(٥) إلى : أى إلى غير ذلك من أنواع اللهو .

(٦) الرزان : جمع رزين . يريد العقول الراجحة . وتخف له : أى إلى ما فى هـذا النادى من لهو ومتاع . وسراة القوم : ذوو الأقدار الرفيعة ، الواحد سرى (بفتح السين وتشديد الياء) والألى : أى الذين بلغوا من الرفعة وعلو المنزلة مبلغا عظيما ؛ فحذف الشاعر الصلة للعلم بها .

(٧) العقود : نوع من الأبنية معروف فى مصر ؛ ومنه ما يسمى (بالبواكى) ؛ وكان بعض أصحاب المقاهى يتخذون تحتها مقاعد للناس .

(٨) تستراد : تبتغى وتطلب .

أتحتَ السماء وبدرِ السماء … وبينَ الرياض وبينَ الحلا
يملّ الجلوسَ ويفنى الحديثُ ؟ … فهذا النعيمُ وإلّا فلا !
سألتُ الألى يقدرون الحياة … ألم تفتتنكم ؟ فقالوا : بلى
مكانٌ لعمركَ ما حلّ في … نواحيه ذو الحزنِ إلّا سلا
فما أنتَ في مصرَ إنْ لم تطرْ … إليه فتشهدَ تلك الحُلى
له ملعب فيه ما يشتهى … محبُّ الرياضةِ مهما غلا
لكلّ فريقٍ به لعبةٌ … تلائمُ منْ سنّه ما خلا[1]

*
* *

ولعبٌ هو الجدُّ لو أننا … نظرنا إليه بعينِ النُّهى
لدَى غير (مصر) له حظوةٌ … فكم راحَ يلهو به مَنْ لها
وفي أرضِ (يونانَ) شاهدتُه … فأىُّ جمالٍ إليه انتهى
وشاهدتُ موسمَه قد حوتْ … نواحيه غايةَ ما يشتهى
وماجَ بزوارهِ المولعين … وأضحى بعرشِ الملوكِ ازدهى[2]
وقد زادَ ألعابَه بهجةً … مكانٌ فسيحٌ معدٌّ لها
صراعٌ وعدوٌ بعيدُ المدى … ووثبٌ يكادُ ينالُ السُّها[3]

---

(١) ما خلا : أي ما مضى من عمره .

(٢) ازدهى : افتخر واختال .

(٣) العدو : الجرى . والسها : كوكب خفى لشدة بعده .

وشاهَدْتُ عَدّاءَهُمْ قــد عَدَا ثَلاثِينَ ميــــلًا وما إنْ وَهَى(١)

وقامَتْ مُــلاكَمَةُ اللاعِــبِين فأنْسَت تنــاطُحَ وَحْشِ ٱلْمَهَــا(٢)

بأوْحَى منَ اللّمْحِ كانَ النّزال فيــا وَيْلَ مَنْ مِنْهُمَا قــد سَهَا(٣)

ولو رُحْتُ أَنْعَتُ تِلْكَ الضُّرُوب لَضَــاقَ القَرِيضُ وأَعْيَــا بِهــا(٤)

على أنّ فى أُفْقِنــا نَهْضَــةً سَتَبْلُغُ رَغْــم القُعُودِ المَــدَى

وإنْ لم تَكُنْ بلغت أَوْجَهــا كَذا كلُّ شَىْءٍ إذا ما ٱبْتَــدَا(٥)

ونادِى الرِّياضَــةِ أَوْلَى بأنْ يكونَ عليهــا مَنــارَ الهُــدَى(٦)

أَظَلَّتْ جَــلائِلَ أَعْمــالِهِ ظِلالُ (حُسَيْنٍ) حَلِيفِ النَّدَى(٧)

مَلِيــكٌ رَعاه بإقْبــالِه وحُسْنِ عِنايَتِــه والجَــدَا(٨)

فَفِى عَهْــدِه فَلْيَجِدَّ المُجِــدّ فإنَّ السُّــعودَ به قد بَدَا

---

(١) عدا : جرى . ووهى : ضعف .

(٢) المها : بقر الوحش ، الواحدة مهاة .

(٣) أوحى من اللمح : أى أسرع منه . والوحى (بالألف المقصورة ، والوحاء بالمد) السرعة . ومنهما ، أى من المتلاكمين .

(٤) الضروب : أنواع اللعب .

(٥) أوجها : أى غاية ما تسمو إليه .

(٦) عليها : أى تلك النهضة السابق ذكرها .

(٧) يريد المغفور له السلطان حسين كامل . والندى : الجود .

(٧) الجدا : العطاء .

رحلة حافظ إلى إيطاليا

[نشرت في نوفمبر سنة ١٩٢٣ م]

عاصفٌ يرتمي وبحرٌ يُغيرُ … أنا باللهِ منهما مُستجيرُ (١)

وكأنَّ الأمواجَ — وهيَ توالَى … مُحْنَقاتٍ — أشجانُ نفسٍ تثورُ (٢)

أزبدتْ، ثمّ جرجرتْ، ثم ثارتْ … ثمّ فارتْ كما تفورُ القُدورُ (٣)

ثمّ أوفتْ مثلَ الجبالِ على الفلْـ … ـكِ وللفُلْكِ عزمةٌ لا تخورُ (٤)

تترامَى بجؤجؤٍ لا يُبالي … أمِياهٌ تحوطُه أم صخورُ؟ (٥)

أزعجَ البحرُ جانبيها من الشدّ … فجنبٌ يعلو وجنبٌ يغورُ

وهْوَ آنًا ينحطُّ مِن عَلُ كالسَّيْـ … ـلِ وآنًا يحوطُها منه سُورُ (٦)

وهيَ تزْوَرُّ كالجوادِ إذا ما … ساقَهُ للطِّعانِ نَدْبٌ جَسورُ (٧)

وعليها نفوسُنا خائراتٌ … جازعاتٌ كادت شَعاعًا تطيرُ (٨)

---

(١) يرتمي : يشتد في هبوبه .

(٢) توالى : أي تتوالى ومحنقات : غاضبات . وتثور : تهيج .

(٣) أزبدت : قذفت بالزبد (بالتحريك) ، وهو الرغوة التي تعلو الماء عند فورانه . وجرجرت : صوتت .

(٤) أوفى عليه : أشرف . وتخور : تضعف .

(٥) تترامى : أي الفلك ؛ وهو يذكر و يؤنث . وجؤجؤ السفينة : صدرها .

(٦) ضمير وهو ، والهاء في قوله : « منه » للبحر . ومن علو (مثلث الواو) ، أي من أعلى .

(٧) تزور : تنحرف وتميل . والندب : الماضي الخفيف في الحاجة .

(٨) طارت نفسه شعاعا : أي ذهبت متفرقة من خوف أو نحوه .

فى ثنايا الأمواج والزبد المندوف لاحت أكفاننا والقبور[١]
مر يوم وبعض يوم علينا والمنايا إلى النفوس تشير
ثم طافت عناية الله بالفلك فزالت عمن تقل الشرور[٢]
ملكت دفة النجاة يد اللـه فسبحان من إليه المصير
أمر البحر فاستكان وأمسى منه ذاك العباب وهو حصير[٣]
أيها البحر لا يغرنك حول واتساع وأنت خلق كبير[٤]
إنما أنت ذرة قد حوتها ذرة فى فضاء ربى تدور[٥]
إنما أنت قطرة فى إناء ليس يدرى مداه إلا القدير[٦]
إيه (إسبيريا) فدتك الجوارى منشآت كأنهن القصور[٧]
ياعروس البحار إنك أهل أن تحليك بالجمان البحور[٨]
فالبسى اليوم من ثنائى عقدا تشتهيه من الحسان النحور

* * *

(١) يقال : ندف القطن يندفه ، وذلك إذا ضربه بالمندف ليرق . وشبه الشاعر زبد البحر بالقطن المندوف .

(٢) تقل : تحمل .

(٣) استكان : سكن وخضع . والعباب : الموج . وهو حصير : أى مستوى السطح كالحصير .

(٤) الحول : القوة .

(٥) أى أن البحر ذرة من الكرة الأرضية التى هى ذرة فى الفضاء .

(٦) مداه : أى مدى الإناء . ويريد « بالإناء » الكون .

(٧) إسبيريا : اسم الباخرة التى أقلت الشاعر إلى إيطاليا . والجوارى : السفن ، الواحدة جارية .

(٨) الجمان : اللؤلؤ ، الواحدة جمانة ، وخص الجمان لأنه مما تحويه البحار فى أجوافها .

إيه إيطاليا عدتك العوادي وتنحّى عن ساكنيك الثبور[١]
فيك يامهبط الجمال فنون ليس فيها عن الكمال قصور
ودمى جمّع المحاسن فيها صنع الكف عبقرى شهير[٢]
قد أقيمت من الجماد ولكن من معانى الحياة فيها سطور
فهى تبدو من الملائك يكسو ها جمال على حفافيه نور[٣]
أمرت بالسكوت من جانب الحـ ـق بدنيا فيها الأحاديث زور
أرضهم جنة وحور وولدا ن كما تشتهى وملك كبير
تحتها — والعياذ بالله — نار وعذاب ومنكر ونكير[٤]
إن يوماً كيوم (رِدْجو) و (مسيـ ـنا) و (كالبريا) ليوم عسير[٥]
ساعة منه تهلك الحرث والنسـ ـل وتمحو ماسطرته الدهور[٦]
ذاك (فيزوف) قائماً يتلظى قد تعالى شهيقه والزفير[٧]
ينذر القوم بالرحيل ولكن ليس يغنى مع القضاء النذير[٨]

(١) عدتك العوادى : جاوزتك النوائب وتخطتك . والثبور : الهلاك .

(٢) يريد بالدمى : التماثيل ، الواحدة دمية . وصنع الكف (بالتحريك) : حاذق بصنعته . ويشير بهذا البيت وما بعده إلى ما اشتهر به الإيطاليون من صنع التماثيل التى تنطق بمهارة صناعها وحذقهم .

(٣) على حفافيه : على جانبيه .

(٤) منكر ونكير : ملكان يمتحنان ويفتنان الميت فى قبره ؛ وهما مثلان فى الفزع والرعب . ويشير بهذا البيت إلى ما خصت به طبيعة بلادهم من وجود (البراكين) وكثرة الزلازل بها .

(٥) يريد بيوم ردجو (Reggio) و (Calabria) . ومسينا : يوم الزلزال الذى وقع فى هذه المناطق . أنظر القصيدة السابقة فى زلزال مسينا . وردجو مدينة فى جنوبى إيطاليا على مضيق مسينا ، وكالبريا مقاطعة .

(٦) الحرث : الزرع .

(٧) فيزوف : (بركان) بإيطاليا معروف .

(٨) أى أن فيزوف بما يتصعد منه من دخان دائم كأنه نذير للقوم بالرحيل عن جواره واختيار مكان آخر يقيمون به ، ولكن إذا حم القضاء فلا تغنى النذر .

وكذاكَ الأَوْطانُ مَهْمَا تَجَنَّتْ ... ليسَ للحُرِّ عن حماهَا مَسيرُ

شَمْسُهُمْ غادَةٌ عليها حِجابٌ ... فهِىَ شَرْقِيّةٌ حَوَتْها الخُدُورُ [1]

شَمْسُنا غادةٌ أبَتْ أنْ تَوارَى ... فهِىَ غَرْبِيّةٌ جَلاهَا السُّفُورُ [2]

جَوُّهُمْ فى تَقَلُّبٍ واْختِلافٍ ... غيرَ أنّ الثَّباتَ فيهِمْ وَفيرُ

جَوُّنا أَثْبَتُ الجِواءِ ولٰكنْ ... ليسَ فينا على الثَّباتِ صَبُورُ [3]

ولَدَيْهِمْ منَ الفُنُونِ لُبابٌ ... ولَدَيْنَا منَ الفُنُونِ قُشُورُ

أَنْكَرَ الوقفَ شَرْعُهُمْ فلِهٰذا ... كلُّ رَبْعٍ بأَرْضِهِمْ مَعْمُورُ [4]

ليسَ فيها مُسْتَنْقَعٌ أو جِدارٌ ... قد تَداعَى أو مَسْكَنٌ مَهْجُورُ [5]

كلُّ شِبْرٍ فيها عليه بِناءٌ ... مُشْمَخِرٌّ أو رَوْضَةٌ أَوْ غَدِيرُ [6]

قَسَّمُوا الوَقْتَ بيْنَ لَهْوٍ وجِدٍّ ... فى مَدَى اليَوْمِ قِسْمَةً لا تَجُورُ

كلُّهُمْ كادِحٌ بَكُورٌ إلى الرِّزْ ... قِ وَلاهٍ إذا دَعاهُ السُّرُورُ [7]

لا تَرَى فى الصَّباحِ لاعِبَ نَرْدٍ ... حَوْلَهُ للرِّهانِ جَمٌّ غَفِيرُ

---

(١) الغادة : المرأة الناعمة اللينة . وشرقية : أى امرأة شرقية ؛ ويشير إلى ما يحجب الشمس فى بلادهم من الضباب و الغيم .

(٢) غربية : أى امرأة غربية . و يشير إلى صحو الجو وصفائه من الغيم فى بلاد الشرق .

(٣) الجواء : جمع جو .

(٤) يشير إلى ما يلحق منازل الأوقاف فى مصر من التخريب والدمار لقلة العناية بها . وكان للشاعر كلمة مأثورة فى هذا وهى : « بيوت الوقف كالجدرى فى وجه المدينة » .

(٥) تداعى : تهدّم .

(٦) مشمخر : مرتفع .

(٧) الكادح : الساعى المجدّ فى طلب الرزق . والبكور (بفتح الباء) : المبكر .

لَا ولَا باهِلًا سَلِيم النَّواحى — للقَهاوِى رَواحُه والبُكُورُ[١]

لَمْ يَحُلْ بَيْنَهُمْ وبينَ المَلاهِى — أو شُؤُون الحَياة جَوٌّ مَطِيرُ[٢]

لَايُبالُون بالطَّبِيعة حَنَّتْ — أَمْ تَجَنَّتْ أَمْ احتَواهَا النَّعورُ؟[٣]

عَصَفَتْ فوقَهُمْ رِياحٌ عَواتٍ — أَمْ أَجازَت بِهِمْ صَبًا أَمْ دَبُورُ؟[٤]

قد أَعَدُّوا لحادِثاتِ اللَّيالى — عُدَّةً لا يَحُوزُها التَّقْدِيرُ

نَضَّرُوا الصَّخْرَ فى رُءُوس الرَّواسِى — ولَدَيْنا فى مَوطِنِ الخِصْبِ بُورُ[٥]

قد وَقَفْنا عند القَدِيم وسارُوا — حيثُ تَسْرِى إلى الكَمالِ البُدُور

والجَوارى فى النِّيلِ منْ عَهْدِ (نُوحٍ) — لَمْ يُقَدَّرْ لصُنْعِها تَغْيِيرُ

وَلِعَ القَوْمُ بالنَّظافَة حَتَّى — جُنَّ فيها غَنِيُّهُمْ والفَقِيرُ

فاذا سِرْتُ فى الطَّرِيق نَهارًا — خِلْتُ أَنِّى على المَرايا أَسِيرُ

أَفْرَطَ القَوْمُ فى النِّظامِ وعِنْدِى — أَنَّ فَرْطَ النِّظامِ أَسْرٌ وَنِيرُ[٦]

---

(١) الباهل : المتردد بلا عمل . وسليم النواحى ، أى صحيح الجسم ليس به عاهة تمنعه العمل . وإطلاق « القهوة » على المكان الذى يشرب فيه : مجاز ، كإطلاق النار على جهنم .

(٢) يريد بهذا البيت أن الأمطار فى تلك البلاد مهما غزرت فلن تعوق السائرين عن مقاصدهم لما لديهم من الوسائل التى تجعل ذلك من الأمور المألوفة . ويشير الشاعر إلى المفاضلة بين ما لديهم من تلك الوسائل وما لدينا .

(٣) النعور : الريح التى تفاجئك بحر وأنت فى برد ، أو ببرد وأنت فى حر .

(٤) العواتى من الرياح : الشديدة العصف ، التى جاوزت حد هبوبها . وأجازت بهم : أى مرت بهم . وفى كتب اللغة أن أجاز وجاز ، كلاهما بمعنى جاوز . ومنه حديث المسعى : « لاتجيزوا البطحاء إلا شدًا » أى لا تجوزوا . والصبا : ريح الشمال ، وتقابلها الدبور ، وهى ريح الجنوب .

(٥) يشير بهذا البيت إلى ما امتازت به أمم الغرب من دءوب على العمل وعلم جم حتى إنهم جعلوا الصخور فى رءوس الجبال التى لا تنبت شيئا نضرة بما غرسوا فيها من ألوان النبات ، وهذا على عكس ما لدينا من كسل وتوا كل جعلا أرضنا الخصبة مقفرة من الزرع .

(٦) النير : الخشبة المعترضة فى عنق الثورين بأداتها .

وَلَذِيذُ الحَيَاةِ ماكان فَوْضَى ليسَ فِيها مُسَيْطِرٌ أو أَمِيرُ
فإذا ما سَأَلْتَنِي قلتُ عنهم أُمّةٌ حُرّةٌ وفَرْدٌ أَسِيرُ[١]
ذاكَ رَأْيِي وهَلْ أشارَكُ فِيه إنّه قَوْلُ شاعِرٍ لا يَضِيرُ
في جِبالِ (التِّيرُولِ) إنْ أَقْبَلَ الصَّيْفُ نَعِيمٌ وإنْ مَضَى زَمْهَرِيرُ[٢]
أَذْكَرَتْنِي ما قالَه عَرَبِيٌّ طارِقِيٌّ أَمْسَى آحتَواهُ (شُلَيْرُ)[٣]:
حَلَّ تَرْكُ الصَّلاةِ فِي هٰذه الأَرْض وحَلَّتْ لنا عَلَيْها الخُمُورُ
إنّ صَدْرَ السَّعِيرِ أَخْفَى علينا مِنْ (شُلَيْرٍ) وأينَ مِنّا السَّعِيرُ
قد بَلَوْتُ الحَياةَ فى الشَّرْقِ والغَرْب فما فى الحياةِ أمرٌ يَسِيرُ
مِنْ ثَواء فيه المَلالُ لِزامٌ أَوْ رَحِيلٍ فيه العَناءُ كثِيرُ[٤]

---

(١) يشير بقوله : وفرد أسير ، إلى كثرة ما سنوا من قوانين ونظم تقيد الأفراد فى نواحى الحياة ولا تجعلهم مطلق الحرية .

(٢) التيرول : إقليم جبلى من جبال الألب يقع فى الشمال الشرقى من إيطاليا .

(٣) طارق ، نسبة إلى طارق بن زياد فاتح الأندلس . وشلير (بلفظ التصغير) : جبل بالأندلس من أعمال البيرة ، لا يفارقه الثلج شتاء ولا صيفا . وفى هذا البيت سناد حذو ، وهو اختلاف حركة الحرف الذى قبل الردف ، والردف : حرف مد قبل الروى . ويشير الشاعر بهذا البيت إلى قول بعض المغاربة وقد مر بشلير فوجد ألم البرد :

يحل لنا ترك الصلاة بأرضكم وشرب الحميا وهو شيء محرم
فرارا إلى نار الجحيم فإنها أخف علينا من شلير وأرحم
إذا هبت الريح الشمال بأرضكم فطوبى لعبد فى لظى يتنعم
أقول ولا أنحى على ما أقوله كما قال قبلى شاعر متقدم
فإن كان يوما فى جهنم مدخلى ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

وقد ضمن حافظ معنى هذه الأبيات فى البيتين الآتيين .

(٤) الثواء : الإقامة .

حريق

قال هذه الأبيات فى حريق رآه بمنزل عبد الله أباظه بك

عَجِبَ النّاسُ منْكَ يابنَ سُلَيْما نَ وقد أبْصَرُوا لَدَيْكَ عَجِيبا

أبْصَروا فى حِماكَ غَيْثًا ونارًا ذاكَ يَهْمِى وتِلْكَ تَذْكُو لَهِيبا[1]

ونَسُوا أنّ جُودَ كَفِّكَ غَيْثٌ ظَلَّ لِلْمُرْتَجِى الوُرودِ قَرِيبا

وهِىَ ضَيْفٌ أصابَه عَنَتُ الدّهْـ ـرِ وألْفَى هذا الفِناءَ رَحِيبا[2]

فأتَى يُبْرِدُ الغَلِيلَ بقَطْرٍ مِنْ نَدَى سَيِّدٍ يُواسِى الغَرِيبا[3]

خنجر مكبث

قصيدة مترجمة عن الشاعر الإنجليزى شكسبير ، قالها على لسان مكبث يخاطب خنجرا تخيله حينما هم باغتيال ابن عمه دانكان الملك ليخلفه فى ملكه ، ويصف تردده أولا ثم تصميمه بعد ذلك على تنفيذ ما أراد :

كأنّى أرَى فى اللّيلِ نَصْلًا مجرّدا يَطيرُ بكِلْتَا صَفْحَتَيْهِ شَرارُ[4]

تُقَلِّبُه للعَيْنِ كَفٌّ خَفِيّةٌ ففيه خُفُوقٌ تارةً وقَرارُ[5]

---

(١) يهمى : ينصب ويريد « بالغيث » : كرم الممدوح . وتذكو : تضطرم وتشتعل .

(٢) هى : أى النار . والعنت : الشدّة والمشقة . والفناء (بكسر الفاء) : ساحة البيت .

(٣) الغليل : شدّة العطش .

(٤) نصل السيف : حدّه . والمجرد من السيوف : المسلول من غمده .

(٥) الخفوق : الاضطراب . والقرار : الاستقرار .

يُماثِلُ نَصْلِى فى صَفاء فِرِنْده ... ويَحْكِيه منه رَوْنَقٌ وغِرارُ[1]

أَراهُ فتُدْنِينِى إليه شَراسَتِى ... فيَنْأَى وفى نَفْسِى إِليه أُوَارُ[2]

وأَهْوِى بزَنْدِى طامعًا فى التقاطه ... فيُدرِكُه عند الدُّنُوِّ نِفارُ[3]

تَخَبَّطَنِى مَسٌّ مِنَ الجِنِّ أَمْ سَرَتْ ... بأجزاءِ نَفْسِى نَشْوَةٌ وخُمارُ[4]

أَرانِىَ فى لَيْلٍ من الشَّكِّ مُظْلِمٍ ... فيالَيْتَ شِعْرِى هَلْ يَلِيه نَهارُ؟

سأَقْتُلُ ضَيْفِى وابنَ عَمِّى ومالِكى ... ولو أنَّ عُقْبَى القاتِلِين خَسارُ

وأُرْضِى هَوَى نَفْسِى وإنْ صَحَّ قَوْلُهُمْ ... هَوَى النَّفْسِ ذُلٌّ ، والخِيانةُ عارُ

فيأَيُّها النَّصْلُ الّذى لاحَ فى الدُّجَى ... وفى طَىِّ نَفْسِى للشُّرورِ مَثَارُ[5]

تُرَى خَدَعَتْنِى العَيْنُ أَمْ كنتُ مُبْصِرًا ... وهٰذا دَمٌ ، أَمْ فى شَباتِكَ نارُ[6]؟

وهل أنتَ تِمْثالٌ لكَيْدٍ نَوَيْتُه ... وذاكَ الدَّمُ الجارِى عليكَ شِعارُ[7]؟

فإنْ لم تكنْ وَهْمًا فكُنْ خيرَ مُسْعِدٍ ... فإِنِّى وَحِيدٌ والخطُوبُ كُثارُ[8]

وكُنْ لى دَليلًا فى الظَّلامِ وهادِيًا ... فلَيْلِى بَهِيمٌ والطَّرِيقُ عِثارُ[9]

---

(١) فرند السيف : جوهره وماؤه الذى يترقرق فى صفحته ؛ وهو فارسى معرب . وغرار السيف (بالكسر) : حدّه . والمعنى أن هذا الخنجر يشبه خنجرى فى لمعانه وبريقه ومضاء حدّه .

(٢) الشراسة : الحدة وسوء الخلق . وينأى : يبعد . والأوار : شدّة العطش .

(٣) الزند من الذراع : ما فوق المرفق . والنفار (بكسر النون) والنفور (بضمها) كلاهما بمعنى واحد .

(٤) يقال : تخبطه الشيطان : أى مسه بأذى أو جنون . والنشوة : السكر . وخمار الخمر : ما خالطك من سكرها .

(٥) مثار : أى مكان لثوران الشر ، ويجوز أن يراد به المصدر ، أى ثورة الشر واهتياجه .

(٦) شباة السيف : حدّه .

(٧) الشعار : العلامة .

(٨) الكثار (بضم الكاف) : الكثير . يقول : إن كنت أيها الخنجر خنجرا حقيقيا فأعنى على ما هممت به من قتل ابن عمى : فإنى وحيد لا أقوى على احتمال هذه المصائب المحيطة بى .

(٩) العثار : الشر .

على الفَتْك يا (دُنْكان) صَحَّتْ عَزِيمَتِي ... وإنْ لم يَكُنْ بَيْنِي وبَيْنَكَ ثارُ

فإنْ يَكُ حُبُّ التاجِ أَعْمَى بَصِيرتِي ... فما لى على هٰذا القَضاءِ خِيارُ

أَعِرْنِى فُؤادًا منكَ يا دَهْرُ قاسيًا ... لو آنّ القُلوبَ القاسياتِ تُعارُ

ويا حِلْمُ قاطِعْنِي ويا رُشْدُ لا تَثُبْ ... ويا شَرُّ مالِي مِنْ يَدَيْكَ فِرارُ[(١)]

ويا لَيْلُ أَنْزِلْنِي بجَوْفِكَ منزلًا ... يَضِلُّ به سِرْبُ القَطَا ويَحارُ[(٢)]

وإنْ كنتَ لَيْلَ (المانَوِيَّة) فلْيَكُنْ ... على سِرِّ أَهْلِ الشَّرِّ منكَ سِتارُ[(٣)]

ويا قَدَمِى سِيرِى حِذارًا وخافِتِي ... مِنَ المَشْيِ لو يُنْجِي الأثيمَ حِذارُ[(٤)]

وَقَفْتُ بجَوْفِ اللَّيْلِ وَقْفَةَ ساحِرٍ ... له الجِنُّ أَهْلٌ والمَكايدُ دارُ

إذا اشْتَمَلَ اللّيلُ البَهِيمُ على الوَرَى ... تَجَرَّدَ للإِيذاءِ حيثُ يُثارُ[(٥)]

فمالى ؟ كأنِّى فاتِكٌ ذو عَشيرةٍ ... خِيارُهُمُ تحتَ الظَّلامِ شِرارُ[(٦)]

إذا ما عَوَى ذِئْبُ الفَلاةِ هَبَّ جَمْعُهُمْ ... إلى الشَّرِّ واستُلَّتْ ظُبًا وشِفارُ[(٧)]

---

(١) لا تثب : أى لا ترجع .

(٢) سرب القطا : جماعة الحمام . وخص القطا بالذكر لأنها يضرب بها المثل فى الهداية . يطلب إلى الليل أن يستره بظلامه حتى لا يهتدى أحد إلى خيانته وغدره .

(٣) أضاف الليل إلى المانوية ، وهى الطائفة المنسوبة إلى مانى لأنهم كانوا يعتقدون أن الليل إله الشر ، والنهار إله الخير ، قال أبو الطيب المتنبى .

وكم لظلام الليل عندك من يد ... تخبر أن المانوية تكذب

يقول : إن كنت أيها الليل إلها للشر كما تزعم المانوية ، فاستر على أهل الشر شرورهم ولا تدل أحدا عليهم .

(٤) خافتى من المشى : أى خففيه وخفضى من صوته حتى لا يسمعه أحد .

(٥) البهيم : الشديد الظلمة . وتجرد للإيذاء : انبعث إليه وأسرع نحوه . ويثار : يهاج ، أى أسرع إلى الإيذاء حيث يكون الإيذاء .

(٦) يريد بهذه العشيرة : جماعة اللصوص وقطاع الطرق وسفاكى الدماء .

(٧) عوى : صوّت . والفلا : الصحارى ، الواحدة فلاة . واستلت : أخرجت من أغمادها . والظبا : جمع ظبة (بضم ففتح) ، وهى حد السيف . والشفار : السكاكين والواحدة شفرة .

طول الليل

يا ساهدَ النَّجمِ هَلْ للصُّبحِ مِنْ خَبَرِ   إنِّى أَرَاكَ على شَىْءٍ مِن الضَّجَرِ[1]
أَظُنُّ لَيلَكَ مُـذْ طال المُقَامُ به   كالقَوْم فى مِصْرَ ، لا يَنْوِى على سَفَرِ[2]

وقال فى هذا المعنى أيضا[3] :

أقَضِّيه فى الأَشْواقِ إلّا أقَلَّهُ   بَطِئٌ سُرَى أَبْدَى إلى اللُّبْثِ مَيْلَهُ[4]
وليسَ اشتياقى عَنْ غَرَامٍ بشادنٍ   ولـكنّه شَوْقُ امْرِئٍ فاتَ أَهْلَهُ[5]
فيالَكَ مِنْ لَيْلٍ أَعَرْتُ نُجُومَه   تَوَقُّدَ أَنْفاسى وعانَيْتُ مِثْلَهُ[6]
ومَلَّ كلانَا مِنْ أَخِيه وهكذا   إذا طال عَهْدُ المَرْءِ بالشَّىْءِ مَلَّهُ

الشّعر

ضعتَ بينَ النهى وبين الخيالِ   يا حَكِيمَ النُّفُوسِ يابْنَ المَعَالِى[7]
ضعتَ فى الشَّرقِ بَيْنَ قَوْمٍ هُجُودٍ   لَمْ يُفِيقُوا وأُمَّةٍ مِكْسالِ[8]

---

(١) الساهد : الساهر .

(٢) يريد «بالقوم» : الإنجليز . ولا ينوى ، أى الليل . شبه الليل بجيش الاحتلال فى مصر فى طول الإقامة ، وعدم ظهور أمارات تدل على الجلاء .

(٣) أشير فى الديوان المطبوع إلى أنها قصيدة طويلة ، ولم يعثر منها إلا على هذه الأبيات ، ولم نقف نحن أيضا على بقيتها .

(٤) أقضيه أى أقضى الليل . واللبث : المكث .

(٥) الشادن : ولد الظبية . والمراد هنا : المليح .

(٦) يريد أن النجوم اشتعلت من توقد أنفاسه ، وفى قلبه من اللوعة والشوق مثل هذا التوقد .

(٧) النهى العقول ، الواحدة نهية .

(٨) الهجود : النيام .

قد أذالوكَ بينَ أُنسٍ وكأسٍ ... وغرامٍ بظَبيَةٍ أو غزالِ[1]

ونسيبٍ ومِدحَةٍ وهجاءٍ ... ورِثاءٍ وفِتنَةٍ وضَلالِ[2]

وحَماسٍ أَراهُ في غيرِ شيءٍ ... وصَغارٍ يَجُرُّ ذَيلَ اختيالِ[3]

عِشتَ ما بينَهُم مُذالًا مُضاعًا ... وكذا كنتَ في العُصورِ الخَوالي[4]

حَمَّلوكَ العَناءَ مِنْ حُبِّ (لَيلَى) ... و (سُلَيمى) ووقفَةَ الأَطلالِ[5]

وبُكاءٍ على عَزيزٍ تَوَلَّى ... ورُسُومٍ راحَتْ بِهِنَّ اللَّيالي[6]

وإذا ما سَمَوا بِقَدرِكَ يَومًا ... أَسكَنوكَ الرِّحالَ فَوقَ الجِمالِ[7]

آنَ يا شِعرُ أَنْ نَفُكَّ قُيودًا ... قَيَّدَتْنا بِها دُعاةُ المُحالِ

فارفَعوا هذه الكَمائِمَ عَنّا ... ودَعُونا نَشَمُّ رِيحَ الشَّمالِ

---

(١) أذالوك : أهانوك وأصغروا شأنك .

(٢) النسيب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن فى الشعر .

(٣) الصغار : الذل . ومعنى قوله : « وصغار » الخ أى أنهم تياهون وهم أذلاء .

(٤) المذال : المهان .

(٥) ليلى وسليمى : من الأسماء التى ردّدها الشعراء قديما وأكثروا فيها القول نسيبا وتشبيبا . والأطلال : ما بقى من آثار الديار : الواحد طلل (بالتحريك) . وللشعراء فى الأطلال وقفات ذكروا فيها غرامهم وحبهم وحسرتهم على أيام خلت .

(٦) الرسوم : آثار الديار .

(٧) « أسكنوك الرحال » الخ ، أى وصفوا الرحال والجمال وما يتعلق بذلك فى أشعارهم . ويعرض الشاعر بما نحن فيه من اتباع طريق العرب فى الشعر من ذكر العيس ، ومناداة الأطلال ؛ وإن صح هذا للعرب فلا يصح لنا ، فلقد كانوا يصدرون فى ذلك عما يحيط بهم ؛ وأما نحن فلا نحس من ذلك شيئا .

خزان أُسوان

قال هذين البيتين فى العام الذى أسس فيه خزان أسوان ونقص فيه الفيضان

(١٩٠٢ م)

أَنْكَرَ النِّيلُ مَوْقِفَ الخَزّان فَانْثَنَى قافِلًا إلى السُّودانِ[٤]

راعَه أنْ يَرَى على جانِبَيْه رَصَدًا مِنْ مَكايِدِ الإنْسانِ[٥]

مَعُونة الدمع

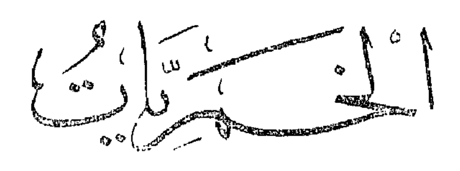
يا مَنْ خَلَقْتَ الدَّمْعَ لُطْ فًا منكَ بالباكى الحَزِينْ

بارِكْ لِعَبْدِكَ فى الدُّمُو عِ فإنّها نِعْمَ المُعِينْ

---

(٤) القافل : الراجع .

(٥) الرصد : الحافظ والحارس .



قال :

[نشرت فى سنة ١٩٠٠ م]

هٰذَا الظَّـــــلامُ أَثارَ كامِنَ دائِى … يا ساقِـــيَّ عَلَىَّ بالصَّـــــهْباءِ (١)

بالكاسِ أو بالطَّـاسِ أو بٱثْنَيْهِما … أو بالدِّنانِ فإنَّ فِيـــــه شِفـائى (٢)

مَشْمُولَةٌ لولا التُّـــقَى لَعَجِبْتُ مِنْ … تَحْـــرِيمِها والذَّنْبُ للقُـــدماءِ (٣)

قَرِبُوا الصَّلاةَ وهُمْ سُكارَى بَعْدَ ما … نَزَلَ الكتابُ بحِـــكْمَةٍ وجَلاءِ

يا زَوْجَةَ ٱبنِ المُزْنِ يا أُخْتَ الهَنـا … يا ضَرَّةَ الأَحْزانِ فى الأَحْشـــــاءِ (٤)

يا طِبَّ (جالِينُــوسَ) فى أَنْواعِه … مالِى أَراكِ كثيرةَ الأَعْـــــداءِ (٥)

---

(١) الصهباء : الخمر ، سميت بذلك لصهبتها ، أى حمرتها .

(٢) الطاس : إناء معروف . وذكر (اثنيهما) على اعتبار أنهما إناءان ، ولو راعى اللفظ لأنثه ، لأن الكأس والطاس مؤنثتان . والدنان (بالكسر) : جمع دن (بالفتح) وهو الجرة العظيمة . وفيه : أى فى الشراب .

(٣) المشمولة : الخمر ، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحها ؛ أو لأن لها عصفة كعصفة ريح الشمال . وفى جعله الذنب على القدماء إشارة إلى سبب التحريم ، وذلك أن الله تعالى كان قد نهى عن أن يقربوا الصلاة وهم سكارى ، فقال : (يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ، فلما لم ينته بعضهم عن ذلك حرمها الله بقوله : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) وقد بسط الشاعر هذا المعنى فى البيت التالى .

(٤) المزن (بالضم) : السحاب . وابن المزن : الماء الذى ينزل منه : وجعل الخمر زوجة ابن المزن ، لأنها تمزج به . والضرة : الزوج الثانية . وجعلها ضرة الأحزان ، لأنها لا تجتمع معها فى قلب .

(٥) كلوديوس جالينوس : طبيب وفيلسوف يونانى مشهور ، ولد نحو سنة ١٣٠ م ، وتوفى نحو سنة ٢٠٠ م وقد عنى العرب بكتبه عناية شديدة بعد أن ترجمت إلى العربية ، فأكثر مؤلفوهم فى الطب من الأخذ عنه .

عَصَرُوكِ من خَدَّىْ سُهيلٍ خُلْسَةً ثم اخْتَبأْتِ بمُهْجَــةِ الظّلْماءِ[١]

فَلَبِثْتِ فيهـا قبـلَ نوحٍ حِقْبـةً وتَداوَلَتْــكِ أنامــلُ الآناءِ[٢]

حــتّى أتاحَ اللهُ أنْ تَجَمّــلى بيَــدِ الــكريمِ وراحَةِ الأُدَباءِ[٣]

يا صاحبى كيفَ النُّزوعُ على الطِّلا؟ ولقــد بُليتُ من الهُمومِ بِداءِ[٤]

واللّيــلُ أرْشَدَهُ أبوهُ لِشَــقْوَتى وكذا البَنُونَ على هَــوَى الآباءِ[٥]

ألّفْتُ بين ابْنِ السَّحابِ وبينَهـا فرأيتُ صِحّـــةَ ما حَكاهُ (الطّائى)[٦]

(صَعُبَتْ وراضَ المَزْجُ سَيِّئَ خُلْقِها فتَعــلّمَتْ مِنْ حُسْنِ خُلْقِ المـاءِ[٧]

---

(١) سهيل : هو أجمل نجم فى السماء بعد الشعرى اليمانية ، وهو كثير الاضطراب ، ولونه يضرب إلى الحمرة ؛ قال المعرى :

وسهيل كوجنــة الحب فى اللو ن وقلب المحب فى الخفقــان

يريد تشبيه لون الخمر بلون هذا النجم . ويريد بقوله : «ثم اختبأت» الخ : حفظها فى الدنان .

(٢) الحقبة (بالكسر) : الدهر . والآناء : جمع آن ، وهو الحين والوقت ، أى تعاقبت عليك الأزمان حينا بعد حين . يصفها فى هذا البيت بقدم العهد .

(٣) يريد أنها لا يشربها إلا كريم أو أديب ، فهى تزداد فى يديهما جمالا .

(٤) النزوع : الكف والانتهاء . والطلاء (بكسر الطاء والمد ، وقصر للشعر) : الخمر .

(٥) أبو الليل : الدهر . يريد أن الدهر أوصى ابنه بمحاربتى ، فجرت الأبناء على سنن الآباء .

(٦) ابن السحاب : المطر ، أى أنه مزجها بالماء . والطائى هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائى الشاعر المعروف .

(٧) راضه يروضه : ذلله وجعله لينا سهلا . يريد أن الماء قد كسر من حدتها وسورتها ، فكأنها اكتسبت لينه ولطفه وهذا البيت من قصيدة لأبى تمام يمدح بها يحيى بن ثابت ، ومطلعها :

قدك اتئد أربيت فى الغــلواء كم تعذلون وأنتم سجرائى

وقال وقد بعث بها إلى محمد(1) المويلحى بك الكاتب المعروف

[نشرت فى سنة ١٩٠٠]

أَوْشَكَ الدِّيكُ أَنْ يَصِيحَ ونَفْسِى ... بينَ هَمٍّ وبين ظَنٍّ وحَدْسِ (٢)

يا غلامُ ، المُدامَ والكاسَ ، والطَّا ... سَ ، وهَيِّئْ لَنا مَكاناً كأَمْسِ (٣)

أَطْلِقِ الشَّمسَ مِنْ غَياهِبِ هٰذا الـ ... دَّنِّ وآملأْ مِنْ ذٰلكَ النُّورِ كَأْسِى (٤)

وأذنِ الصُّبْحَ أنْ يَلُوحَ لعَيْنِى ... مِنْ سَناها فذاكَ وَقْتُ التَّحَسِّى (٥)

وٱدْعُ نَدْمانَ خَلْوَتى وٱئْتِناسِى ... وتَعَجَّلْ وأَسْبِلْ سُتُورَ الدِّمَقْسِ (٦)

وٱسْقِنا يا غُلامُ حتّى تَرانا ... لا نُطيقُ الكَلامَ إلاّ بِهَمْسِ

خَمْرةً قِيلَ إنّهم عَصَرُوها ... مِنْ خُدودِ المِلاحِ فى يَوْمِ عُرْسِ (٧)

مُذْ رَآها فَتَى العَزِيزِ مَناماً ... وهو فى السِّجْنِ بَيْنَ هَمٍّ ويَأْسِ (٨)

---

(١) انظر التعريف بمحمد بك المويلحى فى الحاشية رقم ١ من ص ١٤٠

(٢) صياح الديك : كناية عن طلوع الفجر . والحدس التخمين والتوهم . والمعنى أن نفسه بين هم متيقن وهم مظنون .

(٣) المدام (بالنصب) ، أى هات المدام .

(٤) يريد "بالشمس" : الخمر ، شبهها بها فى اللون . والغياهب : جمع غيهب ، وهى الظلمة .

(٥) يريد فى هذا البيت تشبيه لونها بضوء الصبح . والسنا : النور . وتحسى الشراب : شربه شيئا بعد شىء فى مهلة .

(٦) الندمان : جمع نديم . والدمقس : الحرير أو الديباج ، ووصل الهمزة فى قوله : "وأسبل" لضرورة الوزن .

(٧) شبه الخمر فى حمرتها بحمرة خدود الحسان فى يوم العرس ، لأن خدودهن تكون فى ذلك الحين أشد احمرارا بما عليها من أصباغ .

(٨) العزيز : ملك مصر . وفتاه هو أحد الفتيين اللذين كانا مع يوسف عليه السلام فى السجن ، وقد كان رأى فى منامه أنه يعصر خمرا ، وفسر له يوسف عليه السلام هذه الرؤيا بأنه سوف يسقى ربه عزيز مصر خمرا ، فما لبث أن خرج من السجن ، وجعله العزيز صاحب شرابه . ويريد بهذا البيت والذى بعده أن رؤيا الخمر فى المنام أسعدت فتى العزيز بالنجاة وبخدمته للملك بعد ما كان فيه من يأس ونحس ؛ فكيف لو كان شربها ؟ !

أَعْقَبَتْهُ ٱلخَلَاصَ مِنْ بَعْد ضيقٍ   وحَبتْه السُّعودَ مِنْ بَعْـدِ نَحْسِ
يا نَدِيمِى باللهِ قُـلْ لِى لِمـاذا   هٰـذه الخَنْدَرِيسُ تُدْعَى بِرِجْسِ؟[١]
هىَ نَفْسٌ زَكِيَّةٌ ، وأَبُـوها   غَرْسُهُ فى الجِنانِ أَكْرَمُ غَرْسِ[٢]
هىَ نَفْسٌ تَعَلَّمَتْ حُسْـنَ أَخْلا   قِ (المُولَحِّ) فى صَفـاءٍ وأُنْسِ
خَصَّه اللهُ حيثُ يُصْبِحُ بالإِقْـ   ـبالِ ، والعِزِّ ، وٱلعُلا ، حيثُ يُمْسِى

مجلس شراب

وفِتْيانِ أُنْسٍ أَقْسَمُوا أَنْ يُبَدِّدُوا   جُيوشَ الدُّجَى ما بينَ أُنْسٍ وأَفْراحِ
فهَبُّـوا إلى (خَمّارَةٍ) قِيلَ إنّهـا   قَعيـدَةُ خَمْرٍ تَمْزُجُ الرُّوحَ بالرّاحِ[٣]
وقالوا لهـا ، إنّا أَتَيْنَـا على ظَمًا   نُحاوِلُ وِرْدَ الراحِ رَغْمًا عَنِ اللّاحِى[٤]
فقامت وفى أَجْفانِها كَسَلُ الكَرَى   وفى رِدْفِها وٱستعْرَضَتْ جَيْشَ أَقْداحِ[٥]

وقال أيضـا :

مَرَّتْ كعُمْرِ الوَرْدِ بَيْنَـا أَجْتَلِى   إِصْـباحَها إِذْ آذَنَتْ بِرواحِ[٦]
لَمْ أَقْضِ مِنْ حَقِّ المُدامِ ولَمْ أَقُمْ   فى الشّارِبين بِواجِبِ الأَقْـداحِ

---

(١) الخندريس : الخمر القـديمة . والرجس : النجس .

(٢) زكية : طاهرة . وأبو الخمر : الكرم . يريد أن أصلها أكرم الأشجار فى الحدائق .

(٣) الخمارة : بائعة الخمر . ويريد بكونها "قعيدة خمر" : أنها ملازمة لها لا تفارقها . والراح : الخمر .

(٤) الظما : الظمأ (بالهمز) . والملاحى : الملائم .   (٥) الكرى : النعاس . والردف : العجز .

(٦) اجتلى الشىء : نظر إليه . وآذنت : أعلمت . شبه جلسـة الأنس وساعات اللهو بعمر الورد فى القصر .

وَالزَّهْرُ يَحْتَثُّ الكُئُوسَ بِلَحْظِهِ ... وَيَشُوبُهَا بِأَرِيجِهِ الفَيَّاجِ[1]

أَخْشَى عَواقِبَهَا وأَغْبِطُ شَرْبَهَا ... وأُجِيدُ مِدْحَتَهَا مع المُدَّاحِ[2]

وأَمِيلُ مِنْ طَرَبٍ إذا مالَتْ بِهِمْ ... فَاْعجَبْ لِنَشْوانِ الجَوانِحِ صاحِى

أَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ العَظِيمَ فَإِنَّنِى ... أَفْسَدْتُ فى ذاكَ النَّهارِ صَلاحِى

وقال :

خَمْرَةٌ فى (بابِلٍ) قد (صُهْرِجَتْ) ... هٰكذا أَخْبَرَ (حاخامُ) اليَهُودْ[3]

أَوْدَعُوها جَوْفَ دَنٍّ مُظْلِمٍ ... ولَدَيْهِ بَشَّرُوها بالخُلُودْ

سَأَلُوا الكُهّانَ عَنْ شارِبِها ... وعَنِ السّاقِي وفى أىِّ العُهُودْ؟

فَأَجابُوهُمْ ، فَتًى ذو مِرَّةٍ ... مِنْ بَنِي مِصْرَ له فَضْلٌ وجُودْ[4]

مُغْرَمٌ بالعُودِ والنّاىِ مَعًا ... مُولَعٌ بالشُّرْبِ والنّاسُ هُجُودْ[5]

هَمُّه فَصْدُ دِنانٍ ونَدًى ... وأبوهُ هَمُّه جَمْعُ النُّقُودْ[6]

---

(١) يحتث : يحث . يقول : كأن الزهر بألحاظه يوحى إلى الشاربين والسقاة بالإسراع فى إدارة الكئوس . وشاب الشيء يشوبه : خلطه . وأريج الزهر : نفحة ريحه .

(٢) عواقبها : أى عواقب المدام ؛ ويريد أنه لا يشربها . والشرب : الشاربون .

(٣) بابل : ناحية بالعراق منها الكوفة والحلة ، ينسب إليها الخمر والسحر . وصهرجت ، يريد أنها حفظت فى الصهاريج ؛ ولم نجد هذا اللفظ بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة ؛ والذى وجدناه أن " الصهرجة " هى أن يطلى الحوض بالصاروج ، وهى النورة ؛ وليس هذا مرادا هنا . ويريد "بإخبار حاخام اليهود" أنها قد ورد ذكرها فى الكتب القديمة ؛ وفى هذا دليل على قدمها .

(٤) المرة (بكسر الميم وفتح الراء مشددة) : القوة والعزيمة .

(٥) الهجود : النيام .

(٦) فصد الدن : ثقبه وإهراق ما به من خمر ، تشبيها له بفصد العرق .

ذِكرى مجلس شراب

بعث بها من السودان إلى بعض أصدقائه من مصر

فِتْيَةَ الصَّهْباءِ خَيْرَ الشّارِبِينْ جَدِّدُوا باللهِ عَهْدَ الغائِبِينْ
وٱذكُرُونى عند كاسَاتِ الطِّلَا إِنَّنى كنتُ إمامَ المُدْمِنِينْ (١)
وإِذا ما ٱستَنْهَضَتْكُمْ لَيْلَةً دَعْوَةُ الخَمْرِ فَثُورُوا أَجْمَعِينْ (٢)
رُبَّ لَيْلٍ قد تَعَاهَدْنا عَلَى ما تَعَاهَدْنَا وكُنَّا فاعِلِينْ
فقَضَيْنَاهُ ولَمْ نَحْفِلْ بما سَطَّرَتْ أيدى الكِرامِ الكاتِبِينْ (٣)
بينَ أَقْداحٍ وَراحٍ عُتِّقَتْ ورَياحِينٍ ووِلْدَان وعِينْ (٤)
وسُقاةٍ صَفَّفَتْ أَكْوابَها بَعْضُها البَلُّورُ والبَعْضُ لُجَيْنْ (٥)
آنَسَتْ منّا عِطاشًا كالقَطا صادفَتْ وِرْدًا به ماءٌ مَعِينْ (٦)
فَمَشَتْ بالكاسِ والطاسِ لَنا مِشْيَةَ الأفراحِ للقَلْبِ الحَزِينْ
وتَواثَبْنَا إلى مَشْمُولَةٍ ذاتِ ألوانٍ تَسُرُّ النّاظِرِينْ (٧)

(١) الطلاء (بالكسر والمدّ ، وقصر للشعر) : الخمر .

(٢) ثوروا : هبوا مسرعين .

(٣) الكرام الكاتبون : الملائكة الذين يكتبون حسنات المرء وسيئاته .

(٤) العين : جمع عيناء ، وهى الغادة الواسعة العين .

(٥) اللجين : الفضة . ويلاحظ أن فى هذا البيت عيبا من عيوب القافية يسمى (سناد الحذو) ، وهو اختلاف حركة ما قبل الردف . والردف هو حرف المدّ الذى هو قبل الروى .

(٦) القطا : جمع قطاة ، وهى الحمامة . والورد : المورد . والمعين : الجارى .

(٧) المشمولة : الخمر ، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحها ، فهو فعيل بمعنى فاعل ، أو لأن بها عصفة كعصفة ريح الشمال .

عَمَدَ السّاقى لأنْ يَقْتُلَها ... وهى بِكْرٌ أَحْصَنَتْ منذُ سِنينْ[١]

ثمّ لمّا أنْ رأَى عِفّتَها ... خافَ فيها اللهَ رَبَّ العالَمينْ[٢]

وأَجَلْنا الكأسَ فيما بَيْنَنا ... وعَلَى الصَّهْباءِ بِتْنا عاكفينْ[٣]

وشَفَيْنا النَّفْسَ منْ كُلِّ رَشًا ... نَطَقَتْ عَيْناهُ بالسِّحْرِ المُبِينْ[٤]

وطَوَى مَجْلِسَنا بَعْدَ الهَنا ... وانشِراحِ الصَّدْرِ تَكْبيرُ الأَذِينْ[٥]

هٰكذا كُنّا بأيّامِ الصَّفا ... نَنْهَبُ اللّذّاتِ فى الوَقْتِ الثَّمينْ

لَيْتَ شِعْرِى هَلْ لَنا بَعْدَ النَّوَى ... منْ سَبيلٍ لِلّقا أمْ لاتَ حِينْ؟[٦]

---

(١) عمد له (من باب ضرب) : قصد . و يقتلها ، أى يمزجها بالماء ؛ وأصله من قول حسان بن ثابت :

إن التى ناولتنى فرددتها ... قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

وأحصنت البكر : حافظت على عفتها ؛ و إحصان الخمر هنا ؛ بقاؤها فى الدنان .

(٢) كنى بعفة الخمر فى هذا البيت عن إبائها المزج . يقول : إن الساقى لما رأى أن الخمر لا تقبل المزج بالماء خاف فيها الله رب العالمين ، أى لم يقتلها بالمزج وسقانا إياها صرفا .

(٣) أجلنا الكأس : أدرناها .

(٤) الرشأ (بالهمز وسهل للشعر) : ولد الظبية الذى قد تحرك ومشى ؛ يريد المليح الحسن الجميل .

(٥) الأذين : المؤذن .

(٦) لات حين : أى ذهب وقت اللقاء وليس الحين حينه . و يلاحظ أن قواعد اللغة تقتضى ذكر (أو) مكان (أم) فى هذه العبارة ، فإن (أم) المتصلة لا تذكر بعد (هل) إلا شذوذا ، نحو : هل زيد عندك أم عمرو ؛ و إنما تذكر مع همزة الاستفهام فى الأكثر .

الغَزَلُ

قال ترجمة عن جان جاك روسو :

[نشرا فى ٢٣ نوفبر سنة ١٩٠٠ م]

يأيُّهَا الحُبُّ امتزِجْ بالحَشَى   فإنّ فى الحُبِّ حياةَ النُّفُوسْ
واسأَلْ حَياةً منْ يَمِينِ الرَّدَى   أَوْشَكَ يَدْعُوهَا ظَلَامُ الرُّمُوسْ[1]

وقال ترجمة عنه أيضا :

[نشرا فى سنة ١٩٠٠ م]

تمَثَّلِي إنْ شئْتِ فى مَنْظَرٍ   (ياجُولِيَا) أُنْكِرُ فيـه الغَرام[2]
أو فَابْعَثِي قَلْبًا إلى أضْلُعِ   راحَ به الوَجْدُ وأَوْدَى السَّقامْ[3]

وقال ترجمةً عنه أيضا :

[نشرت فى ٢٣ نوفبر سنة ١٩٠٠ م]

غُضِّى جُفُونَ السِّحْرِ أو فارْحَمِى   مُتَيَّمًا يَخْشَى نِزَالَ الجُفُونْ
ولا تَصُولِى بالقَـوامِ الّذى   تَمِيسُ فيه يا مُنَاى المَنُونْ[4]
إنِّى لَأَدْرِى منْك مَعْنَى الهَوَى   (ياجُولِيَا) والناسُ لا يَعرِفُونْ

(١) الرموس : القبور ، الواحد رمس . يقول : انقذ الحياة بممارسة الحب قبل أن يقطعها الموت .

(٢) يرغب فى هذا البيت إلى محبوبته أن تخلع تلك الصورة التى يحبها وتتمثل فى صورة أخرى ينكر فيها حبه إياها وغرامه بها ، ليستريح مما يقاسيه من تباريح الهوى .

(٣) أودى به : ذهب .   (٤) تميس : تمايل وتبختر . والمنون : الموت .

فى جُنْدِىٍّ مليح

(نشرا فى سنة ١٩٠٦ م)

ومنْ عَجَبٍ قد قَلَّدوكَ مُهنَّدًا وفى كلِّ لحْظٍ منكَ سَيْفٌ مُهنَّدُ[١]

إذا أنتَ قد جَرَّدْتَه أَوْ غَمَدْتَهُ قَتَلْتَ به واللَّحْظُ لا يَتَعَمَّدُ[٢]

وقال :

أنا العاشقُ العانِى وإن كنتَ لاتَدْرِى أعيذُكَ من وَجْدٍ تَغَلْغَلَ فى صَدْرِى[٣]

خَليلَىَّ هٰذا اللَّيْلُ فى زِيِّهِ أَتَى فقُمْ نَلْتَمِسْ للسُّهْدِ درْعًا منَ الصَّبْرِ[٤]

وهٰذا السُّرَى نحوَ الحِمَى يَسْتَفِزُّنا فهيَّا وإنْ كُنَّا على مَرْكَبٍ وَعْرِ[٥]

خَليلَىَّ هٰذا اللَّيْلُ قد طالَ عُمْرُهُ وليس له غيرُ الأَحاديث والذِّكْرِ

فهاتِ لنا أَذْكَى حَديثٍ وَعَيْتَهُ أَلَذُّ به إنَّ الأَحاديث كالخَمْرِ[٦]

وقال :

قالَت ٱلجَوْزاءُ حينَ رَأَتْ جَفْنَه قد واصَلَ السَّهَرَا[٧]

ما لِهٰذا ٱلصَّبِّ فى وَلَهٍ ؟ أَتُراهُ يَعْشَقُ ٱلقَمرا ؟[٨]

---

(١) المهند : السيف .

(٢) جردته : سللته من غمده . ولا يتعمد : لا يقصد القتل . ويريد بهذا أنه لا يحاسب على ما جنى لعدم قصده .

(٣) العانى : الأسير . وتغلغل دخل وأوغل . (٤) فى زيه : أى سواده .

(٥) السرى : السير بالليل . ويستفزنا : يستخفنا . والوعر : الصعب . (٦) وعيته : حفظته .

(٧) الجوزاء : برج فى السماء معروف . (٨) الوله : التحير من شدة الوجد .

وقال يتغزل فى مليح ويعرّض باحتلال الإنجليز :

ظَبْيَ الحِمَى باللهِ ما ضَرَّكا … إذا رَأَيْنا فى الكَرَى طَيْفَكا[١]

وما الذى تَخْشاهُ لو أنّهمْ … قالوا فُلانٌ قد غدَا عَبْدَكا ؟

قد حَرَّمُوا الرِّقَّ ولكنّهمْ … ما حَرَّمُوا رِقَّ الهَوَى عندَكا[٢]

وأَصْبَحَتْ مِصْرُ مُراحًا لهم … وأنتَ فى الأَحْشا مُراحٌ لَكا[٣]

ما كان سَهْلًا أن يَرَوْا نيلَها … لو أنّ فى أَسْيافنا لَحْظَكا[٤]

يقين الحُبّ

أَذِنْتُكَ تَرْتابينَ فى الشَّمْسِ والضُّحى … وفى النُّورِ والظَّلْماءِ والأرضِ والسَّما[٥]

ولا تَسْمَحِى للشَّكِّ يَخْطِرُ خَطْرَةً … بِنَفْسِكِ يومًا أنّنى لَسْتُ مُغْرَما

الخال

قالها فى مليح رأى خالا على غرته

سَأَلْتُهُ ما لِهٰذا الخالِ مُنْفَرِدًا ؟ … واختارَ غُرَّتَكَ الغرَّا له سَكَنًا ؟[٦]

أَجابَنِى : خافَ مِنْ سَهْمِ الجُفُونِ ومِنْ … نارِ الخُدُودِ ؛ لِهٰذا هاجَرَ الوَطَنا[٧]

---

(١) الكرى : النعاس . والطيف : الخيال الطائف فى المنام .

(٢) الضمير فى « حرموا » للإنجليز .

(٣) المراح (بضم الميم) : المأوى والمنزل . ويجوز أن يقرأ بفتحها ، بمعنى الموضع يروح القوم منه وإليه . وهم ، أى الإنجليز .

(٤) أى لم يكن من اليسير على الإنجليز أن يحتلوا مصر لو أن سيف لحظك الفتاك من سيوفنا .

(٥) أذنتك : أى أذنت لك . وترتابين ، أى تشكين .

(٦) الغراء (بالمدّ وقصر للشعر) : البيضاء .

(٧) يريد بالوطن (هنا) : خدّه ، لأن الخال أكثر ما يكون فيه .

رسائل الشوق

سُوَرٌ عندى له مكتوبةٌ وَدَّ لو يسرى بها الرُّوحُ الأمينْ[1]
إنّنى لا آمَنُ الرُّسْلَ ولا آمَنُ الكُتْبَ على ما تحتوينْ
مُسْتَهِينٌ بالّذى كابَدْتُهُ وهو لا يدرى بماذا يَسْتَهِينْ[2]
أنا فى هَمٍّ ويأسٍ وأسًى حاضرُ اللَّوْعةِ مَوْصُولُ الأَنِينْ

---

(١) الروح الأمين : جبريل عليه السلام .

(٢) يريد بقوله : « وهو لا يدرى » الخ أن محبوبه لم يكابد ألم الهوى حتى يعرف قدر ما يستهين به .



حريق ميت غمر [(١)]

[نشرت فى ٧ مايو سنة ١٩٠٢ م]

سائلوا اللَّيْلَ عنهمُ والنَّهارَا ... كيف باتَتْ نِساؤُهُمْ والعَذارَى؟

كيف أَمْسَى رَضيعُهُمْ فَقَدَ الأُ ... مَّ وكيفَ اصْطَلَى مع القَوْمِ نارَا؟

كيف طاحَ العَجُوزُ تحتَ جدارٍ ... يَتَداعَى وأَسْقُفٍ تَتَجارَى؟ [(٢)]

رَبِّ إنّ القَضاءَ أَنْحَى عليهم ... فاكشفِ الكَرْبَ واحْجُبِ الأَقْدارَا

ومُرِ النّارَ أنْ تَكُفَّ أذاها ... ومُرِ الغَيْثَ أنْ يَسِيلَ انْهِمارا

أينَ طُوفانُ صاحِبِ الفُلْكِ؟ يُرْوِى ... هٰذه النّارَ، فهى تَشْكُو الأُوارا [(٣)]

أَشْعَلَتْ فَحْمَةَ الدَّياجِى فباتَتْ ... تَمْلأُ الأَرْضَ والسَّماءَ شَرارا [(٤)]

غَشِيَتْهُمْ والنَّحسُ يَجْرِى يَمِينًا ... ورَمَتْهُم والبُؤْسُ يَجْرِى يَسارا

فأَغارَتْ وأَوْجُهُ القَوْمِ بِيضٌ ... ثمّ غارَتْ وقد كَسَتْهُنّ قارا [(٥)]

---

(١) شبت النار فى مدينة ميت غمر من أعمال الدقهلية فى (يوم الخميس أوّل مايو سنة ١٩٠٢ م) (٢٢ المحرم سنة ١٣٢٠ هـ) وبقيت تأكل كل ما تأتى عليه فى هذه المدينة حتى يوم ٨ مايو؛ وهلك بسبب هذا الحريق كثيرون، ودمر كثيرا من الدور والمحال، ولعظم النكبة تألفت جماعة من الأعيان لتخفيف ويلات هذا المصاب، وتسابق أهل الخير فجادوا بالمال الكثير، وحضت الصحف الناس على جمع المال لذلك؛ وفيها يقول الشاعر هذه القصيدة.

(٢) طاح: هلك. وتداعى الجدار: انقض وتهدّم. وتتجارى: تتسابق فى السقوط.

(٣) الفلك: السفينة. وصاحبها: نوح عليه السلام. والأوار: شدّة الحرارة والعطش.

(٤) فحمة الدياجى: ظلمة الليل، تشبيها لها بالفحم.

(٥) القار: الزفت.

أَكَلَتْ دُورَهُمْ فلمّا ٱستقلّتْ ... لَمْ تُغادِرْ صغارَهُمْ والكِبارا[١]

أَخْرَجَتْهُمْ مِنَ الدِّيارِ عُراةً ... حَذَرَ المَوْتِ يَطْلُبونَ الفرارا

يَلْبَسُونَ الظَّلامَ حتّى إِذا ما ... أَقْبَلَ الصُّبْحُ يَلْبَسُونَ النَّهارا

حُلَّةٌ لا تَقِيهِمُ البَرْدَ والحَـ ... ـرَّ ولا عَنْهُمُ تَرُدُّ الغُبارا

أيُّها الرّافِلُونَ فى حُلَلِ الوَشْـ ... ـيِ يَجُرُّونَ للذُّيُولِ افْتِخارا[٢]

إِنَّ فَوْقَ العَراءِ قَوْمًا جِياعًا ... يَتَوارَوْنَ ذِلَّةً وٱنْكِسارا[٣]

أيُّهذا السَّجِينُ لا يَمْنَعِ السِّجْـ ... ـنُ كَرِيمًا مِنْ أَنْ يُقِيلَ العِثارا[٤]

مُرْ بِأَلْفٍ لهم وإِنْ شِئْتَ زِدْها ... وأَجِرْهُمْ كما أَجَرْتَ النَّصارَى[٥]

قد شَهِدْنا بالأَمْسِ فى مِصْرَ عُرْسًا ... مَلَأَ العَيْنَ والفُؤادَ ٱبْتِهارا[٦]

سالَ فيه النُّضارُ حتّى حَسِبْنا ... أَنَّ ذاكَ الفِناءَ يَجْرِى نُضارا[٧]

باتَ فيه المُنَعَّمُونَ بِلَيْلٍ ... أَخْجَلَ الصُّبْحَ حُسْنُه فَتَوارَى

---

(١) استقلت : أى عدّت ما أحرقته من الدور قليلا .

(٢) وقل فى ثوبه : اختال فيه وتبختر . وحلل الوشى : الثياب المنقوشة .

(٣) العراء : الفضاء . ويتوارون : يستترون .

(٤) يريد بالسجين المنشاوى باشا الثرى المعروف ، وكان إذ ذاك مسجونا لارتكابه جريمة تعذيب اللصوص الذين اتهموا بسرقة بعض المواشى من مزرعة سمو الخديو عباس حلمى الثانى ، حتى اضطرهم إلى الإقرار بما سرقوا بتأثير العذاب وكان ذلك فى سنة ١٩٠٢ م . والعثار : الشر والمكروه . وإقالته : دفعه عمن نزل به .

(٥) يشير إلى أن المنشاوى كان قد أجار كثيرا من الأوربيين وحماهم من أذى المصريين فى الثورة العرابية ، وأنزلهم بيته

(٦) ابتهارا : يريد عجبا . ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة هذا اللفظ بهذا المعنى . وهذا العرس الذى يشير إليه الشاعر هو عرس زواج الأمير حيدر رشدى فاضل بك من كريمة على فهمى باشا وقد أقيم مهرجان عظيم بدار على فهمى باشا مكث ثلاث ليال من ليلة الأربعاء ٣٠ أبريل سنة ١٩٠٢ م إلى ليلة الجمعة ٢ مايو من السنة نفسها .

(٧) الفناء : ساحة الدار .

يَكْتَسُون السُّرورَ طَوْراً وطورا ... في يَدِ الكَأْس يَخْلَعُون الوَقارا
وسَمِعْنا في (ميت غَمْرٍ) صِياحاً ... مَلأ البَرَّ ضَجَّةً والبِحارا
جَلَّ مَنْ قَسَّمَ الحُظوظ ، فهٰذا ... يَتَغَنَّى وذاكَ يَبْكِي الدِّيارا
رُبَّ لَيْلٍ في الدَّهْرِ قَدْ ضَمَّ نَحْساً ... وسُعوداً وعُسْرَةً ويَسارا

إلى الأرض[1]

[بركان مارتنيك سنة ١٩٠٢ م]

أَلْبَسُوكِ الدِّماء فوق الدماءِ ... وأَرَوْكِ العداء بَعْدَ العداءِ[2]
فلَبِسْتِ النَّجيعَ من عَهْدِ قابيـ ... ـلَ وشاهَدْتِ مَصْرَعَ الأَبْرِياءِ[3]
فَلَكِ العُذْرُ إنْ قَسَوْتِ وإنْ خُنْـ ... ـتِ وإنْ كُنْتِ مَصْدَراً للشَّقاءِ[4]
غَلِطَ النّاسُ ، ما طَغَى جَبَلُ النّا ... رِ بإرسالِ نَفْثَةٍ في الهَواءِ[5]
أَحْرَجوا صَدْرَ أُمِّهِ فَأَراهُمْ ... بعضَ ما أَضْمَرَتْ مِنَ البُرَحاءِ

(١) المارتنيك : هي إحدى جزر الهند الغربية الفرنسية ، وبها كثير من الفوهات (البركانية) . ويشير الشاعر إلى الثوران (البركاني) الذي حدث فيها ، والذي لم يشهد العالم مثله في شدته وكثرة ضحاياه ، وذلك في ٨ مايو سنة ١٩٠٢م .

(٢) ألبسوك : يخاطب الأرض . ويشير بهذا البيت والذي بعده إلى عدوان الناس بعضهم على بعض بالقتل من عهد آدم إلى اليوم .

(٣) النجيع : الدم . وقابيل : هو ابن آدم عليه السلام ، وهو الذي قتل أخاه هابيل وقصتهما مشهورة وورد ذكرها في القرآن .

(٤) نفثة جبل النار : ما يقذف به البركان من نيران .

(٥) أمه : أي الأرض . ويريد بالبرحاء : نار الضغن والحقد .

أَسْخَطُوهَا فصابَرَتْهم زَماناً ثمّ أَنْحَتْ عليهم بالجزاء[1]

أيّها الناسُ إنْ يَكُنْ ذاك سُخْطُ الْـ ـأَرْضِ ، ماذا يكونُ سُخْطُ السَّماء

إنّ في عُلْوُ مَسْرَحًا للمَقادِيـ ـرِ وفي الأرضِ مَكْمَنًا للقَضاء[2]

فاتّقوا الأَرْضَ والسَّماءَ سواءً واتّقوا النّارَ في الثّرَى والفَضاء

اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها

[نشرت فى سنة ١٩٠٣ م]

رَجَعْتُ لنَفْسِى فاتّهَمْتُ حَصاتِى ونادَيْتُ قَوْمِى فاحْتَسَبْتُ حَياتِى[3]

رَمَوْنى بعُقْمٍ فى الشّبابِ وليْتَنى عقِمْتُ فلَم أَجْزَعْ لقَوْلِ عُداتِى[4]

وَلَدْتُ ولمّا لَم أَجِدْ لعَرائسى رجالًا وأَكْفاءً وَأَدْتُ بَناتِى[5]

وسِعْتُ كِتابَ اللهِ لَفْظًا وغايةً وما ضِقْتُ عن آيٍ به وعظاتِ[6]

فكيفَ أَضيقُ اليومَ عن وَصْفِ آلةٍ وتَنْسيقِ أسماءٍ لمُخْترعاتِ؟

(١) صابرتهم : أى طاولتهم فى الصبر . وأنحت عليهم بالجزاء : أقبلت عليهم به .

(٢) فى علو : أى فى أعلى ، وهو بسكون اللام وضم الواو وكسرها وفتحها ، يريد السماء .

(٣) رجعت لنفسى : أى تأملت . والحصاة : الرأى والعقل . واحتسبت حياتى : عددتها عند الله فيما يدخر . يقول على لسان اللغة العربية : إننى عدت إلى نفسى وفكرت فيما آل إليه أمرى ، فأسأت الظن بمقدرتى ، وكدت أصدق ما رمونى به من القصور ، وناديت الناطقين بى أن ينصرونى فلم أجد منهم سميعا ، فادخرت حياتى عند الله .

(٤) العداة : الأعداء . يقول اتهمونى بأنى لا ألد على حين أنى فى ريعان شبابى . وليتنى كنت كما قالوا فلا يحزننى قولهم . وكنى بالعقم هنا عن ضيق اللغة وجمودها .

(٥) يريد « بالعرائس » : الألفاظ المجلوة الحسنة . ووأد البنت : دفنها حية

(٦) الآى : جمع آية .

أنا البحرُ فى أحشائه الدرُّ كامنٌ ... فهل سألوا الغوّاصَ عن صدفاتى

فيا ويحكم أبلَى وتبلَى محاسنى ... ومنكم وإنْ عزَّ الدواء أساتى[1]

فلا تكلونى للزمانِ فإنّنى ... أخافُ عليكم أنْ تحينَ وفاتى[2]

أرَى لرجال الغربِ عزًّا ومنعةً ... وكم عزّ أقوامٌ بعزِّ لغاتِ[3]

أتوا أهلَهم بالمعجزات تفنّنًا ... فيا ليتكم تأتونَ بالكلماتِ!

أيُطربُكُم من جانب الغرب ناعبٌ ... ينادى بِوأْدى فى ربيعِ حياتى؟[4]

ولو تزجرونَ الطّيرَ يوما علمتمُ ... بما تحتَه من عثرةٍ وشتاتِ[5]

سقَى اللّهُ فى بطنِ الجزيرة أعظُمًا ... يعِزُّ عليها أنْ تلينَ قناتى![6]

حفِظنَ ودادى فى البِلَى وحفظتُه ... لهنّ بقلبٍ دائمِ الحسَراتِ

وفاخرتُ أهلَ الغربِ والشرقُ مُطرِقٌ ... حياءً بتلك الأعظُمِ النّخراتِ[7]

أرَى كلَّ يومٍ بالجرائدِ مَزْلقًا ... منَ القبرِ يُدنينى بغيرِ أناةِ[8]

---

(١) الأساة : جمع الآسى ، وهو الطبيب .

(٢) تكلونى : تتركونى . وتحين : تحل .

(٣) يقال : هو فى منعة ، أى فى قوم يمنعونه ويحمونه .

(٤) الناعب : المصوت بما هو مستكره . ربيع الحياة : أيام الشباب والقوة .

(٥) زجر الطير : هو أن ترمى الطائر بحصاة أو تصيح به ، فإن ولاك فى طيرانه ميامنه تفاءلت به خيرا ، وإن ولاك مياسره تطيرت منه . والعثرة : السقوط . والشتات : التفرق . يقول : لو استنبأتم الغيب بزجر الطير ، كما كان يفعل العرب ، لعلمتم ما يجردنى عليكم من السقوط والانحلال .

(٦) القناة : الرمح . ولينها : كناية عن الضعف . ويريد « بالأعظم » : من دفن فى الجزيرة من العرب الأولين .

(٧) النخرات : البالية المتفتتة .

(٨) المزلق : مكان الانزلاق ، أى السقوط والزلل . والأناة : التأنى والابطاء . ويريد وصف لغة الجرائد إذ ذاك بالضعف .

وأَسْمعُ للكُتّاب في مصْرَ ضجّةً ... فأَعْلَمُ أنّ الصّائحين نُعاتي [1]

أيهجُرني قومي — عفى اللهُ عنهمُ — ... إلى لغةٍ لَمْ تتّصلْ برُواةِ؟ [2]

سَرَتْ لُوثةُ الإفرنجِ فيها كما سَرَى ... لُعابُ الأَفاعي في مَسِيلِ فُراتِ [3]

فجاءتْ كثوبٍ ضمّ سبْعين رُقْعةً ... مُشكّلةَ الألوانِ مُختلفاتِ

إلى معْشرِ الكُتّابِ والجمْعُ حافلٌ ... بسطْتُ رجائي بعْدَ بسْطِ شكاتي [4]

فإمّا حَياةٌ تبعثُ المَيْتَ في البِلَى ... وتُنْبِتُ في تلكَ الرّموسِ رُفاتي [5]

وإمّا مَماتٌ لا قيامةَ بعْدَهُ ... مَماتٌ لعمري لمْ يُقسْ بمماتِ

زواج الشيخ على يوسف [6] صاحب (جريدة المؤيد)

قالها ينعى فيها على المصريين بعض العيوب الاجتماعية ، وما يراه من فوضى الرأى وقلة الثبات عليه

[نشرت فى سبتمبر سنة ١٩٠٤ م]

حَطَمْتُ اليراعَ فلا تَعْجَبي ... وعِفْتُ البَيانَ فلا تَعْتُبي [7]

فما أنتِ يامصرُ دارَ الأديبِ ... ولا أنتِ بالبَلدِ الطّيّبِ

---

(١) النعاة : جمع ناع ، وهو المخبر بالموت .

(٢) لم تتصل برواة : أى لم يأخذها الخلف عن السلف بطريق الرواية التى تحفظها من التغيير كما هو الشأن فى العربية ويشير إلى تلك اللغة المرقعة التى كانت مستعملة أيام نشر هذه القصيدة .

(٣) اللوثة (بالضم) : عدم الابانة . ولعاب الأفاعى : سمها . والفرات : الماء العذب . (٤) الشكاة : الشكوى .

(٥) تبعث الميت : تحييه . والرموس : القبور ، الواحد رمس . والرفات : كل ما تكسر و بلى ؛ يريد ما بقى من الجسد بعد الموت .

(٦) كان بين المرحوم الشيخ على يوسف صاحب المؤيد و بين السيد أحمد عبد الخالق السادات شيخ السادة الوفائية صلة مودّة وصداقة ، فخطب الشيخ على ابنته صفية ، ورضيت الفتاة وسكت الأب ، فعقد العقد فى بيت البكرى من غير علم الأب ، فرفع الوالد الأمر إلى المحكمة الشرعية طالبا فسخ العقد لعدم الكفاءة فى النسب ، ودافع الشيخ على عن نفسه وأثبت شرف نسبه بتسجيل اسمه فى دفتر الأشراف ، وقضت المحكمة بالحيلولة المؤقتة بين الزوجين ، ثم قضت بعد ذلك بفسخ عقد الزواج فى أغسطس سنة ١٩٠٤ م ، فاستأنف الزوج الحكم أمام المجلس الابتدائى الشرعى فى محكمة مصر الشرعية الكبرى فقضت بتأييد الحكم بتاريخ أوّل أكتوبر سنة ١٩٠٤ م ، وكان لهذه القضية ثورة فى الرأى العام فاضت بها الصحف وأكثر فيها الشعراء .

(٧) حطمت : كسرت . واليراع : القلم . وعاف الشىء يعافه : كرهه . والخطاب لمصر فى هذا البيت وما يأتى بعده .

وكم فيك يامصرُ منْ كاتب أقالَ اليَرَاعَ ولَمْ يَكْتُبِ[1]

فلا تَعْذُلِينِي لهذا السُّكوت فقد ضاقَ بي منْك ما ضاقَ بي

أَيُعْجِبُني منك يومَ الوفاق سُكوتُ الجَماد ولَعْبُ الصَّبِي؟[2]

وكَمْ غَضب الناسُ منْ قَبْلنا لسَلْب الحُقوقِ ولَمْ نَغْضَب

أنابتَةَ العَصْرِ إن الغَريب مُجِدٌّ بمصرَ فلا تَلْعَبِي[3]

يقولون: في النَّشْءِ خيرٌ لنا وللنَّشْءِ شَرٌّ من الأَجْنَبِي

أفي (الأزْبَكية) مَثْوَى البَنِين وبيْنَ المسَاجِدِ مَثْوَى الأَب؟[4]

(وكم ذا بِمصْرَ من المُضْحِكات) كما قال فيها (أبُو الطَّيِّب)[5]

أُمُورٌ تَمُرُّ وعَيْشٌ يُمِرّ ونحن من اللَّهْو في مَلْعَب[6]

وشَعْبٌ يَفِرُّ من الصالِحات فرارَ السَّليمِ من الأجْرَب

وصُحْفٌ تَطِنُّ طَنِينَ الذُّباب وأُخْرَى تَشُنُّ على الأقْرَب[7]

---

(١) أقال اليراع: أعفاه من أن يكتب به.

(٢) يشير الشاعر «بيوم الوفاق» إلى الاتفاق الذى تم بين إنجترا وفرنسا سنة ١٩٠٤ م، والذى أباح لفرنسا بعض امتيازات فى مراكش فى مقابل إطلاق يد الإنجليز فى مصر.

(٣) النابتة: الناشئة.

(٤) المثوى: موضع الثواء، وهو الإقامة. يريد أن الشباب فى الملاهى، والآباء فى المساجد.

(٥) يشير إلى قول أبى الطيب المتنبي من قصيدة له فى هجاء كافور:

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا

(٦) عيش يمر: أى يصير مرا.

(٧) طنين الذباب: صوته. وتشن على الأقرب: تصب عليه غارتها من كل جهة. ويريد «بالأقرب»: أبناء الوطن.

وهٰــذا يَلُوذُ بقَصْرِ الأَمــير ويَدْعو إلى ظِــلِّه الأَرْحَب[١]
وهٰــذا يَلُوذُ بقَصْرِ السَّــفير ويُطْنِبُ فى وِرْدِه الأَعْــذَب
وهٰــذا يَصيحُ مَعَ الصّائحين على غيرِ قَصْــدٍ ولا مَأْرَب
وقالوا : دَخيلٌ عليــه العَفاء ونِعْمَ الدَّخيــلُ على مَذْهَــبى[٢]
رآنا نِيــامًا ولَـمّـا نُفِــقْ فَشَمَّــرَ للسَّــعْى والمَكْسَب
وماذا عليــه إذا فاتَنــا ونحنُ على العَيْش لم نَدْأَب[٣]
أَلِفْنــا الخُمُولَ ويا لَيْتَنــا أَلِفْنا الخُمُولَ ولَم نَكْذِب

* * *

وقالوا : (المؤيَّدُ) فى غَمْرَةٍ رَماهُ بهــا الطَّمَعُ الأَشْعَبى[٤]
دَعاهُ الغَرامُ بِسنِّ الكُهول فجُنَّ جُنُونًا بِبنْت النَّبى[٥]
فضَجَّ لهــا العَرْشُ والحامِلُوه وضَجَّ لهــا القَبْرُ فى يَثْرِب[٦]
ونادَى رجالٌ بإِسْقاطِه وقالوا : تَلَوَّنَ فى المَشْرَب[٧]

---

(١) الأرحب : المتسع . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين بعده إلى انقسام الرأى السياسى فى مصر ؛ ففريق مع الخديو ، وآخر يناصر دار العميد الإنجليزى ، وثالث لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

(٢) يريد « بالدخيل » : الأجانب الذين أصابوا فى مصر حظا من الثروة لم يصبه أهلها . والعفاء : البلى والاندثار

(٣) دأب فى عمله : جدّ فيه واستمر عليه .

(٤) يريد «بالمؤيد» : صاحبه الشيخ على يوسف . والغمرة : ما يغمر الإنسان ويشمله من الشدائد ؛ ويريد بها هنا ما وقع فيه من شدّة بما أثير حوله فى قضية الزوجية . والأشعبى : نسبة إلى أشعب ، وهو رجل من الموالى بالمدينة كان شديد الطمع فضرب به المثل ، فقيل « أطمع من أشعب » .

(٥) بسن الكهول : أى فى سن الكهول ؛ ويريد « ببنت النبى » : السيدة صفية ، وهى من أسرة السادة الوفائية .

(٦) لها : أى لهذه الحادثة . و يثرب : اسم قديم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٧) يريد « بالمشرب » : المذهب أو الطريقة ؛ وهو معنى مولد .

وعَدُّوا عليه من السَّيِّئات ألوفاً تَدُورُ مع الأَحْقُب[1]
وقالوا لَصيقٌ بِبَيْتِ الرَّسول أَغارَ على النَّسَبِ الأَنْجَب[2]
وزَكَّى (أبو خَطْوَةٍ) قَولَهُم بحُكمٍ أَحَدَّ من المَضْرَب[3]
فما للتَّهانى على داره تَساقَطُ كالمَطَرِ الصَّيِّب ؟[4]
وما للوُفود على بابِه تَزُفُّ البشائرَ فى مَوْكِب ؟
وما للخَليفة أَسْدَى إليه وساماً يَليقُ بصَدْرِ الأَبِى؟[5]
فيا أمةً ضاقَ عن وَصْفِها جَنانُ المُفَوَّه والأَخْطَب[6]
تَضيعُ الحقيقةُ ما بَيْننا ويَصْلَى البَرِيءُ مع المُذْنِبِ؟[7]
ويُهْضَمُ فينا الإمامُ الحكيمُ ويُكرَمُ فينا الجَهُولُ الغَبِى
على الشَّرق منِّى سَلامُ الوَدُود وإنْ طَأْطَأَ الشَّرْقُ للمَغْرب
لقد كان خِصْباً بجَدْب الزَّمان فأَجْدَبَ فى الزَّمَنِ المُخْصِب[8]

---

(١) الأحقب : السنون ، الواحد حقب (بضم الحاء وسكون القاف أو بضمهما) . وتدور مع الأحقب ، أى تبق على الدهر .

(٢) اللصيق بالقوم : الداخل فيهم وليس منهم .

(٣) أبو خطوة : هو الشيخ أحمد أبو خطوة قاضى المحكمة الذى حكم حكما ابتدائيا بفسخ عقد الزواج . والمضرب (بكسر الراء وفتحها) : السيف ، والجمع مضارب .

(٤) داره : أى دار الشيخ على يوسف . والصيب : المنهمر المتدفق .

(٥) يشير إلى ما ناله الشيخ على يوسف من الرتب والأوسمة من الدولة العثمانية . والأبى (بتشديد الياء ، وخففت للشعر) : الذى لا يرضى الدنية أنفة وكبرا .

(٦) الجنان : القلب . والمفوه : المنطيق . وينعى الشاعر على الأمة أخلاقها ، فبينما هى تعد على الشيخ على يوسف السيئات ، وترميه بالتقلب فى الرأى ، وتنكر عليه زواجه ، إذا بها تتوافد على داره وتزف إليه التهانى .

(٧) يصلى يعذب .

(٨) يقول : لقد كان الشرق غنيا بالحضارة والعمران فى عهد خلو العالم منهما ، فأصبح مجدبا من ذلك ، إذ الزمان خصب بهما .

الى رجال الدنيا الجديدة

أنشدها فى الحفل الذى أقامته كلية البنات الأميركية بمصر لتوزيع الشهادات على خريجاتها

فى ٢٦ مايو سنة ١٩٠٦م

أَىْ رجالَ الدُّنيا الجديدةِ مُدُّوا لرجالِ الدُّنيا القديمةِ باعَا

وأَفيضُوا عليهمُ منْ أيادِيـ ـكُمْ عُلوما وحِكْمَةً واختراعا

كلَّ يومٍ لكمْ روائعُ آثا رٍ توالونَ بينهنَّ تباعا

كمْ خلبتمْ عقولَنا بعجيبٍ وأمرتمْ زمانَكمْ فأطاعا

وبذرتمْ فى أرضِنا وزرعتمْ فرأينا ما يُعجبُ الزُّرّاعا

ولمحنا منْ نورِكمْ فى نواحى حفلةِ اليومِ لمعةً وشُعاعا

وشهدنا منْ فضلِكمْ أثرًا فيـ ـها يروقُ العيونَ والأسماعا

ليتنا نقتدى بكمْ أو نجارِيـ ـكمْ عسى نستردُّ ما كانَ ضاعا

إنَّ فينا لولا التخاذلُ أبطا لًا إذا ما همُ استقلُّوا اليَراعا[1]

وعقولًا لولا الخمولُ تولَّا ها لفاضتْ غرابةً وابتداعا

ودعاةً للخيرِ لو أنصفوهمْ ملأوا الشرقَ عزَّةً وامتناعا

كاشفَ الكهرباءِ ليتكَ تُعنَى باختراعٍ يروضُ منَّا الطِّباعا[2]

آلةٍ تسحقُ التواكُلَ فى الشر قِ وتُلقِى عنِ الرِّياءِ القِناعا

---

(١) استقلوا اليراع : أى حملوا الأقلام .

(٢) يروض الطباع : أى يسوسها و يذللها بعد جماحها .

قَــد مَلِلْنا وُقُوفَنا فيه نَبْــكِى حَسَبًا زائلًا ومَجْــدًا مُضــاعا
وسَئِمْنا مَقالَهُــم كان زَيْدٌ عَبقَــرِيًّا وكان عَمْرٌو شُجــاعا
لَيْتَ شِعْرِى مَتَى تُنازِعُ مِصْرُ غَيْرَها المَجْـــدَ فى الحَياةِ نِزاعا
ونَراها تُفــاخِرُ النّــاسَ بالأَحْـ ـيــاءِ فَخْرًا فى الخافِقَيْنِ مُذَاعَا[١]
(أرضَ كُولُمْبَ) أىّ نَبْتَيْكِ أَغْلَى قِيمةً فى ٱلمَلَا وأَبْقَى مَتــاعا ؟[٢]
أَرِجالٌ بِهِمْ مَلَـكْتِ المَعالِى أَمْ نُضارٌ به مَلَـكْتِ البِقاعا ؟[٣]
لاعَداكِ السَّماءُ والخِصْبُ والأَمْـ ـنُ ولا زِلْتِ للسَّلامِ رِباعا
طالِعِى الكَوْنَ وٱنظُرِى مادَهاهُ إِنَّ رُكْنَ السَّـــلامِ فيه تَداعَى[٤]

مدرسة «المرحوم» مصطفى كامل

أنشدها فى الحفل الذى أقامته المدرسة لتوزيع الجوائز على المتقدمين
من تلاميذها فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٠٦ م

سَمِعْنا حَدِيثًا كَقَطْرِ النَّـــدَى فَجَـــدَّدَ فى النَّفْسِ ما جَدَّدا[٥]
فَأَضْحَى لآمالِنــا مُنْعِشًــا وأَمْسَى لآلامِنــا مُرْقِـــدا
فَدَيْنــاكَ يا شَرْقُ لا تَجْزَعَنْ إذا اليـــومُ وَلَّى فراقِبْ غَدَا

(١) الخافقان : المشرق والمغرب .
(٢) أرض كولمب : يريد أمريكة ، أضيفت إلى مكتشفها كريستوف كولمب .
(٣) النضار : الذهب . يشير إلى كثرة الذهب فى أمريكة .
(٤) طالعى الكون : انظرى إليه . وتداعى : تهدم .
(٥) يريد « بالحديث » : ما قيل فى الحفل من خطب وأشعار .

فكم محنة أعقبت محنـــة ... وولت سراعا كرجع الصدى

فلا ييئسنك قيل العـــداة ... وإن كان قيـــلا كحز المدى[١]

أتودع فيك كنوز العـــلوم ... ويمشى لك الغرب مسترفدا ؟[٢]

وتبعث فى أرضـــك الأنبياء ... ويأتى لك الغرب مسترشدا ؟

وتقضى عليك قضاة الضلال ... طوال الليالى بأن ترقـــدا ؟

أتشقى بعهـــد سمـا بالعلوم ... فأضحى الضعيف بهـا أيدا ؟[٣]

إذا شـاء بز السها ســـره ... وأدرك من جريه المقصـــدا[٤]

وإن شـاء أدنى إليه النجوم ... فنـاجى المجـــرة والفرقـــدا[٥]

وإن شـاء زعزع شم الجبال ... فخـــرت لأقدامـــه سجـــدا[٦]

وإن شـاء شاهـــد فى ذرة ... عوالم لم تحى فيهـا سـدى[٧]

---

(١) قيل العداة : قولهم . والمدى (بالضم) : جمع مدية ، وهى السكين .

(٢) المسترفد : طالب الرفد (بكسر الراء) وهو العطاء .

(٣) الأيد (بتشديد اليـاء) : القوى ؛ من الأيد (بفتح الهمزة وسكون الياء) بمعنى القوة . يقول : أتشقى أيها الشرق بحرمانك من العلوم والمعارف فى زمن فاض فيه العلم ، وأخذت كل أمة منه بحظ حتى أصبح الضعيف ذا قوة بسببه ، بمـا اكتسب من علمه .

(٤) بز : غلب . والسها : كوكب صغير خفى الضوء فى بنـات نعش ، والناس يمتحنون به أبصارهم لخفاء ضوئه . يقول : إذا شاء ذو العلم سلب من هذا النجم سره المكتوم ، وجعله ظاهرا للناس يعرفون من أمره ما يعرفون من الكائنات التى يدركونها بحواسهم . ويشير بهذا البيت والذى بعده إلى علماء الفلك وما وصلوا إليه من اكتشافات فى هذا العلم .

(٥) المجرة : نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر ، وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء ؛ ولهذا يشبهها الأدباء بالنهر ، فيقولون : نهر المجرة . والفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به ، جمعه فراقد .

(٦) شم الجبال : ما علا منها وشمخ ، الواحد أشم . ويشير بهذا البيت إلى المخترعات الحربية التى تنسف الجبال .

(٧) الذرة : واحدة الذر (بفتح الذال) ، وهو الهباء المنبث فى الهواء . ويشير بهذا البيت إلى المنظار المكبر للأشياء ، المعروف بالمكرسكوب ونحوه . ويريد « بالعوالم » : عوالم (الميكروبات) الجراثيم .

زمانٌ تُسَخَّرُ فيه الرِّياح ... ويَغْدو الجَمادُ به مُنْشِدا[١]

وتَعْنو الطَّبيعةُ للعارفين ... بمَعْنَى الوُجود وسرِّ الهُدَى[٢]

إذا ما أَهابوا أَجابَ الحَديد ... وقامَ البُخارُ له مُسْعِدا[٣]

وطارَتْ إليهمْ مِنْ الكَهْرَبا ... بُرُوقٌ على السِّلْكِ تَطْوِى المَدَى[٤]

أَيَجْمُلُ مِنْ بَعْدِ هٰذا وذاك ... بأنْ نَسْتَكِينَ وأنْ نَجْمُدا[٥]

وها أمَّةُ (الصُّفْرِ) قد مَهَّدَتْ ... لنا النَّهْجَ فاستَبَقُوا المَوْرِدا[٦]

فيأيُّها الناشِئُون اعْمَلُوا ... على خَيْرِ مِصْرٍ وكُونُوا يَدا[٧]

ستَظْهرُ فيكُمْ ذَواتُ الغُيوب ... رجالا تَكونُ لمصرَ الفِدا[٨]

فياليتَ شِعْرِى مَنْ مِنْكُمُ ... إذا هِىَ نادَتْ يُلَبِّى النِّدا

لكَ اللهُ يا (مُصْطَفَى) مِن فَتًى ... كثيرِ الأَيادى ، كثيرِ العِدا

إذا ماحَمِدْتُكَ بين الرِّجال ... فأنتَ الخَليقُ بأنْ تُحْمَدا

سَيُحْصِى عليكَ سِجِلُّ الزَّمان ... ثَناءً يُخَلَّدُ ما خُلِّدا

ويَهْتِفُ بِاسْمِكَ أبْناؤُنا ... إذا آنَ للزَّرْعِ أنْ يُحْصَدا

---

(١) يشير بالشطر الأول من هذا البيت إلى الطائرات ؛ وبالشطر الثانى إلى الحاكى .

(٢) تعنو : تخضع وتذل .

(٣) أهاب به : دعاه . ومسعدا : معينا

(٤) المدى : المسافة على نوعيها من زمنية أو مكانية . ويشير بهذا البيت إلى الآلتين المعروفتين بالبرق (التلغراف) والمسرة (التليفون) .

(٥) نستكين : نذل ونخضع .

(٦) يريد «بأمة الصفر» : اليابانيين ؛ وسموا بذلك للونهم . والنهج : الطريق . واستبقوا المورد أى سبقوا غيرهم من أمم الشرق إلى الارتشاف من مناهل العلوم والمعارف .

(٧) كونوا يدا : عبارة يراد بها اتحاد الكلمة واجتماع الرأى كأنهم فرد واحد .

(٨) ذوات الغيوب : أى الأقدار التى فى عالم الغيب .

إلى (ناظر) المعارف (الزعيم) سعد زغلول باشا

[نشرت فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٠٦ م]

مالى أَرَى بَحْـــرَ السِّيا ... سَـــة لايَنِي جَزْرًا ومَـــدَّا؟[١]

وأَرَى الصَّحائِفَ أَيْبَسَــتْ ... ما بَيْنَنَـا أَخْـــذًا ورَدَّا؟[٢]

هٰـــذا يَرَى رَأْىَ العَمِيــ ... ـدِ وذا يُعُـــدُّ عليــه عَدَّا[٣]

وأَرى الوِزارةَ تَجْتَـــنِي ... مِنْ مُرِّ هٰذا العَيْشِ شُهْدا[٤]

نامَتْ بِمِصْــرَ وأَيْقَظَتْ ... لحوادِثِ الأَيَّامِ (سَــعدا)[٥]

فَطَرَحْتُهـا وســأَلْتُ عنـ ... ـهُ فقيل لى : لَم يَأْلُ جُهْدا

يا (سَـعْدُ) أنتَ (مَسِيحُها) ... فاْجعَلْ لهٰـــذا المَوْت حَدَّا[٦]

يا (سَعْدُ) إنّ (بِمِصْر) أَيْـ ... ـتامًا تُؤَمِّلُ فيـكَ سَــعْدا

قــد قامَ بينهـــمْ وبيْـ ... ـنَ العِــلْمِ ضِيقُ الحالِ سَدَّا

---

(١) ينى : يبطئ .

(٢) أيبست ما بيننا : أى قطعت ما بيننا من مودة ؛ و يستعار اليبس للتقاطع ؛ يقال قد يبس ما بينهما : إذا تقاطعا ؛ كما يستعار البلل للتواصل .

(٣) يريد أن ساسة مصر فريقان : فريق يوافق عميد الدولة الإنجليزية على ما يرى . وفريق آخر يعد مساويه فى مصر .

(٤) يريد أن الوزراء كانوا يستغلون بؤس الناس لإسعاد أنفسهم .

(٥) نامت : أى الوزارة .

(٦) شبهه بالمسيح فى أن معجزاته إحياء الموتى . قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : (وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله) .

ما زلتُ أرجو أنْ أرا ... كَ أباً وأنْ ألقاكَ جَدّا
حتّى غَدوتَ أباً لَه ... أضْحتْ عيالُ القُطْرِ وُلْدا
فارْدُدْ لنا عَهْدَ (الإما ... مِ) وكُنْ بنا الرَّجُلَ المُفَدَّى[1]
أنا لا أَلُومُ المُسْتَشا ... رَ إذا تَعَلَّلَ أوْ تَصَدَّى[2]
فَسَبِيلُه أنْ يَسْتَبِدَّ ... وشأْنُنَا أن نَسْتَعِدّا
هِىَ سُنَّةُ المُحتَلِّ فى ... كُلِّ العُصورِ وما تَعَدَّى

الحث على معاضدة مشروع الجامعة

أنشدها فى الحفل الذى أقامه محفل الصدق الماسونى فى دار التمثيل العربى ، وخصص إيراده لمشروع الجامعة المصرية

نشرت فى ١٩ مارس سنة ١٩٠٧ م

إنْ كُنْتُمُ تَبْذُلُونَ المالَ عَنْ رَهَبٍ ... فَنَحْنُ نَدْعُوكُمُ لِلبَذْلِ عن رَغَبِ
ذَرَّ الكَتاتِيبَ مُنْشِيها بلا عَدَدٍ ... ذَرَّ الرَّمادِ بِعَيْنِ الحاذِقِ الأَرِبِ[3]
فأَنْشَأُوا أَلْفَ كُتّابٍ وقد عَلِمُوا ... أنّ المَصابِيحَ لا تُغْنِى عن الشُّهُبِ
هَبُوا الأَجِيرَ أو الحَرّاثَ قد بَلَغا ... حَدَّ القِراءَةِ فى صُحْفٍ وفى كُتُبِ

(١) يريد « بالإمام » المرحوم الشيخ محمد عبده .

(٢) يريد بالمستشار : المستر (دانلوب) الإنجليزى ، مستشار المعارف إذ ذاك . وتعلل : تصنع العلل والمعاذير المانعة من نشر العلم فى البلاد المصرية . وتصدّى : تعرض للمصلحين بالمنع .

(٣) الأرب : البصير الماهر . ويشير بهذا البيت إلى ما كان يقصد إليه المستشار الإنجليزى لنظارة المعارف والعميد الإنجليزى إذ ذاك من إلهاء المصريين وتسكينهم بإكثار الكتاتيب الصغيرة فى القرى والمدن عن أن يطلبوا إلى الحكومة إنشاء جامعة على نسق الجامعات الأوربية .

مَن المُداوي إذا ما علّةٌ عرضتْ ؟ ... مَن المُدافِعُ عن عِرضٍ وعن نَشَبِ ؟(١)

ومَن يَروضُ مياهَ النيلِ إن جمحتْ ... وأنذرتْ مصرَ بالوَيلاتِ والحَرَبِ ؟(٢)

ومَن يُوكَّلُ بالقِسطاسِ بينَكُمُ ؟ ... حتى يُرى الحقُّ ذا حَولٍ وذا غَلَبِ(٣)

ومَن يُطِلُّ على الأفلاكِ يَرصُدُها ... بين المَناطِقِ عن بُعْدٍ وعن كَثَبِ ؟(٤)

يَبيتُ يُنبِئُنا عمّا تَنِمُّ به ... سَرائرُ الغَيبِ عن شَفّافةِ الحُجُبِ

ومَن يَبُزُّ أديمَ الأرضِ ما رَكَزتْ ... فيها الطَّبيعةُ من بِدْعٍ ومن عَجَبِ ؟(٥)

يَظَلُّ يَنشُدُ من ذرّاتِها نَبَأً ... ضَنَّتْ به الأرضُ في ماضٍ من الحُقُبِ(٦)

ومَن يُميطُ ستارَ الجَهلِ إن طُمِستْ ... مَعالِمُ القَصْدِ بين الشَّكِّ والرِّيَبِ ؟(٧)

فما لَكُمْ أيُّها الأقوامُ جامعةٌ ... إلا بجامعةٍ مَوصولةِ السَّبَبِ(٨)

قد قامَ (سَعْدٌ) بها حِيناً وأسلَمَها ... إلى (أمينٍ) فلَمْ يُحجِمْ ولَمْ يَهَبِ(٩)

---

(١) النشب (بالتحريك) : المال . ويشير بهذا البيت والأبيات السبعة بعده إلى طوائف المتخرجين من الجامعة على اختلافهم : من أطباء ، ومحامين ، ومهندسين ، وقضاة ، وفلكيين ، وعلماء بطبقات الأرض ، ومعلمين .

(٢) يروض مياه النيل : يقوم على تصريفها وتدبير أمرها ، ولا يدعها تغرق البلاد بطغيانها . وأصله من رياضة الدواب ، وهو تذليلها بعد صعوبتها ونفورها .

(٣) القسطاس (بكسر القاف وضمها) : ميزان العدل ؛ قيل هو رومى معرب . والحول : القوة .

(٤) يرصدها : يرقبها . والكثب (بالتحريك) : القرب .

(٥) يبز : يسلب . وأديم الأرض : وجهها . وركزت ، أى طوت وخبأت . والبدع : الذى لا مثيل له .

(٦) ينشد : يطلب .

(٧) يميط : يكشف . وطمست : أمحت واندثرت . ومعالم القصد : العلامات التى تبين طريقه وتدل عليه . يقول : إن هذا العالم الذى يبحث فى طبقات الأرض وما حوت من معادن يظل يطلب فى كل ذرة من ذراتها سرا كتمته ولم تبح به فى غابر الأزمان لجهل الماضين بما فى باطن الأرض من عجائب .

(٨) يريد بالجامعة (الأولى) : الرابطة التى تربط الأمة وتجمع طوائفها . وبالجامعة (الثانية) : ذلك المعهد المعروف .

(٩) يريد المرحوم سعد زغلول باشا ، وكان من أقوى أنصار فكرة إنشاء الجامعة المصرية والساعين فى تحقيقها ، فلما أسندت إليه (نظارة) المعارف أسلم أعمال الجامعة إلى المرحوم قاسم بك أمين .

فعاوِنُوه يعاوِنْكُم على عَمَلٍ ... فيه الفَخارُ وما تَرْجُونَ من أَرَبِ
وبَيِّنُوا لرجالِ الغَرْبِ أنَّكُمُ ... إذا طَلَبْتُم بَلَغْتُم غايةَ الطَّلَبِ
لا تَلْجَئُوا فى العُلا إلّا إلى هِمَمٍ ... وثّابةٍ لا تُبالِى هِمَّةَ النُّوَبِ
فإنّ تأميلَكُمْ فى غيرِكُم وَهَنٌ ... فى النَّفْسِ يُرْخِى عِنانَ السَّعْىِ والدَّأَبِ (١)
إنْ قامَ منّا مُنادٍ قال قائلُهُم ... لا تَصْخَبُوا فهلاكُ الشَّعْبِ فى الصَّخَبِ (٢)
أو نابَنا حادثٌ نَرْجُو إزالتَه ... قال استكينُوا وخَلُّوا سَوْرَةَ الغَضَبِ (٣)
فما سَمَوْنا إلى نَجْدٍ نُحاوِلُه ... إلّا هَبَطْنا إلى غَوْرٍ من العَطَبِ (٤)
يا مِصْرُ هل بَعْدَ هذا اليأسِ مُتَّسَعٌ ... يَجْرِى الرجاءُ بِهِ فى كُلِّ مُضْطَرَبِ؟ (٥)
لا نَحْنُ مَوْتَى ولا الأحياءُ تُشْبِهُنا ... كأنّنا فيكِ لم نَشْهَدْ ولم نَغِبِ!
نَبْكِى على بَلَدٍ سالَ النُّضارُ بِهِ ... للوافدين وأَهْلُوه على سَغَبِ (٦)
متى نَراهُ وقد باتَتْ خزائنُه ... كَنْزًا من العِلْمِ لا كَنْزًا من الذَّهَبِ
هذا هو العَمَلُ المَبْرُورُ فاكْتَتِبُوا ... بالمالِ إنّا اكْتَتَبْنا فيه بالأَدَبِ (٧)

---

(١) الوهن : الضعف . والدأب : الاجتهاد فى الأمر والاستمرار عليه .

(٢) الصخب (بالتحريك) : شدة الأصوات واختلاطها .

(٣) استكينوا : استذلوا . وسورة الغضب : حدّته .

(٤) النجد : ما ارتفع من الأرض . والغور : ما اطمأن منها وانخفض . والعطب : الهلاك .

(٥) المضطرب : المذهب يضطرب فيه الناس ، أى يذهبون و يجيئون فى أمور حياتهم . يقول : هل بعد هذا اليأس من فسحة تتسع فيها آمال مصر فى جميع مناحى الحياة ومذاهبها .

(٦) النضار : الذهب . والسغب : الجوع .

(٧) استعمال «الاكتتاب» بمعنى جمع المال من القوم لمصلحة عامة أو خاصة ، استعمال شائع فى كلام أهل العصر، وهو استعمال مجازى ؛ وأصله من قولهم : اكتتب فلان ، إذا كتب اسمه فى ديوان السلطان . ولما كان المتبرعون بالأموال تقيد أسماؤهم فى سجل مخصوص ، لذلك صح أن يتجوز فى ذلك و يعبر عن جمع الأموال بالاكتتاب .

سورية ومصر

أنشدها في الحفل الذي أقامه لتكريمه جماعة من السوريين بفندق شبرد

نشرت في ٢٥ مارس سنة ١٩٠٨ م

لِمِصْرَ أم لرُبُوعِ الشَّأمِ تَنْتَسِبُ ؟ هُنا العُلَا وهُناكَ المَجْدُ والحَسَبُ (١)

رُكْنَانِ للشَّرْقِ لا زالَتْ رُبُوعُهُما قَلْبُ الهِلالِ عليها خافِقٌ يَجِبُ (٢)

خِدْرانِ للضّادِ لَمْ تُهْتَكْ سُتُورُهُما ولا تَحَوَّلَ عن مَغْناهُما الأدَبُ (٣)

أُمُّ اللُّغاتِ غَداةَ الفَخْرِ أُمُّهُما وإنْ سأَلْتَ عن الآباءِ فالعَرَبُ (٤)

أَيَرْغَبانِ عن الحُسْنَى وبَيْنَهُما في رائعاتِ المَعالِي ذٰلكَ النَّسَبُ ؟ (٥)

ولا يَمُتّانِ بالقُرْبَى وبَيْنَهُما تلكَ القَرابةُ لَمْ يُقْطَعْ لها سَبَبُ ؟ (٦)

إذا أَلَمَّتْ بِوادِي النِّيلِ نازِلَةٌ باتَتْ لها راسِياتُ الشَّأْمِ تَضْطَرِبُ (٧)

وإنْ دَعا في ثَرَى الأَهْرامِ ذُو أَلَمٍ أَجابَهُ في ذُرا لُبْنانَ مُنْتَحِبُ (٨)

---

(١) أي انتسب إلى أي الأمتين شئت ، فكلتاهما في العلا والحسب سواء .

(٢) وجب يجب وجبا ووجيبا : اضطرب ؛ وهو هنا كناية عن الإشفاق على كلتا الأمتين والرعاية لهما والحرص عليهما . والهلال : شعار الدولة العثمانية .

(٣) الضاد : كناية عن اللغة العربية : والمغنى : المنزل الذي غنى به أهله ، أي أقاموا .

(٤) يريد أن الأمتين تجمع بينهما أمومة واحدة وهي اللغة ، وأبوة واحدة ، وهم العرب .

(٥) يرغبان عن الحسنى : ينصرفان عن حسن الجوار . ورائعات المعالي : ما ظهر منها ووضح .

(٦) مت إليه بكذا : توسل إليه به .

(٧) ألمت : نزلت : وراسيات الشام : جبالها .

(٨) ذرا لبنان : مرتفعاته وأعاليه ، الواحد ذروة .

لو أخلص النيل والأردن ودهما … تصافحت منهما الأمواه والعشب (١)

بالواديين تمشى الفخر مشيته … يحف ناحيتيه الجود والدأب (٢)

فسال هذا سخاء دونه ديم … وسال هذا مضاء دونه القضب (٣)

نسيم لبنان كم جادتك عاطرة … من الرياض وكم حياك منسكب

فى الشرق والغرب أنفاس مسعرة … تهفو إليك وأكباد بها لهب (٤)

لولا طلاب العلا لم يبتغوا بدلا … من طيب رياك لكن العلا تعب (٥)

كم غادة بربوع الشام باكية … على أليف لها يرمى به الطلب (٦)

يمضى ولا حيلة إلا عزيمته … وينثنى وحلاه المجد والذهب (٧)

يكر صرف الليالى عنه منقلبا … وعزمه ليس يدرى كيف ينقلب (٨)

بأرض (كولمب) أبطال غطارفة … أسد جياع إذا ما ووثبوا وثبوا (٩)

---

(١) الأردن : نهر بفلسطين معروف . الأمواه : جمع ماء .

(٢) الدأب (بالتحريك) : الجد والاجتهاد .

(٣) الديم من السحب : جمع ديمة ، وهى الدائمة المطر . والقضب : السيوف القواطع ، الواحد قضيب ، فعيل بمعنى فاعل . يشير بالشطر الأول إلى وادى النيل ؛ وبالشطر الثانى إلى وادى الأردن .

(٤) مسعرة : ملتهبة من الشوق . وتهفو : تميل . ويشير إلى حنين رجال لبنان النائين عن وطنهم فى أنحاء الأرض طلبا للرزق .

(٥) الريا : الرائحة الطيبة .

(٦) الغادة : الفتاة المتثنية لينا ونعومة . « ويرمى » الخ ، أى يقذف . طلب الرزق فى أنحاء البلاد .

(٧) يقول : إن هذا الطالب يذهب على وجهه غير مزود إلا بعزيمة صادقة ، ويعود متحليا بحلل المجد ، موفور الثراء والغنى .

(٨) « يكر صرف الليالى عنه » الخ ، يقول : إن نوائب الأيام ترتد عنه منقلبة وعزمه ثابت ماض فى سبيله لا يتغير ولا يتبدل .

(٩) أرض كولمب : أميركة أضيفت إلى مكتشفها . والغطارفة : السادة الشرفاء والسراة من الناس ، الواحد غطريف وغطراف . ويريد رجال لبنان المهاجرين إلى أميركة . وإذا ما ووثبوا وثبوا ، أى إذا اعتدى عليهم انتصفوا لأنفسهم . والمواثبة بين الخصمين : أن يثب كل منهما على صاحبه .

لَمْ يَحْمِهِمْ عَلَمٌ فيها ولا عَدَدٌ … سِوَى مَضَاءٍ تَحَامَى وِرْدَهُ النُّوَبُ[(١)]

أُسْطُولُهُمْ أَمَلٌ فى البَحْرِ مُرْتَحِلٌ … وجَيْشُهُمْ عَمَلٌ فى البَرِّ مُغْتَرِبُ[(٢)]

لهُمْ بكُلِّ خِضَمٍّ مَسْرَبٌ نَهَجٌ … وفى ذُرَا كُلِّ طَوْدٍ مَسْلَكٌ عَجَبٌ[(٣)]

لَمْ تَبْدُ بارِقَةٌ فى أُفْقِ مُنْتَجَعٍ … إلّا وكان لها بالشامِ مُرْتَقِبُ[(٤)]

ماعابَهُمْ أَنَّهُمْ فى الأَرضِ قد نُثِرُوا … فالشُّهْبُ مَنْثُورةٌ مُذْ كانت الشُّهُبُ

ولَمْ يَضِرْهُمْ سُرَاءٌ فى مَنَاكِبِها … فكُلُّ حَىٍّ له فى الكَوْنِ مُضْطَرَبُ[(٥)]

رَادُوا المَنَاهِلَ فى الدُّنْيا ولو وَجَدُوا … إلى المَجَرَّةِ رَكْبًا صَاعِدًا رَكِبُوا[(٦)]

أو قيلَ فى الشمسِ للراجِينَ مُنْتَجَعٌ … مَدُّوا لها سَبَبًا فى الجَوِّ وانْتَدَبُوا[(٧)]

سَعَوْا إلى الكَسْبِ مَحْمُودًا وما فَتِئَتْ … أُمُّ اللُّغَاتِ بذاكَ السَّعْىِ تَكْتَسِبُ[(٨)]

فأَيْنَ كان الشَّآمِيُّونَ كان لها … عَيْشٌ جَدِيدٌ وفَضْلٌ ليس يَحْتَجِبُ

---

(١) تحامى : تتحامى ، فحذف إحدى التاءين للتخفيف . ويريد بقوله : « لم يحمهم علم » : أنهم ليسوا أصحاب سفارة يحتمون بها وإنما يحتمون بمضائهم وعزمهم اللذين ترتد عنهما نوائب الأيام كليلة مهزومة .

(٢) يقولون : إنهم لا أسطول لهم ولا جيش غير الأمل البعيد والعمل للرزق فى كل مكان .

(٣) الخضم : البحر . والمسرب : الطريق . والنهج (بتسكين الهاء) من الطرق الواضح المسلوك منها ؛ وحرك الهاء بالفتح لضرورة الوزن . « وذرا كل طود » ، أى أعالى كل جبل .

(٤) المنتجع : مكان الانتجاع ، أى طلب الرزق . يقول : إنه قد بلغ من سعيهم على الرزق أنه لا تظهر علامة تنبىء بوجوده فى مكان إلا وجدت من رجالى الشام من يرقبها ويسبق الناس إليها .

(٥) السرى (مقصورا ومدّ للشعر) : السير بالليل . ومناكب الأرض : نواحيها . والمضطرب : المذهب يضطرب فيه الناس ، أى يذهبون ويجيئون .

(٦) رادوا : طلبوا . والمناهل : الموارد .

(٧) انتدب فلان للأمر : خف إليه .

(٨) يريد بقوله : « وما فتئت » الخ : أنهم ينشرون اللغة حيثما حلوا ؛ وفى ذلك كسب لها .

هٰذى يَدِى عن بَنِى مِصْرٍ تُصافِحُكُمْ ... فصافِحُوها تُصافِحْ نَفْسَها العَرَبُ
فما الكِنانَةُ إلّا الشامُ عاجَ على ... رُبوعِها مِنْ بَنِيها سادَةٌ نُجُبُ(١)
لولا رِجالٌ تَغالَوْا فى سِياسَتِهِمْ ... مِنّا ومِنْهُمْ لَمَا لُمْنا ولا عَتَبُوا(٢)
إنْ يَكْتُبوا لِى ذَنْباً فى مَوَدَّتِهِمْ ... فإنّما الفَخْرُ فى الذَّنْبِ الذى كَتَبُوا(٣)

فى الحث على معاضدة مشروع الجامعة

أنشدها فى الحفل الذى أقيم فى «مسرح برنتانيا» فى ٨ مايو سنة ١٩٠٨ م

حَيّاكُمُ اللهُ أَحْيُوا العِلْمَ والأَدَبا ... إنْ تَنْشُروا العِلْمَ يَنْشُرْ فيكُم العَرَبا(٤)
ولا حَياةَ لَكُمْ إلّا بِجامِعَةٍ ... تكونُ أُمّاً لِطُلّابِ العُلا وأَبا
تَبْنِي الرِّجالَ وتَبْنِي كُلَّ شاهِقَةٍ ... مِنَ المَعالِى وتَبْنِي العِزَّ والغَلَبا
ضَعُوا القُلُوبَ أَساساً لا أَقولُ لَكُمْ ... ضَعُوا النُّضارَ فإنّى أَصْغِرُ الذَّهَبا
وابْنُوا بِأَكْبادِكُمْ سُوراً لها وَدَعُوا ... قِيلَ العَدُوِّ فإنّى أَعْرِفُ السَّبَبا(٥)
لا تَقْنَطُوا إنْ قَرَأْتُمْ ما يُزَوِّقُه ... ذاكَ العَمِيدُ ويَرْمِيكُمْ به غَضَبا(٦)

---

(١) عاج على المكان : مال إليه .

(٢) يقول : لولا جماعة المفرقين بين القطرين وتغاليهم فى ذلك ، لما وقع بيننا ما يوجب اللوم منا ولا العتاب منهم

(٣) الضمير فى « مودتهم » للسوريين .

(٤) « ينشر » الخ : أى يبعث فيكم مجد العرب كما كان أولا .

(٥) قيل العدو : أى قوله .

(٦) يشير إلى ما كان يقيمه عميد الدولة الإنجليزية من العقبات فى سبيل إنشاء الجامعة ، وما كان يتهم به المصريين ويرميهم به من أنهم ليسوا أهلا للتعليم العالى .

وراقبوا يومَ لا تُغْنِى حَصائدُه ... فكُلُّ حَىٍّ سيُجْزَى بالّذى اكتَسَبا[١]

بَنَى على الإفْكِ أبْراجًا مُشَيَّدةً ... فابْنُوا على الحَقِّ بُرْجًا يَنْطَحُ الشُّهُبا[٢]

وجاوِبُوه بِفِعْلٍ لا يُقَوِّضُه ... قَوْلُ المُفَنِّدِ أنَّى قال أو خَطَبا[٣]

لا تَهْجَعُوا إنّهم لَنْ يَهْجَعُوا أبدًا ... وطالِبُوهُمْ ولكنْ أجْمِلُوا الطَّلَبا[٤]

هل جاءَكُمْ نَبأُ القَوْمِ الأُلَى دَرَجُوا ... وخَلَّفُوا للوَرَى مِنْ ذِكْرِهِمْ عَجَبا[٥]

عَزَّتْ (بقُرْطاجَةَ) الأمْراسُ فارْتَهَنَتْ ... فيها السَّفِينُ وأمْسَى حَبْلُها اضطَرَبا[٦]

والحَرْبُ فى لَهَبٍ، والقَوْمُ فى حَرَبٍ ... قد مَدَّ نَقْعُ المَنايا فوقَهُمْ طُنُبا[٧]

وذَوابُها وجَوارِيهِمْ مُعَطَّلةٌ ... لو أنَّ أهْدابَهُمْ كانتْ لها سَبَبا[٧]

هُنالكَ الغِيدُ جادَتْ بالّذى بَخِلَتْ ... به دَلالًا فقامَتْ بالّذى وَجَبا[٩]

جَزَّتْ غَدائِرَ شَعْرٍ سَرَّحَتْ سُفُنًا ... واستَنْقَذَتْ وَطَنًا واستَرْجَعَتْ نَشَبا[١٠]

---

(١) حصائده : أى حصائد العبيد ، أى ما يقوله من الكلام الذى لا قيمة له ليثنى به العزائم عن إنشاء الجامعة .

(٢) الإفك : الكذب .

(٣) يقوضه يهدمه . والمفند : المكذب .

(٤) الضمير فى " إنهم " للإنجليز . وأجمل فى الطلب : ترفق .

(٥) درجوا : مضوا وذهبوا . ويريد « بالقوم » : أهل قرطاجنة الآتى ذكرهم .

(٦) قرطاجة : يريد قرطاجنة ، وهى مدينة على شاطىء إفريقية الشمالى بالقرب من موقع مدينة تونس الحالية ، أنشئت فى القرن التاسع قبل الميلاد . والأمراس : الحبال . وعزت : قلت . ويشير بهذا البيت إلى الحرب اليونانية الثالثة التى وقعت بين الرومان والقرطاجنيين من سنة ١٤٩ ق م . إلى سنة ١٤٦ ق م والتى قلت فيها حبال السفن عند القرطاجنيين ، فذكر بعض المؤرخين أن نساءهم جدن بشعورهن لتتخذ منها تلك الحبال .

(٧) الحرب (بالتحريك) : الهلاك والويل . والنقع الغبار . ويريد « بالطنب » : الخيام ، شبه بها غبار الحرب . والطنب (فى الأصل) : حبال الخيام .

(٨) الجوارى : السفن .

(٩) الغيد : جمع غيداء ، وهى الفتاة المتثنية لينا .

(١٠) الغدائر : جمع غديرة ، وهى الذؤابة من الشعر . والنشب : المال والعقار .

رأتْ حُلَاها على الأَوْطَانِ فَابْتَهَجَتْ ... ولَمْ تَحَسَّرْ على الحَلْيِ الّذى ذَهَبا [1]

وزادَها ذاكَ حُسْنًا وهيَ عاطلَةٌ ... تُزْهَى على مَنْ مَشَى لِلحَرْبِ أو رَكِبا [2]

و (برثران) الّذى حاكَ الإباءُ له ... ثَوْبًا مِن الْفَخْرِ أَبْلَى الدَّهْرَ والحِقَبا [3]

أَقَامَ فى الأَسْرِ حِينًا ثمّ قِيل له : ... أَلَمْ يَئِنْ أَنْ تُفَدَّى المَجْدَ والحَسَبا؟

قُلْ واحتَكِمْ أَنْتَ مُخْتارٌ ، فقال لهم : ... إنّا رجالٌ نُهِينُ المَالَ والنَّشَبا

خُذُوا القَنَاطِيرَ مِنْ تِبْرٍ مُقَنْطَرَةً ... يَخُورُ خَازِنُكُمْ فى عَدِّها تَعَبا [4]

قالوا : حَكَمْتَ بما لا تَسْتَطِيعُ له ... حَمْلًا نَكادُ نَرَى ماقُلْتَه لَعِبا

فقال : واللهِ ما فى الحَيِّ غازِلَةٌ ... من الحِسانِ تَرَى فى فِدْيَتِي نَصَبا [5]

لو أنّهم كَلَّفُوها بَيْعَ مِغْزَلِها ... لآثَرَتْنِي وَضَحَّتْ قُوتَها رَغَبا

هٰـذا هُوَ الأَثَرُ الباقى فلا تَقِفُوا ... عنـد الكلامِ إذا حاوَلْتُمُ أَرَبا

ودُونَكُمْ مَثَلًا أَوْشَكْتُ أَضْرِبُهُ ... فِيكُمْ وفى مِصْرَ إنْ صِدْقًا وإنْ كَذِبا

سَمِعْتُ أنّ امرَأً قد كانَ يَأْلَفُهُ ... كَلْبٌ فعاشَا على الإخْلاصِ واصْطَحَبا

فَمَرَّ يَوْمًا به والجُوعُ يَنْهَبُهُ ... نَهْبًا فلم يُبْقِ إلّا الجِلْدَ والعَصَبا

---

(١) « رأت حلاها على الأوطان » أى رأت غدائرها تبذل فى الدفاع عن الوطن . ويحسر : تحسر .

(٢) الضمير فى قوله : " زادها " للغيد . « وتزهى » : تختال وتفتخر .

(٣) حاك . نسج . و برثران : قائد فرنسى ولد سنة ١٧٧٣ م . ودخل الخدمة العسكرية سنة ١٧٩٢ م ضابطا . وجاء مع نابليون إلى مصر حيث جعله قائدا للدفعية . وقد صحب نابليون إلى (جزيرة البا) ثم إلى (جزيرة سنت هيلانة) حيث لبث معه (إلى سنة ١٨٢١ م ؛ وكانت وفاته سنة ١٨٤٤ م وقد ذكر الشاعر قصته مفصلة فى الأبيات الآتية .

(٤) التبر : الذهب . ويخور : يضعف و يفتر .

(٥) النصب : التعب :

فظَلَّ يبكى عليه حينَ أبصَرَه يَزُولُ ضَعْفًا ويَقْضِى نَحْبَه سَغَبا[١]

يَبْكِى عليه وَفى يُمْنَاهُ أَرْغِفَةٌ لو شامَها جائِعٌ من فَرْسَخٍ وَثَبا[٢]

فقال قَومٌ وقد رَقُّوا لِذِى أَلَمٍ يَبْكى، وذِى أَلَمٍ يَسْتَقْبِلُ العَطَبا[٣]

ما خَطْبُ ذا الكَلْبِ؟ قال: الجُوعِ يَخْطِفُه مِنّى ويُنْشِبُ فيه النابَ مُغْتَصِبا

قالوا وقد أبصَرُوا الرُّغْفَانَ زاهِيَةً: هٰذا الدَّواءُ فهَلْ عالجْتَه فأَبَى؟

أَجابَهُمْ ودَواعِى الشُّحِّ قد ضَرَبَتْ بين الصَّديقَينِ مِنْ فَرْطِ القِلَى حُجُبا[٤]

لذلكَ الحَدِّ لَمْ تَبْلُغْ مَوَدَّتُنا أَمَا كَفَى أَنْ يَرانى اليومَ مُنْتَحِبا

هٰذى دُموعى على الخَدَّيْنِ جارِيةً حُزْناً وهٰذا فُؤادى يَرْتَمِى لَهَبا

أَقْسَمْتُ باللهِ إِنْ كانتْ مَوَدَّتُنا كصاحِبِ الكَلْبِ ساءَ الأَمْرُ مُنْقَلَبا[٥]

أُعِيذُكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَه فنَرَى منكُمْ بُكاءً ولا نُلْفِى لكم دَأَبا[٦]

إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ فى أَوْطانِكُمْ فلَكُمْ أَجْرُ المجاهِدِ، طُوبَى لِلّذِى ٱكْتَتَبا

(١) سغبا: جوعا.

(٢) شامها: نظر إليها.

(٣) يريد بذى الألم الأوّل: صاحب الكلب. وبذى الألم الثانى: الكلب. والعطب: الهلاك.

(٤) القلى: البغض والكراهية.

(٥) المنقلب: المرجع والمصير.

(٦) الدأب: الجد والاجتهاد.

رعاية الأطفال

أنشدها فى الحفل الذى أقامته هذه الجمعية فى (الأوبرا) فى ٨ أبريل سنة ١٩١٠ م

شَبَحًا أَرَى أَمْ ذاكَ طَيْفُ خَيالِ ؟ لا ، بَلْ فَتاةٌ بالعَــــراءِ حِيالِى[١]

أَمْسَتْ بِمَدْرَجَةِ الخُطُوبِ فما لَها راعٍ هُنــاكَ وما لَهــا مِنْ وَالِى[٢]

حَسْرَى ، تَكادُ تُعيدُ فَحْمَةَ لَيْلِها نارا بأَنَّاتٍ ذَكَيْنَ طِـــوالِ[٣]

ما خَطْبُها ، عَجَبا ، وما خَطْبِى بِها ؟ مالِى أُشَاطِــرُها الوَجِيعَــةَ مالِى[٤]

دانَيْتُها ولِصَوْتِها فى مَسْــــمَعِى وَقْعُ النِّبـالِ عَطَفْنَ إِثْرَ نِبالِ[٥]

وسأَلْتُها : مَنْ أَنْتِ ؟ وهِىَ كأَنَّها رَسْمٌ على طَلَلٍ مِنَ الأَطْلالِ[٦]

فتَمَلْمَلَتْ جَزَعا وقالت : حامِلٌ لَمْ تَدْرِ طَعْمَ الغَمْضِ مُنْــذُ لَيالِى

قد ماتَ والِدُها ، وماتَتْ أُمُّها ومَضَى الحِمَـــامُ بِعَمِّها والخالِ[٧]

وإِلى هُنا حَبَسَ الحَيَاءُ لِسـانَها وجَرَى البُكاءُ بِدَمْعِها الهَطَّالِ

فَعلِمْتُ ما تُخْفِى الفَتاةُ ، وإِنَّمـا يَحْنُــو على أَمْثـالها أَمْثـالى

---

(١) العراء (بفتح العين) : الفضاء الذى لايستتر فيه بشىء .

(٢) مدرجة الخطوب : أى طريق النوائب .

(٣) ذكين : أى توقدن واشتعلن .

(٤) ما خطبها : أى ما شأنها .

(٥) عطفن : رجعن .

(٦) الرسم : أثر الدار بعد بلاها . شبه هذه الفتاة برسوم الأطلال فى التحول والضآلة .

(٧) الحمام : الموت .

ووَقَفتُ أَنْظُـرُها ، كأَنِّى عابِدٌ ... فى هَيْكَلٍ يرْنُو إلى تِمْثَالِ[١]

ورأيْتُ آياتِ الجمَالِ تكَفَّلَتْ ... بزَوالِهنَّ فَوادِحُ الأَثْقالِ[٢]

لا شىءَ أَفْعَلُ فى النُّفوسِ كقامَةٍ ... هَيْفاءَ رَوَّعَها الأَسَى بهُزالِ

أو غادَةٍ كانتْ تُرِيكَ إذا بَدَت ... شَمْسَ النَّهارِ فأَصْبَحَتْ كالآلِ[٣]

قلتُ : انهَضى ، قالت : أيَنْهَضُ مَيِّتٌ ... مِنْ قَبْرِه ويَسِيرُ شَنٌّ بالى[٤]

فحَمَلْتُ هَيْكَلَ عَظْمِها وكأنّنى ... حُمِّلْتُ حينَ حَمَلْتُ عُودَ خِلالِ

وطَفِقْتُ أَنْتَهِبُ الخُطا مُتَيَمِّمًا ... باللَّيلِ (دارَ رعايَةِ الأَطفالِ)[٥]

أَمْشى وأَحْمِلُ بائسَيْنِ : فطارقٌ ... بابَ الحياةِ ومؤذنٌ بزَوالِ[٦]

أَبْكيهِما وكأنَّما أنا ثالِثٌ ... لَهُما مِن الإشْفاقِ والإعْوالِ[٧]

وطَرَقْتُ بابَ الدارِ لا مُتَهَيِّبًا ... أَحَدًا ولا مُتَرَقِّبًا لسُؤالِ

طَرْقَ المُسافِرِ آبَ مِنْ أَسْفارِهِ ... أو طَرْقَ رَبِّ الدارِ غيرَ مُبالِ

وإذا بأَصْواتٍ تَصيحُ : ألا افْتَحوا ... دَقّاتُ مَرْضَى مُدْلِجينَ عِجالِ[٨]

---

(١) يرنو : ينظر .

(٢) يريد « بفوادح الأثقال » : نوائب الدهر التى لا تحتمل لثقلها .

(٣) الآل : السراب .

(٤) الشن : القربة الخلق البالية .

(٥) أنتهب الخطا : أى أسرع فى السير . ومتيمما : قاصدا .

(٦) طارق باب الحياة : الجنين . ويريد « بالمؤذن الزوال » : أمه .

(٧) الإعوال : البكاء

(٨) المدلجون : السائرون بالليل . والعجال : المسرعون .

وإذا بأَيْدٍ طاهراتٍ عُـوِّدَتْ   صُنْعَ الجَميلِ تَطَوَّعَتْ فى الحـالِ
جاءَتْ تُسابِقُ فى المَبَرَّةِ بَعْضُهـا   بعضًـا لوَجْـــهِ اللهِ لا للمـالِ
فتنـاوَلَتْ بالرِّفْقِ ما أنا حامِــلٌ   كالأُمِّ تَكْلَأُ طِـفْلَها وتُـوالِى[1]
وإذا الطبيبُ مُشَـمِّرٌ وإذا بِهـا   فوقَ الوسـائِدِ فى مكانٍ عالِى
جاءُوا بأَنْواعِ الدَّواءِ وطَـوَّفُوا   بسَريرِ ضَـيْفَتِهِمْ كبَعْضِ الآلِ
وجَثـا الطَّبيبُ يُجُسُّ نَبْضًا خافتًا   ويَرُودُ مَكْمَنَ دائِهـا القَتّـالِ[2]
لَمْ يَدْرِ حينَ دَنَا لِيَبْــلُوَ قَلْبَهـا   دَقّاتِ قَلْبٍ أَمْ دَبِيبَ نِمـالِ ؟[3]
ودَّعْتُهـا وتَرَكْتُهـا فى أهلِهـا   وخَرَجْتُ مُنْشَرِحًا رَضِىَّ البــالِ
وعَجَزْتُ عن شُكْرِ الذين تَجَرَّدُوا   للبـاقِياتِ وصـالِحِ الأَعْمـالِ[4]
لم يُخْجِلُوها بالسُّؤالِ عن اسمِهـا   تلكَ المُـروءَةُ والشُّـعُورُ العـالِى
خيرُ الصَّنائِـعِ فى الأنامِ صَنِيعَــةٌ   تَنْبُــو بحامِلِها عن الإذْلالِ[5]
وإذا النَّـوالُ أَتَى ولَمْ يُهْـرَقْ له   ماءُ الوُجُوهِ فذاكَ خَـيْرُ نَوالِ
مَنْ جادَ مِنْ بَعْــدِ السؤالِ فإنَّه   — وهو الجَوادُ — يُعَدُّ فى البُخّالِ
للهِ دَرُّهُمُ فكَمْ مِنْ بائِسٍ   جَـمِّ الوَجيعةِ سَيِّئِ الأَحْـوالِ

---

(١) تكلأ : تحفظ وتحرس . وتواليه : تتعهده وتحنو عليه .

(٢) جثا يجثو : جلس على ركبتيه . والخافت : الضعيف . ويرود : يطلب ويتعرف . ومكمن : حيث يختفى الداء من جسمها .

(٣) يبلو : يختبر .

(٤) تجرد للأمر : أخلى نفسه له . والباقيات : المآثر التى تبقى بعد صاحبها .

(٥) الصنيعة : الإحسان . « وتنبو بحاملها » الخ ، أى تبعد بمن تقلدها عن الذل .

تَرْمِى به الدُّنْيا ، فمِنْ جُوعٍ ، إلى عُرْيٍ ، إلى سُقْمٍ ، إلى إقْلالِ
عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ وقَلْبٌ واجِفٌ نَفْسٌ مُرَوَّعَةٌ وجَيْبٌ خالِى[1]
لَمْ يَدْرِ ناظِرُه أَعُرْيانا يَرَى أَمْ كاسِياً فى تِلْكُمُ الأَسْمالِ ؟[2]
فكأنّ ناحِلَ جِسْمِه فى ثَوْبِه خَلْفَ الخُرُوقِ يُطِلُّ مِنْ غِرْبالِ
يا بَرْدُ ، فاحمِلْ ، قد ظَفِرْتَ بأَعْزَلٍ يا حَرُّ ، تِلكَ فَرِيسَةُ المُغْتالِ[3]
يا عَيْنُ سُحّى ، يا قُلُوبُ تَفَطَّرِى يا نَفْسُ رِقِّى يا مُرُوءَةُ وَالِى
لولاهُمُ لَقَضَى عليه شَقاؤُه وخَلا المَجالُ لخاطِفِ الآجالِ[4]
لولاهُمُ كان الرَّدَى وَقْفًا على نَفسِ الفَقيرِ ثَقيلَةِ الأَحْمالِ
للهِ دَرُّ الساهِرِينَ على الأُلَى سَهِرُوا مِنَ الأَوْجاعِ والأَوْجالِ[5]
القائمين بخَيرِ ما جاءَتْ به مَدَنِيَّةُ الأَدْيانِ والأَجْيالِ
أَهْلِ اليَتِيمِ وكَهْفِه وحُماتِهِ ورَبِيعِ أَهلِ البُؤْسِ والإِمْحالِ[6]
لا تُهْمِلُوا فى الصّالحاتِ فإنّكمْ لا تَجْهَلُونَ عَواقِبَ الإِهْمالِ

---

(١) مسهدة : ساهرة . والواجف : الخائف . والمروّعة : المفزعة .

(٢) الأسمال : الخرق البالية .

(٣) الأعزل : الذى لا سلاح معه ، ويريد به العارى من الثياب . يقول : أيها البرد احمل على هذا العارى وهاجمه فليس لديه ما يتقيك به .

(٤) خاطف الآجال : الموت

(٥) الأوجال : المخاوف .

(٦) الكهف : الملجأ والمحتمى . ويريد بقوله : ربيع أهل البؤس : أنهم للبائسين بمنزلة الربيع أى خصب وخير . والإمحال : الجدب .

إنِّى أَرَى فُقَـرَاءَكُمْ فى حاجَةٍ — لو تَعْلَمُونَ — لِقائِلٍ فَعّالِ
فتَسابَقُوا الخَيْراتِ فهىَ أَمامَكُمْ مَيْدانُ سَبْقٍ للجَوادِ النّالِ[1]
والمُحْسِنُونَ لهم على إحسانِهِمْ يومَ الإثابَةِ عَشْرَةُ الأَمْثالِ[2]
وجَزاءُ رَبِّ المُحْسِنِينَ يَجِلُّ عَنْ عَدٍّ وعَنْ وَزْنٍ وعَنْ مِكْيالِ

مدرسة البنات ببورسعيد

أنشدها فى حفل أقيم ببور سعيد فى ٢٩ مايو سنة ١٩١٠ م لإعانة تلك المدرسة

كَمْ ذا يُكابِدُ عاشِقٌ ويُلاقِى فى حُبِّ مِصْرَ كَثِيرَةِ العُشّاقِ
إنِّى لَأَحْمِلُ فى هَوَاكِ صَبابَةً يامِصْرُ قد خَرَجَتْ عن الأَطْواقِ[3]
لَهْفِى عليكِ مَتَى أَراكِ طَلِيقَةً يَحْمِى كَرِيمَ حِماكِ شَعْبٌ راقِى
كَلِفٌ بِمَحْمُودِ الخِلالِ مُتَيَّمٌ بالبَذْلِ بين يَدَيْكِ والإِنْفاقِ[4]
إنِّى لَتُطْرِبُنِى الخِلالُ كَرِيمَةً طَرَبَ الغَرِيبِ بأَوْبَةٍ وتَلاقِى
وتَهُزُّنِى ذِكْرَى المُرُوءَةِ والنَّدَى بين الشَّمائِلِ هِزَّةَ المُشْتاقِ
ما البابِلِيَّةُ فى صَفاءِ مِزاجِها والشَّرْبُ بَيْنَ تَنافُسٍ وسِباقِ[5]

(١) الجواد الكريم . والنال : الكثير النائل وهو العطاء .

(٢) الاثابة : الجزاء ويشير إلى قوله تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) .

(٣) الأطواق : جمع طوق ، وهو الجهد والطاقة .

(٤) الكلف (بفتح الكاف وكسر اللام) : الشديد الحب للشىء .

(٥) البابلية : الخمر ، نسبة إلى بابل ، وهى ناحية بالعراق كان ينسب إليها الخمر الجيد . والشرب : الشاربون ويريد « بالسباق » : المسابقة فى شرب الخمر .

والشمسُ تَبدُو فى الكُئُوس وتَختفِى | والبَدْرُ يُشْرِقُ من جَبِينِ السَّاقِى
بأَلَذَّ من خُلُقٍ كريم طـاهرٍ | قد مازَجَتْـه سَـلامَةُ الأَذْوَاق[1]
فاذا رُزِقْتَ خَلِيقـةً مَحْمُـودةً | فقـد اصْطَفاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزاقِ[2]
فالنـاسُ هٰذا حَظُّه مالٌ ، وذا | عِـلْمٌ ، وذاكَ مكارمُ الأَخْلاق
والمـالُ إنْ لَمْ تَدَّخِرْه مُحَصَّنًا | بالعـلمِ كانَ نِهـايَةَ الإمْلاقِ[3]
والعِلْمُ إنْ لَمْ تَكْتَنِفْه شَمائِلٌ | تُعْلِيه كانَ مَطِيَّـةَ الإخْفاقِ[4]
لا تَحْسَبَنَّ العِـلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ | ما لَمْ يُتَـوَّجْ رَبُّه بخَـلاقِ[5]
كم عالِمٍ مَـدَّ العُلومَ حَبائِلاً | لوَقيعـةٍ وقَطِيعَـةٍ وفِـراقِ[6]
وفَقِيـهِ قَوْمٍ ظَلَّ يُرْصِـدُ فِقْهَهُ | لمَكِيـدَةٍ أو مُسْتَحَلِّ طَـلاقِ[7]
يَمْشِى وقد نُصِبَتْ عليه عِمامَـةٌ | كالبُرْجِ لكنْ فَوْقَ تَلِّ نِفـاقِ
يَدْعونَه عنـد الشِّقاقِ وما دَرَوْا | أَنَّ الَّذى يَدْعُونَ خِدْنُ شِـقاقِ[8]
وطَبِيبِ قَوْمٍ قـد أَحَلَّ لِطِبِّه | ما لا تُحِـلُّ شَرِيعَةُ الخَـلاّقِ

---

(١) ألذ : خبر لـ « ما » فى قوله السابق « ما البابلية » .

(٢) الخليقة : السجية والطبيعة .

(٣) الإملاق : الفقر .

(٤) تكتنفه : أى تحوطه وتحفظه . والشمائل الأخلاق . والإخفاق : خيبة المسعى .

(٥) الخلاق : النصيب من الصلاح والخير .

(٦) حبائل الصيد : الأشراك التى يمدها الصائد للاصطياد ، الواحدة حبالة . والوقيعة : غيبة الناس . والقطيعة ، هى قطع الصلات بين الناس بما يلقى بينهم من النمائم .

(٧) يرصد فقهه : أى يعده ويهيئه .

(٨) الخدن : الصاحب والصديق . والشقاق : الخلاف . ويريدها الخلاف بين الزوجين .

قَتَلَ الأَجِنَّةَ فى البُطُونِ وتارَةً ... جَمَعَ الدَّوانِقَ مِن دَمٍ مُهْرَاقِ[1]

أغْلَى وأثْمَنُ مِن تجارِبِ عِلْمِه ... يومَ الفَخارِ تجارِبُ الحَلّاقِ

ومُهَنْدِسٍ لِلنِّيلِ باتَ بكَفِّه ... مِفْتاحُ رِزْقِ العامِلِ المِطْراقِ[2]

تَنْدَى وتَيْبَسُ لِلخَلائِقِ كَفُّه ... بالماءِ طَوْعَ الأَصْفَرِ البَرّاقِ[3]

لا شيءَ يَلْوِى مِنْ هَواهُ فَحَدُّه ... فى السَّلْبِ حَدُّ الخائِنِ السَّرّاقِ[4]

وأَدِيبِ قَوْمٍ تَسْتَحِقُّ يَمِينُه ... قَطْعَ الأَنامِلِ أو لَظَى الإحْراقِ

يَلْهُو ويَلْعَبُ بالعُقُولِ بَيانُه ... فكأنَّه فى السِّحْرِ رُقْيَةُ راقِ

فى كَفِّه قَلَمٌ يَمُجُّ لُعابُه ... سُمًّا ويَنْفُثُه على الأَوْراقِ[5]

يَرِدُ الحقائقَ وهىَ بِيضٌ نُصَّعٌ ... قُدْسِيَّةٌ عُلْوِيَّةُ الإشْراقِ[6]

فَيَرُدُّها سُودًا على جَنَباتِها ... مِنْ ظُلْمَةِ التَّمْوِيهِ أَلْفُ نِطاقِ[7]

عَرِيَتْ عن الحَقِّ المُطَهَّرِ نَفْسُه ... فَحَياتُه ثِقْلٌ على الأَعْناقِ

لو كان ذا خُلُقٍ لأَسْعَدَ قَوْمَه ... بِبَيانِه ويَراعِه السَّبّاقِ

---

(١) المهراق : المنصب .

(٢) المطراق : الذى يكثر طرق أبواب الرزق .

(٣) تندى : تبتل . والمراد فيضان يده بالماء . والأصفر البراق : الذهب ، ويريد الرشوة .

(٤) يلوى من هواه : أى يثنيه و يصرفه عما يريد . وحده فى السلب : أى جزاؤه على الرشوة . وحد السارق : قطع اليد .

(٥) مج اللعاب من فمه : رمى به . واللعاب : الريق ، شبه المداد به . وينفثه : يخرجه .

(٦) النصع : الشديدة البياض . ويريد بقوله : «علوية الإشراق» ، : أن نورها من السماء .

(٧) يريد بهذا البيت والذى قبله أن هذا الكاتب يرى الحقائق ظاهرة جليه فيزورها بقلمه على القراء ويحوطها بالأكاذيب وأخيلة الشرحتى يردها مظلمة سوداء لا يظهر فيها الحق .

مَنْ لى بتَرْبِيَةِ النِّساءِ ؟ فإنَّها فى الشَّرقِ علَّةُ ذٰلك الإخْفاق[١]

الأمُّ مَدْرَسَةٌ إذا أعْدَدْتَها أعْدَدْتَ شَعْباً طَيِّبَ الأعْراقِ[٢]

الأمُّ رَوْضٌ إنْ تَعَهَّدَه الحَيَا بالرِّىِّ أوْرَقَ أيَّما إيراقِ[٣]

الأمُّ أُسْتاذُ الأساتِذَةِ الأُلَى شَغَلَتْ مآثِرُهُمْ مَدَى الآفاق[٤]

أنا لا أقُولُ دَعُوا النِّساءَ سَوافِراً بين الرِّجالِ يَجُلْنَ فى الأسْواقِ[٥]

يَدْرُجْنَ حيثُ أرَدْنَ لا مِنْ وازِعٍ يَحْذَرْنَ رِقْبَتَه ولا مِنْ وَاقى[٦]

يَفْعَلْنَ أفْعالَ الرِّجالِ لواهِياً عَنْ واجِباتِ نَواعِسِ الأحْداقِ[٧]

فى دُورِهِنّ شُؤُونُهنَّ كثيرةٌ كشُؤُون رَبِّ السَّيْفِ والمِزْراقِ[٨]

كَلَّا ولا أدْعُوكُمُ أنْ تُسْرِفُوا فى الحَجْبِ والتَّضْيِيقِ والإرْهاقِ[٩]

لَيْسَتْ نِساؤُكُمُ حُلًى وجَواهِراً خَوْفَ الضَّياعِ تُصانُ فى الأحْقاقِ

لَيْسَتْ نِساؤُكُمُ أثاثاً يُقْتَنَى فى الدُّور بَيْنَ مَخادِعٍ وطِباقِ[١٠]

---

(١) الإخفاق : عدم الظفر بالمطلوب .

(٢) الأعراق : الأصول : الواحد عرق .

(٣) الحيا : المطر .

(٤) « شغلت » الخ : أى ملأت أعمالهم الباقية أنحاء الدنيا .

(٥) السوافر : المكشفات الوجوه .

(٦) يدرجن : يمشين . والوازع الزاجر . والرقبة المراقبة .

(٧) نواعس الأحداق : فاترات الأجفان ؛ يريد انصرافهن عن الواجبات التى خص بها جنسهن .

(٨) المزراق : الرمح ؛ يريد أن شأن المرأة فى بيتها لا يقل عن شأن الفارس فى الحرب .

(٩) الإرهاق : الظلم .

(١٠) المخادع : الغرف ، الواحد مخدع (بكسر الميم وضمها ، مع فتح الدال وسكون ما بينهما) .

تَتَشَكَّلُ الأَزمانُ فى أَدوارِها ... دُوَلًا وهُنَّ على الجُمُودِ بَواقِى[١]

فَتَوَسَّطُوا فى الحالَتَيْنِ وأَنْصِفُوا ... فالشَّرُّ فى التَّقييدِ والإطْلاقِ[٢]

رَبُّوا البَناتِ على الفَضِيلةِ إِنَّها ... فى المَوْقِفَيْنِ لَهُنَّ خَيرُ وَثاقِ[٣]

وعليكُمُ أَنْ تَسْتَبِينَ بَناتُكُمْ ... نُورَ الهُدَى وعَلَى الحَياءِ الباقِى

ملجأ رعاية الأطفال

أنشدها فى حفل أقامته جماعة رعاية الأطفال بالأوبرا وقد استهلها بوصف القطار

نشرت فى أول فبراير سنة ١٩١١ م

صَفْحَةُ البَرْقِ أَوْمَضَتْ فى الغَمامِ ... أَمْ شِهابٌ يَشُقُّ جَوْفَ الظَّلامِ ؟[٤]

أَمْ سَلِيلُ البُخارِ طارَ إِلى القَصْـ ... ـدِ فَأَعْيا سَوابِقَ الأَوْهامِ ؟[٥]

مَرَّ كاللَّمْحِ لَمْ تَكَدْ تَقِفُ العَيْـ ... ـنُ على ظِلِّ جِرْمِه المُتَرامِى[٦]

أَو كَشَرْخِ الشَّبابِ لَمْ يَدرِ كاسِيـ ... ـه تَوَلَّى فى يَقْظَةٍ أو مَنامِ[٧]

لا يُبالِى السُّرى إِذا اعتكَرَ اللَّيْـ ... ـلُ وخانَتْ مَواقِعُ الأَقْدامِ[٨]

---

(١) يريد أن الزمن يتغير بأهله وهن باقيات على حال واحدة .

(٢) يريد « بالحالتين » : التضييق على النساء والتوسيع عليهن .

(٣) يريد « بالموقفين » : تقييد النساء فى خدورهن وإطلاق السراح لهن . والوثاق : القيد الذى يوثق به من حبل أو نحوه .

(٤) صفحة كل شىء : وجهه وجانبه . وأومض البرق : لمع خفيفا .

(٥) يريد « بسليل البخار » : القطار .

(٦) المترامى : الممتد .

(٧) شرخ الشباب : أوله وريعانه ، شبه به القطار فى سرعة زواله . وكاسيه : أى لابسه والمتمتع به .

(٨) السرى : السير بالليل . واعتكر الليل : اختلط ظلامه .

يَقْطَعُ البِيدَ والفَيافِي وَحِيداً ... لَمْ تُضَعْضِعْهُ وَحْشَةُ الإظْلامِ[1]

لَيسَ يَثْنِيهِ ما يُذِيبُ دِماغَ الضَّبِّ يومَ الهَجِيرِ بينَ المَوامِي[2]

لا ولا يَعْتَرِيه ما يُخْرِس النا ... بِحَ في الزَّمْهَرِيرِ بين الخِيامِ[3]

هائمٌ كالظَّلِيمِ أزْعَجَه الصَّيْ ... دُ وراعَتْه طائشاتُ السهامِ[4]

فهو يَشْتَدُّ في النَّجاءِ ويَهْوِى ... حَيْثُ تُرْمَى بِجانِبَيْهِ المَرامِي[5]

يا حَدِيداً يَنْسابُ فَوْقَ حَدِيدٍ ... كانْسيابِ الرَّقْطاءِ فَوْقَ الرَّغامِ[6]

قد مَسَحْتَ البِلادَ شَرْقاً وغَرْباً ... بِذِراعَىْ مُشَمِّرٍ مِقْدامِ

بين جَنْبَيْكَ ما بِجَنْبَيَّ لكنْ ... ما بِجَنْبَيَّ مُسْتَدِيمُ الضِّرامِ[7]

أنتَ لا تَعْرِفُ الغَرامَ وإنْ كُنْ ... تَ تُرِينا زَفِيرَ أَهْلِ الغَرامِ

أنتَ لا تَعْرِفُ الحَنِينَ إلى الإلْ ... فِ فَما هٰذه الدُّموعُ الهَوامِى ؟[8]

أنتَ قاسِى الفؤادِ جَلْدٌ على الأَيْ ... نِ شَدِيدُ القُوَى شَدِيدُ العُرامِ[9]

---

(١) البيد : الفلوات ، الواحدة بيداء . والفيافى : المفازات : لا ماء فيها .

(٢) ما يذيب دماغ الضب : كناية عن شدة القيظ . والهجير : شدة الحر . والموامى : المفازات لا ماء فيها ولا أنيس ، الواحدة موماة .

(٣) النابح : الكلب . يقول : إنه لا يصيبه ولا يؤثر فيه طول السهر ولا شدة البرد اللذان يخرسان الكلب النابح ويسكتانه .

(٤) الظليم : ذكر النعام ، وهو معروف بسرعة العدو . وراعته : أفزعته .

(٥) النجاء : الإسراع . ويهوى : أى يشتد فى سرعته كأنه ينحدر . وقوله : «حيث ترمى بجانبيه المرامى» : كناية عن السرعة فى اختراق الفلوات والمضى فى قطع الفيافى البعيدة .

(٦) الرقطاء : الحية المنقطة . والرغام : التراب .

(٧) يشير بهذا البيت إلى نار القاطرة ونار شوقه . والضرام : الاشتعال .

(٨) همى الدمع يهمى (من باب ضرب) : سال .

(٩) الجلد الصبور . والأين : التعب . والعرام الشراسة والقسوة .

لا تُبالِى أَرُعْتَ بالبَينِ أحبا ... بًا وأَسْرَفْتَ فى أذَى المُسْتَهامِ؟[1]

أَمْ جَمَعْتَ الأعداءَ فوقَ صعيدٍ ... وخَلَطْتَ الأُسُودَ بالآرام؟[2]

إنّنى قد شَهِدْتُ فيكَ عَجيبًا ... ضاقَ عَنْ وَصْفِه نِطاقُ الكلامِ!

جُزْتَ يوما بِنا ونَحْنُ على الجَسْ ... رِ قِيامٌ واللَّيلُ لَيلُ التَّمامِ

وإذا راكِبٌ إلى الجِسْرِ يَهْوِى ... بين صَفَّيْنِ مِنْ مَماتٍ زُؤامِ[3]

مَرَّ كالسَّهْمِ بين تِلكَ الحَنايَا ... قد رَماهُ مِنَ المَقادِيرِ رامِى[4]

فتَرَدَّى فى الماءِ والماءُ غَمْرٌ ... يَتَّقِيه القَضاءُ والنَّهرُ طامِى[5]

وإذا سابِحٌ قد انْقَضَّ فى الما ... ءِ انقضاضَ العُقابِ فوقَ الحَمامِ[6]

غاصَ فى لُجَّةِ الحُتوفِ بِعَزمٍ ... لَمْ يُعَوَّدْ مَواقِفَ الإحْجامِ[7]

غابَ فيها وعادَ يَحمِلُ جِسْمًا ... سَلَّهُ مِنْ يَدِ الهَلاكِ اللِّزامِ[8]

كافِحَ المَوْجَ، صارِعَ الهَوْلَ، أَبْلَى ... كَبَلاءِ المُهَنَّدِ الصَّمْصامِ[9]

وانْثَنَى راجِعًا الى شاطِئِ النَّهْ ... رِ رُجوعَ الكَمِىِّ غِبَّ اغْتِنامِ[10]

---

(١) راعه يروعه : أفزعه .

(٢) الآرام : الظباء ، الواحد رئم ؛ وأصله للظبي الخالص البياض .

(٣) الزؤام من الموت : الكريه ويريد « بالصفين » : الموت على الجسر بالقطار ، والموت بالغرق فى النهر .

(٤) الحنايا : القسى ، واحدها حنية . ولما شبه الهاوى بالسهم ، شبه قضبان الجسر فى انحنائها بالقسى .

(٥) الماء الغمر : الكثير . وطما الماء : ارتفع وملأ النهر .

(٦) العقاب : طائر من الجوارح معروف .

(٧) الحتوف : المهالك . ولجتها ، أى حيث تشتد .

(٨) سله : انتزعه . واللزام : الملازم .

(٩) المهند : السيف . والصمصام : الذى لا ينثنى .

(١٠) الكمى : الشجاع . وغب : عقب .

وَقَفَ النـاسُ ذاهِلِين وصاحُوا ... تلك إحْـدَى عَجـائِبِ الأَيّـامِ
أَنَجَـاةٌ مِنَ القطارِ ، مِن الجسْـ ... ـرِ ، مِنَ النَّهْرِ ، جَلَّ رَبُّ الأَنامِ
وإذا صَيْحَةٌ عَلَتْ مِنْ فَتـاةٍ ... بَرَزَتْ مِنْ صُفُوفِ ذاكَ الزِّحامِ
وَقَفَتْ مَوْقِفَ الخَطيبِ ونادَتْ ... تلك عُقْـبَى رِعايَةِ الأَيْتـامِ
بَسَطَتْ تَحْتَـه أَكُفًّا تَلَقَّتْـ ... ـهُ وحاطَتْهُ رَغْـمَ أَنْفِ الحِمـامِ[1]
دَعْوَةُ البـائِسِ المعـذَّبِ سُورٌ ... يَدْفَعُ الشَّرَّ عنْ حِياضِ الـكِرامِ[2]
وهِيَ حَرْبٌ على البَخِيلِ وذِي البَغْـ ... ـيِ وسَـيْفٌ على رِقابِ اللِّئامِ
إنّ هذا الكريمَ قد صانَ عِرْضِي ... وحَمـانِي مِنْ عادِياتِ السَّقامِ
عالَ طِفْـلِي وعالَنِي وحَبـانِي ... بِكساءٍ وبَـدْرَةٍ وطَعـامِ[3]
وهو مِنْ مَعْشَرٍ أغاثُوا ذَوِي البُؤْ ... سِ وقامُوا في اللهِ خَيْرَ القِيـامِ
وأَقامُـوا للـبِرِّ دارًا فـكانت ... خَيْرَ وِرْدٍ يَؤُمُّـه كُلُّ ظامِي[4]
مُلِئَتْ رَحْمَـةً وفاضَتْ حَنـانًا ... فهِيَ للبائِسـاتِ دارُ السَّـلامِ
زُرْتُهـا والشَّقاءُ يَجْـرِي وَرائِي ... وشُعاعُ الرَّجاءِ يَسْـرِي أَمامِي
لَمْ يقولوا : مَنِ الفَتاةُ ؟ ولـكنْ ... سَأَلُونِي هُنـاكَ عن آلامِي
ثُمّ أَهْـوَتْ إلى الغَرِيقِ تُواسِيـ ... ـه بأَحْلَى مِنْ مُنْعِشاتِ المُـدامِ

---

(١) الحمام : الموت .

(٢) يريد « بحياض » : حماهم .

(٣) عاله : كفاه معيشته ، وحباه بكذا : أعطاه . ويريد « بالبدرة » هنا : جملة من المال .

(٤) ظامى : ظامئ .

قَبَّلَتْ راحَتَيْه شُكْراً وصاحَتْ ... قد نَجَا صاحِبُ الأَيادِى العِظامِ[1]

قد نَجَا المُنْعِمُ الجَوادُ منَ المَوْ ... تِ بفَضْلِ الزَّكاةِ والإنْعامِ

فأَطَفْنا بِها وقد مَلأَ الأَنْ ... فُسَ مِنّا جَلالُ ذاكَ المَقامِ

وشَهِدْنا ثَغْرَ الوَفاءِ تَجَلَّى ... إذ تجلى فى ثَغْرِها البَسّامِ

ورَأَيْنا شَخْصَ المُرُوءَةِ والبِـ ... رِّ تَبَدَّى فى شَخْصِ ذاكَ الهُمامِ

وعَلِمْنا أَنْ الزَّكاةَ سَبِيلُ اللّـ ... ـهِ قَبْلَ الصَّلاةِ ، قَبْلَ الصِّيامِ

خَصَّها اللهُ فى الكتابِ بذِكْرٍ ... فهِىَ رُكْنُ الأَرْكانِ فى الإسْلامِ

بَدَأَتْ مَبْدَأَ اليَقِين وظَلَّتْ ... لِحَياةِ الشُّعوب خيرَ قِوامِ[2]

لو وَفَى بالزَّكاةِ مَنْ جَمَعَ الدُّنْـ ... ـيا وأَهْوَى على اقتِناءِ الحُطامِ[3]

ما شَكا الجُوعَ مُعْدِمٌ أو تَصَدَّى ... لِرُكُوبِ الشُّرُورِ والآثامِ

راكِبًا رَأسَهُ طَرِيداً شَرِيداً ... لا يُبالِى بِشِرْعَةٍ أو ذِمامٍ[4]

سائِلاً عَنْ وَصِيَّةِ اللهِ فيه ... آخِذاً قُوتَهُ بحَدِّ الحُسامِ[5]

لمْ أَقِفْ مَوقِفِى لأُنْشِدَ شِعراً ... صُبَّ فى قالَبٍ بَديعِ النِّظامِ

إنَّما قُمْتُ فيه والنَّفْسُ نَشْوَى ... منْ كُؤُوسِ الهُمُومِ ، والقَلْبُ دامِى[6]

---

(١) الأيادى : النعم .

(٢) القوام (بالكسر) : نظام الأمر وعماده الذى يقوم عليه .

(٣) حطام الدنيا . المال قل أوكثر .

(٤) ركب رأسه : مضى إلى ما يريد من الشر لم يثنه شىء . والشرعة : الشريعة . والذمام : الحق والحرمة ، لأن نقض ذلك يوجب الذم .

(٥) وصية الله : ما أمر الله به للبائس الفقير من بر ورحمة .

(٦) نشوى : سكرى .

ذُقْتُ طَعْمَ الأَسَى وكابَدْتُ عَيْشاً دُونَ شُرْبِي قَذَاهُ شُرْبُ الحِمَامِ[1]
فتقَلَّبْتُ فى الشَّقاءِ زَمانا وتَنَقَّلْتُ فى الخُطوبِ الجِسَامِ[2]
ومَشَى الهَمّ ثاقِباً فى فُؤادِى ومَشَى الحُزْنُ ناخِراً فى عِظامى[3]
فلهٰذا وَقَفْتُ أَسْتَعْطِفُ النا سَ على البائِسِينَ فى كلِّ عامِ

إلى الخديوى عبّاس[4]

قالها عند عودة سموه من دار الخلافة وقد عَرَض فيها لمَا كان
فى مصر من الخلاف بين المسلمين والأقباط فى سنة ١٩١١

كَمْ تَحْتَ أَذْيالِ الظَّلام مُتَيَّمٌ دامِى الفُؤادِ ولَيْلُهُ لا يَعْلَمُ
ما أَنتَ فى دُنْياكَ أَوّلُ عاشِقٍ رامِيهِ لا يَحْنُو ولا يترحّمُ
أَهَرَمْتَنِي يا لَيْلُ فى شَرْخِ الصِّبا كَمْ فيكَ ساعاتٍ تُشِيبُ وتُهْرِمِ[5]
لا أنتَ تَقْصُرُ لى ولا أنا مُقْصِرٌ أَتْعبْتَنى وتَعِبْتُ ، هَلْ مَنْ يَحْكُمُ ؟[6]
لِلّهِ مَوْقِفُنا وقَدْ ناجَيْتُها بعَظِيمِ ما يُخْفِى الفُؤادُ ويَكْتُمُ

---

(١) القذى : ما يقع فى الشراب من وسخ . والحمام بالكسر : الموت . ويريد بقوله : « دون شربى » أى أن الموت أهون تجرعا على من تجرع هذا العيش المر .

(٢) الجسام : العظام ، الواحد جسيم .

(٣) يقال : نخر العظم ، إذا بلى وتفتت .

(٤) يلاحظ أننا أثبتنا هذه القصيدة فى الاجتماعيات مع ما تضمنته من مدح الخديو عباس ، لأن غرضها الأول مسألة اجتماعية ، وهى الفتنة بين مسلمى مصر وأقباطها إذ ذاك .

(٥) شرخ الصبا : أوله وريعانه .

(٦) أقصر : كف وأمسك .

قالتْ : مَن الشاكى تُسائل سربها   عنى ، ومَنْ هذا الذى يتظلم ؟[١]
فأجبنها وعجبن كيف تجاهلت :   هو ذلك المتوجع المتألم
أنا مَن عرفتِ ومن جهلتِ ومن له   — لولا عيونك — حجة لا تفحم[٢]
أسلمتُ نفسى للهوى وأظنها   مما يجشمها الهوى لا تسلم[٣]
وأتيت يحدو بى الرجاء ومن أتى   متحرما بفنائكم لا يحرم[٤]
أشكو لذات الخال ما صنعت بنا   تلك العيون وما جناه المعصم[٥]
لا السهم يرفق بالجريح ولا الهوى   يبقى عليه ولا الصبابة ترحم
لو تنظرين إليه فى جوف الدجى   متململا من هول ما يتجشم[٦]
يمشى إلى كنف الفراش محاذرا   وجلا يؤخر رجله ويقدم[٧]
يرمى الفراش بناظريه وينثنى   جزعا ويقدم بعد ذاك ويحجم
فكأنه — واليأس ينشف نفسه —   للقتل فوق فراشه يتقدم[٨]
رشقت به فى كل جنب مدية   وانساب فيه بكل ركن أرقم[٩]

(١) السرب (بالكسر) : الجماعة ، أى صواحبها .

(٢) لا تفحم : لا تغلب .   (٣) جشمه : كلفه .

(٤) يحدو بى : يدفعنى : ويسوقنى . ومتحرما : محتميا مستأمنا .

(٥) الخال : الشامة فى البدن ، وهو غالب على شامة الخد ؛ والجمع خيلان .

(٦) ما يتجشم : ما يقاسى .

(٧) الكنف (محركة) : الجانب والناحية .

(٨) ينشف نفسه : أى يهلكها . و (للقتل) : متعلق بقوله : « يتقدم » .

(٩) الضمير فى « به » و « فيه » يعود على الفراش . وفى الشطر الأول من هذا البيت قلب ، إذ المسموع أن الباء تدخل على المرشوق به وهو المدية ونحوها ، لا على المرشوق ؛ يقال : رشقته بالسهم ، لا رشقت به السهم . وانسابت ، أى جرت وتدافعت فى مشيها . والأرقم : أخبث الحيات وأطلبها للأذى .

فكأنّه فى هَوْله وسَعيره ... وادٍ قد اطّلعَتْ عليه جَهَنّمُ[1]

هٰذا وحَقِّكَ بعضُ ما كابَدْتُه ... مِنْ ناظِرَيْكَ ، وما كَتَمْتُكَ أَعْظَمُ

قالوا : أَهٰذا أنتَ ؟! وَيْحَكَ فاتّئِدْ ... حَتّامَ تُنْجِدُ فى الغَرامِ وتُتْهِمُ ؟[2]

كم نَفْثَةٍ لكَ تَسْتَثِيرُ بها الهَوَى ... (هاروتُ) فى أثنائِها يَتَكَلّمُ[3]

إنّا سَمِعْنا عنكَ ما قَدْ رابَنا ... وأَطالَ فيكَ وفى هَواكَ اللُّوَّمُ

فاذهَبْ بسِحْرِكَ قد عَرَفْتُكَ واقتَصِدْ ... فيما تُزَيِّنُ للحِسانِ وتُوهِمُ

أَصْغَتْ إلى قَوْلِ الوُشاةِ فأَسْرَفَتْ ... فى هَجْرِها وجَنَتْ علَيَّ وأَجْرَمُوا

حتّى إذا يَئِسَ الطّبيبُ وجاءها ... أَنّى تَلِفْتُ تَنَدَّمَتْ وتَنَدَّمُوا

وأَتَت تَعُودُ مَرِيضَها لا بَلْ أَتَتْ ... مِنِّى تُشَيِّعُ راحِلًا لو تَعْلَمُ

أَقْسَمْتُ (بالعَبّاسِ) ، إنِّى صادقٌ ... فُمُرِيهِمُ بجَلالِه أنْ يُقْسِمُوا[4]

مَلِكٌ عَدَوْتُ على الزّمانِ بحَوْلِه ... وغَدَوْتُ فى آلائه أَتَنَعّمُ[5]

النَّجمُ مِنْ حُرّاسِه ، والدَّهْرُ مِنْ ... خُدّامِه ، وهو العزيزُ المُنْعِمُ

هَلَّلْتُ حِينَ رَأَيْتُ رَكْبَكَ سالِمًا ... ورأَيْتُ (عَبّاسًا) به يَتَبَسَّمُ

---

(١) اطلعت : طلعت وظهرت .

(٢) اتئد : تمهل . وأنجد : أتى نجدا ، وهو المرتفع من الأرض . وأتهم : أتى تهامة ، وهى المنخفض منها . والإنجاد والإتهام فى الغرام : غاية عن الذهاب فيه كل مذهب .

(٣) نفث الساحر : هو أن يعقد عقدة ثم ينفخ فيها . وهاروت يضرب به المثل فى السحر ، وقد ذكره الله تعالى فى القرآن .

(٤) مريهم : أى مرى الوشاة بالقسم على صدقهم فيما وشوا به .

(٥) الحول : القوة . والآلاء : النعم .

وَحَمِدْتُ رَبِّى حِينَ حَلَّ عَرِينَه ... مُتَجَدِّدَ العَزَمَاتِ ذاكَ الضَّيْغَمُ (١)
خَفَقَت قُلُوبُ المُسْلِمِين وأَشْفَقَتْ ... دارُ الخِلافَة والمَلِيكُ الأَعْظَمُ
ودَعَا لَكَ البَيْتُ الحرامُ فَأَمَّنَتْ ... بَطْحاءُ مَكَّةَ والحَطِيمُ وزَمْزَمُ (٢)
ودَوَى بِمصْرَ لكَ الدُّعاءُ فنِيلُها ... وسُهولُها وفَصِيحُها والأَعْجَمُ (٣)
ومَشَى الصَّغِيرُ إلى الكَبِيرِ مُسائِلًا ... يَتَسَقَّطُ الأَخْبارَ أو يَتَنَسَّمُ (٤)
حَتّى اطْمَأَنَّتْ بالشِّفاءِ نُفُوسُهم ... وطَلَعْتَ بالسَّعْدِ العَمِيمِ عَلَيْهِمُ
مَوْلَاىَ ! أُمَّتُكَ الوَدِيعةُ أَصْبَحَتْ ... وعُرَا المَوَدَّة بينَها تَتَفَصَّمُ (٥)
نادَى بِها القِبْطِىُّ مِلْءَ لَهاتِه ... أَنْ لا سَلامَ وضاقَ فِيها المُسْلِمُ (٦)
وَهْمٌ أَغارَ على النُّهَى وأَضَلَّها ... بُجَرَى الغَبِىُّ وأَقْصَرَ المُتَعَلِّمُ (٧)
فَهِمُوا مِن الأَدْيانِ مالا يَرْتَضِى ... دِينٌ ولا يَرْضَى بِهِ مَنْ يَفْهَمُ
ماذا دَهَا قِبْطِىَّ مِصْرَ فَصَدَّه ... عَنْ وُدِّ مُسْلِمِها وماذا يَنْقِمُ؟
وعَلامَ يَخْشَى المُسْلِمِين وكَيْدَهُمْ ... والمُسْلِمُون عن المَكايِدِ نُوَّمُ
قد ضَمَّنا أَلَمُ الحَياة وكُلُّنا ... يَشْكُو ، فنَحْنُ على السَّواءِ وأَنْتُمُ

---

(١) الضيغم : الأسد . وعرينه : مأواه .

(٢) بطحاء مكة : مسيل واديها . والحطيم : هو ما بين الركن وزمزم والمقام .

(٣) المعروف (دوّى) بالتشديد . يقول : إن نيل مصر وسهولها الخ تدعو لك ؛ نخبر قوله : « فنيلها » الخ ، محذوف للعلم به .

(٤) تنسم الخبر : تلطف فى التماسه .

(٥) عرا المودّة : روابطها . وتتفصم : تتقطع .

(٦) ملء لهاته ، أى ملء حنجرته . واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى الفم .

(٧) « بجرى الغبى » الخ : أى سعى الأغبياء وقصار النظر فى إشعال الفتنة بين المسلمين والأقباط ، وكف المتعلمون وأقصروا عن إخمادها وتلافى أسبابها .

إنّى ضَمِينُ المُسلِمِينَ جميعهم ... أن يُخلِصُوا لكمُ إذا أخلَصْتُمُ[١]

رَبَّ الأريكةِ ! إنّنا فى حاجةٍ ... لجميلِ رأيكَ والحوادثُ حُوَّمُ[٢]

فأفض علينا من سمائك حكمةً ... تأسُو القُلوبَ فإنّ رأيكَ أحكمُ[٣]

واجمَعْ شتاتَ العُنصُرَيْنِ بعَزْمةٍ ... تأتِى على هذا الخِلافِ وتَحْسِمُ

فكلاهُما لعَزيزِ عَرْشِكَ مُخلِصٌ ... وكلاهُما بِرِضاكَ صَبٌّ مُغْرَمُ

محاورة بين حافظ وخليل مطران

فى حفل أقامته جمعية رعاية الطفل (بالأوبرا)

[نشرت فى ٣١ مارس سنة ١٩١٣م]

حافظ :

هذا صَبِيٌّ هائِمٌ ... تحتَ الظَّلامِ هُيامَ حائِرْ

أَبلَى الشَّقاءُ جَديدَه ... وتَقَلَّمَتْ منه الأظافرْ[٤]

فانظُرْ إلى أسمالِه ... لم يَبْقَ منها ما يُظاهِرْ[٥]

(١) الضمين : الكفيل .

(٢) الأريكة : سرير الملك . والحوادث حوم ، أى تطوف بنا وتحلق حوالينا ، وأصله من تحويم الطائر حول الماء ، دورانه به .

(٣) تأسو : تشفى وتداوى .

(٤) تقليم الأظافر : كناية عن أنه أعزل من أسلحة الجهاد فى الحياة .

(٥) الأسمال : الثياب البالية الخلقة ؛ ويقال : « ظاهر الرجل بين ثوبين » ، إذا طابق بينهما ولاءم . يريد أن الثوب الذى يلبسه هذا البائس قد صار طبقة واحدة رقيقة لا تدفع عنه ما يؤذيه من ألم الحر والبرد .

هُـوَ لا يُرِيدُ فِـراقَهـا خَوْفَ القَوارِسِ والهَواجِرْ (١)

لٰكنَّهـا قـد فارَقَتْـ ـهُ فِـراقَ مَعْـذُورٍ وعاذِرْ (٢)

إنّى أَعُـدُّ ضُـلُوعَه مِنْ تَحْتِهـا واللَّيـلُ عاكِرْ (٣)

أَبْصَرْتُ هَيْـكَلَ عَظْمِـه فذَكَرْتُ سُكّانَ المَقـابِرْ

فكأنّـا هُـــوَ مَيِّتٌ أَحْياهُ (عيسَى) بَعْدَ (عازَرْ) (٤)

قد كان يَهْدِمُـه النَّسيـ ـمُ وكاد تَـذْرُوه الأَعاصِرْ (٥)

وتَراهُ مِنْ فَرْطِ الهُزا لِ تَكاد تَثْقُبُـه المَواطِـرْ

عَجَبًا ! أيَفْرِسُـه الطَّوَى فى قَلْبِ حاضِرَةِ الحَواضِرْ!؟ (٦)

وتَغُـولُه البُؤْسَى وطَـرْ فُ (رِعايَةِ الأَطْفالِ) ساهِرْ!؟ (٧)

كَمْ مِثْـلِه تَحْتَ الدُّجَى أَسْـوانَ بادِى الضُّرِّ طائِرْ (٨)

---

(١) القوارس : شدائد البرد . والهواجر : شدائد الحر .

(٢) يريد بقوله : « فراق معذور » الخ . أنها قد تمزقت من القدم وطول العهد ، فهى معذورة لفراقها إياه ، وهو قابل عذرها .

(٣) عاكر : مختلط الظلام .

(٤) عازر : اسم رجل أحياه عيسى عليه السلام بعد الموت . شبه البائس بميت ظهرت فيه معجزة عيسى عليه السلام من إحياء الموتى بعد ما ظهرت فى عازر .

(٥) تذروه : تفرق أجزاءه ، وتطير أشلاءه . والأعاصر : رياح ترتفع بتراب بين السماء والأرض وتستدير كأنها عمود ، الواحد إعصار .

(٦) يفرسه : يقتله . والطوى : الجوع . ويريد «بحاضرة الحواضر» : مصر .

(٧) تغوله : تهلكه .

(٨) الأسوان : الحزين . ويريد بقوله : « طائر » أنه شديد الفزع والجزع مما يلاقى وما يتوقع من مصائب الزمن .

خَزْيانَ ، يَخْرُجُ فى الظَّلا ـمِ خُرُوجَ خُفّاشِ المَغاوِرْ[(١)]

مُتَلَفِّعًا جِلْبابَه مُتَرَقِّبًا مَعْرُوفَ عابِرْ

يَقْذَى برُؤْيَتِه فَلا تَلْوِى عليه عَيْنُ ناظِرْ[(٢)]

ومنها :

قَعَدَتْ شُعُوبُ الشَّرْقِ عَنْ كَسْبِ المَحامِدِ والمَفاخِرْ

فَوَنَتْ وفى شَرْعِ التَّنا حُرِ مَنْ وَنَى لاشَكَّ خاسِرْ[(٣)]

تَمْشِى الشُّعُوبُ لقَصْدِها قُدُمًا وشَعْبُ النِّيلِ آخِرْ[(٤)]

كَمْ فى الكِنانَةِ مِنْ فَتًى نَدْبٍ وكَمْ فى الشّأْمِ قادِرْ[(٥)]

لٰكِنَّهُمْ لَمْ يُرْزَقُوا رَأْيًا ولَمْ يَرِدُوا المَخاطِرْ

هٰذا يَطِيرُ مع الخَيا لِ وذاكَ يَرْتَجِلُ النَّوادِرْ[(٦)]

جَهِلُوا الحَياةَ وما الحَيا ةُ لغَيْرِ كَدّاجٍ مُغامِرْ

يَجْتابُ أَجْوازَ القِفا رِ ويَمْتَطِى مَتْنَ الزَّواخِرْ[(٧)]

---

(١) شبه البائس فى أنه لا يظهر مستترا بظلمة الليل بالخفاش الذى لا يبصر بالنهار ، وإنما يبصر ليلا .

(٢) يقول : إن هذا العابر إذا مر بهـذا المسكين ساءه ما يراه باديا عليه من بؤس وفاقة ، فيغض بصره عنه كأنما قد وقع فى عينه القذى : وهو ما يقع فيها من غمص أو رمص .

(٣) يريد « بالتناحر » : شدّة التغالب فى الحياة إلى أن يجزر الناس بعضهم بعضا .

(٤) مشى قدما : أى متقدّما أمام .

(٥) الندب من الرجال : الماضى الخفيف فى طلب الحاجة والسريع إلى الفضائل .

(٦) ارتجل النادرة ونحوها : قالها من غير تروّ . ويريد « بالنوادر » : تلك النكت التى يتظرف بها الناس فى المجالس .

(٧) يجتاب : يقطع . وأجواز القفار : أوساطها الواحد جوز (بفتح الجيم) . والزواخر البحار .

لا يَسْتَشِيرُ سِــوَى العَزِيـ ـمَةِ فى المَوارِدِ والمَصَـادِرْ[1]
يَـــرْمِى وَراءَ البــاقيـا تِ بنَفْســه رَمْىَ المُقَـامِرْ
ما هَـــدَّ عَزْمَ القــادِريـ ـنَ بمِصْرَ إلّا قَوْلُ : (باكِرْ)
كَمْ ذا يُحِيـــلُ على غَدٍ وغَدٌ مَصِــيرَ اليَوْمِ صائِرْ
خَـــوَتِ الدِّيارُ فلا آختِرا عَ ولا آقْتِصادَ ولا ذَخائِرْ[2]
دَعْ ما يُجَشِّمُها آلجُمُـــو دُ وما يَجُــرُّ مِنَ الجَــرائِرْ[3]
فى الاقتِـــصادِ حَياتُنـا وبَقَــاؤُنا رَغْـــمَ المُكابِرْ[4]
تَرْبُـــو بِهِ فِينَـا المَصا نِـعُ والمَــزارِعُ والمَتَـاجِرْ[5]
سَــــلْ (حِشْمَتاً) عنه فهٰـ ـذا (حِشْمَتٌ) فى الجَمْعِ حاضِرْ[6]
أَحْيَــا الصِّـــناعَةَ والتِّجا رَةَ مِثْلَمَـا أَحْـيا الضَّمائِرْ

مطران :

عَجَبًا تُعَرِّفُـــنى بـه وأنا بِهِمَّتِــه أُفاخِــرْ !
لى فيــه مالَكَ فيــه مِنْ أَمَــلٍ على الأَيَّامِ كابِرْ[7]

---

(١) فى الموارد والمصادر : أى فى الحل والترحال .
(٢) خوت الديار : خلت .
(٣) يجشمها : يكلفها . والجرائر : الجنايات ، الواحدة جريرة .
(٤) المكابر : المغالب والمعاند .
(٥) تربو : تزيد وتنمو .
(٦) يريد المرحوم أحمد حشمت باشا وزير المعارف إذ ذاك .
(٧) الكابر : الكبير .

أَنَسِيت (مُوجَزَ الاقتصا ... دِ) وفَضْلَه أَمْ أَنْتَ ذاكِرْ؟[١]
أو لَمَ يكُنْ هٰذا الوَزِيـ ... ـرُ بذٰلِكَ التَّعْرِيبِ آمِرْ؟
أَنَسِيتَ ما عانَيْتَه ... واللَّفْظُ مُسْتَعْصٍ ونافِرْ؟[٢]

حافظ:

لَمْ أَنْسَ ماسَالَتْ به ... مِنْ خاطِرِى تِلْكَ المَقاطِرْ

مطران:

لَمْ أَنْسَ إِدْلالَ الكَلا ... مِ ودِلَّتى بين المَحابِرْ[٣]

حافظ:

لَمْ أَنْسَ نَحْتِى لاصْطِلا ... حٍ دُونَه نَحْتُ المَحاجِرْ

مطران:

لَمْ أَنْسَ تَشْذِيبَ الفُضُو ... لِ، ومَقْرِضُ التَّثْقِيفِ دائِرْ[٤]

---

(١) (موجز الاقتصاد) : كتاب فى الاقتصاد نقله عن الفرنسية إلى العربيـة حافظ ومطران بأمر حشمت باشا وزير المعارف .

(٢) يريد ما عاناه فى ترجمة هذا الكتاب السابق ذكره .

(٣) يريد « بإدلال الكلام » : تكبره واستعصاءه وقلة مواتاته .

(٤) تشذيب الفضول : أى تقطيع الزوائد من الكلام وتنحيتها ؛ وأصله من تشذيب الشجر ، وهو إلقاء ما عليه من الأغصان الزائدة . والتثقيف : التقويم والإصلاح .

دعوة إلى الإحسان [1]

نشرت فى سنة ١٩١٥ م

أَجادَ (مَطْرانُ) كعَادتِه ... وهٰكذا يُؤْثَرُ عَنْ (قُسِّ) [2]

فإِنْ أَقِفْ مِنْ بَعْدِه مُنْشِدًا ... فإِنَّمـا مِنْ طِرْسِه طِرْسِى [3]

وإِنْ رَأَيْتُمْ فى يدَى زَهْرَةً ... فإِنَّها مِنْ ذَلكَ الغَرْسِ

رَثَى (حَبِيبًا) ورَثَى بَعْدَه ... لِذٰلِكَ المُوفِى على الرَّمْسِ [4]

كانَا إذا ما ظَهَـرا مِنْـبرًا ... حَلَّا مِنَ السَّامِعِ فى النَّفْسِ [5]

فأَصبحَا هٰـذا طَواهُ الرَّدَى ... وذاكَ نَهْبٌ فى يَدِ البُـؤْسِ

لولا (سَلِيمٌ) لَم يَقُلْ قائلٌ ... ولَمْ يَجُدْ مَنْ جادَ بالأَمْسِ [6]

لِلّٰـهِ ما أَشْجَعَـه إِنَّـه ... ذُو مِرَّةٍ فِينَا وذُو بَأْسِ [7]

---

(١) دعا سليم افندى سركيس صاحب (مجلة سركيس) إلى إقامة حفل يخصص ما يجمع منه لمعونة أحمد افندى أبى العدل وأسرة محمود حبيب ، وكانا من أشهر الملبين المصريين ؛ فقعدت بالأول الشيخوخة واغتالت المنية الثانى . وفى مساء ١٢ أكتوبر سنة ١٩١٥ م أقيمت حفلة تمثيلية فى مسرح (برنتانيا) لهذا الغرض ، كان للشعراء فيها مجال وقد أعد خليل بك مطران قصيدة فى هذا الغرض ، إلا أن المرض حال بينه وبين إنشادها ، فتولى ذلك عنه حافظ ، ومطلعها :

الضاحك اللاعب بالأمس ... بات صريعا فاقد الأنس

(٢) يريد قس بن ساعدة الأيادى خطيب العرب فى الجاهلية ، ويضرب به المثل فى الفصاحة واللسن .

(٣) من طرسه طرسى : أى أن شعره مستمد منه . والطرس : الصحيفة .

(٤) يريد « بحبيب » : المرحوم محمود حبيب . والموفى على الرمس : المشرف على القبر ، يريد به أحمد افندى أبى العدل .

(٥) ظهر المنبر ونحوه : علاه .

(٦) يريد « بسليم » : سليم سركيس . ويشير بهذا البيت إلى دعوته إلى إقامة هذا الحفل .

(٧) المرة : القوة والعزيمة .

يَقومُ في مَشْروعِه نافذًا كأنّه (عَنْتَرَةُ العَبْسى)(١)
تَلْقاهُ في الجِدِّ كما تَبْتَغى وتارةً تَلْقاهُ في (الهَلْس)
(سَرْكيسُ) إنْ راقَكَ ما قُلْتُه في مَعْرِضِ الهَزْلِ فَقُلْ "مرْسى"
أُقْسِمُ باللهِ وآلائِه بعَرْشِه باللَّوحِ بالكُرْسى
بالخُنَّسِ الكُنَّسِ في سَبْحِها بالبَدْرِ في مَرْآهُ بالشَّمْسِ(٢)
بأنّ هذا عَمَلٌ صالِحٌ قامَ به هَذا الفَتَى القُدْسى(٣)
ذَكَّرَنا ـ والمَرْءُ مِنْ نَفْسِه وعَيْشِه في شاغِلٍ يُنْسى ـ
ـ بالواجِبِ الأَقْدَسِ في حَقِّ مَنْ باعَتْه مِصْرُ بَيْعَةَ الوَكْسِ(٤)
هٰذا (أَبُو العَدْلِ) فمَنْ خالَه حَيًّا فما خالَ سِوَى العَكْسِ
كانت له في حَلْقِه ثَرْوَةٌ مِنْ نَبْرَةٍ تُشْجِى ومِنْ جَرْسِ(٥)
فغالَهَا الدَّهْرُ كما غالَه حتَّى غَدَا كالطَّلَلِ الدَّرْسِ(٦)
فاكْتَسِبُوا الأَجْرَ ولا تَبْتَغُوا شِراءَه بالثَّمَنِ البَخْسِ
إنِّى أَرَى التَّمْثيلَ في غَمْرَةٍ غامِرَةٍ تَدْعُو إلى اليَأْسِ(٧)

---

(١) استعمال « المشروع » بمعنى الغرض الذى يبدأ فى تحقيقه استعمال شائع فى كلام أهل العصر .
(٢) الخنس والكنس : الكواكب .
(٣) القدسى : نسبة إلى بيت المقدس . يشير إلى مولده .
(٤) الوكس : النقصان والخسارة .
(٥) الجرس : الصوت الخفى .
(٦) الطلل : ما بقى من آثار الديار . والدرس ، أى الدارس البالى .
(٧) غمرة غامرة : أى شدة عامة شاملة .

لَمْ يَرْمِهِ فى شَرْخِه مارِمى لو كانَ مَبْنِيًّا على أُسِّ[1]
أَكُلَّما خَفَّتْ بِهِ صَحْوَةٌ مِنْ دائِهِ عُوجِلَ بالنُّكْسِ ؟ !
إِنْ تُغْفِلُوا دارِسَ آثارِهِ عَفَّى عَلَيْها الدَّهْرُ بالطَّمْسِ
أَعْجَزَها النُّطْقُ بِحاجاتِ بِنَا تَنُوبُ عَنْ أَلْسُنِها الخُرْسِ

العدوّ والصديق

ترجمة عن (فولتير)

(نشر هذا البيت فى ١٥ يناير سنة ١٩١٦ م)

لا أُبالى أَذَى العَدُوِّ لخُطْبى أَنْتَ يارَبِّ مِنْ وَلاءِ الصَّدِيقِ

جمعية الاتحاد السورى

أنشدها فى حفل خيرى أقامته هذه الجماعة فى (الأوبرا) السلطانية لإعانة الطلبة الشاميين بالأزهر ليلة الثلاثاء ١٥ يناير سنة ١٩١٦ م

أَيُّها الوَسْمِيُّ زُرْ نَبْتَ الرُّبَا وَٱسْبِقِ الفَجْرَ الى رَوْضِ الزَّهَرْ[2]
حَيِّهِ وَٱنْثُرْ على أَكْمامِهِ مِنْ نِطافِ الماءِ أَشْباهَ الدُّرَرْ[3]
أَيُّها الزَّهْرُ أَفِقْ مِنْ سِنَةٍ وَٱصْطَبِحْ مِنْ خَمْرَةٍ لم تُعْتَصَرْ[4]

(١) فى شرخه : أى فى ريعانه وأول نهوضه .

(٢) الوسمى : المطر أول الربيع .

(٣) الأكمام أغطية الزهر . والنطاف : القطرات الصافية من الماء .

(٤) السنة : النوم . والاصطباح : الشرب فى الصباح .

مِنْ رَحِيقٍ أُمُّه غادِيَةٌ ساقَها تَحْتَ الدُّجَى رَوْحُ السَّحَرْ[١]

وٱنفَحِ الرَّوْضَ بِنَشْرٍ طَيِّبٍ عَلَّه يُوقِظُ سُكَّانَ الشَّجَرْ[٢]

إنّ بِي شَوْقًا إلى ذِي غُنَّةٍ يُؤْنِسُ النَّفْسَ وقَدْ نامَ السَّمَرْ[٣]

إيهِ يا طَيْرُ! أَلَا مِنْ مُسْعِدٍ؟ إنّنِي قد شَفَّنِي طُولُ السَّهَرْ[٤]

قُمْ وصَفِّقْ وٱستَحِرْ وٱسجَعْ ونُحْ وٱرْوِ عَنْ إسحاقَ مَأْثُورَ الخَبَرْ[٥]

ظَهَرَ الفَجْرُ وقد عَوَّدْتَنِي أَنْ تُغَنِّيَنِي إذا الفَجْرُ ظَهَرْ

غَنِّنِي كَمْ لَكَ عِنْدِي مِنْ يَدٍ سَرَّتِ الأَشْجانَ عَنِّي والفِكَرْ[٦]

انْحَرِقِ السَّمْعَ سِوَى مِنْ نَبَأٍ خَرَقَ السَّمعَ فَأَدْمَى فوقَرْ[٧]

كُلَّ يَوْمٍ نَبَأَةٌ تَطْرُقُنا بِعَجِيبٍ مِنْ أعاجِيبِ العِبَرْ

أُمَمٌ تَفْنَى وأَرْكانٌ تَهِي وعُرُوشٌ تَتَهاوَى وسُرُرْ[٨]

وجُيُوشٌ بِجُيُوشٍ تَلْتَقِي كَسُيُولٍ دَفَقَتْ فِي مُنْحَدَرْ[٩]

---

(١) الرحيق: الخمر. والغادية: السحابة تنشأ غدوة. والروح: الريح. جعل ماء المطر للزهر كالخمر.

(٢) النشر: الرائحة الطيبة. وسكان الشجر: الطير.

(٣) السمر: السمار.

(٤) المسعد: المعين. وشفه السهر: هزله وأضناه.

(٥) تصفيق الطير: خفقه بأجنحته. واستحر: أي غن سحرا. وسجع الطير: تغريده ويريد «باسحاق»: إسحاق بن إبراهيم الموصلي المغنى العباسي المعروف، يرغب إلى الطيور أن تغنيه غناءه.

(٦) سرت الأشجان: كشفتها وخففت آلامها.

(٧) يريد «بالنبأ» نبأ الحرب العظمى. يقول أسمعنى أيها الطائر من أنبائك، (أى غنائك) ما يلذ به سمعى، ولا تسمعنى أنباء الحرب التى تصم الآذان وتدمى القلوب.

(٨) تهى: تخل وتسقط. وتتهاوى: يسقط بعضها إثر بعض.

(٩) دفقت: انصبت بشدة.

ورجالٌ تتبارَى للــرَّدَى ... لاتبـالى غاب عنها أم حضرْ؟[1]
مَنْ رآها فى وَغَاهَا خالَهـا ... صِبْيَـةً خَفَّتْ إلى لِعْب الأُكَرْ[2]
وحُروبٌ طـاحنـاتٌ كلّمـا ... أُطْفِئَتْ شَبَّ لَظاهَا واستعـرْ
ضَجَّتِ الأفلاكُ مِنْ أهوالِهـا ... واستعاذَ الشمسُ منها والقمرْ
فى الثَّرَى ، فى الجوِّ ، فى شُمِّ الذُّرا ... فى عُبابِ البَحْرِ ، فى مَجْرَى النَّهَـرْ[3]
أسرَفتْ فى الخَلْقِ حَتَّى أوْشَكُوا ... أنْ يَبِيـدُوا قَبْلَ ميعـادِ البَشَرْ[4]
فاصْمِـدوا ثُمَّ احْمَـدُوا اللهَ عَلَى ... نِعْمَـةِ الأَمْنِ وطِيبِ المُسْتَقَرّ[5]
نعمَــةُ الأمْنِ وما أدْراكَ ما ... نِعْمَةُ الأَمْنِ إذا الخَطْبُ اكْفَهَرّ[6]
واشكُروا سُلْطَانَ مِصْرٍ واشكُروا ... صاحِبَ الدَّوْلَةِ مَحْمُــودَ الأَثَرْ[7]
نحن فى عَيْشٍ تَمَنَّى دُونَه ... أُمَمٌ فى الغَرْبِ أشْقاها القَدَرْ
تَتَمَــنَّى هَجْعَــةً فى غِبْطَــةٍ ... لَمْ تُساوِرْها اللَّيـالى بالكَدَرْ[8]
إنَّ فى الأَزْهَرِ قوماً نالَهُـمْ ... مِنْ لَظَى نِيرانِها بَعْضُ الشَّرَرْ
أصْبَحُوا ــ لا قَدَّرَ اللهُ لنـا ــ ... فى عَنـاءٍ وشَقـاءٍ وضَجَــرْ

---

(١) الردى : الهلاك .

(٢) الوغى : الحرب ، لما فيها من الصوت والجلبة . والأكر : جمع أكرة ، وهى لغة فى الكرة .

(٣) فى شم الذرا : أى فى أعالى المرتفعات .

(٤) يبيدوا : يهلكوا . وميعاد البشر : يوم يفنى الناس جميعا .

(٥) الصمد : القصد . و يستعمل فى عصرنا بمعنى الصبر .

(٦) اكفهر : تجهم وعبس .

(٧) صاحب الدولة : رئيس الوزراء ، وكان إذ ذاك حسين رشدى باشا .

(٨) الهجعة : النومة .

نُزَلاءُ بَيْنَنا إنْ يُرْهَقُوا ... أَوْ يُضَامُوا إنَّها إحْدَى الكُبَرْ(١)

فَأَعِينُوهُمْ فَهُمْ إخْوانُكُمْ ... مَسَّهُمْ ضُرٌّ ونابَتْهُمْ غِيَرْ(٢)

أَقْرِضُوا اللهَ يُضاعِفْ أَجْرَكُمْ ... إنَّ خَيْرَ الأَجْرِ أَجْرٌ مُدَّخَرْ(٣)

الجمعية الخيرية الإسلامية

أنشد هذه القصيدة بين يدى المغفور له السلطان حسين كامل فى ليلة أحيتها الجمعية الخيرية (بالأوبرا) السلطانية وقد قالها على لسان صنيعة من صنائع الجمعية كان يتيما بائسا فكفلته الجمعية حتى اكتمل عقلا وعلما

[نشرت فى ٢٨ مارس سنة ١٩١٦]

قَضَّيْتُ عَهْدَ حَداثَتِي ... ما بَيْنَ ذُلٍّ واغْتِرابْ

لَمْ يُغْنِ عَنِّي بَيْنَ مَشْـ ... ـرِقِها ومَغْرِبِها اضْطِرابْ(٤)

صَفِرَتْ يَدِي تَخْوَى لها ... رَأْسِي وجَوْفِي والوِطابْ(٥)

وأنا ابْنُ عَشْرٍ ليس فى ... طَوْقِي مُكافَحَةُ الصِّعابْ(٦)

لَمْ يَبْقَ مِنْ أَهْلِي سِوَى ... ذِكْرٍ تَناساهُ الصِّحابْ

أَمْشِي يُرَنِّحُنِي الأَسَى ... والبُؤْسُ تَرْنِيحَ الشَّرابْ(٧)

---

(١) يرهقوا : أى يعانو من شظف العيش مالا يطيقون .

(٢) غير الزمان : أحداثه وتقلباته .

(٣) يستعمل إقراض الله بمعنى الإحسان وبذل المعروف ، لأن الله هو المتولى ردّه والجزاء عليه .

(٤) الاضطراب فى الأرض : التردّد فيها جيئة وذهابا .

(٥) صفرت يدى : فرغت . وتخوى : تخلا . ويريد « بالوطاب » وعاء الزاد ، والأصل فيه : سقاء اللبن .

(٦) الطوق : الجهد .

(٧) يرنحنى : أى يميلنى يمنة ويسرة . والأسى : الحزن .

فلَكَمْ ظَلِلْتُ على طَوًى يَوْمِى وبِتُّ على تَبابْ[١]
والجُوعُ فَرَّاسٌ له ظُفُرٌ يَصُولُ به وَنَابْ[٢]
فكأنّه فى مُهْجَتِى نَصْلٌ تَغَلْغَلَ للنِّصابْ[٣]
ولَكَمْ صَحِبْتُ الأَبْيَضَيْنِ فأَبْلَيَا بُرْدَ الشَّبابْ[٤]
فإذا ظَفِرْتُ بِكِسْرَةٍ فَإِدامُها مِنِّى لُعابْ[٥]
وعَلَىَّ طِمْرٌ لو هَفَتْ رِيحُ الشَّمالِ بِهِ لَذَابْ[٦]
نَخُرُوقُه ومَصائِبِى فى العَدِّ يُخْطِئُها الحِسابْ
ما زِلْتُ أُوسِعُ مِحْنَتِى صَبْراً وأَحْتَمِلُ العَذابْ[٧]
حَتّى تَنَفَّسَ صُبْحُ إقْبالِى ونَجْمُ النَّحْسِ غابْ[٨]
ولِكُلِّ سَيْفٍ مُصْلَتٍ لِحَوادِثِ الدُّنْيا قِرابْ[٩]

---

(١) الطوى : الجوع . والتباب : الخسران .

(٢) فرّاس : شديد الافتراس .

(٣) تغلغل النصل فى الشىء : دخل فيه ونفذ إلى جوفه . ونصاب السيف والسكين ونحوهما : المقبض .

(٤) الأبيضان : الماء والخبز ؛ قال الشاعر :

الأبيضان بردا عظامى   الماء والفت بلا إدام

(٥) الإدام : ما يؤتدم به فى الطعام .

(٦) الطمر : الثوب البالى من غير الصوف . وهفت الريح بالثوب ونحوه : حركته وذهبت به .

(٧) المحنة : ما يمتحن به صبر الإنسان من النوائب .

(٨) تنفس الصبح : أضاء وأشرق ؛ وهو استعمال مجازى .

(٩) المصلت من السيوف : المجرد من غمده . وقراب السيف : جرابه . يريد أن كل شدة إلى انتهاء ، وكل عسر إلى يسر .

والعَيْـــشُ في إقْبالِه شُـهْدٌ وفي الإدْبارِ صابْ[١]

فَتلقَّفَتْـنى فِتْيَـةٌ رُحْبُ الشَّمائِلِ والجَنابْ[٢]

مَهَـدُوا لأَنْفُسِهِمْ بما صَنَعُوه زُلْفَى واحتِسابْ[٣]

وعَـدَوْا إلى الحُسْـنَى كما تَعْـدُو المُطَهَّـمَةُ العِرابْ[٤]

كم أُسْـرَةٍ ضاقَ الرَّجا ءُ بها وأَعْياها الطِّلابْ

دَقُّـوا عليها بابَها واللَّيْـلُ مَسْدُولُ النِّقابْ[٥]

وتَعاهَـدُوها مِثْلَما يَتعاهَـدُ النَّبْتَ السَّحابْ[٦]

وجَمالُ صُنْعِ البِرِّ أَلَّا يُسْتَشَفَّ له حِجابْ

فَتَحُوا المَدارِسَ حِسْبَةً وتَنَظَّرُوا حُسْنَ المَآبْ[٧]

فيها تَبيَّنْتُ الهُدَى وقَرَأْتُ (فاتِحَةَ الكِتابْ)

---

(١) الشهد : عسل النحل . والصاب : عصارة شجر شديد المرارة ؛ يريد أن العيش حلو فى إقباله ، شديد المرارة فى إدباره .

(٢) يريد « بالفتية » : رجال الجمعية الخيرية الإسلامية .

(٣) مهدوا لأنفسهم . أى كسبوا لها خيرا . والزلفى : القربى . والاحتساب : هو أن تقدم عملا صالحا تحتسبه عند الله ، أى تدخره ولا تبغى عليه جزاء من الناس . ويلاحظ أن الوقف هنا بسكون الباء فى آخر البيت على غير الأفصح ، وقد دعت إليه الضرورة .

(٤) عدوا : أسرعوا . والمطهم من الخيل : الذى تم حسنه وبرع فى الجمال . والخيل العراب : الكرائم السالمة من الهجنة .

(٥) يريد بقوله : « مسدول النقاب » : وصف الليل بشدة الظلام . ويصف رجال الجمعية بأنهم يبذلون المعروف فى خفية وتكتم ، وذلك أفضل الإحسان .

(٦) تعاهدوها : تفقدوها بالبذل والمعونة .

(٧) تنظروا : انتظروا وارتقبوا .

وبها صَدَفْتُ عن الضَّلا لة واْهتَدَيْتُ إلى الصَّوابْ[1]
وغَدَوْتُ إنْسانًا يُجَمِّلُه الفضائلُ لا الثِّيابْ
متبصِّرا ذا فطْنَةٍ تَنْفِي القُشُورَ عن اللُّبابْ
(جَمْعِيَّةٌ خَيْرِيَّةٌ) قامَتْ لتخْفيف المُصابْ
قد كان فيها (عَبْدُه) غَوْثًا يُلَبِّي مَنْ أهابْ[2]
لَمْ يَدْعُ مِسْمَاحًا إلى إنْعاشِها إلاّ أجابْ[3]
ما غابَ عنها مَرَّةً حتّى تَغَيَّبَ فى التُّرابْ
و (لِعاصِمٍ) أَثَرٌ بها باقٍ وذِكْرٌ مُسْتَطابْ[4]
قد كان يَحْمِيها كما تَحْمِي مَجاثِمَها العُقابْ[5]
ثَبَتَتْ وكان ثَباتُها يَدْعُو إلى العَجَبِ العُجابْ
والشَّرْقُ أَوْرَثَ أهْلَهُ حُبَّ التَّقَلُّبِ والخِلابْ[6]
فينا على كَرَمِ الطِّبا عِ ونُبْلِها طَبْعٌ يُعابْ
داءُ التَّوَاكُلِ وهْوَ فى الْعُمْرانِ داعِيَةُ الخَرابْ

(١) صدف عن الضلالة : أعرض عنها .

(٢) يريد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وانظر التعريف به فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢ من هذا الجزء . وكان أقوى مؤسسى الجمعية الخيرية وأعظم الداعين إلى إنشائها . وأهاب : دعا .

(٣) المسماح : الكثير السماح .

(٤) يريد « بعاصم » : المرحوم حسن عاصم باشا .

(٥) مجاثم العقاب : مواضعها التى تنزل بها ، الواحد مجثم ؛ يقال : جثم الطائر ، إذا لزم مكانه فلم يبرحه ؛ أو تلبد بالأرض . والعقاب : طائر من الجوارح ؛ والعرب تسميه الكاسر .

(٦) الخلاب : الخداع .

ثَبَتَتْ لأنّ لها إلى أَعْتابِ مَوْلانا ٱنْتسابْ(١)
لولا (حُسَيْنٌ) لم تَدُمْ إلّا كما دامَ ٱلحَبابْ(٢)
اللهُ أدْرَكَها به بَحْراً مَوارِدُه عِذابْ
يا واهِبَ الآلافِ كَمْ طَوَّقْتَ بالمِنَنِ الرِّقابْ
لكَ ساحَةٌ عَلَوِيّةٌ ما أمَّها أمَلٌ وخابْ(٣)
مَهَّدْتَ للأخْيارِ مَيْدانَ السِّباقِ إلى الثَّوابْ
لا زِلْتَ في القُطْرَيْنِ مَحْرُوسَ الأرِيكَةِ والرِّكابْ(٤)

جمعية إعانة العُميان

قالها في حفل أقامته الجمعية لبناء مدرسة للعميان الأحداث (بالأوبرا)
في ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٦م ونشرت في اليوم التالي

إنّ يومَ ٱحتِفالِكُمْ زادَ حُسْناً وجَلالاً بيَوْمِ عِيدِ ٱلجُلُوسِ(٥)
فاقتِرانُ اليَوْمَيْنِ رَمْزٌ إلى اليُمْنِ وبُشْرَى تَسُرُّ رَهْنَ الحُبُوسِ(٦)

---

(١) يريد بقوله : « مولانا » السلطان حسين ؛ وكان رئيسا لها أيام كان أميرا . والوقف على قوله : « انتساب » بسكون الباء لضرورة القافية جريا على غير الفصيح ، وهي لغة ربيعة ، فإنهم يقفون على المنون بحذف تنوينه وسكون آخره مطلقا ، أي سواء أكان منصوبا ، كما في هذا اللفظ ، أم مرفوعا أم مجرورا . ؟

(٢) الحباب : فقاقيع الماء التي تعلوه .

(٣) علوية : نسبة إلى المغفور له ساكن الجنان محمد علي باشا جد الأسرة المالكة .

(٤) القطران مصر والسودان . والأريكة : سرير الملك .

(٥) يريد عيد جلوس المغفور له السلطان حسين كامل .

(٦) يريد « برهن الحبوس » أن هذا المكفوف رهين حبس بصره ، وحابس بيته ، وكان أبو العلا المعري يلقب « برهين المحبسين » .

فكأنى أشيم عاطفة البر حياناً تجول بين الجلوس[1]

وأرى فى الوجوه سيما ارتياح وابتهاج لسعى تلك العروس[2]

إن حق الضرير عند ذوى الأبصار حق مستوجب التقديس

لم يضره فقدانه نور عينيه إذا اعتاض عنهما بأنيس

آنسوا نفسه إذا أظلم العيش بعلم فالعلم أنس النفوس

وجهوه إلى الفلاح يفدكم فوق ما يستفيده من دروس

أكملوا نقصه يكن عبقرياً مثل (طه) مبرزاً فى الطروس[3]

كم رأينا من أكمه لا يجارى وضرير يرجى ليوم عبوس

لم تقف آفة العيون حجازاً بين وثباته وبين الشموس

عدم الحس قائداً فهداه هدى وجدانه إلى المحسوس

مثل هذا إذا تعلم أغنى عن كثير وجاءنا بالنفيس

ذاك أن الذكاء والحفظ حلا فى جوار النهى بتلك الرءوس

فعلى كل أكمه وبصير شكر أعضائكم وشكر الرئيس

(١) أشيم أرى وأنظر .

(٢) يريد « بالعروس » : عاطفة البر السابق ذكرها .

(٣) يريد « بطه » : (الدكتور) طه حسين (بك) عميد كلية الآداب الآن . والطروس . وهى الصحيفة يكتب فيها .

ملجأ الحرية

[نشرت فى ١٩ مايو سنة ١٩١٩ م]

أَيُّها الطِّفْلُ لكَ البُشْرَى فقَدْ ... قَدَّرَ اللهُ لنا أَنْ نُنْشَرَا[١]

قَدَّرَ اللهُ حَيَاةً حُرَّةً ... وأَبَى سُبْحانَه أَنْ تُقْبَرَا

لا تَخَفْ جُوعًا ولا عُرْيًا ولَا ... تَبْكِ عَيْنَاكَ إذا خَطْبٌ عَرَا[٢]

لكَ عندَ البِرِّ فى مَلْجَئِه ... حيثُ تَأْوِى خاطِرٌ لَنْ يُكْسَرَا[٣]

حيثُ تَلْقَى فيه حَدْبًا وتَرَى ... بين أَترابِكَ عَيْشًا أَنْضَرا[٤]

لا تُسِئْ ظَنًّا بمُثْرِينَا فقَدْ ... تابَ عن آثامِه واستغفَرا

كان بالأَمْسِ وأَقْصَى هَمِّه ... — إنْ أَتَى عارِفةً — أن يَظْهَرا[٥]

فغَدا اليَوْمَ يُواسِى شَعْبَه ... وهْو لا يَرْغَبُ فى أنْ يُشْكَرَا

نَبَّهَت عاطِفَةَ البِرِّ به ... مِحْنَةٌ عَمَّتْ ومِقْدارٌ جَرَى[٦]

---

(١) ننشر : نحيا ونبعث . جعل ما كان فيه المصريون قبل من إهمال اليتيم وإغفال شأنه كالموت ؛ وما صاروا إليه بعد من رعايته والعناية به حياة وبعثا .

(٢) عرا : ألم ونزل .

(٣) يستعمل « كسر الخاطر » فى إخجال السائل ورده بغير ما كان يؤمل ، وهو استعمال شائع فى كلام عصرنا .

(٤) الحدب (بالتحريك وسكن للشعر) : العطف . ويجوز أن يقرأ بالضم بمعنى جماعة العاطفين . وأترابك : لداتك ونظراؤك ، الواحد ترب (بكسر التاء) .

(٥) العارفة : العطية والمعروف .

(٦) المحنة : ما يمتحن به الإنسان من بلية . والمقدار : القدر (بفتح القاف والدال) . ويريد ما شمل الناس من فقر وضيق إذ ذاك .

جَمَعَتْنا في صَعِيدٍ واحدٍ ... وأرادَتْنا على أنْ نُقْهَرا[1]

فتعاهَدْنا على دَفْعِ الأذى ... بركوبِ الحَزْمِ حتّى نَظْفَرا

وتَواصَيْنا بصَبْرٍ بَيْنَنا ... فغَدَوْنا قُوّةً لا تُزْدَرَى[2]

أنْشَرَتْ في مِصْرَ شَعْبًا صالحًا ... كان قَبْلَ اليَوْمِ مُنْفَكَّ العُرا[3]

كم مُحِبٍّ هائمٍ في حُبِّها ... ذادَ عَنْ أجْفانِه سَرْحَ الكَرَى[4]

وشَبابٍ وكُهُولٍ أقْسَموا ... أنْ يَشِيدُوا مَجْدَها فَوْقَ الذُّرا[5]

يا رِجالَ الجِدِّ هذا وَقْتُه ... آنَ أنْ يَعْمَلَ كُلٌّ ما يَرَى

مَلْجَأً أو مَصْرِفًا أو مَصْنَعًا ... أو نِقاباتٍ لِزُرّاعِ القُرَى

أنا لا أعْذِرُ مِنكم مَنْ وَنَى ... وهو ذو مَقْدُرَةٍ أو قَصَّرا[6]

فابْدَءُوا بالمَلْجَإِ الحُرِّ الذي ... جِئْتُ للأيْدِي له مُسْتَمْطِرا

واكْفُلُوا الأيْتامَ فيه واعلَمُوا ... أنَّ كُلَّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرَا[7]

---

(١) الضمير في « جمعتنا » «للمحنة» . ويقال : أراده على الأمر ، وذلك إذا حمله عليه .

(٢) لا تزدرى : لا تحتقر .

(٣) أنشرت : أحيت . ويريد « بالعرا » : صلاة المودة ، الواحدة عروة .

(٤) الضمير في « حبها » لمصر . وذاد : منع ودفع . والكرى : النوم .

(٥) الذرا : جمع ذروة ، وهى المكان المرتفع .

(٦) ونى : أبطأ .

(٧) كفله يكفله (من باب نصر) : قام بأمره . والفرا : الحمار الوحشى « وكل الصيد في جوف الفرا » : مثل ؛ وأصله أن ثلاثة خرجوا متصيدين ، فاصطاد أحدهم أرنبا ، والآخر ظبيا ، والثالث حمارا فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا ، وتطاولا على صاحب الحمار . فقال لهما : « كل الصيد في جوف الفرا » ، أى أن هذا الذى رزقت به وظفرت يشتمل على ما عندكما ، وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعظم من الحمار . ومعنى المثل هنا أن معونة اليتيم تحمل في ثناياها جميع الأعمال الصالحة .

أيها المثرى ! ألا تكفل من بات محروماً يتيماً معسرا ؟
أنت ما يدريك لو أنبته ربما أطلعت بدراً نيرا
ربما أطلعت (سعداً) آخراً يحكم القول ويرقى المنبرا[1]
ربما أطلعت منه (عبده) من حمى الدين وزان (الأزهرا)[2]
ربما أطلعت منه شاعراً مثل (شوقى) نابهاً بين الورى
ربما أطلعت منه فارساً يدخل الغيل على أسد الشرى[3]
كم طوى البؤس نفوساً لو رعت منبتاً خصباً لكانت جوهرا
كم قضى العدم على موهبة فتوارت تحت أطباق الثرى[4]
كل من أحيا يتيماً ضائعاً حسبه من ربه أن يؤجرا
إنما تحمد عقبى أمره من لأخراه بدنياه اشترى

جمعية الطفل

أنشدها فى الحفل الذى أقامته هذه الجمعية فى يوم الثلاثاء أول مايو سنة ١٩٢٨ م

أيها الطفل لا تخف عنت الدهـ ـر ولا تخش عاديات الليالى[5]
قيض الله للضعيف نفوساً تعشق البر من ذوات الحجال[6]

(١) يريد المغفور له (سعد زغلول باشا) وكان رئيساً للوفد المصرى إذ ذاك .

(٢) يريد « بعبده » : الإمام محمد عبده (أنظر التعريف به فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢ من هذا الجزء) .

(٣) الغيل (بالكسر ويفتح) : الشجر الكثير الملف ، وتأوى إليه الأسود . والشرى : مأسدة جانب الفرات يضرب بآسادها المثل

(٤) العدم : الفقر .

(٥) العنت : المشقة .

(٦) قيض : أتاح . وذوات الحجال ، النساء ، والحجال : جمع حجلة ، وهى موضع يزين للعروس . ويشير إلى أن تلك الجمعية من السيدات .

أىْ ذَواتِ الجمالِ عِشْتُنَّ للبرِّ ودُمْتُنَّ قُدْوَةً للرِّجالِ
لم يكونوا لِيُدرِكوا المجدَ لولا كُنَّ أو يَسلُكوا سَبيلَ المعالى
بَسْمةٌ تجعلُ الجبانَ شُجاعًا وتُعيدُ البخيلَ أكرمَ نالِ[1]
وعظامُ الرِّجالِ مِن كلِّ جنسٍ فى رضاكُنَّ أرْخَصوا كلَّ غالِى
راعَنى مِنْ نُفوسِكُنَّ جَمالٌ يَتَجلَّى فى هالَةٍ مِن جَلالِ[2]
وجمالُ النُّفوسِ والشِّعْرِ والأخْلاقِ عِندى أسْمَى مَجالى الجَمالِ[3]
فَمَنْ عَلَّمَتْنا المُروءةَ والعطْفَ على البائسين والسُّؤالِ
فَمَنْ عَلَّمَتْنا الحَنانَ على الطِّفْلِ شَريدًا فَريسَةَ المُغْتالِ
قد أجَبْنا نِداءَكُنَّ وجِئْنا نَسْألُ القادرين بعضَ النَّوالِ
لو مَلَكْنا غيرَ المَقالِ لَجُدْنا إنَّ جُهْدَ المُقِلِّ حُسْنُ المَقالِ[4]
أنقِذوا الطِّفْلَ إن فى شِقْوَةِ الطِّفْلِ شَقاءً لنا على كلِّ حالِ
إنْ يَعِشْ بائسًا ولَمْ يَطْوِهِ البُؤْسُ يَعِشْ نَكْبَةً على الأجْيالِ[5]
رُبَّ بُؤْسٍ يُخَبِّثُ النَّفْسَ حتّى يَطْرَحَ المرْءَ فى مَهاوِى الضَّلالِ
أنْقِذوهُ فَرُبَّما كانَ فيه مُصْلِحٌ أو مُغامِرٌ لا يُبالى[6]
رُبَّما كانَ تَحْتَ طِمْرَيْهِ عَزْمٌ ذو مَضاءٍ يَدُكُّ شُمَّ الجِبالِ[7]

---

(١) النال : الجواد الكريم .
(٢) الهالة : دارة القمر .
(٣) مجالى الجمال : أى مظاهره وما يبدو منه .
(٤) المقل : الفقير القليل المال .
(٥) يطويه : يغيبه ويذهب به .
(٦) المغامر : المقاتل الذى لا يبالى الموت .
(٧) الطمر : الثوب الخلق . وشم الجبال : المرتفعة منها ، الواحد أشم .

رُبَّ سِرٍّ قد حَلَّ جِسْمَ صَغِيرٍ ... وتَأَبَّى على شَدِيدِ المِحَالِ[1]

نَخِفافُ الأَفْيالِ أَرْفَقُ وَقْعاً ... لو تَبَيَّنْتَ مِنْ دَبِيبِ النِّمالِ[2]

شاعَ بُؤْسُ الأَطْفالِ والبُؤْسُ داءٌ ... لو أُتِيحَ الطَّبِيبُ غيرُ عُضالِ[3]

أَيِّدُوا كُلَّ مُجْمَعٍ قامَ للبِرِّ بِجَاهٍ يُظِلُّهُ أو بِمالِ

كَمْ يَتِيمٍ كادَتْ بِهِ البَأْسَاءُ لولا (رِعايَةُ الأَطْفالِ)

ورِجالُ الإِسْعافِ أَنْبَلُ — لولا ... شَهْوَةُ الحَرْبِ — من رِجالِ القِتالِ[4]

يَسْهَرُونَ الدُّجَى لِتَخْفِيفِ وَيْلٍ ... أو بَلاءٍ مُصَوَّبٍ أو نَكالِ[5]

كَمْ جَرِيحٍ لولاهُمُ ماتَ نَزْفاً ... في يَدِ الجَهْلِ أو يَدِ الإِهْمالِ

كَمْ صَرِيعٍ مِنْ صَدْمَةٍ أو صَرِيعٍ ... مِنْ سُمُومٍ مُخَدِّرِ الأَوْصالِ[6]

كَمْ حَرِيقٍ قد أَحْجَمَ النَّاسُ فيهِ ... عن ضَحايا تَئِنُّ تحتَ التِّلالِ

يَتَرامَوْنَ في اللَّهِيبِ سِراعاً ... كَتَرامِي القَطا لِوِرْدِ الزُّلالِ[7]

لا لِشَيْءٍ سِوَى المُرُوءَةِ يَحْلُو ... طَعْمُها في فَمِ المَرِيءِ المُوالِي[8]

فاصْنَعُوا البِرَّ مُنْعِمِينَ وجُودُوا ... أَيُّها القادِرُونَ قَبْلَ السُّؤالِ

لانْتِشارِ العُلُومِ أو لانْطِواءِ الْـ ... ـبُؤْسِ والشَّرِّ أو لِتَرْفِيهِ حالِ

---

(١) سر : أى موهبة خفية ونبوغ كامن . وتأبى : امتنع . والمحال : القدرة والقوة .

(٢) يريد بهذا البيت أن النملة على ضآلتها فيها من السر ما ليس للفيل على ضخامته .

(٣) داء عضال : شديد غالب معى .

(٤) يقول : لولا حاجتنا إلى الجند فى الحروب التى لا غنى لنا عنها ، لكان رجال الاسعاف أنبل منهم وأفضل .

(٥) النكال : العذاب .

(٦) يريد « بالسموم » : المخدرات . والأوصال : الأعضاء ، الواحد وصل (بالكسر و بالضم) .

(٧) القطا : جمع قطاة ، وهى طائر فى حجم الحمامة . (٨) المرىء : ذو المروءة . والموالى : المناصر المعين .

كلية البنات الأمريكية

قالها فى الحفل الذى أقامته الكلية لتوزيع الشهادات والجوائز على الفائزات

نشرت فى ٢٦ مايو سنة ١٩٢٨ م

أىْ رجالَ الدنيا الجديدةِ مهلًا ... قد شأوتم بالمعجزاتِ الرجالا (١)

وفهمتم معنى الحياةِ فأرصدْ ... تم عليها لكلّ نقصٍ كمالا (٢)

وحرصتم على العقولِ فحرّمـ ... ـتم عصيرًا يراه قومٌ حلالا (٣)

وقدرتم دقيقةَ العمرِ حرصًا ... وسواكم لا يقدرُ الأجيالا

كم أحالوا على غدٍ كلَّ أمرٍ ... ومحيلُ الأمورِ يبغى المحالا

قد تحدّيتمُ المنيّةَ حتّى ... همَّ أن يغلبَ البقاءُ الزوالا (٤)

وطويتم فراسخَ الأرضِ طيًّا ... ومشيتم على الهواءِ اختيالا

ثمّ سخّرتمُ الرياحَ فسستم ... حيث شئتم جنوبها والشمالا

تُسرجونَ الهواءَ إنْ رمتمُ السيْـ ... ـرَ وفى الأرضِ مَنْ يشدُّ الرحالا (٥)

---

(١) الدنيا الجديدة : أميركة . وشأوتم : غلبتم .

(٢) أرصدتم : أى أعددتم .

(٣) يشير بهذا البيت إلى قانون تحريم الخمر الذى كانت جمهورية الولايات المتحدة قد أصدرته .

(٤) تحديتم المنية : أى نازعتموها الغلبة وعارضتموها . ويشير إلى ما فى هذه البلاد من العناية بالشئون الصحية والمستحدثات الطبية ، والاهتداء إلى مداواة بعض الأمراض التى كانت مستعصية العلاج .

(٥) تسرجون الهواء : أى تعدّونه وتهيّئونه للركوب كما يسرج الفرس ، أى يشد عليه سرجه ليركب . ويشير بذلك إلى الطائرات . ويريد بقوله « وفى الأرض » الخ : أنه لا تزال فى الأرض أمم متأخرة لم تتحول عن جمودها فى الحياة ، ويشد الرحال على ظهور الجمال كعهدها فى العصور الأولى .

وتَخِذْتُم مَوْجَ الأَثِيرِ بَرِيداً حِينَ خِلْتُمْ أنّ البُرُوقَ كُسالَى[1]
ثم حاوَلْتُمُ الكَلامَ مع النَّجْمِ فَحَمَّلْتُم الشُّعاعَ مَقالَا
ومَحا (فُورْدُ) آيَةَ المَشْيِ حَتّى شَرَعَ النّاسُ يَنْبِذُونَ النِّعالَا[2]
وانتَزَعْتُمْ مِنْ كُلِّ شِبْرٍ بِظَهْرِ الْأَرْضِ أو بَطْنِها المُحَجَّبِ مالَا
وأَقَمْتُمْ فى كُلِّ أرضٍ صُرُوحًا تَنْطَحُ السُّحْبَ شامِخاتٍ طِوالَا[3]
وغَرَسْتُمْ للعِلْمِ رَوْضًا أَنِيقًا فوقَ دُنْيا الوَرَى يَمُدُّ الظِّلالَا
وحَلَلْتُمْ بأَرْضِنا فعَرَفْنا كيف تُنْمُونَ بيننا الأَطْفالَا
ورَأَيْنا البَناتِ كَيْفَ يُثَقَّفْنَ بِعِلْمٍ يَزِيدُهُنَّ جَمالَا
لَيْتَ شِعْرِى مَتَى أَرَى أَرْضَ مِصْرٍ فى حِمَى اللهِ تُنْبِتُ الأَبْطالَا
وأَرَى أَهْلَها يُبارُونَكُمْ عِلْمًا ووَثْبًا إلى العُلَا ونِضالَا
قد نَفَضْنا عَنّا الكَرَى وٱبْتَدَرْنا فُرَصَ العَيْشِ وٱنْتَقَلْنا ٱنْتِقالَا[4]
وعَلِمْنا بأَنَّ غَفْلَةَ يَوْمٍ تَحْرِمُ المَرْءَ سَعْيَهُ أَحْوالَا[5]
فشَقَقْنا إلى الحَياةِ طَرِيقًا وأَصَبْنا على الزِّحامِ مَجالَا
ونَهَضْنا فى ظِلِّ عَرْشِ (فُؤادٍ) ورَفَعْنا لعَهْدِهِ تِمْثالَا
قد أَبَى اللهُ أَنْ نَعِيشَ على النا سِ ـ وإنْ ضاقَتِ الوُجوهُ ـ عِيالَا[6]

---

(١) يشير بهذا البيت إلى الآلات اللاسلكية .

(٢) فورد : صاحب معامل كبيرة للسيارات فى أميركة . ويريد الشاعر أنه قد أكثر منها فى أنحاء العالم حتى يكاد الناس لكثرتها وقلة أثمانها ليستغنون بركوبها عن المشى ولبس النعال .

(٣) الصروح : الأبنية العالية .

(٤) ابتدرنا فرص العيش : عاجلناها وأسرعنا إليها . والكرى : النوم .

(٥) الأحوال : السنون ، الواحد حول .

(٦) الوجوه : المذاهب .

الأزبكية

كم وارثٍ غَضِّ الشَّباب رَمَيْتِه بغَرامِ راقصةٍ وحُبِّ هَلُوك[١]
ألبَسْتِه الثَّوبَيْنِ فى حالَيْهما تيهَ الغَنِيِّ وذِلَّةَ المَفْلُوك[٢]

نشيد الشبّان المسلمين

أعِيدُوا مَجْدَنا دُنْيَا ودِينَا وذُودُوا عن تُرَاثِ المُسْلِمِينا[٣]
فَمَنْ يَعْنُو لغَيْرِ الله فينا ونحنُ بَنُو الغُزاة الفاتِحِينا[٤]

*
* *

مَلَكْنا الأَمْرَ فوق الأرض دَهْرًا وخَلَّدْنا على الأَيَّامِ ذِكْرَى
أَتَى (عُمَرٌ) فأَنْسَى عَدْلَ (كِسْرَى) كذلك كان عَهْدُ الرَّاشِدِينَا

*
* *

---

(١) الهلوك : الفاجرة المتساقطة على الرجال .

(٢) المفلوك : الفقير البائس ؛ وهى تسمية فارسية . قال صاحب كتاب (الفلاكة والمفلوكون) : هذه اللفظة تلقيناها من أفاضل العجم ، ويريدون بها بشهادة مواقع الاستعمال : الرجل غير المحظوظ ، المهمل فى الناس لإملاقه وفقره .

(٣) ذودوا : ادفعوا .

(٤) يعنو : يذل ويخضع .

جَبَيْنَا السُّحْبَ فى عَهْدِ الرَّشيدِ ... وباتَ النَّاسُ فى عَيْشٍ رَغيدِ[1]

وطَوَّقَت العَوارِفُ كُلَّ جِيدِ ... وكانَ شِعارُنا رِفْقًا ولِينَا[2]

*

سَلُوا (بَغْدادَ) والإسلامُ دِينٌ ... أكانَ لها على الدُّنيا قَرِين

رِجالٌ للحَوادِثِ لاتَلِينُ ... وعِلْمٌ أيَّدَ الفَتْحَ المُبِينا

*

فلَسْنا مِنهُمُ والشَّرْقُ عانٍ ... إذا لم نَكْفِهِ عَنَتَ الزَّمانِ[3]

ونَرْفَعُهُ إلى أعْلَى مَكانِ ... كما رَفَعُوه أو نَلْقَى المَنُونا

غلاء الأسعار

أيُّها المُصْلِحُونَ ضاقَ بِنا العَيْـ ... ـشُ ولَمْ تُحْسِنُوا عَلَيْهِ القِيامَا

عَزَّت السِّلْعَةُ الذَّلِيلَةُ حَتَّى ... باتَ مَسْحُ الحِذاءِ خَطْبًا جُساما[4]

وغَدَا القُوتُ فى يَدِ النّاسِ كالْيا ... قُوتِ حتّى نَوَى الفَقيرُ الصِّياما

يَقْطَعُ اليَومَ طاوِيا ولَدَيْهِ ... دُونَ رِيحِ القُتارِ رِيحُ الخُزامَى[5]

---

(١) جبينا السحاب : يريد بسطة الملك وسعة السلطان . ويشير بذلك إلى ما روى عن أحد خلفاء الاسلام حين رأى سحابة سارية فقال ما معناه : امطرى حيث شئت فان ما تنبتينه سيجبى خراجه الينا .

(٢) العوارف : العطايا والمنن ، الواحدة عارفة . والجيد : العنق .

(٣) العانى : الأسير المقيد . وعنت الزمان : مشقته .

(٤) السلعة : المتاع المتجر فيه . والخطب الجسام : العظيم .

(٥) طاويا جائعا . والقتار (بالضم) : ريح الشواء . والخزامى : نوع من الرياحين ، وزهره من أطيب الأزهار نفحة . يقول : إن ريح ذاك الزهر أقل شأنا عنده من ريح الشواء لحاجته إلى الثانى دون الأول .

وَيَخالُ الرَّغيفَ في البُعدِ بَدْرًا ... وَيَظُنُّ اللحومَ صَيْدًا حَرَاما

إنْ أَصابَ الرَّغيفَ منْ بَعْدِ كَدٍّ ... صاحَ: مَنْ لي بأنْ أُصيبَ الإداما؟[1]

أَيُّها المُصْلِحُون أَصْلَحْتُمُ الأرْ ... ضَ وبِتُّمْ عن النُّفوسِ نِياما

أَصْلِحوا أنفُسًا أَضَرَّ بِها الفَقْـ ... ـرُ وأَحْيَا بِمَوْتِها الآثاما

ليس في طَوْقِها الرَّحيلُ ولا الجِـ ... ـدُّ ولا أنْ تُواصِلَ الإقْداما

تُؤْثِرُ المَوْتَ في رُبَا النِّيلِ جُوعًا ... وتَرَى العارَ أنْ تَعافَ المُقاما[2]

ورِجالُ الشَّآمِ في كُرَةِ الأرْ ... ضِ يُبارُونَ في المَسيرِ الغَماما[3]

رَكِبُوا البَحْرَ، جاوَزُوا القُطْبَ، فاتُوا ... مَوْقِعَ النَّيِّرَيْنِ خاضُوا الظَّلاما

يَمْتَطُون الخُطُوبَ في طَلَبِ العَيْـ ... ـشِ ويَبْرُونَ للنِّضالِ السِّهاما

وبَنُو مِصْرَ في حِمَى النِّيلِ صَرْعَى ... يَرْقُبُونَ القَضاءَ عامًا فَعاما

أَيُّها النِّيلُ! كيف نُمْسِي عِطاشًا ... في بِلادٍ رَوَّيْتَ فيها الأَناما؟

يَرِدُ الواغِلُ الغَريبُ فيَرْوَى ... وبَنُوكَ الكِرامُ تَشْكُو الأُواما[4]

إنَّ لِينَ الطِّباعِ أَوْرَثَنا الذُّ ... لَّ وأَغْرَى بِنا الجُناةَ الطَّغاما[5]

إنَّ طِيبَ المُناخِ جَرَّ علينا ... في سَبيلِ الحَياةِ ذاكَ الزِّحاما

أَيُّها المُصْلِحُونَ رِفْقًا بِقَوْمٍ ... قَيَّدَ العَجْزُ شَيْخَهُمْ والغُلاما

---

(١) الإدام : ما يؤتدم به .

(٢) الربا : مرتفعات الأرض ، الواحد ربوة . وتعاف : تكره .

(٣) باراه : جاراه وفعل مثل فعله .

(٤) الواغل : الذى يدخل على القوم فى طعامهم وشرابهم دون أن يدعى . والأوام : شدة العطش .

(٥) الطغام (بالفتح) : أوغاد الناس وأرذالهم .

وأغيثُوا من الغَلاءِ نفوسًا قد تَمَنَّتْ مع الغَلاءِ الحِماما[1]

أوْشَكَتْ تأكُلُ الهَبِيدَ من الفَقْـ ـرِ وكادَتْ تذُودُ عنه النَّعاما[2]

فأعِيدُوا لَنا المُكُوسَ فإنّا قد رأَيْنا المُكُوسَ أرْخَى زِماما[3]

ضاقَ في مِصْرَ قِسْمُنا فاعذرُونا إنْ حَسَدْنا على الجَلاءِ الشّآما[4]

قد شَقِينا ـ ونَحْنُ كَرَّمنا اللّـ ـهُ ـ بعَصْرٍ يُكَرِّمُ الأنْعامَا

أضرحة الأولياء

أحْياؤُنا لا يُرْزَقُونَ بدِرْهَمٍ وبأَلْفِ أَلْفٍ تُرْزَقُ الأَمْواتُ

مَنْ لى بحَظِّ النائمين بحُفْرَةٍ قامَتْ على أحْجارِها الصَّلَواتُ

يَسْعَى الأنامُ لها ، ويَجْرى حَوْلَها بَحْرُ النُّذُورِ ، وتُقْرَأُ الآياتُ

ويُقالُ : هٰذا القُطْبُ بابُ المُصْطَفَى ووَسِيلَةٌ تُقْضَى بها الحاجاتُ

* * *

---

(١) الحمام (بكسر الحاء) : الموت .

(٢) الهبيد : حب الحنظل . وتذود : تدفع وتمنع . وخص النعام لأنها تأكل هذا الهبيد .

(٣) المكوس : ضرائب كانت تؤخذ على السلع الواردة لتباع فى المدن ، وكان يتغالى فى فرضها . والزمام : ما تزم به الدابة ، أى تقاد . ويريد بقوله : « أرخى زماما » : أى عهد المكوس كان أيسر على الناس وأهون .

(٤) القسم (بالكسر) : النصيب من الرزق . ويريد « بالجلاء » : انتقال القوم من أوطانهم إلى أوطان أخرى طلبا للرزق .

وقال على لسان طفلة :

أَخْشَى مُرَبِّيَتِي إِذا طَلَعَ النَّهارُ وأَفْزَعُ
وأَظَلُّ بين صَواحِبِي لعقابِها أَتَوَقَّعُ
لا الدَّمْعُ يَشْفَعُ لى وَلَا طُولُ التَّضَرُّعِ يَنْفَعُ
وأَخاف والِدَتِي إذا جَنَّ الظَّلامُ وأَجْزَعُ
وأَبِيتُ أَرْتَقِبُ الجزاءَ وأَعْيُنِي لا تَهْجَعُ
ما ضَرَّنِي لو كنتُ أَسْتَمِعُ الكَلَام وأَخْضَعُ
ما ضَرَّنِي لو صُنتُ أَثْوابِي فلا تَتَقَطَّعُ
وحَفِظْتُ أوراقى بِحِفْظِي فلا تَتَوَزَّعُ
فأَعِيشُ آمِنَةً وأَمْرَعُ فى الهَناءِ وأَرْتَعُ

كان الفراغ من مراجعة الطبعة الثانية لديوان حافظ بجزئه الأول ، ضحى الجمعة ٨ من شعبان سنة ١٣٥٨ هـ (٢٢ من سبتمبر سنة ١٩٣٩ م) بمدينة بني سويف . و " إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت " .

محمد مختار يونس

مفتش اللغة العربية بمنطقة مصر الوسطى

المطبعة الأميرية ٤٩٢١ س ١٩٤٧ — ٧٠٠٠